

المركز القومي للترجمة



أخبار سلاجقة الروم

من مؤلفات القرن السابع الهجري



ترجمة وتقديم
محمد السعيد جمال الدين

1122

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

بهذا المجلد نقدم للمكتبة العربية - لأول مرة - ترجمة لأوفى مصدر في تاريخ دولة سلاجقة الروم ، وأعني به كتاب «مختصر سلجوقنامه» الذي يعدّ تلخيصاً واختصاراً لكتاب «الأوامر العلالية في الأمور العلالية» لابن البيهقي مؤرخ تلك الدولة الفتية التي نشأت في آسيا الصغرى في منتصف القرن الخامس الهجري ، وظلت قائمة لا تززعها الخطوب والمحن التي توالت عليها من كلّ جانب : من الصليبيين في الغرب ، والمغول في الشرق ، وغيرهم ، ولا نصرفها الأحداث الجسام التي منيت بها عن التشبث بما تستطيع من الأقاليم في تلك البلاد ، وأخذت تطاول الزمن حتى شاء لها القدر ألا تسلم الرأية في النهاية إلا بعد أن مهدت لقيام الدولة العثمانية في آسيا الصغرى ، واتساع رقعتها بعد ذلك حتى شملت أوروبا وبلاد الشام ومصر والبحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا .

كانت دولة سلاجقة الروم قد نشأت في أعقاب الهزيمة التي ألحقها السلاجقة الأتراك بالإمبراطورية البيزنطية في سنة ٤١٣ هـ (١٠٧١م) في موقعة «ملازكرد» ، وبانهيار الجيش البيزنطي وتراجع السلاجقة أمام السلاجقة انفتح لهم سبيل السيطرة على آسيا الوسطى وجعلها قاعدة للتفوذ والتوسع في بلاد الأرمن والقفقاز والروس .

واندفع السلاجقة في اجتياحهم - عند ذاك - لمنطقة آسيا الصغرى حتى بلغوا «نيقية» على ساحل بحر «مرمرة» فأتخذوها عاصمة لدولتهم التي أسست في سنة ٤٧٠هـ (١٠٧٨م) كجناح من أجنحة الإمبراطورية السلجوقية العظمى التي كانت تتمركز في إيران . وقد أطلق على هذا الجناح اسم «سلاجقة الروم» . ثم ما لبثوا - بعد بضعة أعوام - أن نقلوا عاصمتهم إلى «قونية» تحت الضغط المتواصل للحملات الصليبية .

كان «سليمان بن قتلмыш بن إسرائيل بن أرسلان بن سلجوق» قد أبلى بلاءً حسناً في معركة «ملازكرد» وفتوحات الأناضول ، فأصدر السلطان ملكشاه (ت : ٤٨٥هـ = ١٠٩٢م) قراراً بتنصيبه ملكاً لذلك الجناح الشمالي الغربي من الإمبراطورية ، وما لبث «سلاجقة الروم» أن استقلوا بدولتهم التي تعاقب أبناء سليمان بن قتلмыш على عرشها حتى انقضت في النهاية سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٩م) بوفاة آخر سلاطينها غياث الدين مسعود الثالث .

كانت الدولة السلجوقية الكبرى قد انقسمت بعد وفاة السلطان ملكشاه إلى عدة دول مستقلة ، سميت كل واحدة منها باسم المنطقة التي تسيطر عليها ، فكانت هناك دولة سلاجقة إيران والعراق ، وسلاجقة كرمان ، وسلاجقة الروم . واحتفظ لنا التاريخ بتسجيل للوقائع والأحداث التي جرت في كل دولة من تلك الدول (١) .

(١) انظر سلاجقة العراق : تاريخ دولة آل سلجوق (بالعربية) للعماد الإصفهاني ، وقد اختصره الفتح بن علي بن محمد البنداري ، ونشر بمصر سنة ١٩٠٠م . وفي سلاجقة إيران والعراق : راحة الصدور وآية السرور (بالفارسية) لنجم الدين أبي بكر محمد الزواندي ، نشر في ليدن ١٩٢١ . وقد ترجمه إلى العربية الأستاذة : إبراهيم الشواربي ، وعبد التعميم حسنين ، وفؤاد الصياد ، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٦٠م . وفي =

أولاً : الكتاب

أما دولة سلاجقة الروم فلا نجد مصدراً عني بأخبارها بقدر ما عني كتاب «الأوامر العلائية في الأمور العلائية» لحسين بن محمد بن علي الجعفري الرغددي المعروف بابن البيبي ، والذي أتمه بأحداث سنة ٦٧٩ هـ ، قبل زوال تلك الدولة بنحو ربع قرن . فلقد خصّ « ابن البيبي » سلاجقة الروم دون غيرهم بكتابه ، وسجّل ما رأى وسمع من الوقائع والأحداث التي جرت منذ أواخر عهد السلطان قلق أرسلان الثاني (ت : ٥٨٨ هـ) خامس سلاطين السلاجقة حتى سنة ٦٧٩ بداية عهد السلطان غياث الدين مسعود .

ولم يتمكن المؤلف من تسجيل أحداث الفترة الأولى من ظهور دولة السلاجقة في آسيا الصغرى وتأسيسها على يد « سليمان بن قتلمش » لأن المصادر التي قد أرخت لذلك العصر قد أعوزته ، ولم يكن بوسعها - كما أشار في مقدّمة كتابه - الاعتماد في التأريخ لتلك الفترة على « أقوال الثقلّة وأقاصيص السُمّار لبعد عهدهم » من تلك الأحداث ، فضلاً عما في أقوالهم من تباين واختلاف .

ولذلك حرمت الفترة التي تسبق عهد السلطان « غياث الدين كيخسرو » أي السلطان « علاء الدين كيقباد » من تسجيل تاريخي وتوثيقي مفصل يضارع ما حظيت به أحداث الفترة التالية من تاريخ تلك الدولة .

ومع أن عنوان كتاب « الأوامر العلائية » - الذي هو أصل هذا المختصر - عربي ، فإن الكتاب مؤلف باللغة الفارسية شأنه في ذلك شأن العديد من الكتب = سلاجقة كرمان : كتاب تاريخ سلاجقة كرمان لمحمد بن إبراهيم ، نشره هونسا سنة ١٨٨٢ - ١٩٠٢ م بهولندا .

التاريخية القيّمة التي ألفت بتلك اللّغة ، واختار لها مؤلفوها عناوين عربية ، مثل :
« جامع التواريخ » و « روضة الصفا » و « حبيب السير » وغيرها .

وما اختار « ابن البيبي » هذا العنوان لكتابه إلا لأنه - كما صرح هو -
« جاء متضمناً لمقامات عزائم السلطان الأعظم علاء الخلق والدين كيقباد - أنار
الله برهانه - برمتها ، فمن أجل ذلك سُمي بالأوامر العلائقة في الأمور
العلائقة » .

ولا يعني هذا اختصاص الكتاب بالتاريخ لعهد السلطان علاء الدين كيقباد
وحده ، بل يشتمل على تاريخ سلاطين تلك الدّولة - ومن بينهم السلطان علاء
الدين نفسه - من سنة ٥٨٨ إلى سنة ٦٧٩ ، غير أن السلطان علاء الدين كان
شامه بينهم ، بل واسطة العقده فيهم ، ولعلّ هذا هو السبب في أن المؤلف عتوّن
الكتاب باسمه .

وإذا تأملنا عنوان الكتاب وجدنا مؤلفه يكرّر كلمة « العلائقة » مرتين :
الأوامر العلائقة في الأمور العلائقة ، فهل الكلمة في كلتا الحالتين
منسوبة إلى السلطان علاء الدين كيقباد ؟ أم أنّ هناك « علاء الدين » آخر نُسب
إليه سطر العنوان ؟

إذا نظرنا إلى خاتمة الكتاب وجدنا المؤلف يشير إلى أنّ الكتاب قد تمّ تأليفه
بمقتضى الحكم المطاع « للجناب الأعلى ملك الوزراء أبي المعالي عطا ملك بن
محمد - أعلى الله شأنه »^(١) . فما ألفت الكتاب إذن إلا بناءً على أوامر صدرت

(١) خصّ « ابن البيبي » علاء الدين عظاملك بمدح مستطاب في الشعر والنثر على
السّواء ، ووصفه بأوصاف بليغة في مقدّمة كتابه ، ثم عاد في الخاتمة وأنشد قصيدة
عربية في مدح علاء الدين مطلعها :

إليه من «علاء الدين عطا ملك الجويني» حاكم العراق من قبل المغول والمؤرخ
الفارسي المعروف (ت ٦٨١هـ = ١٢٨١م) .

فأوامر علاء الدين عظاملك قد صدرت للمؤلف بالتأريخ للأُمور التي
جرت في عهد السلطان علاء الدين كيقيباد ، ومن هنا جاء عنوان الكتاب :
«الأوامر العلامية في الأُمور العلامية» .

وقد حظي الكتاب منذ زمن تأليفه بشهرة واسعة بين الناس ، بيد أنه كان
يحمل في طياته بعض عوامل القصور الذاتي التي حالت دون انتفاع الناس
واستفادتهم به على نطاق واسع ، ومن أهم هذه العوامل :

١- ضخامة حجم الكتاب ؛ إذ تقع النسخة الوحيدة التي عُثر عليها منه في
٧٤٤ صفحة من القطع الكبير .

٢- الأسلوب الذي أُلّف به . نعم ، لقد أحسن مؤلفه التأليف وأجاد
التصنيف ، وحقّق الوقائع والأحداث ، لكنّه ساق ذلك كله بأسلوب ينطوي على
الكثير من المبالغة والإغراق في استخدام المحسنات البلاغية والبديعية ، وحرص
على إظهار التمكن من استعمال أساليب الصنعة اللفظية من سجع ، وجناس ،
وطباق وتشبيه ونحوه فبدأ المؤلف وكأنه لا يرمي إلى بيان الوقائع التاريخية فحسب ،
بل يسعى كذلك إلى إظهار مهارته في الكتابة وبراعته في الإنشاء .

٣- كثرة استخدام الكلمات والشواهد العربية التي قد تبدو صعبة على من
لا يلمّ إماما كافيا بالعربية وآدابها من قرأ الفارسية .

= كهف الأنام علاء الدين سيدنا
علامة الدهر ، زان الملك والحسب
(الأوامر العلامية ، ص ٥ - ٩ ، ٧٤٣) .

ولا شك أن العاملين الثاني والثالث قد ساعدنا على تضخم حجم الكتاب حتى بلغت عدة صفحاته نحو سبعمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير^(١) ، الأمر الذي أدى بالضرورة إلى ندرة النسخ المتاحة أمام المثقفين المعاصرين للمؤلف للإفادة به .

هذه العوامل الثلاثة مجتمعة هي التي حفزت أحد الأدباء في عصر المؤلف نفسه على النهوض بتلخيص الكتاب وتهذيبه وتخليصه مما به من فضول وحشو زائد ، والاقتصار منه على القدر المناسب من الاستشهادات العربية والفارسية ، والتركيز - قدر الإمكان - على سياقة الأخبار التاريخية دون إطناب أو إطالة ، لكي تكون هذه الثروة النادرة من المعلومات التاريخية بمتناول كل إنسان .

ولقد أتم هذا الأديب القاضل - والذي ظل اسمه مجهولاً لا يعرف إلى وقتنا هذا - عمله الهام في نحو أربعة عشر شهراً ، حيث بدأ التلخيص في شعبان سنة ٦٨٣ ، وأتمه في شوال سنة ٦٨٤ هـ (وكان ابن البيهي نفسه لا يزال على قيد الحياة) وأطلق على كتابه اسم « مختصر سلجوقنامه » ، وكتب في مقدمته أن جماعة من إخوانه لما اشتكوا من كبر حجم كتاب « الأوامر العلائية » : « ويقوا محرومين من مطالعته والإفادة منه تعهد هذا العبد الضعيف... أن يفي.. بمقاصد الكتاب ومغازيه دون إطناب في الأوصاف وإغراق في التشبيهات ، كي يكون كل إنسان قادراً على تحصيل نسخة وتحقيق المطلوب ، فيصل نفعه لعموم الخلق » .

(١) انظر : كتاب الأوامر العلائية في الأمور العلائية ، نشرعدنان صادق ليزي ، أنقرة

ولقد التزم صاحب هذا المختصر بما تعهد به من الوفاء بمقاصد الكتاب الأصلي ومغازيه فلم يحذف من موضوعات الكتاب شيئاً وإنما حافظ على التسلسل الموضوعي الذي انتهجه ابن البيبي ، وفي المرة التي عدل فيها عن اختصار أحد الفصول ، أتى بتبذة عن مضمونه في الفصل الذي يليه مباشرة ، للدلالة على التزامه بما تعهد به منذ البداية^(١) .

وكان أهم ما حرص عليه صاحب المختصر ، هو الاحتفاظ بألفاظ «ابن البيبي» وعباراته نفسها ، فقلماً استخدم ألفاظاً وعبارات من عنده ، ولذلك جاء المختصر بمثابة صورة مصغرة من كتاب «الأوامر العلائية» وإن كانت تنزع في أسلوبها إلى البساطة والسهولة متى قورنت بأصلها الأول .

وإمعاناً في التيسير على القارئ عمد صاحب المختصر إلى الأبواب التي أوردتها «ابن البيبي» شعراً في «الأوامر العلائية» وبخاصة عند ذكره لحروب السلطان علاء الدين كيقباد^(٢) فنحو تلك الأبواب إلى نثر سهل لا صنعة فيه .

وكانت نتيجة هذا الجهد كله أن خرج ذلك الأديب - المجهول الهوية - على الناس بهذا المختصر الذي يبلغ عدد صفحاته في أصوله الفارسية ٣٣٧ صفحة من القطع المتوسط ، أي أنه اختصر من كتاب «الأوامر العلائية» أكثر من نصفه ، وأطلق عليه اسم «مختصر سلجوقنامه» وهو الذي تقدم ترجمته العربية اليوم بعنوان رئيسي هو «أخبار سلاجقة الروم» لتقريب موضوعه إلى القرّاء العرب .

(١) انظر فيما يلي ص ١٥٧ .

(٢) انظر : الأوامر العلائية ، ص ١٢٢ - ١٢٧ ، ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٩٢ - ٤٠٦ ،

٦٧١ - ٦٧٩ .

وواضح أن المختصر كان - من حيث عناية الناس به واهتمامهم بالانتفاع بمادته - أوفر حظا من الكتاب الأصلي نفسه . ففي القرن التاسع الهجري نقل أحد الأدباء الأتراك كتاب « مختصر سلجوقنامه » إلى التركية ، وقدمه حوالي سنة ٨٢٧ هـ إلى السلطان العثماني مراد الثاني ، وهو أمر لم يفتح لكتاب « الأوامر العلامية » نفسه ، فيما نعلم .

وفي العصر الحديث عثر المستشرق الهولندي المعروف « م . هـ . هوتسما » (المتوفى سنة ١٩٤٣ م) على نسخة من هذا المختصر في « المكتبة الوطنية بباريس » تحت عنوان : « تاريخ آل سلجوق » ، وهذا المجلد مشتمل على مختصر سلجوقنامه ، وأصله تأليف « ناصر الملة والدين يحيى بن محمد المعروف بابن البيهقي » . وقام « هوتسما » بطبع الكتاب - معتمدا على هذه النسخة الوحيدة - بمطبعة « بريل » في « ليدن » بهولندا سنة ١٩٠٢ م^(١) ، ونفدت نسخ هذه الطبعة بعد نشرها بزمن يسير ، وأصبح من المتعذر العثور على نسخة منها .

حتى قام الدكتور « محمد جواد مشكور » - الأستاذ بجامعة طهران - في سنة ١٩٧١ م بتصوير طبعة « هوتسما » وضمنها كتابه « اختيار سلاجقة روم » الذي جمع فيه - إلى جانب المختصر - الكثير من النصوص التاريخية الفارسية عن تلك الدولة وزوّد بها بالعديد من الهوامش والتعليقات الضافية والتي أفاد في كتابة العديد منها بكتاب « الأوامر العلامية » بعد طبعه في تركيا سنة ١٩٥٦ م .

(١) M. H. Houtsma, Histoire des Seldjoucides d'Asie Mineure , d'Après l'Abregé du Seldjouknameh d'ibn-Bibi, Texts Persan, publiée d'après le Ms de Paris , Leide E. J. Brill, 1902 .

وكان الأستاذ « عدنان صادق أرزي » قد عثر على نسخة خطية وحيدة لكتاب الأوامر العلانية بمكتبة « آيا صوفيا » في استانبول نُسخت في سنة تأليفها (سنة ٦٧٩ هـ) وقدمت لغياث الدين كيخسرو الثالث ، فقام الأستاذ عدنان أرزي بطبع هذه النسخة نفسها بحيث تكون مطابقة للمخطوط الأصلي بطريقة « الفاكسميل » ، ونشرها بأنقرة سنة ١٩٥٦ (١) .

ثانياً- مؤلف الأوامر العلانية (٢)

هو الأمير ناصر الدين حسين بن علي الجعفري الرغدي ، المعروف بابن البيبي ، من أدهاء القرن السابع الهجري ومؤرخيه .

وقد عرف المؤلف بابن البيبي نسبة إلى أمه « بي بي » المنجحة التي كانت تتمتع بآس كبير من التفوذ في عهد السلطان « علاء الدين كيقياد » . ويصل نسبها القريب إلى اثنين من كبار الفقهاء في عصر السلاجقة في خراسان ، فأبوها « كمال الدين السمناني » رئيس الشافعية في نيسابور ، وجدّها لأبيها الإمام الرباني « محمد بن يحيى » رئيس الحنفيّة في نيسابور ، والذي قتل في فتنة الغزّ بخراسان سنة ٥٤٨ هـ (أوائل سنة ١١٥٤ م) .

وفي بلاط السلطان جلال الدين عوارزمشاه ، عملت « بي بي » وزوجها مجد الدين ، وكان من سادات « جرجان » . وحين سافر أحد أمراء السلطان « علاء الدين كيقياد » في سفارة لبلاط السلطان جلال الدين عوارزمشاه وجد

(١) انظر المقدمة التركية التي كتبها الأستاذ عدنان أرزي لكتاب الأوامر العلانية، ص ٥ .

(٢) راجع الأوامر العلانية ، ص ١٠ ، ٤٤٢ ، ومختصر سلجوقنامه ، ص ١٩٤ وانظر

فيما يلي ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

هذه السيدة مسموعة الكلمة عند جلال الدين مهارتها في أحكام النجوم ، فلما عاد الأمير إلى مليكه حكى له حكاية هذه السيدة على سبيل التندر .

وكانت «بي بي» فاتحة خير لكل من زوجها : مجد الدين محمد ، وابنها ناصر الدين حسين مؤلف كتاب الأوامر العلائية .

ولم يمر وقت طويل حتى قُتل السلطان جلال الدين ، فدُعيت «بي بي» المنجمة وزوجها للعمل في خدمة «علاء الدين كيقيباد» . فلما أثبتت مهارتها في علم النجوم وموافقة أحكامها - غالباً - للقضاء والقدر ، طلبت إلى السلطان تعيين زوجها «مجد الدين محمد الترجمان» رئيساً لديوان الإنشاء الخاص بالسلطان ، فتحقق لها ما أرادت وأصبح زوجها من الملازمين الدائمين للسلطان في الحضرة والسفر ، وبلغ من ثقة السلطان به أنه لم يكن يرى أحداً أصلح منه لحمل الرسائل إلى البلاطات الكبرى كسفداد والشام والخوارزميين ، والإسماعيلية ، والمغول ، ولذلك لُقّب مجد الدين بلقب «الترجمان» وتوفي سنة ٦٧٠ هـ .

أما مؤلف الأوامر العلائية (الذي يعدّ هذا المختصر صورة مصغرة من كتابه) فلا نكاد نعرف عنه إلا معلومات ضئيلة للغاية ، فقد منح لقب الأمير ، حين صار أميراً لديوان الإنشاء بعد اعتزال أبيه للعمل ، فيما يبدو ، وكان يلقب بأمر ديوان «الطغراء» حيث كان يتولى كتابة المراسيم والأوامر السلطانية ويمسك أختام السلطنة ، وقد تزوج ناصر الدين حسين من ابنة أمير الأمراء «كمال الدين كاميار» الذي حظي بمكانه بارزة لدى السلطان «علاء الدين كيقيباد» بعد أن تيسر للسلطان - بفضل كفاءته وخبرته - الاستيلاء على أرمينيا وبلاد الكرج وأجزاء من بلاد الشام ، غير أن كمال الدين لم يلبث أن قُتل في أوائل عهد

هذا هو مجمل لما ورد من أخبار المؤلف، وهو يدلنا على مدى ما لديه من مؤهلات تمكنه من مراقبة الأحداث من كتب، وتسجيلها باعتبارها شاهد عيان لها. على أننا إذا تأملنا كتاب «الأوامر العلائقية» وجدنا مؤلفه من كبار أدياء الفرس، ومن أصحاب اللسانين العربي والفارسي، بل ينظم الشعر بكلتا اللغتين، وله اطلاع واسع عميق بالعربية وآدابها .

والحق أن «علاء الدين عظاملك الجويني» - وهو المؤرخ الثابت وصاحب المدرسة التوثيقية في كتابة التاريخ عند الفرس - لم يكن ليعهد إلى ابن السبي بكتابة تاريخ لسلاجقة الروم إلا إذا كان قد أنس فيه القدرة وأيقن أنه يمتلك عُدَّة النهوض بأعباء هذا العمل الكبير، فهو بحكم منصبه في ديوان سلاجقة الروم قادر على الاطلاع على الوثائق التاريخية الهامة، مراقب للأحداث والوقائع، مطلع على ما يحاك من مؤامرات القصور ويدبر فيها من دسائس، فضلا عن مكانة أبيه «مجد الدين الترجمان» وأمه «بيبي المنجمة» في بلاط السلاجقة، مما أتاح له فرصة سماع الكثير من الأحداث التي لم يشهدها بنفسه من أقرب المصادر وأوثقها. لقد عاش ابن السبي وترى في كنف هذه الدولة، وتبوأ مركزا يقربه من سلاطينها، فخط في هذا المجلد ما جرى من الأمور في السنين والشهور في بلاد الروم مما قد رأى وسمع^(١). ويفضل هذا التثبت جاء الكتاب سجلا ناطقا لكل مظاهر الحياة السياسية، والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية والمعمارية، والحضارية بعامة في دولة سلاجقة الروم.

(١) «ما قد شاهد وسمع» هي نفس عبارة عظاملك الجويني في مقدمة جهانكشاي،

ثالثاً - هذه الترجمة

وقد اعتمدت في نقل كتاب «مختصر سلجوقنامه» إلى العربية على نسخة المستشرق الهولندي «هوتسما» ، والتي نشرها في ليدن سنة ١٩٠٢ م .

غير أنني صادفت منذ الوهلة الأولى صعوبات جمّة في الترجمة ، لامتلاء تلك الطبعة بكلمات وعبارات مُحرفة أو مُصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتاج إصلاحها إلى وقت طويل وفحص في المعاجم غير قليل ، ونحوه من الخطأ ، وتفهم لما يقتضيه السياق من المعاني والأغراض ، ومعرفة بأساليب الكتابة الفارسية ومصطلحاتها في ذلك العصر . وبدا لي نقل الكتاب في ظلّ هذا التحريف والتصحيف أمراً بعيد المنال ،

إلى أن يسّر الله - عزّ وجلّ - لي الحصول على نسخة مصوّرة من كتاب «الأوامر العلائية» وهو أصل هذا المختصر ، فعمدت إلى مقارنة المختصر بالأصل ، وأمكن من خلال المقارنة إصلاح اشخرف والمصحّف من الكلمات ، وتكميل الناقص من الجمل ، وتحقيق الأعلام وضبطها ، وضبط الملتبس من الألفاظ ، وإيضاح الغامض من العبارات . وقد نبّهت على ذلك كلّ في حواشي الترجمة ، وأشرت اختصاراً إلى كتاب الأوامر العلائية بالحرفين أ. ع .

وأودّ أن أئبه إلى أنّ صاحب هذا المختصر لم يستطع منذ البداية أن يتخلّص من إसार طريقة ابن البيبي في الكتابة ، وإنما سايره كلّ المسيرة ، وحذا حذوه وتابعه فنقل عباراته بنصّها - كما أسلفنا ، واقتصر جلّ عمله على حذف الفقرات التي رآها لا تضيف كثيراً إلى توصيف الوقائع وبيان الأحداث التاريخية ، واكتفى من العبارات بما يعين على أداء المعنى دون إطناب فاستبعد بذلك سائر العبارات التي تؤدي المعنى نفسه . ولم يتدخل في تغيير ما انتقاه من عبارات

الأصل إلا لماماً ، ولم يُضف من عنده شيئاً ، اللهم إلا بعض العبارات الإنشائية في عديد من المواضع^(١) ؛ ولذلك ظلت مسحة من التكلف والحلية اللفظية عالقة بالأسلوب ، ولقد كان ذلك - على كلِّ حال - طابع العصر .

ولقد حاولتُ - ما استطعتُ - أن أحافظ على أسلوب الكتاب وأن أنقل في الترجمة كلَّ ما يرمي المؤلف إلى بيانه ، لكي تصبح هذه الترجمة صورة صادقة للنصِّ الفارسي . وأثبتُ أرقام صفحات الأصل الفارسي في الهامش الجانبيِّ للصفحات لكي يتيسَّر بذلك الرجوع إلى الأصل عند الحاجة .

أما الآيات القرآنية التي وردت في المتن فقد رددتها إلى مواضعها من كتاب الله العزيز ، وأشارت في الهوامش إلى ما اشتمل عليه المتن الفارسي من نصوص وأمثال وعبارات عربيَّة . أما الأشعار العربيَّة فقد استطعت ردَّ بعضها إلى قائلها من شعرائنا العرب ، من الذين جرت أشعارهم مجرى الأمثال في آداب الأمم الإسلاميَّة بعامَّة والأدب الفارسي بخاصَّة .

ثم عمدت في الحواشي إلى التعريف بالمجاهيل وبعض الأعلام ، وشرح بعض صور التعبير المألوفة في الفارسية لتقريبها إلى القارئ العربي ، وزوّدت المجلد بخريطة تفصيلية تشتمل على معظم أسماء الأقاليم والمدن الواردة بالترجمة ، ثم ذيلته بفهارس للأعلام والأماكن والشعوب والطوائف^(٢) .

وأرجو أن تكون الترجمة بذلك قد نالت حظها من العناية .

(١) أقيمت في الترجمة على الحروف الفارسية الواردة في أسماء الأعلام . وإليك بيان بكيفية نطق هذه الحروف : پ تنطق مثل حرف (P) في الإنجليزية . ج ينطق مثل حرفي (CH) في الإنجليزية . كَ ينطق مثل حرف (G) في كلمة Garden الإنجليزية ، أو مثل الجيم المصرية في اللهجة العامية .

وبعد ، فإن هذا العمل - الذي يمثل إضافة حقيقية للمكتبة العربية هي في أمس الحاجة إليه لندرة الأعمال التي تعالج موضوعه - ما كان يمكن أن يخرج بهذه الصورة لولا التشجيع الذي لقيته من جامعة قطر ممثلة في مديرها الفاضل الأستاذ الدكتور عبدالله جمعة الكبيسي ، والأستاذ الجليل الدكتور عثمان سيد أحمد مدير مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، والأستاذ الكريم الدكتور عادل حسن غنيم رئيس وحدة بحوث التاريخ والوثائق ، وسائر الإخوة الأفاضل أعضاء الوحدة ، فجزاهم الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

محمد السعيد جمال الدين

القاهرة :

ضحة الإثنين ٢٤ ربيع الثاني ١٤١٤ هـ

١١ أكتوبر ١٩٩٣ م

المصادر والمراجع التي رجعنا إليها

في تحقيق الكتاب وتحرير حواشيه

أولاً : المصادر العربية

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي .
- أطلس التاريخ الإسلامي ، للدكتور حسين مؤنس .
- الأعلام للزركلي .
- تاج العروس ، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الزبيدي .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري .
- تاريخ الأدب في إيران ، لإدوارد براون ، ترجمة الدكتور إبراهيم الشواربي .
- دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الجديدة بالإنجليزية .
- ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، طبع فريانتاج .
- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، للدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد ، طبع مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر .
- صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، لشهاب الدين أبي العباس أحمد القلقشندي .
- صحيح البخاري ، للإمام أبي جعفر محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري .
- عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان ، لبدر الدين محمود العيني ، (عصر سلاطين المماليك) ، تحقيق الدكتور محمد أمين .

- علاء الدين عظاملك الجويني ، حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد ، للدكتور محمد السعيد جمال الدين .
- القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
- الكامل في التاريخ ، لعز الدين علي بن أبي الكرم ، المعروف بابن الأثير ، طبع أوربا .
- كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي .
- معجم الأسرات الحاكمة ، لزاميارو .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله) .
- معجم الدولة العثمانية ، للدكتور حسين مجيب المصري .
- معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون ، طبع مصر .
- المعجم الوسيط ، أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- المعرب من الكلام الأعجمي ، لأبي منصور موهوب الجواليقي .
- مفرج الكرب في أخبار بني أيوب ، لجمال الدين محمد بن واصل .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف ، ابن تغري بردي .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التويري .
- وفيات الأعيان ، للقااضي أبي العباس شمس الدين ، ابن خلكان .

ثانيا : المصادر الفارسية :

- الأوامر العلاجية لناصر الحسين بن محمد الرغدي المعروف بابن الجببي ،
النسخة المصورة عن مخطوط آيا صوفيا رقم ٢٩٨٥ - نشر عدنان
إرزي ، أنقرة .
- برهان قاطع ، لابن خلف التبريزي .
- تاريخ أدبيات در إيران ، للدكتور ذبيح الله صفا .
- تاريخ جهها نكشاي ، لعلاء الدين عطا ملك الجويني ، تحقيق محمد بن
عبدالوهاب القزويني ، طبع ليدن .
- تاريخ گزيده ، ل محمد الله بن أبي بكر المستوفي القزويني ، باهتمام
إدوارد براون .
- تاريخ مغول ، لنباس إقبال .
- حبيب السير ، لغياث الدين بن حسام الدين الحسيني المعروف
بـ«خواند امير» .
- راحة الصدور ، ل محمد بن علي بن سليمان الراوندي ، تصحيح محمد إقبال .
- روضة الصفا ، لمير محمد بن سيدبرهان الدين (ميرخواند) .
- فرهنگ ادبيات فارسي دري زهراي خانلري .
- فرهنگ انكليسي فارسي لاشتاین جاس .
- فرهنگ جديد لفريدون - كار .
- فرهنگ عميد لحسن عميد .
- لغت نامه دهخدا لعلي أكبر دهخدا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ تَمَرٍ وَأَعْمَرٍ

بعد حمد البارئ والسلام الدائم المتواصل على السيد المختار ، عليه السلام
وعلى آله الأخيار.

فإنه لا يخفى على من يطالع هذه الأوراق أن كتاب « سلجوق نامه » كتاب
عديم النظر فقيد المثل ، من منشآت الصدر العلامة نادرة الزمان مالك الطغرا (١)
ناصر الملل والدين يحيى بن محمد ، المعروف بابن البيبي ، دامت فضائله . وقد
استخدم فيه أسلوباً يارحاً وساق فيه الكلام على وجه لا قدرة لصاحب صنعة على
مجاراته ومباراته .

غير أن جماعة الإخوان لما اشتكوا من كبر حجمه وبقوا محرومين من
مطالعه والإفادة منه تعهد هذا الضعيف والتزم - مع قلة البضاعة في الصناعة -
أن يفي - في أجزاء معدودة - بمقاصد الكتاب ومغازيه دون إطناب في
الأوصاف وإغراق في التشبيهات ، كي يكون كل إنسان قادراً على تحصيل (٢)
نسخة وتحقيق المطلوب ، فيصل نفعه لعموم الخلق . والله ولي ذلك .

(١) الطغرا : وهي الطرة التي تكتب في أعلى المنشور فوق السملة ، بالقلم الجلي ، تتضمن
اسم الملك وألقابه ، وهي تنسب إلى الشخص الذي يكون شغله ومنصبه كتابة الطغرا
وألقاب الملوك والأمراء على الفرامين والمناشير وخرير الأوامر وإسالك الأختام السلطانية ،
والكلمة أعجمية محرقة من الطرة العربية . راجع لفت نامه لعلي أكبر دهخدا .

(٢) في الأصل : بي تحصيل ، أي دون تحصيل ، وقد قرأها الدكتور محمد جواد مشكور : به
تحصيل ، انظر أخبار سلاجقة الروم : طبع طهران ١٣٥٠ هـ . ش ، المقدمة ، ص بيست
ونه .

قد اعتذر مؤلف الأصل في الدِّياجه أولاً ، فقال إنَّ كيفية وصول السُّلطان سليمان بن قتلмыш بن اسرائيل إلى السُّلطة ، وأحوال أمراته الكبار كالأمير منكوجك ، والأمير أرتق ، والأمير دانشمند ليست من الأمور المحققة. ومن المتعذر تماماً وجود الكتب التي أرخت لذلك العصر ، وليس بالإمكان - بسبب (١) اختلاف الروايات - الوثوق بأقوال النُقْلة وأقاصيص السُّمَّار لبعْد عهدهم.

٣ / ومن ثمَّ فقد بدأ [المؤلف] من عهد دولة السُّلطان غياث الدين كيخسرو، والد السلطان علاء الدين كيقباد.

ذكر تنصيب السُّلطان قليج ارسلان

للأمير غياث الدين كيخسرو ولياً للعهد

حين تَبَدلت حُلَّة شباب السُّلطان السَّعيد قليج ارسلان الأرجوانية برداء المشيب القشيب ، ووصل مركب الحياة الكاملة البهيج ، وحلَّ وقت الوداع وتفرَّق الاجتماع ، استدعى [السُّلطان] غياثَ الدِّين كيخسرو ، وكان أصغرَ الأولاد ، وقد اختصَّ من بين إخوته الأحد عشرَ بشرفٍ مُلازمة أبيه ، وقال له : يا بني ، اعلم أنَّه قد دنا ارتخالي من هذا الفناء ، وها أناذُ أنأهب للترؤد بيزاد طريق المعاد. وأنت بحمد الله بشري الثمار في حديقة الملك ، ونوار روضة الأطفاف الإلهية. ما أسعد العرش بأن يجلس عليه مثلك ، وليس لنا أن نؤثر أحدا عليك.

(١) في الأصل ، بحسب ، والمعنى بها لا يستقيم.

وأنا ما اخترتُك على الإيعوان إلا لما رأيتُه فيك من لياقة للملك ؛ إنني أنصبتُك على رأس الخلق ، وما الخلق إلا ودائع الحق ، وأنا إنما أعهد بالملك إليك وبالروح لرضوان^(١) . يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيم... يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصغرْ خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(٢) .

يا بني ، إنما يُسألُ الملوكُ عن العدلِ : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون^(٣) » الدنيا فرارة ما قرت لأحد أبدا ، إنما هي كسجم السحاب ليس له من دوام ، وكاؤها كابتسام البرق لا يصدر عن رضا وارتياح ، إن أضحك ساعة أبكى سنة ، وإذا أتى بسيرة / جعلها سنة .

فلما وعظه بتلك الوصايا البليغة ، أمر فاجتمع أركان الحضرة وأعيان السلطنة . ولما رأى صفة الديوان غاصة بالخاص والعام قال : قد بلغت شمس إقبالي درجة الزوال ، ومعلوم أن الملك لا يبقى بلا مالك ، كما لا تبقى المدينة بغير مدير ، شعر

- بمضي واحد ويحل محله آخر ، لا يدع الله الدنيا بغير حاكم .

(١) خازن الجنة .

(٢) سورة لقمان : ١٣ ، ١٨ .

(٣) سورة النحل : ٩ .

وإن ابني كبخسرو ذا الوجه الذي يشبه وجه «منوتشهر»^(١) إنما يتحلى بالآداب السلطانية ، وهو في حلية هذا المضمار يتمتع بالسبق والبروز على إخوانه ، وعلى ملوك سائر الديار. ولقد منحته ولاية العهد ، وفتحت أمامه باب هذه الدولة ، وأجريت حكمه في الولاية والرعية طالما كنت على قيد الحياة ، وجعلته وارثاً للتاج والخاتم ، ونحيت نفسي جانباً. إنما عليكم أن تبايعوه ، وأن يتبين منكم رسوخ القدم - كالصخرة الصماء - على محبته والولاء له.

فما لبث أعيان الدولة - بعد البكاء والعيويل والسكوت الطويل - أن رأوا أن الانقياد لأوامر السلطان من أوجب الواجبات ، وقالوا : السلطان غياث الدين بطلنا ، وهو عندنا في الظاهر والباطن والغيبة والحضور سواء ، نسلك طريق الغلظة والحدة - كالسيف والستان - مع خصوم دولته. وأضافوا إلى تلك المواثيق من الحلف والأيمان ما لا يمكن لتأويل أن ينقضه عند أهل الإيمان. وبعد الحلف على درء المخالفة ونصب راية الموافقة ، وإحكام أحكام النصر والمعاوضة ، أقرّوه على السلطنة [شعر] :

- جلس السلطان مباركُ القدم يُمنّ القدم ، فوق عرش السلطنة في بساطِ
خُطّة الروم.

ووقف قادة الأطراف بجوار العرش يميناً ويساراً ، وجعل ما لا حصر له من الدرهم والدينار تثاراً ، ووصلت الخلع والتشريفات الثمينة من خزانة السلطنة / إلى طبقات الأمراء والكبراء ، فازداد بذلك النوال ميل الكافة ، وقضوا في السرور والطرب أياماً عشرة ، ولم يدعوا في شرعة اللهو والطرب من بقية إلاجرعة الساقى.

(١) منوتشهر ، من ملوك الفرس القدماء ، وقد وصف بهاء الطلعة.

ثم ما لبث أن التفت إلى عمارة البلاد والأمصار ، ونقلت الأخبار إلى أطراف المملكة . وكانت هذه الحكاية في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

ذكر اجتماع الإخوان بالملك ركن الدين

وتحريضه على التمرد

حين بلغ الخبر مسامع الإخوان تحركت بواعث الحسد - عند كل منهم - في باطن الجسد ، وجلس كل أخ على نار ، مع أن كلاً منهم كان مستحوذاً على إقليم ومستولياً على مملكة ؛ فكانت توفقات مع نواب ركن الدين سليمان شاه ، ونكيسار مع مضافات ناصر الدين بركيا رُقشاه بينما تولى آبلستان مغيث الدين طغرلشاه ، وقيصرية نور الدين سلطانشاه ، وسيواس وأقسرا قطب الدين ملكشاه ، وملطية معز الدين قيصر شاه ، وأراكلية سنجر شاه ، ونكيده أرسلانشاه ، وأماسية نظام الدين أرغون شاه ، وأنكورية محيي الدين مسعود شاه ، وبرغلو غياث الدين كبخسرو .

ولم يكن يعود من أعمال تلك الديار على ديوان سلطنة الوالد شيء قطّ قلّ أو كثر ، بل كانوا يقدمون على أبيهم مرة واحدة في السنة ، ويعودون بعد تحقّق المقصود .

مجمل القول أن الملوك حين تحركت فيهم نوازع الغلبة وبواعث السيطرة ، تجمعوا عند ركن الدين سليمان شاه ، وكان أخاهم الأكبر ، وأخذوا في تنفيذ رأي أبيهم وتوهين فكره ، وذهبوا إلى أنه إنما تسمّم ببقايا الزبال مع وجود الماء الزلال ، وتشبّت بحيلة الثعلب الأعرج رغم أن صولة الفهد على أهبة الاستعداد

وآب كل منهم إلى ملكه خاسراً خائباً.

وفي أثناء هذه الحالات وصل الخبر بأن السلطان « قلع ارسلان » قد التحق بدار الجنان ، وجلس غيماً الدين منفرداً على مسند الملك ، واستوى على العرش.

/ ذكر سماع السلطان ركن الدين

وفاة أبيه ، وصرف همته لانتزاع الملك

من قبضة أخيه

حين علم الملك ركن الدين في شهور سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بوفاة أبيه أشعل القلب بنار احترق بها لفراقه ، وبعد شرائط العزاء ولوازم البكاء دفع برسلٍ مسرعين إلى أعوانه وأعضاده حيث تتجمع الأجناد في الأغوار والأنجاد. وغادر بنفسه توقات دون أن يصطحب معه جنداً ، وما كاد يصل إلى آقسرا حتى لحق به جيش ضخّم جداً ، فبلغ الجميع « قونية » في خدمة ركاب مظلمة الملكية ، فشهروا أهل «قونية» درع المقاومة في وجوههم ، وظل ستون ألفاً من حملة الأقواس طيلة أربعة أشهر ، وبصورة يومية ، مشتكين في الطعام والنزال مع عساكر الملك ركن الدين. وفي النهاية أرسلوا رسولا إلى الملك واصطلحوا على أن ينطلق السلطان غيات الدين مع أبنائه وأتباعه وأشياعه إلى أية ناحية يرتضيها خاطره ، ويصل سالماً إلى مقصده ، ثم يدخل الملك المدينة من بعد ذلك فيياومه أهلها على الولاء له. فأبرم العهود وفقاً لما التمسوه ، وأرسلها. فرضت جميعاً في حضرة السلطان ، ووقعت منه موقع الحمد والاستحسان ، وأمر بأن يذهب اثنان آخران من أهل المدينة ممن لهم علم بظواهر الأمور وبواطنها ، إلى حضرة الملك

بهدف التأكيد ، وأن يحصلوا على وثيقة ورسالة خطية منه مؤكدة بأقسام القسم والأيمان الغلائط.

ففعلاً ذلك في الحال وحين طالع السلطان المهود آثر تسكين روع القلب وجيشان النفس^(١) ، واختار الجلاء مضطراً.

ذكر جلاء غياث الدين كيخسرو

والوقائع التي شاهدها في غربته

في سنة ست وتسعين وخمسمائة ، عند صلاة العشاء ، وقد ظهرت الكواكب الدراري في / الذغل اللازوردى للعبة الزرقاء كأنها الزهور الندبة ، غادر السلطان المدينة في كوكبة من الخواص وسلك طريق آقشهر قاصداً ستنبول .
ولفرط الاستعجال واضطراب الحال عرض للملك عز الدين كيكاوس والملك علاء الدين كيقيباد ما أدى إلى غيابهما عند ذاك عن خدمة أبيهما ، ولم ينتبه لهما السلطان ، وانطلق مسرعاً من المدينة.

فلما وصل إلى قرية لاديق من أعمال قونية استخف رعاياها بغلمانه وخواصه ، وجرحوا بعضهم ، وعرضوا الأمتعة للتلغ ، فحزن السلطان لذلك وسلك طريق « لارنده » وكتب - متعجلاً - رسالة تتضمن العتاب إلى أخيه ، وشكا مما لحق بعرق السلطنة النجيب من إهانة وإذلال.

وحين دخل ركن الدين المدينة في اليوم التالي ، وجلس على العرش ، سلم

(١) الترجمة الحرفية : سكن روع الرُوع ، وجيشان الجأش ، والرُوع : القلب ، والجأش : النفس.

الرسُلُ الرسالة ، فهاج وماج من فرط الغضب ، غير أنه كظم غيظه كسباً للوقت ، وصاح في الرسل قائلاً : مثل هذا يجب أن يحلّ بمخالفتي الدولة ، والمُخْلَفِينَ من أنصارها^(١) . ثم أوماً خفية إلى بعض أفراد حاشيته بأن يعملوا على تهدئة خواطرهم^(٢) . وأمر بأن يُنادى في الناس بأن كل من أغار على أخي السلطان وألحق الأذى والضرر بمن معه ، عليه أن يتقدّم ويعدّ ذلك سبباً للتقرّب والزُلْفَى . فاغترّ أولئك المجاهيل بهذه المغريات ، وبادر كل منهم يستيق غيره حتى تجمّعوا بأجمعهم في الديوان وقد أحضر كل منهم بصحبته كل ما كان قد استلبه ، وهو يقصد بذلك أن يروّج سوقه . فأسلم السلطان كل فوج إلى جماعة ، واستدعى الملكين^(٣) وأجلسهما على العرش فوق ركبتيه ، وأبدى عطفه وحده عليهما ، وخيرهما بين الإقامة والارتحال ، فاختارا السفر واللحاق بأبيهما ، وتحدّرت رغما عنهما / العبرات مدراراً على وجنتيهما كحبات الرمان . فأخذت السلطان رقة لهما ، وسيرهما مع أهلها بموذة صادقة وقد زوّدهما بالخلع النفيسة من الأحزمة المرصّعة وما يوافقها ويجانسها .

٩

ثم أمر بصلب الجناة العصاة من شرقات سور المدينة وسلب كسوة الحياة من أبدانهم المرتعشة ، وإضرام النار في القرية ، ولذلك ظل اسم «سوخته»^(٤) يطلق على «لاديق» إلى وقتنا هذا . وقال السلطان : هذا ما لا بد أن يلحق بمن يستخفّ بالسلاجقة من جراء وعقاب .

(١) الترجمة الحرفية : ومخلفي تلك الشيعة .

(٢) يعني تهدئة خواطر الرسل .

(٣) يعني عز الدين كيكايوس وعلاء الدين كيقباد . وكانا قد تخلقا عن مصاحبة أبيهما

عند مفادته قونية ، كما مرّ .

(٤) ومعناها : المحترقة .

ظل السلطان في مكانه لا يبرح إلى أن وصل ابنه ، فلما وصلا عرضا ما لقياه من عطف عثمها . وتقدم رسل السلطان ركن الدين بأعذار واهية^(١) ، فاستمع إليها السلطان غياث الدين بحسن الإصغاء ، ثم أعادهم مكرمين معززين من حيث أتوا ، وشرع هو في دخول ممالك الأرمن التي كانت في ذلك الوقت ملكا لليغون تكفور .

ذكر وصول السلطان غياث الدين لأرمينيا

حين جاء ليغون الخبير بقدوم السلطان ، خفّ للاستقبال إجلالاً كما يخفّ الظلمان للماء الزلال ، فلما ألقى نظرة على المظلة المباركة ، نزل من فوق جواده ، وأصبح الجسد كله لساناً ناطقاً بالترحيب بالسلطان .

واتفق للسلطان أن توقف شهراً هناك ، ثم انطلق مولياً وجهه شطر آبلستان . وبلغ الملك مغيث الدين ابن قلع أرسلان [ملك آبلستان]^(٢) الغاية^(٣) في ما تقتضيه الأخوة من ولاء وخدمة . فأحضر قاضي المدينة وأتمتها في خلاء فسيح ، وأقر بأن ملك آبلستان وتوايمه - كما ولأنيه أبي - أشهد على نفسي أنا طغرلشاه بأنه ملك سيدي وأخي السلطان غياث الدين كيخسرو ، ثم قدم الصك / ١٠
لحضرة السلطان في الاجتماع العام . فقال السلطان :

(١) تقدموا بأعذار واهية فاسدة عن البقاء مدة في خدمة السلطان ، فأصغى لمعاذيرهم بحسن الاستماع ، وسمح لهم بالعودة مع التشريفات والكرامات ، الأوامر العلامية ص ١٣٩ .

(٢) إضافة من الأوامر العلامية ص ٤٠ .

(٣) في الأصل والأوامر العلامية ٤٠ : برعايت رسائيد ، وينبغي أن تُقرأ : برعايت رسائيد . والملاحظ بصفة عامة أن نسخة الأوامر العلامية لا تهتم بإثبات النقط .

قبلناه، ثم رددناه إليه بشهادة الحاضرين. وتوجه إلى ملطية بعد بضعة أيام.

فلما بلغ الخبر الملك معز الدين قيصر شاه استعد للضيافة والاستقبال ،
 وذهب في جملة من الاقارب والأتباع للترحيب ، فلما رأى السلطان من بعيد ،
 ترجل وسارع بتقبيل اليد ، واعتذر عن غدر أخيه واجلامه له من بلاده ، وخلو
 سرير السلطنة من جلال السلطان وأبهته ، وأظهر التفجع والتوجع ، ثم انطلق به
 إلى المدينة بكل تكريم وتعظيم ، ووضع قصر السلطنة بكل ما فيه من متاع
 البيوتات تحت تصرف نواب السلطان وحجابه ، وأخذ يسيدي ولاءه كل يوم
 بصنف من صنوف الإبداع الحسنة. وذات ليلة تقدم - أثناء المنادمة - إلى
 السلطان فقال وقد جثا على ركبتيه : يجول بخاطري أن أذهب بإذن السلطان
 عند والد زوجتي : الملك العادل ، وليقنع السلطان برقعة ملطية هذه ، حتى
 تنقضي أيام البؤس والتحس ، وعند ذلك أعود أنا إلى هذه الديار ويجلس السلطان
 وفق مراده ، على عرش السلطنة فقال السلطان^(١) وقد تبسم لقلوبه : إن الملك
 العادل سلطان عاقل ، والأجدري أنا ، بسبب مصاهرتك^(٢) أنت له ، أن

(١) الملك العادل : هو الملك أبو بكر بن أيوب (٥٤٠ - ٦١٥) ملك دمشق وديار مصر
 بعد وفاة أخيه صلاح الدين، وقسم البلاد في حياته بين أولاده، فجعل بمصر
 «الكامل محمدا»، ودمشق والقدس وطبرية والأردن والكرك وغيرها من الحصون
 الجاورة لها، ابنه «المعظم عيسى» وجعل بعض ديار الجزيرة وميكافرقين وبلاد
 وأعمالها لابنه «الملك الأشرف موسى» ، وأعطى الرها لولده «شهاب الدين غازي» ،
 وأعطى قلعة جعبر لولده «الحافظ أرسلان شاه» فلما توفي ثبت كل منهم في المملكة
 التي أعطاهها له ، وستراد أسماء هؤلاء الملوك جميعاً فيما يلي من أحداث .

(٢) في الأصل : خوشى : حسن ، والأوامر ٤٢ : خوشى : قرابة ، مصاهرة ، وهو
 الأصح .

أذهب إليه وأرى بماذا يشير عليّ ، فليبق الملك مكانه ، وليترقب ما سيأتي به
اللاعب بالأفلاك من حجاب الغيب من صور.

وعزم من بعد ذلك على التوجّه إلى حلب ، فأخرج معزّ الدين من
حريمه قلتسوة قيمتها خمسون ألف ديناراً وسلّمها لخازن السلطان ؛ وزوده -
فوق ذلك - من الأمتعة بما لا حصر له.

ذكر التحاق السلطان بملك الشام

حين أصبح معلوماً لملوك الشام أنّ صيح الفلّك الملكي قد أشرق على
ديارهم ، أرسلوا الأنزال والأحمال لاستقباله ، وانطلق الجيش كله والناس ١١
أجمعون نحوه ، ونرجلوا ونالوا شرف تقبيل اليد ، وتغنّوا :

قدمت قدوم البدر بيت سعوده (١)

لم قالوا قدم سلطان العالم إلى بيته وقاعدة ملكه ، ونحن إنما نضع كلّ ما
لدينا لدفع وحشة الخاطر الأشرف طالما كان في الأجل تأخير وفي جمعة الإمكان
سهم ، ونالله ليحمينّ حمى نفسه من مداخلة الأفكار المزعجة ، وليجعل من
أسباب تسكين القلب المحزون قول أمير المؤمنين كرم الله وجهه :

إنّ للمحن غايات ، وسبيل العاقل أن ينام عنها حتى يتجاوزها ، ونظّم
قايوس الذي قاله زمن انتكاس راية دولته (٢) :

(١) المصراع الأول من بيت عربي ، ومصراعه الثاني : وجدك عالي صاعد كصعوده .
(راجع الأوامر العلامية : ص ٤٣).

(٢) يعنى به : قايوس بن وشمكير ، الملقب بشمس المعالي ، أمير جرجان وبلاد الجبل
وطبرستان ، ولها سنة ٣٦٦ هـ ، وهو فارسي مستعرب ، ناهية في الأدب والإنشاء ،
وله شعر جيد بالعربية والفارسية ، توفي ٤٠٣ هـ. (الأعلام للزركلي) ، وراجع =

وفي السماء نجوم غير ذي عدد

وليس يُكسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وطوال تلك المدة كان كل ملك يقيم ضيافة للسلطان ويعرض من التقدّمات ما يليق بالوليمة. وفجأة بدا للسلطان أن يتوجه إلى «أمّد» ، فسارع الملوك إلى تقديم الخدمات بقدر الإمكان ، ولزموا ركاب السلطان بضعة أيام برسم الوداع ، ثم اتقبلوا عند ذاك عائدين بالتشريفات القيّمة.

وحين وصل إلى حدود أمّد ، أرسل الملك الصالح (وكان صهر السلطان ، إذ بنى بكريمة من أولاد قلع أرسلان) أرسل أبناءه مع جملة الحشم للاستقبال ، وكان قد زين قصر السلطنة بما تزدان به القصور من خزائن / ومعدات وغللمان ١٢ وجوار ، ثم تهيأ هو للاستقبال بعد يومين مع كوكبة من الخواص ، وحين وقع بصره على المظلة المباركة ترجّل ، [فأمر السلطان الحجاب] أن يتقدموا مسرعين وأن يجعلوا الملك يمتطي صهوة حصانه من جديد. فلما اقترب عزم على الترجّل من جديد ، فأقسم السلطان عليه ألا يفعل ، وأن يقبّل اليد وهو على ظهر الحصان.

وحين اقتربوا من المدينة ترجّل الملك الصالح وأمسك بعنان فرس السلطان ، وجعل يسير في الركاب الميمون. فلما شارفوا باب القصر نثر أبناء الملك الصالح أطباقاً مملوءة بالدنانير ، ولما جلس على العرش بسط الملك الصالح مفاتيح القلاع

حرفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٤٢٥ طبع مصر ١٩٤٨ م وتضمنت الأبيات :

هل عائد الدهر إلا من له خطـ
ر ويستقر بأقصى قعره الدرر

قل للذي بصروف الدهر عيرنيا
أما ترى البحر يعلو فوقه جـ
يف

[الأولمري العنابية ٤٤]

والبقاع في سائر بلاده أمام السلطان. فتعجب السلطان من علو همته ، وبالع في مدحه ثم قال : قبلناها وبأفضل المنن قابلناها ثم رددناها إليك ، متعك الله بها وبأمثالها .

وهناك وضعوا المائدة ثم رفعوها وتحول السلطان للحريم الملكي لرؤية شقيقته ، وحين وقع نظر الملكة على جمال السلطان أكبت بوجهها على قدم أخيها ، وقالت : قد جعلت كل مالي من خادم وحشم تشاراً لركاب الملك ، فليتخذ من هذه المدينة مقاما ، ويتظر لطف الفعال لما يريد ومواتاة الأقدار ، فلعل المصلحة كانت في الجلاء [عن الديار] : «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» (١) .

وقضى الأخ والأخت زمناً في هذه المناصحة والمحادثة ، ثم توجه إلى قصر صغير مخصص للخلو ، فدخلت الطواويس (٢) الخضر سافرة لخدمة صقر الفضاء الملكي ، فلاحظها بعين القبول ، واستراح ساعة مع تلك الفتيات على مخدة الدعة ووسادة الراحة. ثم انطلق بعد ذلك إلى الحقل ، وأخذ يزيل عن حواشي الزمن غبار الحزن بمحاورة الغليظ الرفيع من أوتار النغم ، وأسلم زمام الطبع للمسرة والحبور .

وبعد فترة من الزمن تحركت نفسه للتوجه إلى أخلاط فيصم وجهه شطر بسيط ذلك البساط .

١٣ وحين علم الملك «بليان» / بيمن قدوم السلطان ، أرسل أبناءه وأشياعه للترحيب مسيرة خمسة أيام ، وسار بنفسه على الأثر ، وجاء مترجلاً في ركاب

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .

(٢) الطواويس كتابة عن حور الجنة ، انظر : ابن خلف التبريزي : برهان قاطع .

السلطان حتى عتبة البيت ، وجعل كل ما كان يملكه ابتداء من أنواع النفائس إلى الروح العزيز موطأ قدم مالكة ، وأتى بمفاتيح القلاع وتفاسيل خزائن البقاع فوضعها بين يدي السلطان ، وأقسم بأغلظ الأيمان أنه لم يخالجه تردد في هذا الصدد ، فقال السلطان : إن مجال فتوة الملك يتسع لمثل ألف مما يقول . والمأمول أن تظل أُنهار السعادة تجري - بفضل الباري - في إرم^(١) مرامنا ، وتبدو نهاية للحلقة المفرغة للأيام . ويرجى الاعتذار عن ما أبداه الملك من اللطاف .

وبعد فترة من الإقامة هناك ، توجه نحو جانيت ، وليث بها مدة ، ثم استقل منها سفينة للسفر إلى ستنبول ، وفجأة هبت ريح من مهب تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، فتكررت حالة : وجاءهم الموج من كل مكان ، فألقى بالسفينة على ساحل بحر ديار المغرب ، فما كان منهم إلا أن ألْقوا بمراسيهم ، وحملوا الأمتعة من ذلك البلبل إلى اليابسة بعيون دامعة وشفاه جافة .

وجعل السلطان يطوف مدة في تلك الأطراف ، ويقابل شراسة أخلاق المغاربة بهشاشة اللطاف المشاركة ، وكان آمناً من كيد نكد الأيام في كنف رعاية أمير المؤمنين عبد المؤمن^(٢) - رضي الله عنه ، ونال حظوة تفقده وتعهدته مرات عديدة ، وفي النهاية ولّى عنانه صوب استانبول بعد أن أذن له الخليفة .

(١) إرم ، يشيع استخدامها في الأدب الفارسي بمعنى الجنات والحدائق الغناء ، وكان شداد بن عباد قد أتى مثل هذه الحدائق الرائعة في شبه الجزيرة العربية أيام عاد الأولى التي سميت بعاد إرم . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في سورة الفجر الآية ٦ ، ٧ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ﴾ .

(٢) هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف [٤٨٧ - ٥٥٨] ، مؤسس دولة الموحدين في شمال إفريقية خضع له المغربان : الأقصى والأوسط ، واستولى على اشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس الغرب ، وسائر بلاد إفريقية . [الأعلام للزركلي] .

ذكر وصول السلطان /

من المغرب إلى استانبول

عَدَ فاسليوس ذلك العهد مقدمَ السلطانِ متعماً كبيراً ، ورأى من الواجب أن يشارك السلطانَ في الحكم بل يستقلَ بملك البلاد^(١). وكانا في وقت الاجتماع يجلسان على العرش سوياً فيتباسطان ويتلاطفان.

وفي تلك الأثناء كان هناك أحد الفرنجية معروفاً بالشدة والصرامة ، ومشهوراً بالشجاعة والشهامة ، فلقد كان يشنّ بنفسه هجوماً على ألف مقاتل فيقاتلهم بمفرده. وكانت أعطيته تبلغ عشرة آلاف دينار كل عام. وذات يوم حدث بينه وبين أصحاب الديوان قيل وقال بسبب عطائه من الثياب ، فانطلق إلى فاسليوس وشرع يشكو ويظيل في شكواه ويرغي ويزيد بغير طائل. فأخذ فاسليوس يقول بالإفرنجية : السلطان حاضر اليوم ، فتوقف عند هذا الحدّ ، وغدا يتم التوصل إلى حلّ يرضيك. لكن الفرنجي ظل على وقاحته ، ولم يتراجع عن صلابه جبهته وحماقته ، فضاق السلطان بالأمر وسأل تكفور : ماذا يقول هذا الأمير ؟ فأجاب : ربما أهمل أهل الديوان في إيصال أعطيته. فقال السلطان : ما الذي يحمل العبيد على أن يبلغوا في جرأتهم هذا المدى .

وهنا سبّ الفرنجي السلطان ، فأخذ الغضب منه كل مأخذ ، ولفّ منديلاً على يده ، وبلطمة من قبضته وجّهها تحت أذن الفرنجي أطاح به من فوق كرسيةً فاقدت الوعي. فهاج الفرنجية والروم وماجوا ، وحملوا على السلطان قاصدين هلاكه. فأمر فاسليوس رجاله بردهم على أعقابهم ، ونزل بنفسه من

(١) راجع أ. ع. ٥١.

فوق العرش ، وسكن الفتنة . وأخرج الناس جميعاً من القصر ، واختلى بالسلطان
فبدأ في تهدئته وأخذ يعمل على تسكين غضبه . كانت النار قد سرت في رأس
السلطان من فرط الحمية ، فاغرورقت عيناه بالدموع ، وما من نفس كان يتنفسه
إلا وهو زفرة باردة تخرج من كبد مفعمة بالألم تهبّ على أطلال عمره .

١٥ / قال لفاسليوس : إنك تعلم أنني ابن قلع ارسلان ومن صلب ألب
ارسلان^(١) وملكشاه^(٢) ، كان أجدادي وأعمامي يجوبون العالم من مشرقه إلى
مغربه فاتحين ، وكان أجدادك يعيشون بالخراج والجزية إلى دور خزانهم ، وكنت
أنت تسلك نفس الطريق معي ، والآن إن كنت تحمّز أن يستهزأ بي على هذا
النحو لا لشيء إلا لأن القضاء السماوي قد ألقاني بأرضك ، فإن إخواني - وكل
منهم بمثلك بلدًا - إن سمعوا بهذا صاحوا بالقول المأثور : أكل لحم أخي ولا
أدعه لغيري ، وجيشوا الجيوش لهذا السب ، وجعلوا من ديارك مريض للسباع
والضباع .

فلم يجعل فاسليوس في الجواب حتى هدأت سورة غضب السلطان ، ومن
ثم دخل من باب الاعتذار والاستغفار ، وقال : كل حكم يأمر به السلطان ، جارٍ
على جيشي وبلادي . قال السلطان : أياكون مصداق هذا التصوّر ألا تعدل عن
كل ما أقول . فأقسم فاسليوس مجدداً بأنه لن يحيد عن أحكام السلطان .

(١) تولى حكم الدولة السلجوقية بعد وفاة عمّة طغرل سنة ٤٥٥ هـ ، واستطاع هزيمة
البيزنطيين في موقعة ملازكرد بآسيا الصغرى سنة ٤٦٣ هـ .
(٢) دعي لتولي عرش الدولة السلجوقية بعد وفاة أبيه ألب ارسلان سنة ٤٦٥ هـ ،
وبلغت تلك الدولة في عهده أقصى اتساعها .

قال السلطان : عليك إذن بتجهيز عدة سلاح أختارها بنفسى ، وحصان يليق بالفرسان ويناسب الميدان ، ويدخل الفرنجى معى فى مبارزة ، فإن كانت الغلبة للفرنجى تحلصت من محنة الغربة وعنائها ، وإن كان الظفر لى استراح فاسليوس من جرأة الفرنجى وإساءته.

قال فاسليوس : حاشاى أن أسمح بمثل هذا ، فلو حلّ بالمليك - لا قدر الله - مكروه فى القتال بمصادمته للفرنجى فإننى سأوسم بالحماقة لأننى دفعت سلطاناً لمقابلة واحد من آحاد الجند، ولن يكون بوسعى المقام هاهنا خوفاً من انتقام إخوانك.

فأقسم السلطان بأغلظ الأيمان أنه لو حدث من فاسليوس توقف فى هذه القضية فسوف يقتل نفسه دون إبطاء.

١٦ / وحين بلغ إلحاح السلطان الغاية أتوا من دار السلاح بعدة وجهاز ملكى ، فاختار السلطان عدة منها. وأخبروا الفرنجى بأن الغد يوم التزال ، فظلّ الفرنجى يهتّىء عدة القتال طيلة الليل ، ثم ربط نفسه بإحكام على السرج فوق ظهر الحصان ، ودخل ساحة الميدان متأهباً للقتال ، فانقسم أهل تلك الديار من الصغار والكبار والقارئ والأُمى ، والمسلم والذمى قسمين : فمال بعضهم نحو السلطان ، وانحاز جماعة إلى الفرنجى الذى أهمه القتال.

كان الروح الأمين يُسمع السلطان فى كل لحظة قول الله عز وجل ﴿وَنصرك الله نصراً عزيزاً﴾^(١). وكان السلطان قد وقف فى القلب مع فاسليوس

(١) سورة الفتح. الآية ٣.

كجبل الحديد ، وثلاً ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (١) . وسار إلى كل طرف كالشمس في برج الشرف ، وأخذ يجول حول العساكر كالهدر الزاهر .

بدأ الفرنجي بالهجوم بالسنان ، فاتقاه السلطان بالدرع ، ثم أعاد المحاولة نفسها من جديد فردّها السلطان . وفي المرة الثالثة حمل عليه السلطان ، وبضربة دبوس كمراس الثور مرغ وجه من يعبد حافر حمار عيسى في التراب ، فبلغ أُنَيْته المقيمين بخطة أسفل سافلين ، [شعر] :

بضربة لم تكن متي مخالصة ولا تعجلتها جنناً ولا فرقاً (٢)

ولم يلق حصان الفرنجي لشدة وقع الدبوس مفسراً من الفرار ، ولأن الفرنجي كان قد أوثق نفسه بإحكام على الحصان فقد بقي متديلاً ، فاقداً الوعي ذاهلاً عن نفسه ، فصاح المسلمون وفاسليوس ومن حضر من التجار وكبار الأمراء صيحة إعجاب بلغت عنان السماء . وأراد دهماء الفرنجية إثارة الفتنة / ، فأمر فاسليوس بردعهم وأنزل العقوبة ببعضهم فسكن بحر الفتنة الهائج ، وأخذ السلطان من الميدان إلى داره ، وقدم الهدايا الوفيرة ، وأعملوا العود والزّاح طوال تلك الليلة حتى انفلاق عمود الصباح ، وأوصلوا خيط الغبوق بالصباح (٣) .

وفي اليوم التالي جيء بسائر آلات الطرب - التي كان يدخرها آباء فاسليوس وأجداده - إلى قصر السلطان ، ورأوا من الواجب يومئذ إحياء موات المتعة بإراقة

(١) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٢) والبيت في الأوامر العلامية على النحو التالي :

بضربة مثل لمع البرق مسرعة من غير ما فرغ منه ولا فرق

(٣) الغبوق : الشرب بالعشي ، والصّبوح ضدّه ، وهو الشرب بالغداة .

دم الدين - وهو في شرع الندماء أمر محلل ، وفي أعقاب معاقرة الخمر انطلق لسان فاسليوس قائلاً : إن محبة ملك الإسلام قد تمكنت من قلبي وروحي بحيث لا تقبل الانفصال عنهما بأي حال ، ولو مرت بي لحظة دون الأناج بوجود الجمال المبارك للمليك فيأتي أعدها وبالأ. غير أنني أفضل مصلحة ملك العالم على إرادة نفسي ، فلو أن السلطان تكبد المشقة بضعة أيام - إلى أن تخمد نائرة حقد القرعجة وغضبهم - وتوجه إلى الملك مغرورم وهو من أكابر قياصرة الروم ، فلن يقصر هذا المملوك - بكل ما يرد في دائرة الإمكان - في رفقكم ، بل يؤدي بنفسه ما يوجب تعظيم المليك من شروط^(١) لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً^(٢) .

فوقعت هذه الكلمات موقع القبول من مسمع أشرف الملوك ، واستصوب الأمر. وبعد بضعة أيام ولّى وجهه مع الخدم والحشم صوب تلك الجزيرة ، ولم يكن يُلقي بالآ لجور دورة الفلك لانشغاله بدوران الكأس والراح.

وعندما كان الملكان عز الدين وعلاء الدين بفرغان من المكتب وتعلم الأوب^(٣) يقضيان وقتهما في صيد / البَر والبحر.

قد حان الوقت الآن للبدء بذكر سلطنة السلطان ركن الدين.



(١) قارن أ. ع، ص ٥٧ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ١ .

(٣) قارن أ. ع ، ص ٥٨ .

ذكر أيام سلطنة

ركن الدين سليمان شاه ، وتقدير

جانب من مناقبه الكريمة

كان السلطان القاهر ركن الدين سليمان شاه ملكاً لم تعمل في روضة الدولة
دوحة مشمرة^(١) تضاهيه من أولاد السلطان قلج ارسلان بل من أحفاد
سلجوق^(٢). إن هو إلا دبوس ثقيل ، وحلم بالغ على الرعية ، عفة بلغت الغاية ،
ورع بغير نهاية ، في الحلم ذو وقار كالجبل ، وفي الحكم كالقضاء المبرم لخالق
الكون :

حُلُو الفكاهة مرَّ الجذُّ قد مُرَّجتْ بقسوة البأس منه رقةً انغزل

هو في أنواع العلوم ريان ، وفي التزود من بضاعتها صاد وعطشان. ومن بين
ما أنتجته قريحته هذا الدوييت الذي قاله في حق أخيه قطب الدين ملكشاه ،
ملك سيواس و آقسرا ، بسبب ما كان بينهما من عداة :

أيها القطب ، أنا كقطر الدائرة فلست مشيحاً برأسي عنك

قطالماً أنا كالنقطة

فليسلخ جلد جسدي من الكتف

إن أنا لم أنشر علمك من فوق رأسي.

(١) قارن أ. ع ، ٥٧.

(٢) الجذ الأعلى للسلاجقة ، وكان رئيساً لقبيلة من قبائل الأتراك الغز.

حين خرج السلطان غياث الدين من بوابة قونية ، استقبال الأعيان والأشراف السلطان ركن الدين ، فاعتذروا عما كان قد بدر منهم من تطاول ، فقرأ الآية الكريمة : ﴿ لا تشرب عليكم اليوم ﴾ (١) ، من مصحف الإغضاء وسورة الإغماض ، / وضرب عن الماضي صفحاً ، ودخل المدينة بالطالع المسعود في ظل المظلة الملكية الظليل ، وأضفى على العرش الملكي - بعظمة قدمه - رسماً وجمالاً كسروياً.

وبلغ به السخاء مبلغاً جعله يوزع خراج الجند لخمسة سنوات كاملة - وكان قد تجمع لديه دفعة واحدة - على الخاص والعام برأس الصولجان في وجود المبعوثين (٢) ، وكان يأخذ بيد الفضلاء والشعراء والفنانين بلطف عنايته من وهدة الفقر والفاقة إلى رياض الدعة والتعمة ، وحين أرسل إليه إمام الكلام ظهير الدين الفارابي (٣) قصيدته المشهورة التي مطلعها :

زلفِ سرمشش چو در مجلس پریشانی کسند
جان آکر جان در نیندازد کران جانی کند
[وترجمتها] :

إذا ما تشوشت ذؤابته السُكُرى في الخفيل
إن لم يسلم الحبيبُ الروح ، يصاب بالسقم

(١) سورة يوسف : ٩٢ .

(٢) يعني المبعوثين الذين أتوا إليه بالخراج ، قارن أ. ع ، ص ٦٠ .

(٣) هو أبو الفضل طاهر بن محمد الفارابي [ت ٥٩٨] من شعراء الفرس الكبار في القرن السادس ، مدح الكثيرين من حكام عصره .

سَلِمَ مبعوثيه جائزة قدرها ألفي دينار وعشرة من الخيول وخمسة من البغال ،
 وخمسة من الغلمان ، وخمسا من الجوارى ، وخمسين ثوباً من كل نوع .

ومن عدله البالغ ، أنه كان له غلام يسمى إياز ، محمود السيرة ، وكانت
رقعة خاطره بل كان جماع قلبه يعيل إلى عشق ذلك القمري الوجه مانع
الحب ، غير أن الغلام كان عائداً ذات يوم من الصيد يحمل على يده صقراً ،
فالتقى بمجوز كانت تحمل بيدها إناءً مملوءاً باللبن الخثير ، ولشدة تأثير حرارة
الشمس واستيلاء العطش عليه وإعواز الماء اختطف الإناء وتناول ما فيه ،
فركضت المجوز على الأثر إلى المدينة ، ووقفت على باب قصر السلطان ،
وجأرت بالنواح والشكوى صائحة : إن أحد الغلمان أخذ إناء اللبن الذي كنت
قد وضعت لإعداد خبز لمن أعولهم من الأيتام ، ولم يعطني ثمناً . فأمر السلطان
بالتحري عن أمر تلك / المظلومة ، وهنالك حضر الغلام فقالت المجوز : ها هو
ذا الخصم ، فأنكر الغلام خوفاً من السلطان الذي قال : إن شققنا بطن الغلام
ولم يكن قد تناول اللبن فلن يكون جزاؤك إلا القتل ، فقبلت المرأة .

وفي الحال صدر الأمر إلى الجراح بأن يشق بطنه [قالت المجوز : لعلكم إن
أحضرتكم الجراح فشق بطن الغلام وقلب أمعائه ووجدها مملوءة باللبن لزم قتل
الغلام أولاً وتواترت أحزان السلطان عليه بسبب ذلك ، وصدق فيه المثل القائل :
نحن السبب فيما يجري لنا^(١) . فأمر السلطان بمعاقبة الغلام في الحال ، وأنعم
على المجوز بألف دينار]^(٢) .

(١) المثل الفارسي هو : از ماست كه بر ماست ، وهو يعني أيضاً بسبب اللبن الخاطر
ما يجري لنا ، وقد أرادت المجوز نفس هذا المعنى .

(٢) اعتمادنا في ترجمة هذه السطور على أ. ع ، ص ٦٥ لاضطراب السياق في الأصل .

وعلى هذا النحو جرت السلطنة زمناً ، ثم انبعث في سويداء قلبه هاجس الغزو ، فعقد العزم على غزو الكرج .

وكان سبب ذلك أن تamar ملكة الكرج - وكان لها على مملكة الأبخاز ودار الملك تفليس ما لبقيس من حكم ونفاذ أمر ونهي - كانت قد سمعت أن للسلطان قلعج ارسلان اثني عشر ولداً كل منهم يتمتع بملاحة القمر في السماء وصياحة المسك في الأرض . وكانت هي - مصداقاً لقول القائل : أما النساء فمبيلهن إلى الهوى - حيشما وجدت أثر أمير جميل الطلعة فصيح اللسان أخذت تدعوه بلسان التعشق قائلة : الأذن تعشق قبل العين أحياناً ؛ وكانت تجلب الصيد المقصود إلى الشباك إما بالذهب أو بمعسول الكلام .

وكانت قد بعثت لبلاد الروم رسماً ، فرسم صورة كل أمير من الأمراء ، فما تحركت جواذب العشق عندها إلا للملك ركن الدين سليمان نشاء ، فعشقت صورته ، وأرسلت من تسم مبعوثاً تطلب الزواج منه ، فطرح قلعج ارسلان القضية في الخلوة مع سليمان نشاء وعمل على استرضائه وأخذ رأيه ، فقتل سليمان جبل العتاب في ذلك الأمر / الجلل ، وقال : كيف يسمح ملك العالم أن يرسلني إلى مملكة الأبخاز - وهي مصطبة الكفر والضلال - بهذا اليسر لتحصيل مقصد دنيوي دني ، وإني لأرجو أن ينجز الله ما وعد في قوله تعالى : ﴿ وعدكم الله مغام كثيرة تأخذونها ﴾^(١) بفتح الأبخاز ، فأحشد الجند وأذرو تراب تلك الديار في الرياح ، ثم أتى بتلك الفاجرة إلى أعتاب السلطان في قيد الإسار والخسار ، مأخوذة بالنواصي والأقدام . ولكم أحسن السلطان من أعماق الروح والقلب بالسرور والارتياح لعلو همة ولده ، فأبدى إعجابه بما قال ، وطلب إليه المعذرة .

(١) سورة الفتح : ٢٠ .

ذكر عزم السلطان ركن الدين سليمان شاه

غزو الكرج ، والعودة من هناك على خلاف الإرادة

وذكر الملك فخر الدين بهرام شاه

كان ذلك الضغن القديم قد تمكن في قلب السلطان ، فلما أصابته نوبة السلطنة ولّى وجهه شطر تلك الحدود بجيش ثقیل ، وكان قد أرسل من قبل مبعوثين مسرعين إلى ملوك الأطراف وإخوته ، كي يستعدوا للقتال والنزال ، فبادر مغيث الدين طغرل شاه ملك آبلستان بالانضمام إليه قبل غيره ، كما أرسل كذلك إلى الملك فخر الدين بهرام شاه - وكان صهر السلطان ومن أحفاد منكوجك غازي^(١) ووحيد دهره في لطف النفس وحسن السيرة وعلو الهمة ونقاء الجيب وطهارة الذیبل وفرط الرحمة والشفقة ، ولم يقم في أيام ملكه عرس ولا مأتم إلا وكان المأكل والمشرب فيه من مطبخه ، أو يحضره بنفسه ، وفي موسم الشتاء حين كانت الغلال والحاصل في الجبال والبراري تحرم من إنعام الغمام ، كان يأمر بحمل الحبوب في أنية ضخمة إلى الجبال والصحاري وتشرها على الأرض لتطعم منها الطيور والوحوش بانتظام. وقد جعل نظامي الكتجوي^(٢) كتاب « مخزن الأسرار » باسمه ، وأرسله هدية إليه فأمر له بجائزة

٢٢

(١) كان السلطان ألب أرسلان قد ولاء إمارة أرزنجان في سنة ٤٦٤ ، فأسس بها أسرة عرفت باسم بني منكوجك ، أما حفيده الملك السعيد فخر الدين بهرام شاه فقد تولي إمارة أرزنجان سنة ٥٥٠ .

[انظر محمد جواد مشكور ، مقدمه بر اخبار سلاجقه روم ، صد وهشت] .

(٢) هو الحكيم جمال الدين أبو محمد إلياس ، من كبار شعراء الفرس برع في القصص التمثيلي ، وتتطوي قصصه على نزعة أخلاقية واضحة ، وقد بقيت له خمس قصص من بينهما مخزن الأسرار المشار إليه في المتن .

قدرها خمسة آلاف دينار وخمسة من البغال السريعة السير.

فلنعد إلى أصل الموضوع ؛ ولقد دعا فخر الدين أيضاً - بمقتضى الرأي الأزهر -^(١) بالجند لكي تأتيه من كل ناحية ، وتوجه في خدمة السلطان إلى أرزنجان .

أما علاء الدين سلتيقي - ملك أرزن الروم - فقد أخذ يتباطأ في حشد الجند والامثال والانقياد للأمر المطاع ، فأمر السلطان بعزله وعهد بتلك المملكة إلى مغيث الدين طغرلشاه^(٢) ، وتوغّل من هناك في ممالك الأبخاز بجيش في عدد النجوم على خيول كالجمال ، فنفر أولئك الكفرة الفجرة جميعاً في جم غفير ، وحدثت بين الجيشين مصادمات عديدة ، بحيث غطت أجساد القتلى كل مكان في صحراء المعركة ، وأوشك فتح كبير أن يطلّ بوجهه من وراء ستار الغيب ، وكادوا يصفون الكفار بمن ولوا على أدبارهم^(٣) ، غير أن حكم «وكان أمر الله قدرأ مقدوراً»^(٤) قد اختطف زمام المرام من يد أهل الإسلام ، وساخت قدم الحصان الذي يحمل المظلة في جحر يربوع فسقطت المظلة على الأرض فلما وقعت أبصار الحشم والمقاتلين في المعركة عليها ظنوا أن العدو ربما

(١) راجع أ. ع ص ٧٢ .

(٢) كان هذا آخر عهد بني سلدوق [سلتيقي] بتولي إدارة أرزن الروم ، وكان جدّهم الأعلى علي بن أبي القاسم المعروف بـ سلدوق قد أسس فيها أسرة حاكمة حوالي سنة ٤٩٦ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرْتِ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ سورة الإسراء : ٤٦ .

(٤) سورة الأحزاب : ٣٨ .

اقتحم القلب وحلّت بالسلطان نكبة ، فألقوا باليزنبيات والمشرفيات^(١) جانباً ،
وتبدل الكرك بالقر ، وأصبح الضارب مضروباً والقائل / مقتولاً ، فصار الأمير أميراً
والأمير أسيراً ، (وكان ذلك على الله يسيراً)^(٢) .

وأوقعوا بالملك فخر الدين مع جماعة من الحشم ، وقبضوا عليهم ، ونزل
السلطان مع الملك مغيث الدين وكوكبة من الجيش في أرزن الروم ، وبعد
حصول الاستراحة وأمو الجراحة توجه نحو الروم وذهب إلى قونية ، وهناك أخذ
ينتهيأ للعودة وإعادة الدعوة ، وفي أثناء ذلك انتقل إلى جوار ربه بسبب مرض ألمّ
به ، وكان ذلك في شهر سنة إحدى وستمائة : [شعر] :

فقدناه لما تمّ واعتمّ بالعلسى كذاك كسوف البدر عند تمامه^(٣)

- نهاية الدنيا ليست سوى التراب وليس لها من ن سوال إلا السمّ



(١) كذا في الأصل : يزنبيات ومشرفيات ، كلمتان عربيتان ، والمشرفية سيوف منسوبة
إلى مشارف ، وهي قرى من أرض العرب ، [الصحاح] ، أما اليزنبيات ، فيبدو أنها
نسبة إلى ذى يزن بفتح الياء والزاي ، أحد ملوك حمير . [القاموس المحيط] .

(٢) العبارة بين الحاصرتين مكتوبة في الأصل بالعربية .

(٣) من قصيدة مطلعها :

مضى طاهر الأنواب لم يبق بعده كرم يسرى الأرض فيض غمامه
راجع الأوامر العائلية ص ٧٤ .

ذكر أيام سلطنة عز الدين قلع أرسلان

ابن ركن الدين سليمان شاه

حين انتقل السلطان ركن الدين إلى الجنة دار السلام ، أجمع أمراء الدولة - مثل نوح ألب وتوز بيك وكان كلاهما قد قدم من توقات المحروسة للانضمام إلى رايات السلطان فتقلدا المناصب الكبرى وصاروا موضع الأسرار الملكية - أجمعوا على إجلال عز الدين قلع أرسلان ابن السلطان على العرش ولم يكن قد ناهز بعد حد البلوغ ، فبادروا بأداء النعمة / التي أجزلها لهم الأب من خلال إمضاء مصالح الابن.

٢٤

ولقد تيسر فتح ولاية سهرطه - وكانت من أضخم القلاع على سواحل بحر المغرب - في أيام حكم ذلك الطفل المعصوم ، وباع ملوك الإسلام وقياصرة الروم وتكافرة الدرج^(١) على الولاء له ، وظلت الإتاوات والأحمال ترد إلى الخزانة من الأطراف كما كانت من قبل ، وسوف نعرض لانقراض تلك الدولة في موضعه.

أما مظفر الدين محمود وظهير الدين إيلبي وبدر الدين يوسف أولاد ياغي بسان^(٢) ، فلأنهم كانوا يعملون إلى غياث الدين كيخسرو ، فقد أخذوا

(١) إشارة إلى ملوك الأرمن ، راجع ما كتبه هوتسما في هامش ص ٢٤ من الأصل الفارسي .

(٢) هو ياغي بسان نظام الدين بن كمشتكين ، من أبناء دانشمند ، ممن تولوا إمارة سيواس في ظل حكم سلاجقة الروم . وقد توفي سنة ٥٦٢ . انظر محمد جواد مشكور ، مقدمه ، صد وشصت ويك .

يسلكون طريق الخلاف ويتكلمون طريق الوفاق ، وكان هؤلاء الإخوة الثلاثة قادة مطاعين لدى جند الأوج ، فحملوا أمراء الأطراف على الميل للسلطان ، وحلفوا الأيمان ، وأخذوا الموائيق والحجج ، ووقع اختيارهم على زكريا الحاجب - وكان معروفا بكفاءته العالية ومشارا إليه بالبنان في فرط الدهاء ومعرفة الألسنة واللغات - ليكون رسولهم إلى السلطان. ووضعوا تلك العهود والمكاتب في تجويف عصا وأعطوها له ، وألبسوه ثوب القساوسة ، وسيروه مزوداً بالوعود الجميلة.

فلما وصل إلى ملك الملك مغروزم ، واستدل على بيت السلطان ، أخذ في الطواف حول البيت ، وليث يتحين الفرصة ، فرأى عند الظهيرة أن أبناء السلطان قد أخذوا في النزهة مع جماعة من الغلمان ، وبدأوا - على عادة الأطفال - في بناء طاحون^(١) هناك على أطراف مرج كانت حوافه الخضراء قد نمت وربت حول صفيحة وجهه كأنها شهود. فصعد زكريا عند الملك عز الدين - وكان في الحسن بغير قرين ، لم يبدع مصور **هو صوركم فأحسن صوركم**^(٢) مثله في / معمل الوجود : [شعر].

٢٥

- كان الزمان قد صنع في إثره شيئاً فشيئاً ما كان موافقاً له من ناحية الحسن واختطف قبلة هي زاد الحياة الأبدية ، فأسرع الأمير من فرط الغيظ والحنق

(١) وشرعوا في اللهو واللعب وبدأوا في إنشاء طاحون أ. ع ٧٨.

(٢) سورة غافر : ٦٤

لحضرة السلطان ، وحين جاء قال مفروزم ينبغي أن تنزلوا به العقوبة ، وخوفاً من امتهان الشرف ، عمد زكريا الحاجب إلى نهر المعرفة ليفتحه ، فأزاح طرف القلنسوة عن جبهته ، وعند ذلك عرفه السلطان ، غير أنه ضرب صفحاً عن استقصاء الأمر في ذلك الحين ، وأبدى لمفروزم عذراً مناسباً للحال ، وأمر أحد خواصه باللغة الفارسية أن يحتجزه. فلما خلا القصر من الأغيار طلب السلطان زكريا ، فدخل من الباب مسرعاً متبختراً كأنما هو السعادة والإقبال ، وقال : كانت نتيجة هذه الجراءة هذه القربى ، قال السلطان : كيف حال أخي ؟ أجاب : هو في أوج العظمة ، استولى على مملكة الأبخاز وأذعنت له ولاية الكرج. ثم تبسم في وسط الكلام. قال السلطان : ولم الضحك ؟ فاقترب منه ، وأفضى إليه بما حدث برمته ، ووضع أمامه المخطوط والعهود ، فلما طالع المكاتبات والعهود ، انهمر الدمع من عينيه بالرغم من امتلاء قلبه بالنار بسبب جور أخيه وما رآه من ظلم لا حد له ، وأظهر الأسف على وفاته.

ومن ثم استدعى الملك مفروزم ، وقص عليه ما حدث ، فأعلن الحداد ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع قال السلطان إنه قد أزمع التوجه إلى الممالك الموروتة. قال مفروزم : كل ما عندي فداء لك ، فلتأخذوا الأهبة للرحيل ، ويسير هذا العبد أيضاً في ملازمة ركاب المليك. وكان من قبل قد جعل ابنته التي زوجهها للسلطان ، وابنه ملازمين للحضرة السلطانية ، فبذل السلطان للجميع جميل الوعود ، وأرسل.

وحين وصل إلى أزيق حال فاسليوس بين السلطان وبين المسير ، وقال
 إنني قد عاهدت ابن السلطان ركن الدين باليمين المغلظة فلا يمكن أن أدع
 السلطان يتجه نحو ملكه ، ولبشوا بضعة أيام في هذا القيل والقال ، وفي النهاية
 استقر الأمر على أن يسلم لنواب فاسليوس ما كان السلاحقة قد فتحوه من ولاية
 الروم حتى حدود قونية مثل : خوناس ولاديق وغيرهما من البقاع وأن يترك
 السلطان أبناءه مع زكريا كرهينة هناك ، ويمر السلطان بنفسه ، فإن جلس على
 العرش وسلم المواضع المذكورة لمندوبي فاسليوس انصرف الأبناء من هنا . وعلى
 هذا الأساس تحرك السلطان ومفروزم وسائر الخواص إلى نواحي الأوج .

ولما انقضت بضعة أيام ذهب زكريا إلى فاسليوس وقال : إن أبناء الملوك
 ذوو حس مرهف ، ينتابهم الملل من الجلوس في البيت . فأذن فاسليوس بأن
 يركبوا للنزهة مرتين في اليوم ، فيتنزهون في مروج أزيق الأنيقة ، [وأمر عدداً
 من خواصه بملازمتهم ، فغمرهم زكريا الحاجب بالإنعام والإحسان]^(١) ،
 وأخذ يستدرجهم بالإبهام والكتابة إلى حيز الدعوة ، فأقسموا^(٢) بالإنجيل
 والصليب .

وذات ليلة عند صلاة العشاء ركب الأمراء ، وولوا وجوههم شطر إحدى
 مناطق الصيد ، وفجأة بدأ أمامهم خنزير بري وانجحه نحو مالك الإسلام خوفاً من
 السيف والسهم ، فتفألوا بذلك ، وقالوا [شعر /] :

٢٧

(١) أ. ع. ٨١ ، والنص مضطرب في الأصل غاية الاضطراب في هذا الموضع .

(٢) في الأصل : فأقسم بالإنجيل والصليب ، قارن أ. ع. ٨٢ .

غدت الدنيا اليوم وفق مرادنا وصار مسير الفلك عبداً لنا
صار التفويض بملك البلاد من الله باسمنا دون أن يمتن أحد بذلك علينا
ثم مضوا في طريقهم يسابقون الريح الصرصر العاتية مجتازين السهول
والبيداء، وحين تبدلت ظلمة الدبجور بكسوة النور كانوا قد وصلوا إلى حدود
بلاد الإسلام.

كان السلطان لا يزال منشغلاً بتدبير مهمات الأوج وتأليف أهواء الأمراء
في تلك الناحية ، فأرسل زكريا إلى السلطان رسولا يبلغه بألا يسلم القلاع
والبلاد ، فقد تعدى الأمر ذلك ووصل الأمراء مشمولين بالسلامة إلى التحوم
كالنجوم ، ولحقوا بحدود ملك الجدود ، فقذف السلطان لدى سماعه هذا
الخبر قلنسوة الاغتباط والسرور عالياً في هواء التوفيق. ثم فرغ من مهام الأوج ،
وسار متعجلاً نحو قونية.

ذكر محاصرة غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان

في قونية

حين علم أهل قونية بقدوم السلطان أعدوا عدة الحرب في سترة الوفاء لابن
السلطان ركن الدين سليمان شاه ، وتكبدوا عن قانون الصلح ، فحمل شيطان
الغرور السلطان على أن يأمر بقطع المزارع والحدائق ببلطة الضرر وفأس البأس ،
وتخريب القصور والدور المحيطة بالمدينة والقريبة منها ، ويشعلوا فيها النيران. فقال

لهم^(١) السلطان قلع أرسلان إني أعلم أن عمي قد وقف على قدم الانتقام وهو لن يُقي أو يُحايي ، وستكون نعمة كبرى لو أبقى عليّ حياً ، فلا تبدوا مصلحتكم / بغير جدوى. فأرسلوا رسولا إلى السلطان وقرعوا باب الصلح بشرط أن يفعل مع السلطان [قلع أرسلان] ما فعله السلطان ركن الدين مع الأميرين ، وأن ينصبه ملكاً على أحد الأقاليم. فإن هو أمر بصلة الرحم ، وعني بهذا الأمر أحضروا قلع أرسلان إليه ، كي يشرف بالتقبيل فيحظى بالتبجيل ، ومن ثم يدخل للملك المدينة بفأل حسن.

فراق هذا الرأي للسلطان وأمر بتنصيبه ملكاً على نوقات حيث كان يتولاها [أبوه] السلطان ركن الدين عندما كان ملكاً ، وكتب منشور بذلك.

وحين رأى أعيان قونية العهود والناشير حملوا الأمير هاني البال مسروراً إلى حضرة عمه ؛ فأرسل السلطان كلاً من عز الدين وعلاء الدين للترحيب بالقدوم. وحين رأى ابن السلطان ركن الدين وجه عمه قبل الأرض ، وطلب أن يقف على قدميه معقود اليدين ، فما تركه السلطان يفعل وإنما أجلسه عنده وقبله على جبينه وأجلسه على ركبته وبالغ في استمالته ، ومنحه هدية ملوكية ، وأمر بأن يقيم بقلعة كاوله بضعة أيام ، ينصرف بعدها سعيداً هائناً إلى نوقات اخروسة.

(١) يعني لأهل قونية ، راجع أ. ع ، ص ٨٥.

ذكر دخول السلطان غياث الدين كيخسرو

ابن قلعج أرسلان قونية وجلوسه على عرش السلطنة

وفي اليوم التالي حين طلع ملك الكواكب ، دخل السلطان كأنه الشمس تحت مظلة سوداء طالما كانت ملجأ وظهيراً للعالمين - دخل مدينة قونية - التي تعدّ ساعة واحدة من الحياة فيها خيراً من ألف شهر في غيرها من البلاد - بصحبة جيوش كأنها البحر الأخضر المروّج ، وحشم كرخات المطر المتواتر ، فنقل القدم من ركاب حصانه - بعد أن توقف - إلى عرش آبائه الكرام ، فبلغت أنواع الأفراح أرواح الخاص والعام ، وانفقت أهواء الجند والعامّة على / محبته والولاء له : [شعر] .

٢٩

- حين وضع تاجاً كبيراً على رأسه ، سعد التاج به وهو أيضاً سعد .

- عمّر ما كان خرباً في كل مكان ، وحرّر^(١) قلوب المحزونين من الحزن .

وأبلغ مفروزم المنزلة العليا والمرتبة القصوى ، وفوض عز الدين كيكاوس في ملك ملطية المهرومة كما فوض علاء الدين كيقيباد في حكم مملكة دانشمند^(٢)

(١) في الأصل: شاد كرد : أسعد ، والأوفق ما ورد في الأوامر العلامية ص ٩ : آزاد كرد: حرّر

(٢) دانشمند : نسبة إلى الملك دانشمند أحمد غازي شمس الدين ، وتشمل تلك المملكة: سيواس ، وأماسية ، ونوقات ، ونكيسار ، وعشماجنق ، والبستان ومنطية ، وغيرها . وكان دانشمند قد تولى حكم تلك البلاد من - قبل السلاجقة سنة ٤٥٥ ، واستمرّ أولاده ثم أحفاده في حكمها حتى سنة ٦٠٧ .

انظر: الدكتور محمد جواد مشكور: بمقدمه بر اخبار سلاجقه روم ، ص صد وشصت وبك

بأسرها. وأرسل إلى ملوك الأطراف وسلاطينها الرسائل والمبعوثين معلناً عن موافاة السعادة ومساعدة الإقبال.

وكان الشيخ مجد الدين اسحاق قد انتقل - وقت جلاء السلطان - من بلاد الروم إلى ديار الشام. فدعاه السلطان بهذه الأبيات الرائقة : [شعر] .

- صحة الذّات الطاهرة السماوية ، هي تاج أصحاب المجلس الأخوي .

- عزّ الأقران وحيد الآفاق ، صدر الإسلام مجد الدين اسحاق .

- العزيز الرفيق الأنيس ، إن هو إلا كروح الملاك .

- فليبق خالداً ليوم الحشر ، ولتتزايد حرمة وتعلل رتبته .

- لتتقطع عن كيانه أيدي الآفات ، ولتتعم عن ذاته عيون الفتن .

- يامن له سيرة الولي ، يا من له سنّة النبي ، لو أقول ماجرى في هذه المدة ،

- وما نلته من جور الفلك الحرون ، يصبح المداد دماً على سنّ القلم .

- / رأيت مجمع الصدور الكرام ، كيف جعله الزمان حراما ،

- اختطف الملك منا ظلما ، وأسنده لإمرئ عجول لا روية عنده .

- لقد امتأق قلبي - كجمشيد^(١) - بنصّة ، وأصحت في الدنيا مشردا ،

(٢) جمشيد : أحد ملوك الفرس القدماء .

- تارة في الشام وتارة في الأرمن ، تارة أتخذ الأطلال موضعاً وتارة أتخذ
الدمن ،

- تارة كالبحر في البحر ، وتارة كالنمر بالصحراء ،

- تارة أتخذ ستبول مقاما وتارة أتخذ عسكرا^(١) ، تارة أتخذ المغرب مقاماً
وتارة بلاد البربر ،

- ما كان لي - زمناً - بفعل الدهر إلا : السيف ، وظهر الحصان ، وحرب
الفرنج.

- شاهدت المعارك ، أثمرت الحروب ، سدّت الطعان ، تلقيت الضربات.

- ما كان غذائي - أحياناً - سوى الندامة والغم ، إذ استبدّ بي الحزن في
أثر الصحاب.

- انقطع الصحاب عني وأبعدوا كالصقور ، وتشتوا في الدنيا مثلي.

- ثم حين أهلّ لطف الحق بجماله ، وقتّ دورة الفلك أيضاً.

- كنت أرى رؤى حق ، / وأخذت أرى أثر ذلك في المنام.

- وحين عزمت على الرحيل إلى بلاد الألمان^(٢) جاءني مبشّر في أمان ،

(١) عسكر ، إحدى مدن خوزستان.

(٢) في الأصل : الأمان ، والتصحيح « ألمان » من أ . ج ، ص ٩٢ .

- وأخبرني بموت الخصم وفترة الملك ، وقال : هيا أسعد ، فأملكك بإزائك .
- [هذه] كتب أكابر الأطراف ، مشفوعة برسالة من خلاصة الأشراف ،
- قال : ما نحن جميعاً إلا دعاة لك ، انهض أيها المهدي ، إنما نحن
ساعون إليك .

- وأخذ هائف يدعوني كل لحظة - على سبيل الإلهام - قائلاً : عجل
وحرك الأقدام .

- فعدت إلى ساحل البحر ، وما أشد ما يشيره البحر من خوف هناك والشتا .
- مجمل القول أنني قطعت البحر ، لا أراك الله ما رأيت .
- قدمت صوب برغلو وفق المراد ، وجدت مُلكاً .
- قصد أحد المفسدين الانتقام ، أسرج حصان الظلم والجفاء .
- ولأن الله كان معينا وحافظاً وحامياً ، فقد تضاءل موضع الجرح الكبير
واضمحل .

- وانتصر حفظنا في النهاية ، ودانت البلاد بأسرها ،
- / لزمت البلاد الطاعة لنا ، ولكم ، إنما هو اسمنا في الدنيا وهو مرادكم .
- المحبون للخير يتصفوننا بفضلهم ، وصدرونا مجمع أصحابنا .
- هيا ، فقد حان الوقت كي تنشد مكانا هاهنا ، إن كانت رأسك قد أثقلها

وحين بلغت هذه اللطائف قدوة الطوائف سارع في القُدوم وواصل السير بالسُّرى وقد زاد من أوراد الدعاء والثناء ، فتحركت في السلطان أعطاف أطفافه حتى نهض استقبالاً لقدمه الميمون ، وبالع في إعزاز جانبه. فأرسل الملك عز الدين مرافقة الشيخ إلى ملطية المهروسة.

وسير علاء الدين كيقباد مع جماعة من القضاة إلى نوقات^(١) . وكانت قد صدرت عن السلطان بادرة عند دخول المدينة لم تلق قبولا عند أحد قط ، وهي قتل القاضي الترمذي ، وكانوا قد نصبوه بدلا للإمام أبي الليث السمرقندي.

وكان السبب في مقتله ما نسب إليه من أن ممانعة أهل المدينة في وقت الحصار إنما كانت بسبب فتوى أصدرها ، وقالوا إنه يقول إنه لا يجوز أن تؤول السلطنة إلى غياث الدين لما كان قد بدا منه - في السابق - من ولاء للكفار ، وأنه ارتكب ما نهى عنه الشرع في ديارهم. [لذلك استبد الغضب بالسلطان ، وأمر بإنزال العقاب به]^(٢) ، ولشؤم إراقة دمه بغير حق لم يأكل سكان ضواحي

(١) أهمل الأصل هنا الإشارة إلى ما جاء في الأوامر العلائية من ذكر لتقاليد التي رُساها السلطان غياث الدين كيخسرو في حكم دولة سلاجقة الروم ، وعلاقة السلطان والملوك بالقضاة ، وحضورهم مجلس القضاء يومين محددين من كل أسبوع ، والمسارعة بتنفيذ أحكام القضاء ، الأوامر العلائية ٩٤ - ٩٥ .

(٢) زيادة من أ.ع ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

قونية ونواحيها ثمرة واحدة من المزارع والبساتين طيلة ثلاث سنوات. وفي النهاية ندم (السلطان) على ما فعل ، واسترضى أهل القاضي ، وطلب منهم العفو والصفح .

/ ذكر توجه السلطان غياث الدين كيخسرو لفتح أنطاليه

٣٣

كان السلطان يجلس ذات يوم على العرش كعادته الممهودة وينفذ أحكام العدل ، فدخل جماعة من التجار إلى المحكمة وقد مزقت ثيابهم ، وأهالوا التراب على رؤوسهم فقالوا : أيها الملك ، يا من علا نجمك ، نحن جماعة من التجار عرضنا أنفسنا للخطر طلبا لعيش العيال من وجه حلال ، وقد تحمّلنا مشاق الأسفار ، وبسبب ذلك الكسب يظل أطفالنا أصابعهم على شفاههم ، وآذانهم تسترق السمع إلى قرع الباب ، وعيونهم معلقة بالطريق فلعل أبا يرى وجه ابن له أو لعل رسالة تصل من أخ لأخيه. لقد انطلقنا من ديار مصر صوب الإسكندرية ، وقدمنا من هناك بإحدى السفن إلى نهر أنطالية. فأذاقنا حكام الفرشجة العذاب وأخذوا ما كان معنا من ناطق وصامت ، ما قلّ منه أو أكثر بالظلم والعدوان ، وسخروا منا فقالوا : ها هوذا السلطان العادل الغازي قد جلس في قونية وسط بساط العدل فاحملوا إليه مظلمتكم لكي يحشد الجند ، فيفعل ما يشفى صدوركم^(١) .

فأخذت السلطان رقة لذتهم وافتقارهم وتأججت نار الحمية فيه ، فأقسم

(١) كذا في أ.ع ص ٩٦ (صدورِشما) ، وفي الأصل (صدورِ ما) ، والمعنى به لا يستقيم .

بمالك الملك قائلاً : لن أجلس من وقوف حتى أحصل لكم على أموالكم . فلقد ذقت مرارة الغربة ، ورأيت نكاية الظالمين [شعر] :

- أنا أعلم بما بكم أيها المساكين ، فما كانت قلنسوتي إلا من هذا النسيج .

ثم أصدر الأوامر لأطراف الممالك لدعوة الجند ، فتجمع جند كثيرون في أقل مدة ، فولى وجهه نحو ديار الكفار بجيش جرار مؤيداً بفضل الخالق . وبعد أن طوى بضعة مراحل معدودة ، وصل / إلى تلك الحدود ، فأحاط بدائرة أنطاكية من كل صوب جنود لديهم من القدرة والشجاعة ما يمكنهم من الدخول إلى قم الأسد عند اقتحام المهالك وكأنهم دائرة السوء ، ونصبوا الجمانيق ، وظلوا شهرين متتاليين يقارعون ويحاصرون من الفجر حتى العشاء .

٣٤

ولأن رجال السور لم يتسرب إليهم أي نوع من الفتور ، أمر السلطان بالبدء في الرمي بالسهم والقوس عوضاً عن الرمح والسيف ، وأن لا يجعلوا فرنجياً يأمن أن يتمكن من أن يلقي نظرة على مناويز القتال من شرفات القلعة ، وأن يياشر الأبطال المحرمون الحرب ، وأن ينصبوا السلالم على القلعة ، ويتبين منهم عيار الرجولة على محك الامتحان .

وحين بلغ هذا الأمر مسامع كتائب الجند ثاروا دفعة واحدة كأنهم الجراد والنمل ، وفي أقل من ساعة واحدة نصب على كل بدن من السلالم ما كان قريناً لأوج الفللك من فرط الطول . وكان أول من وضع قدم الصدق وحقق الظفر رجلاً يدعى حسام الدين يولق ارسلان من جند قونية القدماء ، فقد قفز بسفيه ومغفره ورداء القتال الذي يرتديه على قلعة من الحجارة كأنه النمر ،

وَألقى بنفسه بين الفرغ ، فبعث عدة أفراد منهم إلى سقر ، وترك الباقون القرار وأخذوا طريق القرار. ولم يلبث مغاوير الجند أن صعدوا إلى القلعة من كل ناحية مع سيوف من الحديد كأنها الريح التي تقطع صدر الجبل ، ونصبوا عَلمَ السلطان على شرفات القلعة ، ثم نزلوا من بعد ذلك إلى المدينة ، وباندفاع كاسح كسروا الأقفال بضرب الرمح والعمود وفتحوا الباب.

ودخل باقي العساكر المدينة كالعقبان الكواسر. ولأن الفرشجة كانوا وقت الحصار قد أطالوا أَسْتَتِهِمْ بما لا يليق ، أمر السلطان بالقتل العام ثلاثة أيام ، وأن يبقى بساط أحمر مفروشا مدة طويلة^(١) على بحرٍ أخضر بدماء الكفار ، وأن تتهيأ للطيور والأسماك / وليمة لائقة من أشلاء أولئك الجفأة وجيفهم ، ثم أمر بعد ذلك أن يجعلوا السيوف من الرقاب في القراب ، وأن يخاطبوا أولئك المذعورين - وهم بقايا السيوف - بالسبي والنهب ، فظلت أمواج النهب وبحار الغارات في تلاطم وتصادم خمسة أيام أخرى ، وفي اليوم السادس منح السلطان إمارة أنطالية لمبارز الدين أرناؤش - وكان من خاصة غلمان السلطان ، وكان ملازماً للركاب السلطاني في أيام الغربة ، وقد حدثت هذه الحكاية والفتح في شعبان سنة ثلاث وستمائة.

٣٥

ثم أمر بأن يدخل مع حشمه المدينة ويعطى الأمان. وأقام السلطان هناك مدة حتى تم ترميم الثغرات التي كانت قد حدثت في القلعة وقت المحاصرة ، ثم نصب قاضياً وخطيباً وإماماً ومؤذناً ومنبراً ومحراباً ، وبعد الاحتياط التام لوى العنان

(١) قارن أ.ع. ص ٩٨ .

وحين ابتعد مرحلة في الطريق عن السواحل أمر نواب إيوان السلطنة بالإقامة في منطقة دودان وتحصيل أحماس الخاص (السلطاني) ، ودعا إليه التجار الذين كانوا قد تظلموا وظلّوا ملازمين في المعركة وكان مركبهم من الإصطبل الخاصّ ومأكلهم من المطبخ الخاصّ ، وطلب قائمة بالأموال (والمشاع والقماش)^(١) لكي يأخذوا منها ما هو موجود في غنائم الجند^(٢) ، وكتب أمراً إلى الأمير مبارز الدين أن يطلب الباقي هناك ويتم تحصيل ما يبقى مفقوداً من مال (السلطان) الخاص . إذ كان رفع مظلمتهم هو سبب ذلك الفتح ، وماصارت الكسرة على العدو إلا لجبر حالهم . والتحق السلطان - وقد تحقق له ما أراد - بقونية .

هكذا ينهي على العظماء أن يفعلوا ما فعل .

/ ذكر عزيمة السلطان لغزو بلاد الروم والترقي

٣٦

من ثمّ إلي درجة الشهادة

حين رجع السلطان من غزو نغر أنطالية ، وانضمت تلك المملكة الجديدة لسيطرة مماليك السلطنة القدماء ، وضع جباية الدهر وكبار أهل العصر رؤوسهم على حيط أوامره [التزاماً بها] وأقدامهم على جادة عهده وميثاقه ؛ فلم يكن يجول بخاطر أي إنسان أن تنحلّ عقدة تلك الدولة وتزول شمس تلك السعادة . غير أن لاعب القدر أظهر ألعاباً غريبة من وراء الستار وبين نقوشا عجيبة حتى

(١) زيادة من أ.ع ، ص ٩٩ .

(٢) قارن أ . ع ص ٩٩ .

تحركت نواهض الهمة وبواعث العزيمة عند السلطان لغزو بلاد الروم المسماة بـ لشكري^(١) . وسبب ذلك - كما سبق أن ذكرنا - أنه كان يمنع السلطان من دخول بلاده أو الخروج منها لديار الإسلام . ولما تمكن [السلطان]^(٢) على عرش السعادة والإقبال في هذا الوقت أخذ يتلأأ ويتمهل ويتباطأ في إرسال الإنذارات وإرتسام الأوامر والخدمات .

وذاث يوم احتلى السلطان بأركان الدولة واستطرد في الحديث عن تدارك أمر لشكري ، وقال إن لم نبادر بالهجوم لدرء فضوله وغروره فقد يؤول الأمر إلى خلل عظيم^(٣) . قال أكابر الدولة إن نقض العهود مذموم ، وعاقبته شوم واليمين الغموس يدع البلاد بلاقع ، ولا يمكن أن يكون لهذا الفكر من نتيجة سوى خراب الديار واضطراب أحوال الدولة ، إلا أن طريق الوعد والوعيد لم يغلُق في هذا الصدد ، وينبغي إرسال الرسل والإعراب عن العتاب البليغ والإلحاح في المطالبة ، فإن جاء من طريق الاستغفار مبنياً الاعتذار وحب أن تُتلى حينذاك الآية الكريمة : « لا تريب عليكم اليوم^(٤) » ، أما إن أصر على النفاق والشقاق فينبغي أن تجعل من قول القائل / آخر الدواء الكي حجة وبرهاناً .

وهنا قال السلطان :

٣٧

-
- (١) أطلق المؤرخون المسلمون لقب لشكري على الدولة البيزنطية أو امبراطور الروم البيزنطيين . انظر مثلاً : نهاية الأرب للتوحيدي ، ٢٧ : ١٠٩ ، طبع مصر ١٩٨٥ .
- (٢) زيادة من أ . ع ص ١٠٣ .
- (٣) كنا في أ . ع ، ص ١٠٣ وفي الأصل جاي يعني مكان ، وهو تصحيف .
- (٤) سورة يوسف : ٩٢ .

ووضع النُدَى في موضع السَّيْفِ بالعلَى

مُضِرٌّ كوضع السَّيْفِ في موضع النُدَى^(١)

فلا يفيد عمل العناب السكرى حيث تلزم جراحة مبيض المثققات الهندي «سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»^(٢). فأرسل الأوامر إلى أطراف البلاد وحرّض أمراء الجند كبيرهم وصغيرهم على نيّة^(٣) الغزاة والجهاد ، واستجابة للأمر الأعلى حضر إلى المعسكر العام للجيش كافة المقاتلين والضباط والقادة مع عدد كبير من الأتباع والأنصار وهم على أهبة الاستعداد ، وساروا - على هيئة يطوح لهيبتها الأسد القابض على الأرض بمخالبه والتسر المستولي على الأفاق بجناحيه - في ركاب السلطنة المعظم.

وحين وصلوا إلى حدود الأشهر وهي من معظمات بلاد الروم - كان الجواسيس قد أبلغوا لشكري بتحرك الرايات السلطانية فأرسل برسائل الاستغاثة إلى القبائل والعشائر وحكام البلاد والجزائر وجمع جيشا بعدد الرمل و النمل والمطر والحصى مما لا يعد ولا يحصى ، وتوجه لقتال جيش الاسلام بتعبئة كاملة. فهاج جند السلطان من هذه الناحية كالبحر المائج ، وكان السلطان قد وقف في القلب كالشمس المنيرة قد ليس لأمة الحرب كأنها الياقوت

(١) البيت للمعتني من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، راجع : شرح ديوان المعتني ،

لعبد الرحمن البرقوقي ط بيروت ، ٣ : ١١ .

(٢) سورة البقرة : ٦٢

(٣) الأوامر العلامية ، ص ١٠٥ : (برنيت) يعني بنية ، وفي الأصل : ترتيب ، وهو

تصحيح.

اليدخشى^(١) ، وعلق بساعده قوسا ذا بأس شديد كقلب الشباب وشدّ على وسطه سيفاً مرصعاً بالجواهر قاطعاً كأنه دموع العاشقين ، قد امتطى حصانا في قوة فيل بوسعه عبور النيل بوثبة ، يحدث ثغرة في السبع الشداد بقفزة واحدة ، ويقبم وقت الركض أرضاً أخرى في السماء بتراب حوافره .

٣٨ / وحين شاهد (السلطان) تطاول الرمح وتعدّى السهم ووقاحة الدرّع وسلاطة السيف وخشونة السنّان وملامة العمود الثقيل سلّ حسام الإباء لقطع الدعاوي وفصل الخصومات ، ووصل وسط المعركة إلى قلب العدو فرأى لشكري واقفاً ، فامتنع عن مهاجمته بالسيف ، وأمنك بستان مستقيم فأراه منذ الضربة الأولى وجه الطامة الكبرى ، وأطاح به من فوق ظهر الحصان إلى الأرض ، وقال مخاطباً له على سبيل الخطاب : أي كندوس^(٢) ، (يعني أيها الوغد) . وطلب عبيدُ الخاصّة السلطانية أن يفصلوا رأسه عن جسده ، فحال السلطان دون ذلك ، وأمر أن يضعوه فوق ظهر الحصان مرة أخرى ويطلقوه .

وحين علم جيش لشكري ما حل بالملك من مصيبة انهزموا ، وبحكم القدر انفصل كلُّ الحرّاس والمفاردة عن السلطان ، وشغلوا بسلب الأسلاب . وفجأة قابل فرنجي مغمور السلطان ، فلم يلتفت إليه باعتباره منصوراً بالحشم . ولم

(١) الياقوت اليدخشى : هو المنسوب إلى « بدخشان » بتاجيكستان الحالية ، وهو أجود أنواع البواقيت وأشدها حمرة .
(٢) كندوس : كذا ، والكلمة يونانية .

يستخدم السلاح لزجره ودفعه^(١) . فلما مرّ بالسلطان عطف عليه فجأة وبعث بروحه اللطيفة إلى الفردوس بضربة من حرته ، وجمع عدّته وسلاحه وملبوسه وقدم على لشكري مع كوكبة من جيش الروم الذي كانوا قد رجعوا منهزمين^(٢) . فلما رأى لشكري ذلك اللباس عرفه في الحال ، فسأله : من أين جئت بهذا الملبوس ؟ أجاب : سلّمت صاحبه لرضوان . قال لشكري : أيمنك الآن أن تتجه إلى ذلك المقتول وتأتيني بجثته قال : أستطيع . فأرسل بضعة أشخاص من شجعان الجند معه ليحملوا القالب المطهر للسلطان ، ويذهبوا به إلى لشكري . فلم رآه شرع في البكاء والعيول ، وأمر بسبب هذه الحالة بأن يسلخوا جلد الفرنجي وهو حي .

وحيث نما إلى علم الأمراء وقادة العسكر أن السلطان نال درجة الشهادة / ظلوا حيارى قد طار صوابهم ، وعدّوا الهزيمة غنيمّة ، وبدأ في جيش لشكري انتعاش وارتياش^(٣) ، فوقعوا في إثر المنهزمين من أهل الإسلام ، فهلك خلق كثير في تلك الملاحم بعضهم بالقتل وبعضهم الآخر بالفرق وجماعة بالخسف في الأوحال والمخاضات ، وأسروا جماعة من كبار الأمراء مثل آينه چاشنى كبير وغيره^(٤) ، وحملوه أسيرا إلى لشكري ، وحين وقع نظر آينه على جثة

(١) زيادة من الأوامر العلامية ، ص. ١١٠ .

(٢) الأوامر العلامية ، ص ١١٠ .

(٣) كذا في الأصل ، كلمتان عربيّتا الأصل ، وارتاش فلان يعني أصاب خيراً فرئى عليه أثر ذلك (المعجم الوسيط) .

(٤) زيادة من الأوامر العلامية ص. ١١٠ - ١١١ .

السلطان المباركة صرخ وصباح ، وأخذ يتمسح بتراب قدم السلطان . فأمر
لشكري بفلك قيوده ، وقدم له العزاء .

ومع أن السلطان كان قد نال درجة الشهادة فقد طيبوه بالمسك وماء الورد ،
ودفنوه في مقابر المسلمين برسم العارية ، ثم حملوه إلى « قونية » بعد انقشاع
غمام الواقعة وسلموه إلى رضوان في مقبرة آبائه وأجداده .



ذكر سلطنة السلطان عز الدين كيكائوس ابن كيخسرو والفتوح التي تحققت في أيامه

في سنة ٦٠٨ حين اختتم كتاب أجل السلطان بالشهادة ، وانطلق من سبيل الجهاد إلى عرصات المعاد ، وانخرط في سلك « أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم »^(١) اجتمع أركان إيوان التدبير وحفظة شرف التاج والسرير فقدحوا قذاح الاستخارة وزناد الاستشارة ؛ واستصوبوا أن يتم الاقتراع على اختيار أي من الملوك الثلاثة : « عز الدين كيكائوس » و« علاء الدين / كيقباد » و« جلال الدين كيغريدون » فيسلموا واحدا من هؤلاء الأمراء الملكيين الثلاثة تاج الملك وسدة الحكم . فأشار الأمير نصرة الدين [الحسن بن ابراهيم] ملك « مرعش » - وكان طومار ذكر « حاتم الطائي » قد طوي في عهد سخائه ، قد زين بعظمة « أفريدون »^(٢) و« جلال كسرى » - أشار إلى « عز الدين كيكائوس » - باعتباره أكبر الأولاد وأكرم ملوك ذوى الأوتاد .

فاتفقوا جميعاً على استحسان هذا الاختيار^(٣) وانصرفوا مسرعين من قونية إلى قيصريّة ، وجاءوا بالملك من ملطيّة إلى قيصريّة في خمسة أيام ، بل أقل . فخرج قادة البلاد وهم بملابس العزاء حتى « كدوك » لاستقباله ، وأدخلوه المدينة في أكمل أبهة ، وأجلسوه على العرش .

وبعد ثلاثة أيام خلع الخلع على الجميع وشرفهم بتقبيل يده ، وجدّ العهد

(١) الحديد : الآية ١٩ .

(٢) في الأصل : بفر فرزندى ، يعني بعظمة البتوة ، والتصحيح من أ . ع ص ١١٢ .
وأفريدون : من كبار ملوك الفرس القدماء .

(٣) قارن أ . ع ، ص ١١٣ .

وقرر المناصب .

وما إن عزموا على التوجه إلى العاصمة « قونية » حتى سمعوا فجأة بأن الملك
علاء الدين قد ولى وجهه شطر هذه الديار ، فبهتوا جميعاً ، وتملكهم الإحباط
واستبد بهم العجز .



ذكر محاصرة علاء الدين كيقباد

« عز الدين كيكاس » في قيصرية

حين سمع الملك علاء الدين كيقباد بخبر وفاة أبيه ، دعا إليه مغيث الدين طغرلشاه ملك « أرتزن الروم » - وكان عمه وبينهما صلة نسب - كما أرسل الرسل إلى « ليفون تكفور » واختار له « قيصرية » ، وسلك « ظهير الدين إيلي » بالوعود الجميلة في سلك مؤيديه ، واجتمع له من كل صوب جيش حاشد ، وأتجه صوب قيصرية ، وثبت لمحاصرة أخيه ، وانقضت مدة طويلة في تلك المحاصرة ، وهلك أمراء مشهورون من الجانبين / وتسرب العجز والاضطرار لأهل القلعة ، واستولى الملل على المزاج اللطيف للسلطان . ٤١

وبمقتضى ما كان قد جرى في السابق من عهود بين السلطان وظهر الدين [پروانه] ، وما أبداه من عناية بالغة في حقه ، وما كان يشهده من حال يخالف الآمال ، ويرى جفاء محل الوفاء ، كتب هذا « الدويست » - من إملاء قريخته الشعرية الموزونة - على ورقة الشكوى ، وأرسل بها في الخارج عند پروانه ، (شعر) :

أنا شمع ، ذهب جسدي بسرّ القلب

ما افتقر لغري ، ليلة ، إلا عن بكاء

پروانه الذي قال : ما أنا لك إلا رفوق الغار

حتى هو ، رضي بضرب عنقي

واستدعى [السلطان] « مبارز الدين جاولي چاشنگير » (١) - وهزين

(١) « الجاشنكيرية » وموضوعها التحدث في أمر السامط مع الأستادار ليعني المشرف على شؤون بيوت السلطان . ويقف على السامط ... إلخ « صبح الأعشى » : ٤ : (٢٦) .

الدين بشارة» أمير آخور^(١) «ومبارز الدين بهرامشاه» أمير المجلس ، وكانوا يلازمونه في «ملطية» - وقال : يترأى لي أن نفتح باب المدينة في منتصف الليل ، ونُدفع بكل قوتنا إلى الخارج مهاجمين ونلقي بأنفسنا إلى «قونية» ، فُدخل الصِّيد المنشود إلى الشباك بدعم من أمراء وعساكر «الأوج» .

وحين نما هذا الأمر إلى عِلْم جلال الدين قيصر ، وكان حاكم قيصرية وشحنها وكان موضع ثقة السلطان الشهيد وإعزازه لما كان يتمتع به من دهاء وذكاء شديدين ، أبدى تعلقة ، وذهب إلى حضرة السلطان حين أُقبل الليل ، وطلب الخلوة ، ثم قال : سمع الخادم أن مثل تلك الفكرة غير الصائبة قد عرضت بخاطر ملك العالم ، ويتعين ألا تعودوا لذكر مثل هذه الفكرة المفضية إلى انعدام الصِّلاح وفقدان الفلاح . وقد راودت خادمكم هذا فكرة لو تم تنفيذها لانحلت العقدة على النحو المطلوب . فسأل السلطان : وما هي الفكرة ؟ قال : لو أتمب السلطان نفسه واتجه إلى الحريم السلطاني / وأتى لي خفية بحلية ثعينة من حلي النساء لكي أضعها الليلة حيث يتيسر بها المطلوب .

فدخل السلطان الحريم ، وأخذ من أخته شُقة مما تضعه النسوة على رؤوسهن يقدر ثمنها بإثني عشر ألف دينار ذهبي . وأعطاهها لجلال الدين قيصر . فخرج من المدينة في جنح الليل ومعه أحد الغلمان ، وقال لحارس الباب : ترُقّب عودتي ، فإن سمعت صوتي افتح الباب . وانطلق إلى المعسكر الذي تعسكر فيه قوات ليفون ، بحكم ما كان بينهما من صداقة .

وحين بلغ طليعة جيش ليفون قال : أبلغوا نكور أن جلال الدين قيصر

(١) «إمارة آخورية» موضوعها التحدث على اصطبل السلطان وعيوله . (صحح الأعمش ، أيضا : ١٨) .

شحنة «قيصرية» يطلب الإذن باللقاء . فأبلغوه في الحال ، فقابله «تكور» وبالغ في تعظيمه . قال جلال الدين إن عندي لك أسراً دقيقاً جللاً ، أعرضه عليك إن خلا المكان . فأمر تكور بإخراج جملة الخدم من الخيام .

قال جلال الدين : معلوم لتكور أن لا شركة له بأي وجه من الوجوه . في ملك السلاجقة ، فلا يلزمه أن يتعب نفسه ، ويصبح شاباً كالمصيد يصيده غيره . فإذا كان الملك هو مغيث الدين^(١) ويطلب ملك أخيه ، ويريد الملك علاء الدين أن يحل محل أبيه ، فلست أدري ما شأن تكور ؟ . إن الخادم من فرط محبته للمصلحة يرى أن ينأى بنفسه عن هذه الورطة غير المقيدة ، ويعتمد إلى الحفاظ على ملكه وحكمه . ثم قدم له تلك الشقة المرصعة بالجواهر ، وقال : هذه ثمنها اثنا عشر ألف دينار مصري أقدمها لك فداء لكي تجعلنا آمنين من بأسك . فإذا ما ارتحل جيشك ، فإنني أتعهد إن استقر الملك / للسلطان عز الدين كيكافوس بأن يرسل اثني عشر ألف مد من الغلال بصفة مخزون احتياطي لقلاع الأرمن ، ويتعهد السلطان أن لا يلحق بملك تكور أذى بأي وجه من الوجوه طيلة مدة سلطنته طالما ظل تكور وقياً لعهوده، وأن تتدعم الصداقة بتجدد الأيام .

٤٣

وحين سمع «تكور» هذا الكلام ورأى تلك التحفة المرصعة بالجواهر قبل النصائح المعقولة ، وقال : إنما يطعمن بالي حين يذهب أحد الأمتاء عندي إلى السلطان فيحلف على ما قلت برمته ، ويكتب ميثاقاً . قال جلال الدين يتعين

(١) يراد به مغيث الدين طغر شاه بن قلاج ارسلان، عم السلطان عز الدين كيكافوس، وكان ملكاً لمنطقة «أبلستان» حتى سنة ٥٩٧، ثم تولى ملك «أرزن الروم» وغزل عنها لتواطئه مع عداء ادين كيقباد ضد السلطان عز الدين. وتوفي سنة ٦٢٢، انظر ما سلف، ص ٥، ٢٥، ٥٠ وانظر أيضاً : زامبارو : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، الترجمة العربية، طبع مصر، ١٩٥١م، ج ٢

أولاً على تكور أن يعهد عهداً ويكتب ميثاقاً^(٢) ويرسله على يد رسوله في صحبتي . ففعل تكور مثل ما قال . وولى جلال الدين وجهه صوب المدينة يرافقه رسول تكور .

فلما وصل إلى حضرة السلطان ، بشر السلطان بحصول المقصود ، وأذن السلطان لرسول تكور بتقبيل يده ، فقصر عليه ما جرى . فأخذ السلطان القلم بيده وخط بالخط الأشرف ميثاقاً ، وصرف الرسول في جنح الليل . ولما رأى تكور الوثيقة وأبلغه الرسول بمشافهات السلطان ، أمر قادة خدمه وحشمه بإعداد العدة للرحيل خفية دون ضجيج ، حتى إذا ما تجاوزوا حدود «دولو» عند الغسق وضعوا الأحمال على الإبل وانطلقوا بأجمعهم متصرفين ، وعند اتبلاج الصبح كانوا قد لحقوا بتخوم الأرمن .

وفي صباح اليوم نفسه أبلغ مغيث الدين طغرلشاه وعلاء الدين كيقباد أن معسكر تكور قد خلا من الخيام ، كدار ما بها آدم ، فذهب التفكير بكل واحد منهم مذهباً من هذا الحدث العجيب ، وخاف بعضهم بعضاً - كالذئاب - فتفرقوا أيدي سبأ بحيلة جلال الدين قيصر الثعلبية الماكرة . وظن الملك علاء الدين أن تلك الطوائف قد انفقت مع أخيه قلباً وقالبا وأنهم يريدون أن يزوجوا به فسي قيد عقبال أخيه أسيراً . وقال مغيث الدين : سوف يفتك بي إخوة [السلطان] بسبب ملك أرزن الروم^(٢) . وفي الليلة التالية سلك بدوره طريق الانهزام على مناكب الظلام .

٤٤

وارتفعت أصوات الطيول من المدينة برحيل خيل المحاصرين ، ولما لم تكن بالملك علاء الدين قدرة على المقاومة سلك طريق « أنكورية » واستولى عليها ، واستظهر بما تتمتع به من مناعة وحصانة .

(١) ناقص من الأصل ، والإكمال من أ. ع ، ص ١١٧ .

(٢) قارن أ. ع ، ص ١١٨ .

وأعطى السلطان عزّ الدين « الحجويية »^(١) لجلال الدين قيصر ، ووهب
المدن الواحدة تلو الأخرى لخدام من خواصّه : «نكيدة» لزين الدين بشارة ،
و«مطوية» لحسام الدين يوسف ، و«أبلستان» لمبارز الدين جاوولي .

وفارق «ظهير الدين إيلي پروانه» الملك علاء الدين ، ولحق بنكيدة ، فلم
يستطع البقاء فيها بسبب مضايقة الأوباش والسفلة ، ومن ثمّ لجأ إلى قلعة «لولو» ،
فلم يطق البقاء هناك أيضا ، فتوجه إلى الشام عن طريق «سيس» ، فلما وصل
إلى «تلباشر» اعتلت صحته ، ولم يلبث بعد بضعة أيام أن لفظ أنفاسه ،
فدفنوه هناك .

ثم إن زين الدين بشارة - أمير أخور - عزم على التوجه إلى نكيدة ،
واستعمال الأهالي والأعيان بفنون الإحسان ، وأرسل إلى ليقون رسلا ، وأبلغه
باستقرار أمر السلطنة للسلطان عزّ الدين . فأرسل ليقون الردّ مشفوعا بالهدايا .

وولى السلطان وجهه شطر «أقسرا» ، ومن هناك توجه إلى «قونية» ، وخرج
أعيان المدينة لاستقباله حتى منزل «أبروق» ، وأدخلوا السلطان المدينة بكل
إجلال وتكريم ، وأجلسوه على العرش ، وقدموا مائة ألف درهم وخمسة آلاف
دينار أحمر رسما لحقّ القديوم . وحلقوا جميعا على الولاء للسلطان ، فجدّد
السلطان لهم ما بيدهم من وثائق الأملاك ، والإقطاعات ، وأطلق سراح
المسجونين ، وارتقى القلعة الفارعة للمعالي بعد الفراغ من الأفكار .

(١) في الأصل : پروانكى ؛ ويرى الدكتور محمد جواد مشكور أن مفردتها : پروانه ،
يعادل منصب الصدر الأعظم . انظر : مقدمه بر أخبار سلاجقه روم ، صد وشصت
ويك . على أن الأصل الذي بين أيدينا ، و«الأوامر العائلية» لابن البيهقي بنسبان
الكلمة إلى «الحجويية» انظر ما وصفنا به «معين الدين سليمان پروانه» -
«ملك الحجاب» ، ص ٣٤٦ من هذا الكتاب ؛ وانظر في مهامّ منصب الحجويية:
صبح الأعشى : ٤ : ١٩ .

/ ذكر مكارم أخلاق

السلطان الغالب عز الدين كيكائوس

كان السلطان عز الدين امبراطوراً سخاؤه كقطر السحاب بلا حساب ،
 ودهاؤه - كطلعة المشتري - يتألق في قلب الليل البهيم ، قامته تحسدها أشجار
 السرو النامية على حافة الغدير ، وخدّه تغار منه محاسن طراز الربيع^(١) ، قومه
 كاستدارة حواجب الأحيّة مهلكة للروح ، وسهمه كدعاء المظلومين يعلو على
 الأفلاك ويتولد عنه الضرر ، عقله كدين الإسلام كامل ، وعدله كظل النعام
 على الخاصّ والعامّ هائل ، كان يعتقد أن إجزال العطاء على القريض من
 الفرائض ، وكان يبلغ في صلواته للشعراء أقصى الغايات ، بعثت إليه ابنة حسام
 الدين سالار من « الموصل » بقصيدة تشتمل على اثنتين وسبعين بيتاً فأنعم عليها
 بمائة دينار أحمر في مقابل كل بيت ، ورفع الصدر نظام الدين أحمد أرزنجاني
 من مرتبة الإنشاء إلى مرتبة عارض بلاد الروم بالقصيدة التي كان قد قالها في
 جواب « شمس طبرسي » وأنشدها في المحفل .

ليس لباس الفتوة من حضرة الخليفة الناصر لدين الله ، وشرب كأس المروءة
 من حانة « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »^(٢) .

حين بلغ خبر جلوسه على العرش سَمِعَ « لشكري » ففكر مع مستشاريه على
 أي وجه يبادر بهمراسلة السلطان عز الدين ، وكيف يمكن العذر عن ذلك الغدر
 - وإن لم يكن رضاه مقرونا به . قال بعضهم^(٣) إن مقتضى الحزم أن تطلق « آيته

(١) كذا في الأصل : طراز بهار ، وطراز كلمة فارسية معرّبة ، ومعناها الشكل ، الهيئة .

(٢) آل عمران - آية ٣١ .

(٣) قارن أ. ع. ، ص ١٢٩ .

جانسنى كبيره من وثاق الأسر ، وتصرفه بتحف مدهشة وهدايا منتقاة في صحبة
 رسلك - إلى عبودية بلاط السلطنة كني / يتوسط في رفع غبار الوحشة ورتق
 حرق العدا ، فما هو إلا من بطانة الدار وخواص العرش ، فكلمات اعتذاره - ولو
 كانت بدون عرض^(١) توشك أن تكون سهماً يصيب الغرض . ثم يجب بعد
 ذلك الاشتغال بجمع الرجال ونهيئة أسباب القتال . فإن انفتح طريق الصلح بهذه
 الوسائل فهو المراد ، أما إن دخلوا من طريق المشاحنة والمخاشنة ووضعوا أساس
 المحاربة نكون قد فرغنا من تناول الأسباب وأخذنا الأهية والاستعداد .

استصوب «فاسليوس» هذا الرأى وبعث هدايا لا نهاية لها من كل نوع في
 صحبة سفير كان موسوما في بلاد الروم بفصل الخطاب والكلمات العذاب ،
 وعدة استمالة جانب سيف الدين آينه - بكل ما يدخل في حد الإمكان - أمراً
 ضرورياً لازماً ، حتى صقل مرآة ضميره تماما من صدأ الدخّل^(٢) والتزم بإتعام
 مهام المصالحة ، وتوجه مع الرسل لحضرة السلطان .

وحين بلغوا حدود البلاد بادر الأمير سيف الدين في التوجه إلى البلاط قبل
 الآخرين ، ونال شرف تقبيل اليد ، وأعلن عن وصول الرسل وخلاصة الرسالة ،
 ومحا الغبار الذى كان قد علق بأطراف خاطر السلطان بكم رداء الاستعفاف ،
 وابتنى مراضى السلطنة في العفو عن جرائم الماضي ، فأقنع السلطان عن الضغن
 والانتقام ، وعزا مصيبة أبيه إلى القضاء والقدر ، وأمر بأن يؤذن للرسل في المشول
 بين يديه في مجلس عام . فأبلغوا الرسائل والمشافهات ، وعرضوا التحف
 والطرّف ، فاقتربت الرسائل بالمحمدة والرضا ، وأمر بالحفل والطرّب ، [ودعا

(١) عرض ، كذا في الأصل ، كلمة عربية ، والعرض المتاع .

(٢) في الأصل : دَخَلت ، والدخّل : المكر والخديعة .

الرسول فجيء بهم إلى مجلس الأنس^(١) .

وفي اليوم التالي سمح لهم بالمشول بين يدي السلطان في خلوة^(٢) ، فأقسموا له على رضا ملك الروم فأمر بأن يجهزوا من الخزانة أضعاف ما كان قد أرسله [فاسليوس] وكلف الأمير سيف الدين ثانية بتلك الرسالة كي يعود ويسلم المهتمات ويحضر طلل / السلطان الشهيد إلى العاصمة .

٤٧

فانصرف الأمير سيف الدين وبصحبته الرسل والتحف ، فلما اقتربوا خرج ملك الروم لاستقبالهم ، وبالغ في توقيير الأمير ، وأقسم - بموجب المسودة التي كانت قد أبيضت بحضرة السلطان .

وأعد في الكرة الأخرى أضعاف ما كان قد أرسله في المرة الأولى ، وأرسل عشرين ألف دينار صدقة يتم توزيعها عند دفن السلطان [الشهيد] ، كما بعث بجثة السلطان مع جند كثيرين إلى حدود بلاده . فعاد الأمير «سيف الدين آينه» والرسول والتحقوا بخدمة البلاط وعرضوا ما حدث ، فعمر الجانبان بوفور السرور والحبور .

وحين أتوا بجثة السلطان إلى قونية ودفنوه بجانب جده وأبيه وأخيه ، ذهب السلطان لزيارة السلاطين ، وضم ثلاثين ألفاً إلى ما كان ملك الروم قد أرسله ، ففرق بعضه هناك على المساكين ، وأرسل البعض الآخر إلى الزوايا والصوامع ، وأجرى الباقي في أطراف البلاد .



(١) زيادة من أ . ع ، ص ١٣١ .

(٢) في الأصل : تلقوا ثانية (بارتافتند) ، ولا يستقيم بها المعنى ، ولعلها : باريافتند ، أى أذن لهم بالمشول في حضرة السلطان .

ذكر توجه السلطان إلى أنكورية

ومحاصرة أخيه الملك علاء الدين

حين ظلت قرش الكرامة ميسومة زمناً على هذا النمط في إيوان سلطنة عز الدين كيكاوس ، وغدت المهجمات والمصالح مضبوطة ، جال بذهن السلطان : ما دام أخي في أنكورية متحصناً بذلك المكان المنيع للغاية ، فلن ننعم بالأمن الشامل والفراغ الأصلي ، ومن ثم ينبغي أن نعدّ اقتلاع جذور هذه الفتنة من أوجب الواجبات .

٤٨

ثم أصدر الأوامر إلى الأمراء وقادة الأطراف كي يشخصوا بجمع حاشد إلى العبودية ، وفي أيام قلائل حضر العساكر كافة إلى ضواحي قونية المحروسة . وما إن حصل للسلطان الفراغ من ترتيب أسباب المحاصرة ومعدّات القتال حتى توجهوا إلى حدود أنكورية بالطالع المسعود .

وحين بلغ ذلك الملك علاء الدين شغل بتقوية القلعة كما عني بأمر الجيش وتجديد عهد الولاء والوفاء مع أهالي المدينة . فلما بلغ السلطان أنكورية اصطف الجيش صفّاً صفّاً ، بهيبة تزيغ لها عيون أولي الأبصار ، فأحكموا الحصار على المدينة .

وخرج الأمير « مبارز الدين عيسى الجاندار »^(١) وإخوته من المدينة فوقفوا في الميدان ، وبسبب خصومة حدثت في المكتب لمبارز الدين في « سيواس » مع « نجم الدين بهرامشاه الجاندار » ظل كلاهما يسلك مع الآخر طريق المعاكسة والعداء ؛ فصاح مبارز الدين بأعلى صوته داعياً نجم الدين للمبارزة ، فطلب نجم الدين

(١) « إمرة جاندار : وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ... إلخ » (صبح الأعشى ٤ : ٢٠) .

بهرامشاه الإذن من حضرة السلطان عز الدين ودخل الميدان . فانخرط كلاهما على الفور في القتال بالحرا ب كأنهما أسد وفهد ، فزاد ما تكسّر من رماحهما عن تفريق العصي وشتيت الحصي ، ولم يصب أي من الغريمين بخدش - ولو خطأ - من هذا الطعان .

فما كان منهما إلا أن مدّا أيديهما إلى علوة السرج ، وانتزع كل منهما دَبُوساً ، فمعجزا عن ذلك أيضاً ، فلما لم يظهر القاهر من المقهور والغالب من المغلوب أرادا امتشاق السيوف من أعمادها ليقصلا في الدعوى بحدّ الحسام ، فهو البرهان القاطع . فأمر الملك علاء الدين من داخل المدينة بأن ينادى على مبارز الدين ، فلما بلغ نداء النقباء سمعه رجع ، كما ذهب بهرامشاه إلى حضرة السلطان ، فأعرب السلطان عن إعجابِه / بشيآت قدمه ، وخلع عليه . ٤٩

وظلّت الاشتباكات قائمة على هذا النمط بين الطرفين كل يوم من أوائل الربيع حتى أوائل ربيع السنة التالية ، ووضع السلطان مقابل المدينة أساس مدرسة على أمل أن يوقف عليها أوقافاً ويغدق على فقهاها إن تيسر له الظفر ، وإن ظل الأمر على ما هو عليه أمر بإقامة مبنى المدرسة . فلما استخلص أنكورية وفي بالمعهد والنذر وأوقف عليها . ولَمّا وصلت النوبة لعلاء الدين أصدر أمراً بهدم القبة وإبطال الأوقاف ، لكن أطلال تلك المدرسة لا تزال باقية .

لنرجع إلى ما كنّا فيه . أقام كل أمير بيتا ، وقضوا ذلك الشئ . وحين وصلت راية ملك الكواكب السبّارة إلى نقطة الاعتدال الربيعي ، وامتلأت ستائر الأبواب بريح الصبّا ، وتجلّت عرائس الرّياض ، تجاوز ضيق المحاصرين وقلة المؤن والمحاصيل الحدّ ، فأخذ سكان المدينة والمحاصرون بالقهر يتجرّعون السمّ من ساقى الدّهر ، فشرعوا في قرع باب الصّلح برضا الملك علاء الدين .

وأرسلوا رسولا إلى الأمير سيف الدين آينه طالبين الأمان ، فجاء الأمير سيف الدين بالرسول لتقبيل يد السلطان ، ولما عرض الرسول المشافهات والمراسلات واستغاثة أهل المدينة وما كانوا قد قدموه من شفاعة بشأن الملك علاء الدين ، بدت أسارير السرور في الجبين المبارك للسلطان ، واستدعى الأمراء الكبار مثل ملك الأمراء حسام أمير جويان وملك الأمراء سيف الدين أمير قزل - وكانا من كبار أعوان المملكة - فأقسم السلطان في حضورهم بأغلظ الأيمان ألا يلحق بالملك / علاء الدين أي ضرر - بأى وجه كان - من قبله ، أو من قبل رعايا دولته ، وأن يصرف - خالي البال - لبعض القلاع التي للسلطان ثقة بها ، وألا يدخلوا عليه بالعدّة الضرورية من ملبوس ومفروش ومطعم وزوجة ، وألا يأخذ السلطان أهل المدينة بالمقاومة التي أبدوها . وتم توقيع العهود بعد ذكر الحلف باليمين المبارك للسلطان ، وسلمت للرسول .

وحين وصل الرسول إلى المدينة ، وأذاع الأمر ، طلب أهل المدينة أعلام السلطان ، ودعوا إليهم بالأمير سيف الدين آينه ، فدخل الأمير سيف الدين المدينة - بأمر حضرة السلطان - بصحبة جنود لابسين ملابس القتال ومعهم أعلام سلطان الدهر وراياته ، ورفع العلم بكل إجلال على قلعة القلعة ، واستمال أهالي المدينة صغيرا كان أو كبيرا . ونقلوا الملك علاء الدين من قصر السلطنة إلى بيت بعض المجنّسين ، واختاروا الموكلين .

وبعد ذلك صحب الأمير سيف الدين الأعيان والكبار إلى البلاط ، فنالوا شرف تقبيل اليد ، واعتذروا بلسان الاستغفار ، ثم دخلوا المدينة مع الأمير سيف الدين ، وأعدّوا الأموال والأمتعة التي سيجعلونها نثارا على موكب السلطان [عند دخوله المدينة] .

ثم دخل السلطان المدينة بالفعال السعيد ، وجلس على العرش ، وأسعد^(١) طبقات الناس بأنواع الاصطناع . ثم عهدوا بالملك علاء الدين إلى سيف الدين آينه ، فأخذه إلى ملطية المحروسة ، وحبسه بقلعة «منشار»^(٢) ، ورتب الرواتب ووظائف بيت الثياب والمطبخ والشرابخانة ، وأخذ من الأمراء والقادة حجة بأنه قد سلم الملك إليهم بسلام ، ثم عاد . ورجع السلطان إلى العاصمة .



(١) قارن أ . ع ص ١٣٩ .

(٢) يشير «ابن واصل» في كتابه «مفرج الكروب» - في أحداث سنة ٦١٠ - (٣) : (٢١٩) إلى ظفر السلطان عز الدين كيكائوس بأخيه علاء الدين كيقباد ، ويضيف أن عز الدين هم بقتل أخيه لولا شفاعته بعض الناس فيه ، فعفا عنه وتركه محبوباً . ويعقب «ابن واصل» على هذه الواقعة بقوله : «وهذه رذيلة كانت في البيت السلجوقي .. فإن البيت السلجوقي كان إذا ظفر واحد منهم بأخيه أو ابن عمه أعدمه ، وأحسن أحواله أن يعتقله حتى يموت» .

ذکر عصیان سکان أنطالية

وفتح ذلك الثغر مرة ثانية على يد ممالك السلطنة

بعد مدة حمل خيالٌ وبَطْرُ الرَّاحَةِ وأَشْرُ النِّعْمَةِ كَفَّارُ أنطالية على أن يضربوا كأس العهد والميثاق بحجر التمرّد والعصيان ، فأخرجوا رؤوسهم - كيهود خبير - من ريقه الطاعة وأقدامهم من دائرة الاستقامة ، ونفروا من رعاية حقوق دولة السلطنة فلبسوا السلاح ، وفي جوف الليل - وبسبب ما وقع من لبس - كبس كل جماعة منهم حاكما من الحكام ، وجعلوا الشّريف والوضيع والكبير والرّضيع جرحى وقتلى لسيف الانتقام . وشغلوا حتى استولى الفلق على الغسق بإجراء الدّماء أنهاراً من أبدان الحكام صوب البحر ، فما حلّ الصّباح إلا وكانت أرواح الشّهداء قد وجدت الأنس برياض القدس .

وبعد ثلاثة أيام بلغ الخبر مسامع السلطان ، فظهر تغيير عظيم في باطنه المبارك ، ووقع في الحال الأوامر باستدعاء واستحضار العساكر والأمرأ ، وأرسلها بيد الرّسل المسرعين إلى كافة الممالك ، فلا غرو أن حلت بصحارى قونية أعداد رجال كحبات الرّمان ، ونصب الذّهليز المبارك بصحراء «روزبه» بنية فتح أنطالية بغال اليمن وطالع السعد ، وساروا في اليوم التالي .

أما الرّوم من أهل أنطالية فقد تحقّق فيهم عند ذلك قول الحق تعالى : ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾^(١) ، فتوسّلوا - بسبب الاضطراب والاحتنة - بملوك الفرخ ، فسارعوا بشحن بضعة سفن بالمخاربين وأرسلوها لمدهم ، فلما شاهد الفجرة من فوق السور ما أتاهم من مدد فوق سطح البحر / دقّوا طبول البشائر وتغنّوا بلحن السعادة بالوتر السفلي لورود أولئك الذين هم حطب جهنّم ،

(١) يونس، آية ٥٤ .

وأدخلوهم القلعة بالحفاوة البالغة والإعزاز التام ، فشغل أولئك المناحيس بتدبير
عدة القتال ، فركبوا المغانيق من داخل المدينة .

وحين وقعت ظلال المظلة السلطانية على تلك الأطلال أمر في التوَّبان
يحيط الجند بتلك الخطة كما يحيط قطر الدائرة بالنقطة ، فزحفوا مع حملة
السهم زحفا ارتعدت منه عظام دي وبهمن^(١) ، ولم يستطع أحد منهم أن يظهر
وجهه لأحد من السور خوفا من ذلك الزحف .

وفي اليوم التالي حين وصلت أسلحة الحصار ومعداته ووصل المشاة ، أمر
فأمسكوا المنازل بالليل وصنعوا السلالم وهبأوا المتجنيق للعمل . فلم يكن لأولئك
الملاعين من حيلة إلا إلقاء الحجارة ، إذ لم يكن يوسعهم أن يتحركوا فوق السور
خشية أن يصابوا بالجراح من سنان السهام . ولما طالت مدة [المقارعة]^(٢) أمر
السلطان بإعداد سلالم عريضة يمكن لعشرة من المشاة أن يرتقوها دفعة واحدة ،
وأن يصعد شجعان الجند فوق السور فيفصلون في أصل هذا النزاع بحكم الحسام
القاطع .

فعدوا امتثال الأمر لازما ، وأعدوا السلالم على نفس المتوال ، وعينوا
الجماعة التي تحمل السلالم تحت السور ، والطائفة التي تصعده ، والفوج الذي
يرمي بالسهم .

وفي اليوم التالي سار الجيش بأسلحته ، أما عقاب مظلة المتمكن في الأرض
فقد بسط أجنحته ، وتحركت الرؤية المنصورة ، وطلب السلطان أبطال الحشم ،

(١) دي وبهمن : الشهران العاشر والحادي عشر من السنة الهجرية الشمسية الفارسية
ودي أول شهر الشتاء ويمادل شهري ديسمبر / يناير من السنة .

(٢) إضافة من أ . ع ، ص ١٤٤ .

وبذل لهم الوعود الجميلة حتى حملوا بأسرهم حملة كعزرائيل ، فأجروا من
العيون التضاحة في عروق الكفار أنهارا صوب البحر . / وجرى قول الحق جلّ
وعلا ﴿ تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيرا ﴾^(١) مجرى التداول . ونصبوا
السلالم ، وصعد الشجعان بالذنبوس الثقيل والسلاح الخفيف عشرة عشرة من
كل برج كالشمس التي امتشقت الحسام ، فقتلوا الفرنجية الذين كانوا على
السور ، ونزلوا وفتحوا البوابة ، فدخلت العساكر ، وتجاوز تدفق الدماء الحد ،
وعدوا الإبقاء والعطف على الصغير والكبير من المخطورات ، وغنموا أموال أولئك
الكفرة وعيالهم حيث أخذوهم رقيقاً .

وفي اليوم التالي دخل السلطان المدينة ، وجلس على عرش المملكة ، فقيّد
الصقر المسيطر على الفضاء بقيد الصيّد ثانية ، وأمر بإقامة الاحتفالات العامة ،
وخصّ الأمراء والقادة ورؤساء العشائر والبواسل من العساكر المنصورة ، فجعلهم
بنالون الحظوة بمكارم وعواطف غير محصورة .

واستمر الاحتفال بعد انتهاء القتال سبعة أيام ، ثم ألقى نظرة على سائر
البيوتات ، فما كان فيها معدوما جعله موجودا ، وما كان قليلا أحاله كثيرا ،
وبلغ بحدّ النقصان غاية الكمال ، وبادر بترميم السور وزاد من ارتفاعه وسدّ كل
ثلمة فيه . وعهد من جديد بقيادة الجيش للأمير مبارز الدين أرتقش كي يستميل
القلوب بحكم اطلاعه على أحوال السواحل ، ويعيد المتمردين والمشرّدين إلى
الماء والأرض . فضمّ أموال الخونة وأملاكهم إلى ديوان الخاص ، وسجلها في
دفاتر الديوان الأعلى ، وأضاف بعضها إلى الإقطاعات .

وولى السلطان وجهه صوب قونية ، وكتب رسائل الفتح والظفر لأطراف
العالم ، وأرسل من تلك الغنائم تحفا لا حصر لها إلى ملوك الأطراف . .

(١) الطور : الآياتان ٩ ، ١٠ .

ذكر تحرك السلطان نحو سينوب وفتحها في عهده المبارك

حين أطلَّ وجه الربيع من وراء نقاب السحاب المضمخ بالكافور وسط فراشو^(١) الطبيعة بساطا متعدّد الألوان على وجه الجبال والصحاري «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزانت»^(٢) ، خطر للسلطان أن يتوجه إلى «سيواس» ، فوجّه عنان من يزدان به العالم إلى تلك الناحية .

وبينما كان السلطان جالسا ذات يوم في محفل ملكي وصل فجأة رسل من محافظي ثغور «سينوب» وسلّموا رسالة مختومة لحضرة السلطان بأن «كبير الكس» تكور «جانيت» قد بالغ في الجنابة ، وتوغّل في ممالك السلطان ، وأحدث الكثير من التخريب والدّمار . ورغم أن السلطان قد استبد به الانفعال بسماع ذلك الخير ، فقد تجنّب إظهار انفعاله كي لا يفسد متعة الرّفاق .

وفي اليوم التالي دعا بالأمرء وفتحهم في الأمر ، فأبعدوا النجعة بأسرهم في بيداء الغضب وغيضة الغيظ ، وقالوا : لو أذن لنا سلطان العالم فإن نحنجر ممالك السلطنة المتعطّش لدماء الخيشاء يروى من مقسم المفرق في رأس ذلك الحقيير ، ويصبح ما زرع بيلاده حصيدا لمنجل القهر الذي تمسك به الجنود المنصورة .

فسأل السلطان بعض من كانوا قد رأوا «سينوب» ، فأجابوا بأنه لا يمكن أخذها بالحرب ، اللهم إلا إذا حوصرت زمنا طويلا حتى يلحق بأهلها الملل لقلّة المؤن ونفاد الزّاد ، وألا يصل إليهم مدد من البر أو البحر ، فعند ذاك وبهذه الوسيلة

(١) في الأصل : فراشان : أي الفراشون ، وه الفراش : من يتولى أمر الفراش وخدمته .
إلخ ، اختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، انظر المعجم الوسيط .

(٢) يونس : الآية ٢٤ .

يمكن أن يتاح فتح المدينة . فالرأى أن يبادر الجيش بالهجوم عليها ، فيأخذون عيالهم رقيقا ، ويخربون ضواحيها وأطرافها كلية ، ويتعاملون معهم على هذا النحو سنوات .

فاستقرت / آراء الأمراء في حضرة السلطان على هذا كله .

٥٥

وفي اليوم التالي توجهوا إلى «سينوب» بعدد كبير وعدة وافرة . فأخبر الجواسيس أن «كبير الكس» يجول بثلك الديار - في غير حيطه ولا حنر- في رحلة للصيد وبصحته خمسمائة فارس . وحين سمع القادة هذا الخبر أسرعوا كالرهم في المسير ، وفجأة التقوا به في مكان الصيد ، وأمسكوا بتلابيب روحه - كموت الفجاءة - في موضع أنسه ومجلس سلوته^(١) . ورغم أنه حمل على القادة بضع حملات ، فإنهم جاءوا به في النهاية مقيدا وأسيرا إلى مضارب خيام العساكر المنتصرة ، أما جنوده فقد قتل بعضهم وجاء الباقون «مقرنين في الأصفاد» إلى بيت السلاح الخاص ، واختير لهم موكلون يتمتعون بالبقظة والانتباه . ثم أرسلوا في التو واللحظة رسولا وأبلغوا الماسع السلطانية بالنصر الرباني والفتح الفجائي .

وما إن علم السلطان بالرسالة حتى رفع أعلام الفرح رفعا تجاوزت به ذروة العيوق ومنزل الشعري^(٢) ، وأمر ببذل أقصى الاهتمام للمحافظة على ذلك المخدول المجدول^(٣) ، لأن موكب السلطان سوف يتجشم التوجه إلى تلك الناحية

(١) قارن أ . ع ، ص ١٤٨ .

(٢) العيوق نجم أحمر مضيء في طرف الهجرة الأيمن ، والشعري كوكب يطلع في الجزء في شدة الحر .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل المراد بالمجدول ، من أحكم وثاقه .

على الأثر ، ويمكن عرض ما يقتضيه الرأي وتستدعيه المصلحة
على الأمراء^(١) .

وفي اليوم التالي توجه السلطان نحو «سينوب» ، فلما لحق بتلك الحدود
استقبل جميع العساكر الرابيات السلطانية وقد لبسوا السلاح ، وقيلوا أرض
العبودية من بعيد . وحين نزل السلطان بخيمته المباركة أمر بإحضار «كيرالكس»
مقيد الأقدام . فلما اقترب من العرش قبل الأرض بذلة وضراعة ، فعني السلطان
- لفرط مروءته - بالتودد إليه ، وقال : لا ينبغي أن تتعب خاطرنا ، فما دامت
سلامة الذات حاصلة غدت شاملة للمرادات . وجلس لحظة ثم أذن بأن يذهب
بالأوثاق إلى الوثاق .

وفي اليوم التالي أمر السلطان بأن يركب جميع الجند وهو يليسون لأمة
الحرب / فيلتقوا حول القلعة التي تقوم منها على اليابسة . ٥٦

وأرسل إلى «كيرالكس» قائلا : مادام موكبنا السلطاني قد لحق بهذه الحدود
فإن العودة دون حصول المقصود أمر محال ، فيجب أن يرسل شخصا من أهله إلى
المدينة لكي يقدم النصيح للمحصورين .

فاختار تكور شخصا من الأمراء الكبار كان مقيدا في سلك باقي الأمراء ،
فكفوا قيوده بأمر السلطان ، وحملوه إلى تكور ، فأرسل تكور برسالة على لسانه
بأن يسلموا المدينة .

فأطال أولئك المدايير اللسان بالهذيان ، وقالوا إن كان «كيرالكس» قد أمر
فإن له أبناء لائقين ، منقبم واحدا منهم ملكا ، ولن نسلم هذه البلاد

(١) قارن أ . ع ، ص ١٤٩ .

للمسلمين . فأمر السلطان بإرسال الرسول مرة ثانية من باب إلزامهم الحجّة ، فلم يكن لذلك بدور جدى .

وفي اليوم التالي أمر بأن يطوفوا بتكور وهو مقيد بقيود ثقيلة حول حدود المدينة وبأخذوا في تعذيبه فيما أن يسلموا المدينة أو يقضى على « كبير الكس » . فأخذ الجبلادون في تعذيبه ، وارتفعت صرخاته وأخذ ينوح قائلاً : أبها الكفرة ، لأجل من تبقون على المدينة وهم سيقتلونني وسيأخذونكم أسرى مقيدين بالقهر والقسر ، فما جدوى المقاومة ؟

« فكان تأثيره فيهم كتأثير الرّخاء في الصّخرة الصّماء » .

وظلّ الأمر على هذا النحو طيلة النهار إلى أن حلّ الليل .

وفي اليوم التالي أمر السلطان بتعليق « كبير الكس » مقلوباً وشرعوا في عصره حتى فقد الوعي كالصّريع . فلما رأى أهل المدينة أن أمر الملك قد تجاوز الحدّ صاحوا مطالبين بعودة رسول تكور إلى المدينة ، « فعندنا كلام نقوله » . وحين دخل الرسول المدينة قالوا : لو أقسم السلطان ألا يقتل « تكور » وسمح له بالذهاب سنأنا إلى ولايته ، وأعطانا الأمان لأرواحنا / وأهلنا وأموالنا وأطفالنا وسمح بأن نذهب حيث نريد ، فإننا نسلم المدينة .

٥٧

فأقسم السلطان على ذلك كلّه في حضور « تكور » والرسول ، ولما حمل الرسول الموائيق إلى المدينة سكن أهلها واطمأنّوا ، وطلبوا عمّ السلطان ، وحمل جماعة من أهل تكور وفوج من الحشم المنصور سنجق^(١) السلطان - بكلّ إجلال - إلى المدينة يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦١١ ، ونصبوه على السور .

(١) مفرد سنجق ، والسنجق « رايات صفر صفار » (صحیح الأعشى ، ص ٤ : ٨) .

وفي اليوم التالي صدر الأمر الأعلى فركب الجند ووقفوا في مقابل المدينة صفًا صفًا ، وخرج أعيان المدينة وكبرائها بصحبة الأمراء - الذين كانوا قد ذهبوا في الليل - وقبلوا الأرض ، ورأوا تكور في خدمة ركاب السلطنة واقفاً على الأقدام ، فسلموا مفاتيح المدينة إلى ممالك السلطان بحضور تكور . واستمال السلطان بعضهم فألبسهم الخلع^(١) ، ثم عادوا وأعدوا النشار ، ودخل السلطان المدينة وفق الاختيار^(٢) ، وجلس على العرش ، وأقيمت الاحتفالات . وترك السلطان تكور واقفا مدة على سبيل التعظيم ، ثم أمره فجلس في مكان أعلى من سائر أمراء الدولة ، وبالغ في تكريمه والتمكين له ، وأمضى طيلة النهار وشطرا من الليل في السرور والسعادة .

وفي اليوم التالي استدعى «تكور» قبل المسير ، وطلب منه العهد والميثاق فنطق تكور بالقسم وفقا للمسودة التي كان قد خطها حرس^(٣) الديوان ، وهي : بما أن السلطان يؤمن حياتي أنا «كبير الكس» ويقرر لي ولأولادي ملك جانيت (خارج سينوب) ومضافاتها فعلياً أن أسند كل سنة عشرة آلاف دينار ، وخمسمائة حصان ، وألفي بقرة ، وعشرة آلاف حصان وخمسة / أحمال من أنواع التحف ، وأنتي لن أضنّ بتزويده بالجند - بقدر ما يتسع له الإمكان - وقت طلب المدد . وقد شهد على ذلك كلّه أمثال الطرفين من قائم وقاعد .

وحين أودعوا وثيقة القسم بالخزانة قدّم السلطان تشريفة نفيسة لتكور ، وأمره بأن يحتفظ بصهوة جواده ، وكان تكور رجلاً طويلاً نحيف البدن ، فبمجرد أن

(١) قارن أ . ع ، ص ١٥٢ .

(٢) يعني وفق اختيار المنجّمين المصاحبين للسلطان ، قارن أ . ع ، ص ١٥٢ .

(٣) في الأصل ، وأ . ع ١٥٢ : نوطاران ، ومعناها حراس ، ونظار ، وخبراء المزارع . وواضح أن الكلمة مأخوذة من العربية : ناملور . راجع : لغت نامه دهخدا .

وضع السلطان قدمه في الركاب أخذ الغاشية^(١) من الركابي ووضعها على كتفه ومشى ، فلما سار مدة أمره السلطان بأن يعطي الغاشية للركابي ، ويركب هو الحصان . وظلا يسيران في الطريق جنباً إلى جنب يتجاذبان أطراف الحديث .

سار السلطان ساعة على أطراف السواحل ، ثم عطف العنان صوب المدينة وطلب الخوان وزين الحفل . وبذل الكثير من الإعزاز لتكوير حين أثر فيه الخمر ، وأذن له بأن يحمل معه كل من يريد من أهله ومن يتصلون به ، وأن يسلك الطريق نحو إقليمه [دون مائع أو منازع]^(٢) .

وبعد الوداع ركب سفينة وأبحر صوب «جانيت» .

ثم إن السلطان أصدر أمراً بأن يتم اختيار سيّد من كفاة الأغنياء ويبعث به إلى «سينوب» ، ويشتري ملكه وعقاره - برضاه - من ديوان الخاص السلطاني ، ويعطى قيمة ذلك كله .

وبموجب هذا الحكم بعث إلى سينوب بسادة أعيان من نواحي البلاد .

ثم إن النواب دعوا جميع الفارين وأعادوهم إلى الماء واليابسة ، وحولوا الكنيسة إلى مسجد جامع ، ونصبوا الخطيب والمنبر والمؤذن ، وعيّنوا حارس القلعة والمحافظين ، وبادروا بترميم ثغرات السور ، وسمي أحد الأمراء قائدا للجيش ، وجعل بصحبته جيش مهيب للدفاع عن ذلك الثغر .

(١) الغاشية : وهي غاشية سرج من أديم مخروطية بالذهب .. تحمل بين يديه (يعني السلطان) عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها أحد الركابدارية، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا (صبح الأعشى ٤ : ٧) .
(٢) إضافة من أ . ع ، ص ١٥٤ .

١ / وما لبث أن توجه من هناك إلى «سيواس» ، فتيَسَّر للأمراء عند ذاك الإذن بالعودة إلى الأوطان .

ذكر إرسال السلطان للشيخ مجد الدين إسحاق

إلى دار السلام لإعلان فتح سينوب

وفي أثناء ذلك كان قد نما إلى السمع الأشرف أن الملك الأشرف^(١) قد اقتنص باسم حضرة الخليفة جمعة بحرّية من الأجواء العليا إلى حضيض القضاء بينادق القوس ، (وكما هي العادة المعمودة لأرباب هذه الحرفة سطرّوا مكتوباً مشحوناً بشهادة شهود عدول)^(٢) وأرسل [مع الطائر] إلى حضرة الخليفة مع تحف وفيرة في صحبة رسول . فما كان من الخلافة إلا أن زوّدت الملك الأشرف بوذّ متواصل وعناية متواترة .

وحين تيسَّر للسلطان فتح «سينوب» بعث الشيخ العالم قدوة الآفاق مجد الدين إسحاق وقد زوّده بالأحمال والتحف من الجواهر والبسط المنسوجة بخيوط الذهب ، والحرير الأطلسي المعدني والصلبان الذهبية المرصعة ، وأواني الفضة ، لإبلاغ الخير المبارك بذلك الفتح الجسيم الذي قرّت به أعين السلطنة وتقررت به أمور الإسلام ، وطلب سرّوَال الفتوة .

فلما وصل الشيخ مجد الدين إلى مقرّ الخلافة وعاصمة الإمامة بالغ الخليفة في إكرام مقدمه ، وأرسل معه حين أذن له بالانصراف سرّوَال العصمة والطهارة ،

(١) يعني به الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، وكان في ذلك الوقت «صاحب ديار الجزيرة كلها ، إلا القليل ، وصاحب خلاط وبلادها» (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبع بيروت ١٩٦٦ م ، ١٢ : ٣٣٧ ، ٣٥٢ .

(٢) إضافة من أ . ع ، ص ١٥٥ .

ومنزr المروءة من البدن المطهّر المكرم لأمير المؤمنين ، وكتاب الفتوة^(١) مع العمامة الميلاء كالعمامة^(٢) السوداء والدراعة مشفوعا بالمقرعة ومنشور السلطنة بالتوصية بإقامة حدود الشريعة بالمملكة ، وخمسة بغال سريعة السير منغلة بتعال النضار مع الطوق والأجام ، وخمسة من الخيول العربية المبرقة يرافق من أطلس أسود محيط بالذهب ، وعشر من الإبل الحجازية ، وغير ذلك من أصناف الألفاف وأنواع الأنعام . فزادت مسرة السلطان بتلك التشريفات وما كان من حسن الالتفات ، وتفاخر بها وتباهى على الفلك .



(١) نقل ابن البيبي نسخة الكتاب في الأوامر العلانية ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

(٢) أشار الأستاذ هوتسما ، محقق الكتاب إلى أن النص هنا مضطرب غاية الاضطراب .

حين قفل السلطان راجعاً بالسعادة والحبور من فتح «سينوب» ، وصلت جيوش الشتاء ، فتمرغت الشمس في تراب المذلة كأنها رزق أرباب الفضيلة ، ولبست الجَوْشَن - كمعادة القمر - من خوف سنان الزمهرير تحت درع ثبَت الغَدْر^(١) . فجلس السلطان كأنه كسرى الإقليم الرابع على فراش وثير محاط بالوسائد من جهات أربع ، ووضع مثلث البخور على مدخنة السرور ، وأمضى الشتاء كله على هذا التَّمَط يرطل يستوعب عشرة أمنان^(٢) ، وبحسنا من أرض الخُنَّ^(٣) . فلما حملت شمس المشرق عدَّة العمل وارتخلت من قصر المشتري صوب شرفة برج الحمل ، عزم السلطان على التوجَّه إلى قيصرية المحروسة . وأخذ بأمر خواصَّ الأمراء والمقرَّبين للبلاط الأعلى بتمهيد قواعد العدل طيلة أيام الحياة . ومضى أمر القضاء صادرا بأن يسير أمراء الأطراف بجميع العساكر إلى منطقة الرعي في «بنلو» ولحقَّ الأمراء الكبار بالبلاط ، ووفقا للأمر تجمَّع كافة القادة وعامة الأبطال بعدتهم الكاملة في مراعي بنلو ، وسارع أمراء الخلوة بأصناف الهدايا إلى حضرة السلطنة .

وفي تلك الأثناء عاد محصلو خراج «سيس» وقد جأروا بالشكوى من ليفون تكور . فنبضت عروق الحمية والنخوة في السلطان عند سماعه لهذه النبوَّة ، واستدعى الأمراء الغائبين ، وعرض القضية ، فقالوا جميعا بلسان واحد إنَّ عرك

(١) درع ثبَت الغدر : أي يثبت في القتال (انظر المعجم الوسيط) ، وفي الأصل : زره غدِير : درع الغدير .

(٢) المن : معيار قديم كان يكال به أو يوزن ... إلخ (المعجم الوسيط) .

(٣) الخُنَّ : الاسم القديم لتركستان الشرقية .

أذن عديم الأدب هنا من أوجب المهام ، ولكن يتغلغل التدخّل في هذا الموسم في ولاية لفرط الحرارة / فإن أذن السلطان أتخذ الجيش المنصور من ريف «بنلو» ورياضها مغنى إلى أن يحين الخريف ، وتسمن الدواب ، حتى إذا همدت سورة الهاجرة في كل مكان تمّ التحرك بيمين التأييد الرباني وجلال الدولة السلطانية بأكبر ما يمكن من حشود ، فيتم تأديبه الذي يعدّ من الضرورات .

فقرن السلطان ذلك الرأي بالرّضا . وحين حلّ أول الخريف : (شعر) :

- نثرت الرياح المسك والقرنفل بدل التراب ، ظهر اللؤلؤ والزبرجد بدل فاكهة الغصون .

تحركت العساكر المنصورة ، وسارعت - كمسارعة الوثني صوب الصنم - إلى البلاط الأعلى ، وجاءت المظلة الملكية من طريق وادي «كوشي» إلى «كوكري» ، فكان المعسكر هناك .

وحين وصل الخبر إلى تكور بأن السلطان قد عزم على التوجّه إلى ولاية «سيس» ، اضطرب اضطراب الزئبق ، وشرب الغصص على تقصيره في الخدمة ، ورأى نفسه بسبب تلك الحادثة متورّطاً في مهلكة الضلال ومتخبطاً في مسبعة الأجال ، ولم يجد مجالاً للمشورة في مضيق تلك الداهية ، فاضطرّ إلى جمع جيش من كل ناحية ، واتّجه للحرب «كالباحث عن حتفه بظلفه» .



ذكر محاصرة قلعة جنجن وفتحها على يد ممالك السلطان

٦٢ حين لحق موكب السلطان بجيش ضاقت به الجبال والصحاري / بقلعة - جنجن - ولم يكن لليقون معقل أكثر منعة منها - بدا للسلطان أن يجعل من هاتين القلعتين فاشحة [ومقدّمة النصر]. فأمر بتصب المجانيق فززلوا حال المقيمين في القلعة من صوت القصف المزمجر ، وظلت ثلاثة أيام متواصلة تمطر أرواحهم العاجزة بحصيات الموت . فاستغاثوا طالبين الأمان من فرط العجز ، وطلبوا ثلاثة أيام مهلة ، فإن لم يصل مدد من جهة تكور بانقضاء الأيام المعدودة سلموا القلعة .

فلما وصل الرسول إلى تكور أجاب قائلاً: إنما أنا عاجز في أمر نفسي ولا طاقة لي على تدارككم . وحين سمع أهل القلعة ذلك الجواب طلبوا الأمان في الروح والأهل والمال والعيال . ووفقا للمتمسهم صدر الأمر كتابة بأن يرفعوا العلم على القلعة ، ويصعد نواب الديوان ، فأحضروا احتياطات البيوت لمن أسلحة وذخائر وسائر المعدات^(١) ، ونصبوا قائدا للقلعة وحرّاساً .

ثم إن السلطان توجه صوب قلعة « كاجنجن » فتلقاه أهلها بالمدافعة والممانعة ، فأمر السلطان بتشغيل المجانيق ، فأوقعوا في القلعة الخلل وفي أمر الكفار الزلل ، وأعدوا السّلام ، وباشروا الحرب السلطانية ، ووفقا لحكم أعتاب السلطنة قاموا بزحف عظيم وصعدوا نحو القلعة محذقين بها من كل صوب ، ولم يكن رماة السّهام من الخارج يتيحون الفرصة لأهل القلعة لإلقاء نظرة على الجيش ، وألقى البواسل أنفسهم في موجة واحدة من الهجوم بداخل القلعة ، (وما أكثر ما جرى

(١) إضافة من أ. ع ، ص ١٦٤ .

٦٣ الأوداج^(١) . ثم فتحوا باب القلعة فدخل بقية العساكر ، وحلوا بالمتحصنين في القلعة الكثير من التكال بالغاارة والنهب والسبي والقتل .

ولما فرغوا من تلك المهمة صعد نواب الذبوان إلى القلعة ، وأخذوا في تسجيل الذخائر والأسلحة ، ونصبوا قائد القلعة والرجال لحفظها ، ثم التفتوا لمعركة «ليفون» الملعون . وكان هو نفسه قد جاء للقتال وقد اعتراه التردد وساورة الخوف .

وقبل طلوع الصبح الصادق ذهب أمير المجلس مع رجل أو اثنين من خواصه متكرين قرب عساكر الكافر ، كي يطلع الأمير على كيفية حال طلائع ليفون . وكان أمير المجلس عندئذ هو أمير طلائع [السلطان] وتحت قيادته ثلاثة آلاف من الفرسان المشهورين . وفجأة حاصروهم الكفار وقضوا على خيولهم برمي السهام ، فمشوا إلى نل للاحتماء به وأخذوا يدفعون أذى الكفار بالسهام والسيوف والحرا ب .

ولما طلعت الشمس ، توجه أمراء الطلائع لخدمة أمير المجلس ، فما رأوه في مقامه المعلوم ، وبعد أن اتضح الأمر أتجهوا نحو معسكر نكور ، ومن بين العسكر الخاص بأمر المجلس ركب مائة فارس وكانوا جميعا من الأبطال المغاوير ، وكان يدخل بهم في معركة ضد ألف رجل ، وكان يمدق عليهم الإقطاعات والإطلاقات ، فصعد هؤلاء بخيولهم على جبل كان مشرفا على جيش الكافر ،

(١) كذا في الأصل ، ولا وجود لما بين قوسين في الأوامر العلامية ص ١٦٥ ويبدو أن صاحب التلخيص قد أضاف هذه الفقرة من عنده .

وفجأة رأوا شخصا قد ارتقي تلاً وقد أحاط به الكفار من كل جانب فألقوا جميعاً بأعنة خيولهم دفعة واحدة ، وعمدوا إلى نشتيت الكفار الذين كانوا قد أحاطوا به وتبديدهم ، وسحبوا حصانا وأركبوا أمير المجلس ، فلما لحق بجنده رآهم قد اصطقوا للقتال .

٦٤ ولما كان قد اطلع على مزاج حال الكفار/ خاطب السلطان قائلاً : لقد وقف المملوك وقوفاً كاملاً على قوة الجيش الأرمني وشوكته ، فليأمر سلطان العالم بأن تتجه القوات - التي قد ركبت بالفعل - للقتال على هذه الهيئة . فصدر أمر حضرة السلطنة .

فانقلبوا جميعاً في الحال صائحين كالرعد ، وعمّ الهياج البحر . واصطفّت كل فرقة في صحراء التزال كجبل حديدي وبحر نارى ، ووجهوا وجوههم - وكلّ منهم يرغى ويزيد - إلى الخصوم كأنهم الحظّ المشعوم . وجاء ليفون بدوره - وبما كان قد أجراه من حشد وتعبئة - بالفرسان والمشاة بمحاذاة الكماة من جنود السلطان . ودعا «ليفون» البارون «فاسيل» والبارون «أوشين» و «كندصطيل» إلى التقدّم بعد أن كانوا خلف الفرسان وأمام المشاة .

وفي الهجوم الأول ، أطاح أمير المجلس بكند صطيل - وكان مشهوراً بالشجاعة والصرامة - على الأرض بطلعة من رمح ، وأمر الأمير بوضع قيد في رقبته وسلّمه لأحد الفرسان قائلاً له : اذهب عند السلطان وقل إنني أوقعت به . وفعل مع البارون أوشين ، ونوشين الفعل نفسه واللعبة المتقدمة ذاتها ، وسلّم هذين الشخصين بدورهما إلى التين من الفرسان فحملوهما إلى حضرة السلطان في قلب الجيش ، فأمر بخلعة ثمينة للفرسان الثلاثة .

وفي النهاية أمسك النحس المصاحب لإخفار العهد بتلايب آمالهم ، فسلكوا طريق الهزيمة : ﴿ وَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَلَّمَعُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

حسم أمير المجلس الأمر بثلاثة آلاف فارس ، ولم تعد هناك حاجة إلى [تحرك] (٢) بقية الجيش . فقرأ أمير المجلس قول الحق تعالى ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ (٣) وعاد إلى حضرة السلطان ، فرجع السلطان منزله عن كافة الأمراء ، ونجّل ما كان يلبسه وألبسه له .

٦٥ / حظي الجيش تلك الليلة بالراحة من تعب الحرب ، وعناء الطعن والضرب ، وعند الفجر تحرك الجيش كله - كأنه ريب المنون - في الجبل والصحراء لطلب ليفون ، وأخذوا يركضون يمينا ويسارا ، وما عشروا على أحد إلا جعلوه قتيلاً أو أسيراً للقيود والتتكيل . واستمرت الغارة في ولاية الأرمن على هذا النحو أسبوعاً . وفي اليوم الثامن قفلت العساكر راجعة من أطراف ولاية الأرمن بالكثير من الغنائم ومن بينها الخيول والبيغال والأسرى ، وعلم أن ليفون قد لحق ببعض الحصون .

وبعد أن صار الجيش منصوراً والعدو مقهوراً وانخالف محصوراً اتجه السلطان بالجيش إلى الممالك المحروسة بغنائم ليس يوسع ظهر الأرض حملها ، حتى بلغ ثمن رأس الماشية في «قيصرية» درهمين ، وثمن خمسة أو ستة من الأغنام درهما واحداً ، على حين بلغ ثمن الغلام والجارية الأرمنية البهيّة الطلعة خمسين . وبحصول المراد أذن السلطان للأمراء والأجناد بالانصراف ، وأقام بنفسه في قيصرية .

(١) الأنعام ، الآية ٤٥ .

(٢) قارن أ . ع ، ١٦٧ .

(٣) الأحزاب ، الآية ٢٥ .

ذكر وصول رسل ليفون بالتضرع والاستعطاف وتضعيف

الخراج والتصل من التمادي الذي أجز في الخدمة

حين قفل السلطان راجعاً إلى الممالك المحروسة خرج ليفون من مهره ، وتشاور مع بقايا الخواص في تدارك تلك الرزية ، فلم يجدوا جميعاً من وسيلة سوى طريق إظهار التذلل . فجهز هدايا من كل نوع وسبها في صحبة الكفأ ، وكان مضمون رسالته : «إذا كان المعرضون قد نقلوا عني سوءاً إلى مسامع ملك العالم فما أنذا قد نلت جزائي ، فالأمراء صرعى والملك قد أدبر والجيش بأسره قد تبدد بالقتل . والمتوقع - لما عرف به السلطان من مرحمة سابقة - أن يتجاوز عن ذنبي ويصفح عنه . / (والحقيقة أن السلطان كان سينزع عني «ولاية سيس» ويعطيها لآخر ، فما أنا إلا مملوك وابن مملوك ، وأنا بعد هذا أضع حلقة العبودية في أذني^(١) ، وأضاعف الخراج ، وأبعث كل عام - بخلاف المعهود- بخمسمائة فارس بكامل عدتهم لكي يوجههم السلطان حيث شاء) .

٦٦

وتشفع [تكورا] بعدد من الأمراء الكبار لقضاء هذه المهمة ، حتى توسطوا جميعاً - بالاتفاق - لدى عتبة العرش الأعلى ، وأزالوا ما علق بالخاطر الأشرف للسلطان العادل من غبار الوحشة . وتقرر أن يرسل إلى الخزانة العامرة كل سنة عشرون ألف دينار يرسم الخراج ، مع التحف والأحمال التي تكون لائقة بذلك ، وأن يؤدي ما بقي عليه من خراج العام الماضي . وألا يهمل بعد اليوم في أي أمر من أمور الولاء مهما دق وصغر .

ورققاً لهذه الشروط أقره السلطان على ملك «سيس» ، وحلف الأيمان ،

(١) قرن أ . ع ١٦٧ .

واختار الصّاحب ضياء الدين قرا أرسلان - وكان في ذلك الوقت أمير الدّواة - للإجابة على ليفون وتخصيل بقايا الخراج ، وبعث معه بمنشور مجدّد ملكك تلك المملكة . وحين علم «ليفون» بقدومه استقبله بنفسه وأنزله بقصره ، وبلغ الغاية القصوى في إكرام جانبه . وفي اليوم التالي قرئ أمر السلطان مع منشور تقرير المملكة على رؤوس الأشهاد ، ووضع ليفون جبينه على الأرض وأخذ في الدّعاء ، ونثر الكثير من الأموال .

وفي اليوم التالي كتب الصّاحب ضياء الدين المسوّدة لكي يُقسم تكور على ذلك كلّه ويوقع على الوثيقة . وأرسل إلى الخزانة العشرة آلاف دينار الباقية وعشرة آلاف لسته أشهر تالية كتقدمة من خراج المستقبل ، مع تحف أخرى .

٦٧ وحين / وصل ضياء الدين إلى «قيصرية» وعرض بقية الخراج والهدايا والتحف والمواثيق التي بعث بها تكور ، بالغ السلطان في الإحسان إلى الرّسول ، وأطلق سراح الأمراء المحبوسين ، وبعث بالفرايين إلى أطراف الممالك بأن أسباب النزاع قد زالت منذ اليوم ، فافتحوا الطرق أمام التجار والمتردّدين ولا تلحقوا أذى بأيّ مخلوق . ثم سرح الرّسل وهم يشعرون بمسرة بالغة .



ذكر تزوج السلطان بكريمة من ذريات الملك

فخر الدين بهرامشاه بن داود ملك أرزنجان

لما كان السلطان قد التزم بانتهاج الأوامر الإلهية والامتثال للأحكام النبوية في كل آرائه وهزائمه ، فإنه كان يريد - بحكم النص - «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» أن يزدان حريمه الكريمة بوجود جوهرة تتألق في الليل البهيم قد ربيت في صدف العصمة ، حسية الأبوين ، كريمة الطرفين ، وأن يجلسها إلى جانبه على سدة السلطنة بهذه الصفة الموزونة المتناسبة ، فأجال يريد الفكر حول أطراف الدنيا ، ولم يجد أسرة أشد احتراماً وجلالاً من أسرة الملك فخر الدين بهرامشاه ، لأن تلك الصدف المشتملة على درة الغواص وبتيمة الدهر كانت قد استخرجت من «عمان» الفضل والإحسان^(١) والأصلاب الطاهرة والأنساب الزاهرة للسلطان قلع أرسلان ، وانبعثت من جرثومة سلجوق^(٢)

ولما لم يجد بعد طول الاستخارة وبمن الاستشارة فوق هذا الاختيار مزيداً ، رتب الأفانين من الهدايا الثمينة والتحف النفيسة الضئيلة من الخزانة العامرة ، وندب واحداً من أولي الألباب للمفاخرة في هذه الخطبة^(٣) ، وأرسل تلك الأحمال والهدايا في صحبته .

فلما وصل الخبر للملك [فخر الدين] ابتهج واستقبل الرسول بنفسه ، وأنزله بالإعزاز والتكريم في بيت الضيافة ، وعقد المبالغة في احترام جانبه من

(١) استخدم المؤلف «عمان» بمعنى البحر الذي تُستخرج منه اللؤلؤ والدرر .

(٢) سلجوق : الجد الأعلى للسلاجقة .

(٣) قارن أ . ع ، ص ١٧٣ .

٦٨ أوجب الواجبات / . وفي اليوم التالي دعا الحاشية لاجتماع عام ، وأحضر الرسول . فأعطاه الرسول رسالة السلطان بعد أن قبلها ، وأبلغ المشافهات ، وأوضح المتتمسات ، وسلم الهدايا مشفوعة ببيان تفصيلي لها إلى الخزان .

فصاح الملك على ملاء من الناس قائلاً : بأي لسان يمكن شكر مثل هذه الموهبة . فلئن كنت قد تلقيت أمراً بأن تنتظم ابنتي في زمرة السراري والجواري لكان ذلك مدعاة لفخر أعقابي وخلفي من بعدي فكيف وقد منّ عليّ بمثل هذا الفضل ، قبلت على الرأس والعين ، ولكن لو أذنتم لي في مهلة قدرها ثلاثة أشهر لتشيخة ما نتمّ به الواجبات ، وتجهيز ما يليق بالبنات لكان ذلك مقرونا بالصواب .

وحمل الملك الرسول بأنواع الجوائز ، وكتب بخطه رسالة جوابية مشتملة على الانقياد والامتثال وتقلد المنّة ، وبعث بها في صحبة الرسول . ثم عمد إلى تجهيز الواجبات وإعدادها ، وأحضر كلّ صانع حاذق وصانع فائق ، واستمرّ العمل ليلاً ونهاراً مدة ثلاثة أشهر . وهذب وربّ الأكاليل المجوهرة والخلاخل المعنبرة والخواتيم والمعاصم الثمينة والملبوسات الفاخرة المرصعة بفتون الجواهر ، والبغال ذات النعال الذهبية ، وخبولاً مسيرها كمسير ربح الصبا ، وبخاني^(١) في ضخامة الجبال ، في قافلة مملوءة^(٢) بما لا يشمله الحصر من الأحمال والنقود والمتاع .

وسير [الملك فخر الدين] الصّدر القاضي شرف الدين - وكان من أكابر

(١) جمع بخني ، وهو الجمل الخراساني ، ذو السنامين .

(٢) في الأصل : ير : على ، والتصحيح من أ . ع ، ص ١٧٥ .

العلماء - بتحف وفيرة للإبلاغ بأن أسباب الصّلاح^(١) وإبرام عقد النكاح قد تهيأت . فلما وصل إلى «سيواس» بذل مبارز الدين بهرامشاه أمير المجلس أنواع المكارم تكريماً لقدمه الكريم ، وتوجّه في صحبته إلى حضرة السلطان ، وتقديم إلى «كدوك» ، وعرض الأمر ، فأرسل السلطان أركان الدولة لاستقبال القاضي شرف الدين ، ودخلوا المدينة في أبهة كاملة وجلال بالغ .

٦٩ وفي اليوم التالي حين مثل القاضي بين يدي السلطان ، رأي من الإكرام/ ما ليس له حدّ ، وسأله السلطان وبالغ في السؤال عن حال الملك فخر الدين ، فتحدّث القاضي شرف الدين -بعبارة كانت عين البراعة - فحمد الله - تعالى - ومدح السلطان ثم أبلغ بحال الملك ، ودعا له ، وأشبع الأسماع بتفاصيل الحكايات ، وعرض الودائع والتحف ، التي قرنت بالقبول والشكر . ومن هناك نزل القاضي بكل إعزاز في «الوثاق»^(٢) ، ثم تتابعت عليه أفضال السلطان وكراماته .

وفي اليوم التالي جاء قضاء الأمصار والأئمة الكبار - وكانوا قد تجمعوا لهذه المهمة - إلى قصر السلطان . وكان السلطان قد أمر بقطع نقدية من الذهب فئة الألف ، والخمسمائة ، والمائتين ، والمائة ، والخمسين مثقالاً فعمّمت في سكارج السكر ، ووضعت في أطباق من ذهب وفضة ، كما أمر بأن تُسلأ البركة [الزرقاء]^(٣) المعنبرة بالزهر والمعرّقة بالمرجان [والتي تتوسط الإيوان]^(٣) بماء الورد

(١) في الأصل : تجاح ، والأوفق ما ورد في أ.ع ، الموضوع السابق ذكره .

(٢) لعله يريد بالوثاق مكاناً بداخل القصر ، لا يدخله إلا من كان مؤتمناً موثقاً به . أو هو البيت أو الدار على وجه العموم ، انظر مثلاً فيما سبق ، ص ٢٠ .

(٣) زيادة من أ.ع ، ص ١٧٦ .

بدلاً من الماء، فبدت البركة كأنها سماء اتخذت لنفسها في جوف الأرض منزلاً. فوضع أمام كل إنسان طبق يناسب منزلته ويلائم رتبته، وحضر الوكلاء والشهود من الطرفين.

وكان القاضي صدر الدين لهاوري - الذي تولى عقد النكاح - قد بدأ بالخطبة التي كان أمير المؤمنين المأمون قد قرأها في زواج بعض أقاربه، على سبيل الإيجاز والتبرك، فالتفت صوب خدم الحرم، وقال: (١)

«المحمود هو الله، والمصطفى رسول الله، وخير ما عمل به كتاب الله، قال الله تعالى: وأنكحوا الأيامى... الآية. ولو لم تكن من الصلوة آية منزلة ولا سنة متبعة إلا ما جعله الله في ذلك من إلف البعيد وبر القريب لسارع إليه الموفق المصيب وينادر نحوه العاقل اللبيب، والسلطان الغالب عز الدين أبو الفتح كيكائوس ٧٠ ابن كيخسرو بن قلع أرسلان من قدا عرفتموه في نسب لم تجهلوه، خطب إليكم فتانكم «سلجوقي خاتون بنت الملك فخر الدين بهرامشاه بن داود»، وبذل من الصداق مائة ألف دينار حمراً، خمسين معجلاً وخمسين مؤجلاً، فشفعوا شافعنا (٢)، وأنكحوا خاطبنا، وقلولوا خيراً تحمدوا وتؤجروا بحمد الله رب العالمين، وصلواته على محمد وآله أجمعين».

فقالوا: «قلنا الخاطب، وبذلنا المخطوبة، لا زالت سحايب الأفضال عليهما مصوبة» (٣).

فلما تم إبرام عقدة القعد، واستحكم حبل المواصلة بلغت صبيحة بالرقاء

(١) الخطبة كلها واردة في الأصل بالعربية.

(٢) في الأصل شافعياً.

(٣) قارن أ. ع ص ١٧٧.

والبنين أعلى عليين . وأخذ الذهب والجوهر يتساقط كالمنطر بغير حدٍّ ولا حصر
في الصُّفَّة وفي ساحة القصر كما تنتشر زهور الربيع هنا وهناك بتحريك نسيم
السُّحر لأوراق الورد النديَّة .

ووضعت مائدة العنصرة السلطانية ودعي إليها العامة [قعد كل إنسان يده
للتناول والتجاذب والتخاطف ، ونال بذلك نصيبه مما حفلت به الضيافة السلطانية
من مكنوز وملبوس ومأكل ومشروب]^(١) ، ثم انفرط عقد الشهود كحبات
العقد فتفرَّقوا ، بحكم الآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾^(٢) ، وذهب
القاضي شرف الدين إلى مكان إقامته ، فأرسل السلطان في إثره ذهباً وخلعة
وبغلاً مطهَّماً .

وفي اليوم التالي أمر أمناء الخزانة بإعداد الأمتعة التي سيحملها معهم من
يذهبون لاستدعاء اليهودج ، الذي عهد السلطان بأمر إحضاره إلى الأمير مبارز
الدين بهرامشاه ، وأمر زوجات الأمراء بالانطلاق إلى «أرزنجان» المحروسة لخدمة
الملكة [وبأن يعدن في صحبتها]^(٣) .

فلما تمَّ الإعداد للأمر ارتحل أمير المجلس والقاضي شرف الدين ومسائر
الخواتين ، وما إن لحقوا بحدود «أرزنجان» حتى تقدَّم القاضي ، وأخبر بوجود
جيش حاشد في صحبة أمير المجلس والخواتين الشَّهيرات ، فرتب الملك لكل
إنسان نزلًا على قدر مكانته ، وخرج في صحبة وصيغات القصر ورجاله ، ومعه
٧١ أعيان أمراءه / وخواصه . فلما اقترب أمير المجلس من المدينة سار الملك لاستقباله

(١) زيادة من أ. ع. ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) الأحزاب . الآية ٥٣ .

(٣) زيادة من أ. ع. ص ١٧٨ .

بالأعلام والبيرق والطبول . ولما تلاقى الجمعان ووقع نظر أمير المجلس على بيرق الملك ترجل . وحين رأى الملك طلعة أمير المجلس نزل بنفسه وتمانقا ثم ركبا بعد الملائمة والمعانقة . وأبلغ أمير المجلس سلام سلطان الإسلام ، وهنا وضع الملك رأسه على الأرض وقال : ما أنا إلا مملوك لملك العالم .

واستمر الحديث بينهما على هذا النحو حتى لحقا بالمدينة ، وأنزل الملك أمير المجلس وأمراء السلطان بقصره ، وبسط المائدة الملكية ، ثم أقاموا حفلا ، وأداروا الكؤوس الثقيلة .

وفي اليوم التالي ، أرسل أمير المجلس الأمتعة والأموال والخزائن التي كان السلطان قد بعث بها مع قائمة مفصلة إلى حضرة الملك ، والذي أثنى ثناء جزيلاً على علو همة السلطان ، وغمر الحملين بالإنعام . وظل الطرفان طيلة عشرة أيام مستغرقين في المتعة والسرور حتى تم الإعداد للرحيل . وحين فرغوا من إعداد العدة أرسل الملك ثلاثمائة خلعة مختلفة المستوى من الأعلى والأوسط والأدنى وثلاثمائة ألف درهم مع خيول مطهّمة إلى أمير المجلس لكي يتولى توزيعها على الأمراء والخدم والحشم .

ثم إنهم نقلوا الأموال وخزائن الجهاز مع اليهودج المعظم من المدينة ليلاً . وفي الفجر دقوا طبول الرحيل وانصرفوا . فلما وصلوا إلى منطقة أرمكسوه تقدم أمير المجلس ومثل بين يدي السلطان ، وعرض الأحوال فأمر السلطان بأن تزين المدينة ، فزينوا بيوتات قصر السلطنة بأنواع الزينة ، وأعدوا عدة الاحتفالات والمسرات ، وخرج من حضر من زوجات الأمراء لاستقبال اليهودج .

٧٢ ولما مضى جزء من الليل دخل سائر النسوة من الطرفين المدينة في خدمة اليهودج العالي ، ودخلوا مخدع السلطان وأجلسوا الملكة على منصة الكرامة

والسعادة . وتوجه السلطان بتودة إلى مخدع العروس ، فدخلت الخواتين - وقد
توردت منهن الوجوه واحتجبن بالحجرات ، ووضع شمس السلاطين مع قمر
الخواتين القدم على العرش ، وركعت وصيفات الملكة ركعة الأدب فخلعن
الحذاء من قدم السلطان ، ووقعن فجأة على كثر ثمين في ذلك الحذاء . وخلع
السلطان قلنسوته ، وفكّ الحزام الملكي ، وبحكم رخصة الشريعة فضّ الختم
اللطيف عن تلك الصحيفة الشريفة .

وفي اليوم التالي ، سار متبخثرا صوب الديوان بعد الاستحمام وشغل طيلة
أسبوع بشرب المدام وإكرام الأمراء الكرام . ثم أرسل خمسمائة خلعة وسبعمائة
ألف سكة ومائة من الخيول ومائة من البغال المطهّمة ، ومائتين من الخيول
والبغال المزينة مع أطقم الملابس المنوعة في صحبة أمير المجلس إلى القاضي شرف
الدين ، فقام بدوره بتوزيعها على الأمراء كلّ بقدر مرتبته . ثم مثلوا جميعا أمام
السلطان وقد لبسوا الخلع ، وقبّلوا اليد ، وحينذاك حصلوا على الإذن
بالانصراف .



ذكر تحرك السلطان قاصدا الشام^(١)

حين انتقل الملك الظاهر - ملك حلب - إلى جوار الحق تعالى ، كان ابنه - الملك العزيز - قريب العهد من مفارقة المهدي ، قاضطراً أمراً تلك الدولة لمبايعته ، وأجلسوه مكان أبيه ، فصارت أمه ، وكانت أخت الملك الأشرف حاكمة البلاد ، فنبض في السلطان / عرق المطالبة بملك حلب - حيث كان في حوزة أعمامه من قبل - وقال لأعاضم مملكته : يبدو لنا أن الوهن قد ظهر الآن في ملك الملك الظاهر فصار من يتصدى لملك تلك الديار طفل وامرأة ، فلو أننا قصدنا ولاية الشام بحشد كبير قبل أن يكونوا جيشاً ويدبروا أمراً فإن بيرقنا سوف يرفرف - بعون الحق - على شرفات تلك الديار ، وتظهر الفسحة في رقعة البلاد .

قال الأمراء : جيلت طبيعة الملوك على دفع الأعداء وفتح البلاد ، ولكن طالما أن السلطان أنعم علينا - نحن المماليك - برتبة الاستشارة ، فلن يدخل علينا بالاستماع لمقالتنا ، فلئن كان ذلك الولد - برغم صغر سنه - قد أصبح عزيزاً في ديار أبيه فإن آباءه وأجداده طالما أعربوا عن محبتهم لهذه الأسرة [السلجوقية] ، ولطالما أرسلوا الأحمال والتحف مثلما أرسلوا العساكر وقت طلب المدد . والآن وقد بقي يتيما فلو أن أحداً قصده بسوء لاستعان بهذه الدولة وطلب العون من هنا . فكيف إذا أرسل ملوك الأطراف يعززون ويهتثون وأكثروا المثل القاتل - صداقة الآباء قرابة الأبناء^(٢) ، ثم جرى من جانبكم شحذ منجل القهر والبأس ليحصد بلاد ذلك الحلف ، لن يقع ذلك موقع القبول عند كبار الملوك والسلاطين وعظماء الزمان .

(١) انظر ما كتبه ابن الأثير عن هذا الموضوع في: الكامل في التاريخ ، ٣٥٠-٣٤٧: ١٢ .

(٢) في مجمع الأمثال للميداني (صديق الوالد عم الولد) . ج ١ ص ٤١٨ ط مطبعة السنة الحمديّة بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٤ .

قال السلطان بعد طول تفكير : لا شك أن رعاية جانب الملوك من أوجب الواجبات ، ولكن إن ارتدي أحد السلاطين سلاح الاقتدار وأسرج حصان الغلبة والسيطرة فإن عليه أن يتنكب طريق التصافي :

٧٤ / إذا هم ألقى بين عينيه عزيمةً ونكب عن ذكر العواقب جانباً (١)

ولا يخفى على الرأي الرزين لكل إنسان ما تعنيه مقولة : « لا أرحام بين الملوك » . فإن كان ملوك اللذيار قد أرسلوا معززين ومهتئين ، فما أظهروا الشهامة والطيبة إلا بسبب عجزهم ، ومن ثم لا ينبغي أن نجعل تلك المروءة المفتعلة عنواناً لسجل يتم فيه تدوين ما لا يفيد ولا يجدي .

وأصدر السلطان أمراً للأمير نصرة الدين صاحب «مرعش» بأن موكب السلطان سيصل إلى تلك الحدود مصحوباً بالجنود والجيوش ، فيتعين عليه إذن إعداد جيشه القديم ومن يلوذ به من أهله وذويه ، وأن يكون جيشاً - بقدر ما يستطيع - من المشاة والفرسان ، ويجهز آلة الحصار . كما أصدر أمراً آخر بنفس المعنى لأمرأى ملطية وسيواس ، وأمراً إلى أمرأى «الأوج» بدعوة العساكر المعهودة وأن يتحركوا على الفور دون تلكؤ أو تباطؤ ، وأمراً إلى الأمرأى والقادة الذين كانوا في مصيف «بنلوه» لكي يتوجهوا بكامل هيئتهم إلى صحراء «آبلستان» .

وفي ظرف عشرين يوماً تجتمع من أطراف الممالك من الجنود والحشود ما تجاوز حد الحصر . فانطلق السلطان مع كوكبة من الخواص صوب آبلستان ، فلما وصلها أمر بإقامة احتفال عام واستمال أمرأى العساكر ، فرشع لكل مدينة من بلاد الشام أميراً .

(١) بيت لسعد بن نمش ، انظر الحماسة (طبعة فرانك) ص ٢٢ .

وفي اليوم التالي قال السلطان بعد أن أحضرهم جميعا واستشارهم : في أي طريق ينبغي أن نسير ؟ قالوا ليس هناك أسهل من طريق «مرزبان» و «رعبان» و «تباشرة» ، فالمسافة من هناك إلى «حلب» أغلبها صحراء لونا درا ما يعترض الطريق جبل^(١) . فانتقلت القوات نحو ذلك الطريق ، ووصلوا أولا إلى قلعة «مرزبان» ، فاستخلصوها في ثلاثة أيام ، وفي تلك الأيام لحق الأمير نصرة الدين صاحب «مرعش» بجيش كثيف بالسلطان ، فأمره بالاتجاه من هناك صوب قلعة «رعبان» ، فتيسر أمر السيطرة عليها بدورها ، وفوض أمر حراستها لصهر الأمير نصرة الدين ، واتجه من ثم إلى قلعة تباشرة ، فحاصرها عشرة أيام ، فلم يكن لذلك أي أثر ، فأمر السلطان بقطع الأشجار وبساتين الكروم المحيطة بالقلعة ببيلطة القهر ، واستئصالها . فلما شهد أهل القلعة ذلك المنظر تجمعوا عند ملكها وقالوا : ما معاشنا إلا من ثمار تلك الأشجار ، فإن قطع جيش الروم ما لنا من كروم ببيلطة القهر فممن أين ندير رزقنا ؟ ومن ثم يجب على الملك أن يلتمس لنا العذر إن نحن سلعنا القلعة الآن .

فطلب الملك مهلة وأرسل رسولا إلى السلطان قائلا : إن أساس انتعاشي أنا وأتباعي إنما هو من هذه القلعة ، فإذا ما انتزعها عبيد السلطان مني فلست أدري من أين تتيسر البلعة ويحصل الصوت ، فلو أن السلطان أقطعني من الممالك المحروسة إقطاعا واستولى على هذه القلعة بدلا عن تلك القسوة^(٢) ، وجعل أهل القلعة بمأمن من ضرر العساكر المنصورة^(٣) سلعنا القلعة لمالك دولة السلطنة .

(١) زيادة من أ . ع ، ص ١٨٦ .

(٢) قارن أ . ع ص ١٨٨ ، والنص هنا مضطرب غابة الاضطراب .

(٣) زيادة من أ . ع ، أيضا .

فأمر السلطان بأن يكتب منشور بمنحه ولاية «هوني» إقطاعاً . ووقع بقلمه عهداً ، فعاد الرسول ، ورفعوا البيروق ، وقرئت الخطبة باسم السلطان ، ومنح السلطان قيادة حامية القلعة لأخي الأمير نصره الدين .

ولما تمّ الفراغ من أمر القلعة ناهى إلى المسمع الشريفة أن «ظهر الدين إيلي» يسوانه ، حين أنشاح بوجهه عن ولائه للسلطان سارع إلى هذه الديار ف قضى بها نحيه ، وهو مدفون هنا . فأمر السلطان بالبحث عن مدفنه ، وأخرجت عظام رفاهه فأحرقته ، وأذري ترابها في الهواء ، وبذلك تحقّق له التشفي .



وقوف والدة الملك العزيز

على مقدم السلطان لتملك ديار الشام

حين بلغت رابات السلطنة «أبلستان» ، أفضى الجواسيس الذين كانوا بالمعسكر ما جرى من أحوال للملكة وجمال الدين لولو - الحاكم ونائب الملكة - فذهلوا بما سمعوا ، وبعثوا الرسل بالهدايا الوفيرة إلى الملك الأشرف أخي الملكة ، وبيتوا أن سلطان الروم يادر بالهجوم بجيش في عدد النجوم على تخوم بلادنا ، وإنه لو حدث وبسط سيطرته على هذه البلاد فلن تأمن منه على حياتك. ولئن كان قد علق بالخاطر الأشرف غبار من جانب الملك الظاهر قبل هذا فالواجب إزالته بماء الرحمة والشفقة عملا بقول القائل «عند الشدائد تذهب الأحقاد» .

فلما بلغت القضية الملك الأشرف صادفت هذه الكلمات المعقولة قبولا عنده ، فجمع جيشا كبيرا ولحق بحلب ، فلما رأى شقيقته قال : ما للملوك من مال ينبغي أن يوجه لثل هذا اليوم ، ولئن كان يُصرف القليل مما أذخر على مدى مائة سنة في سبيل الدفاع ، فليبدل ذلك كله رخيصا وبسخاء . فأخرجت الملكة ما كان قد أذخر لأعوام سابقة دون أن تبقى على شيء أو تذر ، وجهزت جيشا . وفي أثناء ذلك فكرت في حيلة من شأنها أن تجعل ثقة السلطان تنعدم تماما في جنده، ونفذت تلك الحيلة .

فقد وقعت على رجل من سكان بلاد الروم كان يعرف أسماء أمراء الدولة جميعا وما يحملون من ألقاب / وكانت له صلة بمعظمهم ، وبذلت له مالا وفيرا ، وحلفت له الأيمان بأن هذا الأمر لو تحقق ورجع جيش الروم لسلمته

أضعاف ذلك . فكتبوا إلى كلِّ أمراء الرّوم رسائل جوايئة مزوّرة ، تتضمن التّعبير عن الاغتباط بما أبدوه من وفاء وحسن عهد ، وبما وعدوا به من أن يحتالوا لدفع السلطان نحو حدود الشام . فيها نحن أولاء أيضا قد عقدنا الثّبة على عدم المدافعة . وينبغي بذل ما في الوسع للحيطه من السلطان خشية أن يعلم بشيء من هذا الأمر ، وإلا فإن كلّ المساعي تذهب عند ذاك هباء ، وأنه قد أرسل برسم الثّفقة لكلِّ واحد من الأمراء أنواع من الذهب المصري والخيول العربية في صحبة فلان ، وأنهم سيروا تلك الأحمال المذكورة فعلا^(١) .

وقالت لذلك الرجل : تقدّم إلى حيث يعسكر جيش السلطان ، وألق بنفسك في خيمة بعض المقرّبين إليه ، وأفش هذا الأمر إليه على سبيل الإنذار ، وقل إنني كنت في وسط جيش الشام حين وصلت رسائل سائر الأمراء إليهم ، وأنهم قد أتوا بالكثير من الأموال والأمتعة من الشام لكل واحد منهم ، وجهزوها في الموضع الفلاني ، وجلسوا ينتظرون الفرصة لكي يسلموا كل واحد نصيبه منها ، وإن لم تصدّقوني اذهبوا إلى الموضع المذكور لمشاهدتها .

وهذه القرية دخل ذلك الشخص سلّة الحيلة ، ورمى بنفسه على أحد غلمان السلطان ، وأسّر إليه بالأمر ، فأبلغ الغلام حضرة السلطنة في الحال ، فأرسل السلطان الأمتاء مع ذلك الشخص - الذي كان الغلام قد دلهم عليه - إلى المكان المعلوم فأخذوا الأحمال والخزائن وذهبوا بها إلى السلطان ، ووجدوا ٧٨ رسائل مختومة في كيس . فلما قرأ السلطان الرسائل / نهض وانتفض وساء ظنّه بالأمراء البرّاء وأمر بالقبض على ذلك الشخص كي لا يطلع أحد على الأمر .

(١) قارن أ . ع ص ١٩١ ، وفي الأصل نزد آن كرد . وهو تصحيف بلا شك لـ : روان كردند .

وفي اليوم التالي أمر السلطان أمير المجلس بالتقدم - كطليعة - مع أربعة آلاف رجل ، وبأن يتقدم في أعقابهم أربعة آلاف رجل آخر بقيادة سيف الدين آينه [چاشني كبير] ، وسار السلطان بالقلب في إثرهما مع أربعة عشر ألفا . فلما اقترب أمير المجلس من جيش الشام ، كان محمود آلپ - وهو من رؤساء العشائر في «سيواس» ، وقد بلغ من العمر ثمانين عاما وشاهد أنواع الحروب وضروبها ، وتلقى صنوفا من الطعن والضرب - كان يسير على تل عال ، وينظر إلى جيش الشام نظرة التفحص والاختبار ، فلما سبر غور القوات المقدمة بمسبار الاستقصاء جاء إلى أمير المجلس وقال : الدخول في صدام مع عساكر الشام بأربعة آلاف رجل أمر يبدو بعيدا عن الكفاية ، فحجدا لو أبلغ «چاشني كبير» لكي يصل بالمدد بصورة أسرع ، كما يتم إبلاغ قلب الجيش للمسارعة بتحريك الركاب السلطاني فيلحق بنا متعجلا .

ولكي ينفذ الحكم الأولي ، ويخرج ربح الفرور من أنف المغلوب فيبدو متغلبا ، لم يلتفت أمير المجلس إليه ، وصاح صيحة الحرب ، فأخذ محمود يصرخ ويمن قائلا : إن التعجيل ليس مستحبا عند الله تعالى ، فلم يسمع الأمير ، وأجاب إجابات باردة ، ورغم أنه هزم جيش العدو في الهجوم الأول ، وبعث بمن يشتر «چاشني كبير» ، فإن أحد فرسان الروم أسر - بطريق الصدفة - بيد أحد أمراء الملك الأشرف ، فحملوه إلى حضرة الملك ، وسألوه : هل السلطان موجود مع هذا الجيش ؟ فأجاب بأن السلطان بعيد ، وما هذه الآلاف الأربعة إلا طليعة ٧٩ يتوقدها أمير المجلس ، وسوف يصل الأمير «چاشني كبير» / بأربعة آلاف في عقبه .

فصاح للملك الأشرف في الحال : المستغاث يا مسلمين ، لا تفروا ، فعدد

هذه القوات بعيد ، فكروا وهم يمثلون حمية وحامسا ، وهجم غلتمان العادلي والظاهرى ، وقتل من الجانبين خلق كثير . فسير أمير المجلس فارساً إلى الأمير «چاشنى گير» ليبلغه بأن العدو غلب فليصل مسرعاً كي لا تحدث كارثة . قال «چاشنى گير» : «يظل يكذب حتى الآن»^(١) ، أنذهب نحن الآن ونهزم الجيش وتعلو شهرته هو ، ولم يتقدم خطوة واحدة ، ولم يبلغ السلطان لكي ينفذ القضاء السماوي .

وأمر أمير المجلس مع فوج من الأمراء ، فلما حملوا أمير المجلس إلى الملك الأشرف ، خف لاستقباله ، واستدعى الجراحين فجففوا جراحاته ، وألبسه خلعاً خاصة ، وأرسله مع سائر الأسرى إلى حلب ، وعين الموكلين به ، وبعث بوصية إلى الملكة أن بالنهي في تعظيم أمير المجلس ، وأظهرى غاية الإعزاز له .

ولما وصل الخبير لحضرة السلطنة انتابته الحمى ، واستمر جحيم غضبه ، وأصدر «چاشنى گير» الأمر بأن يلبس كل العساكر لأمة الحرب ، ولا يتأمنون^(٢) الليل . وفي اليوم التالي أرسل الملك الأشرف ألفين من الأعراب وطلب منهم أن يتقدموا لتفقد أمر السلطان ومعرفة أحواله وما يكون من تحركه وانهزامه . فلما

(١) ينقل صاحب الأوامر العلالية ، ص ١٩٣ عن الأمير «چاشنى گير» أقوالاً أكثر تفصيلاً وأبلغ دلالة ، فبعد أن يأتي من أقواله بالعبارة المذكورة في المتن بضيف : «لقد سير رسولا أبلغ بأن العدو قد لاذ بالفرار ، ثم ها هو ذا يريد مدداً ، وحين يتحقق المراد ويغدو منتصراً دون أن يبدل جهداً ، وإنما تكون نحن الذين قمنا بالعمل ، نسري في العالم الصيحة بأن أمير المجلس هزم جيش الشام» ثم يشير صاحب الأوامر العلالية إلى أنه «من فرط الحسد والحقد الذي كان يشعر به أمراء الروم تجاه بعضهم .. لم يتقدم «چاشنى گير» خطوة واحدة ، بل تراجع إلى الوراء»

(٢) في الأصل : يخسبون ، ويتأمنون ، والتصحيح من أ . ع ص ١٩٤ .

وصلوا رأوا الخيمة الملكية قد ضُربت والجيش كلّه قد لبس لأمة الحرب . فلما ظهر الأعراب من إحدى النواحي هرب الجند فقال السلطان : يا كافري النعمة ، لئن كان أحد الأمراء قد نُكب فلا زال الجيش والسلطان والمظلة والقائد باقين . فلما سمعوا هذا العتاب السام المرير هجموا هجمة رجل واحد ، وبقفزة واحدة أحالوا فضاء الصحراء - بدماء الأعراب - مكانا للشقائق الحمراء ، وجعلوا سيل الشقائق يتدفق على الزمرد [الأخضر] الساكن .

٨٠ / فهباً الملك الأشرف الصّفوف ، وحضّ الجيش على القتال ، ثم وقف حيث هو ، وقال : إن جاءوا بذلنا ما في وسعنا ، وإن رجعوا فهو المراد .

وأمر السلطان بأن يتقدّموا بالذهليز ، ثم ظهرت طليعة لجيش العرب ، فلقيت ما لقيه السابقون من جراحات وغارات ، فتراجعت ، وقالوا للملك الأشرف إن دهليز السلطان أقيم اليوم مرتين ، ثم نصب ثانية . قال : لعل السلطان يريد القتال والأمراء يرفضون . فلما حلّ الليل تقاعس السلطان قليلا . وظل الأمراء والجند هناك ، وبمجرد أن انبلج الفجر تحرك من ثم متوجّها إلى أبلستان .

وحين علم الملك الأشرف برجوع السلطان انصرف بدوره إلى حلب . فلما تأكّد أن السلطان لحق بأبلستان أنهض الجيش وانطلق إلى «مرزبان» و«رعبان» ، وبعد حصارهما أنزل محافظي القلعتين ، وكان السلطان قد أقامهما هناك ، فلما فرغ من المهمة أطلق سراح أمراء السلطان ومحافظي القلعتين بكل احترام وتيجيل ، وولى وجهه شطر حلب ، فخلع على أمير المجلس^(١) وبقية الأمراء خلعا وقدّم لكل منهم صلة وبعث بهم إلى حضرة السلطان ، وانصرف هو إلى دمشق .

(١) الذي سبق أن قبض عليه وبعث به إلى حلب، (أ . ج ، ١٩٥) .

وتوقف السلطان بضعة أيام في «أبلستان» ، فلاحق بخدمته هناك أخو نصره الدين وصهره من قلعتي «رعبان» و «تلباشتر» اللتين سلماههما للملك الأشرف . وكان السلطان قد أثقلت على نفسه تلك الرسائل الجوابية المزورة ، وحلّ به الاضطراب من هزيمة الطلائع ، فأمر بإعدامهما .

وفي اليوم التالي أمر بأن يحضر الأمراء جميعا إلى الديوان وأمر إلى خواصه بأن يتسلح أمراء المغاردة [وغلمان الخاص السلطاني] ^(١) عفية وينتظروا صدور الأمر . فدخل الأمراء بأسرهم وجلسوا ، فطلب السلطان الرسائل الجوابية من ٨١ «الدوادار» ^(٢) وألقى بكل منها لمن كتبت له من الأمراء . وما إن قرأها أولئك المساكين الأبرياء حتى بهتوا وذهلوا ، ونطقوا قائلين : «سبحانك هذا بهتان عظيم» ^(٣) ، وأنكروا الأمر وقالوا لا يجوز للمليك أن يلتفت لحيلة الكائدين وينسبنا إلى العقوق والخذلان دون دليل وبرهان ، وينزل بنا العقاب ، فلن نكون عاقبة ذلك إلا التدامة ، وزاد نواحهم وعويلهم غير أنه ما ترك من أثر ، فأمر بوضع الشيلان في أعناقهم جميعا وإدخالهم بيتا بعد وضع القيد في أيديهم ويضرموا حول البيت نارا كئنا التمرود ، فأخذوا في إحراق أولئك الأبرياء ، وكان الدخان يتصاعد متجاوزا الفلك الأزرق فيصل زفيرهم وأنيبهم إلى عنان السماء . وكان أحدهم إن استطاع أن يجد ثغرة يقفز منها نحو الباب تلقفه «الفرانون» الغلاظ للتداد وألقوا به إلى الموكلين بالتنفيذ فيعيدوه إلى النار ثانية مرغما .

(١) زيادة من أ . ع ، ص ١٩٥ .

(٢) يعني به رئيس ديوان الإنشاء .

(٣) النور : ١٦ .

وفي الليل - عند بطلان الحواس - أخذ يتلقى أثناء النوم الكثير من اللوم من عالم الغيب [على ارتكاب ذلك الفعل القبيح والعمل الشنيع] (١) ، فكان ينهض مذعورا من نومه كمن «يتخبطه الشيطان من المس» (٢) ، واستولى عليه الاضطراب وتملكه الندم لما فعل ، (شعر) :

- إن ضاع الكأس من اليد وانكسر الدن ، فما جدوى العَضِّ على الشفة
وتقليب اليد .

ووجه السلطان اللوم إلى بقية الأمراء قائلا : لماذا امتنعتم عن نصحي حينذاك ، فاعتلروا ، وعزوا الأمر إلى القضاء السماوي .

وبسبب ذلك الوهم ، تمكن مرض السل من السلطان ، وقيل إن ماء «سيواس» لا يناسب مزاجه ، فحملوه إلى «يران شهر» ، وكانوا يأتون بماء من «الفرات» يومياً من «مطوية» وينقل طازجا يدا بيد إلى الشرايخانة (٣) / غير أنه لم يلب من مرضه . فنظم هذا الدوييت من إملاء قريحته الشعرية ، (شعر) :

- تركنا الدنيا ، ومضينا ، غرنا تعب القلب ، ومضينا

- فالتوبة بعد ذلك نوبتكم ، لأننا ، أخذنا نوبتنا ، ومضينا

(١) زيادة من أ . ع ، ص ١٩٥ .

(٢) البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٣) قارن أ . ع ، ص ١٩٨ والشرايخانة : بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكر والأشربة والدرياقات والسفوفات والمعاجين والأقراص .. وما يجري هذا المجرى ... إلخ (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب التويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٣١ م ، ٨ : ٢٢٤) .

وأمر بتقش هذا الدويبت على قبره الذي كان قد بناه - بأمر نافذ - في دار الشفاء بسيواس . وهنالك انتقل من دنيا الفرار إلى دار القرار ، واختار - وهو بعد في شرح الشباب - مفارقة الحياة شاء أم أبى . والمأمول أن يمحو ما قدم من حسنات كلِّ ما أحر من سيئات^(١) ، والله غفار الذنوب .

ثم إنهم عهدوا به - بعد جلوس السلطان علاء الدين على عرش البلاد - إلى «رضوان» ، في تلك الروضة المقامة هناك بدار الشفاء بسيواس .



(١) نقلا عن أ . ع ، ص ١٩٩ ، والمعنى في الأصل غير واضح .

ذكر مشاورة الأمراء في اختيار واحد من أبناء الملوك سلطانا

حين انتقل السلطان عز الدين في الرابع من شوال سنة ٦١٧ إلى الخلد الأعلى أخفى أمراء الدولة - كالأمر «سيف الدين آينه» و «شرف الدين محمد پروانه» و «مبارز الدين جاوولي» و «مبارز الدين بهرامشاه» موت السلطان ، واستشاروا الصاحب^(١) مجد الدين بكر - الذي لم يكن له نظير في هذا العالم - ومن أشهر ما قاله من شعر في ضرب «الدويبة» قوله (شعر) :

- قانون الوفاء أساس الظلم

إذ كيف تيسر الحرية لمن يعبدك

٨٣ / كيف نستقيم السعادة مع الوقوع في الحزن بسببك

فبك بطلت إقامة الأوثان

«وشمس الدين حمزة بن المؤيد الطغراني» وكان بكر عطار ونادرة الأيام ، قد وصل في أساليب الترسل وقرض الشعر إلى ميدان شاسع بل تجاوز الفلك التاسع ، ومن محامد ما يحكى عن طبعه اللطيف هذا الدويبة ، (شعر) :

- ورد الدرّج الزمردي قد فتح اليوم

والطبق الذهبي للشقائق الحمراء قد وضع اليوم

(١) سرى لقب الصاحب على الوزراء المدنيين في عصر الأيوبيين والمماليك ، راجع كتاب الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، للدكتور حسن الياسا ، طبع مصر ١٩٨٩ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

- أمن أجل أن الورد لم يتولَّ إمارة الرياحين

قد عرض اليوم - على نحو ما - مائة ورقة ؟!

وملك السادة «نظام الدين أحمد» أمير العارض المعروف بابن محمود الوزير ،
وكان تلوا للفردوسي^(١) في نظم المثنويات ، ومن نتاج طبعه ، (شعر) :

قلت : لم يعد بالوسع الخزن على طرفتك

وليس بالإمكان تجرّع المزيد من مسك الكبد (حزنا) ،

قالت : لا تخزن كذلك بسبب عيني وشفتي

فليس بالوسع في النهاية تناول النفل والسكر

والصاحب «شمس الدين الإصفهاني» الذي كان في ذلك الوقت الكاتب

الخاص ، وقال هذا الدوبيت على البديهة باقتراح السلطان (شعر) :

- نقل الليل معك يا راحة القلب

لا يمكن وصفه من فرط اللطف

! الشفة على الشفة والخد على الخد ،

وهنالك تطبعت «لورا» بطبع «سوراخان» .

فلما وصل السلطان إلى هذين الموضعين وهو في طريقه إلى «أفسراه» قرَّبه

(١) يعني به الشاعر الفارسي أبا القاسم الفردوسي الطوسي (٣٢٩ - ٤١١هـ) ،
صاحب «الشاهنامه» ، وقد نظمها على نظام «المزدوج» الذي يعرف عند الفرس باسم
«المثنوي» ، وتكون الغافية فيه بين جزئي البيت الواحد ثم تتغير بعد ذلك بتغير
الآيات .

إليه ، وشرّفه بأن أضاف إليه المطبخ والإنشاء الخاص .

تشاور هؤلاء سويًا في من يجلسونه على العرش ، فأشارت جماعة إلى «مغيث الدين طغرلشاه بن قلج أرسلان» صاحب أرزن الروم ، وكان ملكًا متمكنًا محبًا للرعيّة ، بينما أصرّ البعض على تولية «كي فريدون» الأخ الأصغر للسلطان ، وكان مقبوضًا عليه بقلعة «قويلو» .

قال الأمير مبارز الدين بهرامشاه - أمير المجلس ، وسيف الدين آينه - ملك الأمراء - لا يجوز ذكر شخص آخر مع وجود الملك علاء الدين ، فهو المناسب للثّاج والخاتم . قال الصاحب مجد الدين وشرف الدين محمد پروانه : كنا في «نوقات» ملازمين له ، وهو حقوقد متكبر وجسور متعنّز . وسوف يتزل - من الآن فصاعدا - بكل شخص من الضريبات ما لا يندمل بمرهم . فلم يلتفت إليهما الأمراء ، وقالوا ليس بالإمكان طلب المزيد فوق الملك علاء الدين كيقباد . فوافق الأمراء الآخرون طوعا وكرها ، وتعاهدوا سويًا على تنصيب الملك علاء الدين سلطانا .

وهنا قال سيف الدين آينه : أما وأنا الذي حملت الملك من «أنكورية» إلى «ملطية» ، فلا بد وأن يكون قد علق بخاطره غبار من ناحيتي ، [فلتأذنوا لي] ^(١) بأن أذهب بنفسي إليه وأنال منه الأمان على حياتي . وحمل مما تركه السلطان المرحوم خاتما وعمامة كبيرهان ودليل ، واختار جماعة من الجند توسّم فيهم خفّة الحركة والسّرعة ، وانصرف مع عدد / من خواصّ البيت وبطانة الأعتاب السلطانية متّجها صوب ملطية قاصدا قلعة «كنديبرت» - السجن الثاني

(١) زيادة من أ. ع ، ص ٢٠٦ .

للسلطان . وخرجوا من المدينة بعد صلاة العشاء ، وظلوا يركضون بخيولهم طول الليل ، فوصلوا مع الصباح إلى القلعة .

كان السلطان قد جلس بعد أن أقام الصلاة ، وقد رأى تلك الليلة في المنام أنه جاءه رجل نوراني ذو منظر رحماني ، ففك القيد من قدمه ، وأمر بإحضار بغلة ذات هيكل ضخمة ، ثم وضع يده تحت إبط السلطان وأجلسه فوق البغلة وقال: إن همة محبة «عمر بن محمد السهروردي» مع السلطان «علاء الدين كيقباد» على الدوام .

ورغم أن السلطان كان قد رأى هذا المنام وأخذ يفسره بينه وبين نفسه ، غير أنه ما إن رأى ذلك الفوج حتى استبد به الخوف والفرع ، وقال لحافظ القلعة : حاول أن تؤخر هؤلاء حتى أجدد غسلي وأتوضأ ، وأخلو لحظة إلى نفسي ، وأصلي ركعتين استعدادا لوداع الحياة . ولم يكد الحافظ يصل إلى البوابة حتى كان «چاشني گير» قد بلغ الباب ، فسأله الحافظ ما سبب قدوم ملك الأمراء ؟ قال (بيت) :

- تمّ الوفاء بما كان القدر به يعد ،

وتمّ ما كانت الأيام تبغي من عمل

فأراه عمامة وخاتما للسلطان المرحوم كانا قد صبغنا باللون الأسود^(١) ، ففتح الحافظ الباب ودخل «چاشني گير» مع أحد الغلمان ، وأخذ السيف من الغلام وسلمه بغمده للحافظ ، ثم انطلق كلاهما إلى المجلس الذي كان السلطان محبوبا فيه ، فدخل الحافظ في البداية ، وقدم العزاء ، وطلب الإذن بدخول

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٠٦ .

سيف الدين ، وما إن وقع نظر سيف الدين علي / محيياً السلطان المبارك حتى وضع رأسه على الأرض وأجرى الدمع من العين ، ثم أخرج الكفن من تحت إبطه وعقده على رقبته ، وأخذ السيف من الحافظ ووضعه أمام السلطان ، وقال : أنا راض بكل ما يحكم به المليك علي اليوم .

كان قلب الملك موزعاً ، فلما سمع هذه الكلمات اطمأن قليلاً ، وشرع في إبداء الاعتذار ، ووعد بخير . قال الأمير سيف الدين : إن كان المليك صادقا فيما يقول فلينطق بالقسم وليصبح الخطأ الأشرف مسطورا بنفس المعنى . فأقسم السلطان تحت إلحاحه ، وخطأ كتاب الأمان بالخطأ المبارك للسلطان ، غير أن الأمير سيف الدين لم يقتصر على ذلك وإنما أخرج مصحفا كان في الحمائل من غلافه ووضعه أمام السلطان وقال : إن خط اليد الأشرف هو بالقطع سبب أمن العالمين وأمانهم ، غير أنكم لن ترضوا علي بتأكيده بكلام الله المجيد ، فأقسم الملك ثانية .

فلما وثق «جاشني كبير» بتلك العهود أطلق لسانه قائلاً : أطل الله عمر الملك ، انتقلت روح أخيك من عالم التراب إلى ذروة الأفلاك ، وبذلك تؤول المملكة والسلطنة إليك ، وينطق العرش والخاتم بقول الحق تعالى : ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾^(١) والمأمول في مكارم رفعة العاهل المعظم أن يدخل القدم في ركاب دابة تنهب الأرض نهبا فيزين عرش السلطنة .

وحين بلغ تخمين السلطان مبلغ اليقين ، صلى ركعتين شكرا لله ، تلا فيهما بصوت عال قول الله عز وجل : ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾^(٢) ، وانفصل

(١) سورة يوسف : ٥٤ .

(٢) تضمين من سورة يوسف : ١٠١ .

عن السجن موليا وجهه شطر الإيوان والعش كما يفصل القمر عن الغمام
والسيف عن الغمد .

وقدم أمير الآخورة^(١) - وكان يسمى «أغلبك» - بغلة سريعة السير على
شاكلة تلك التي كان السلطان قد رآها في المنام وقال : «اركبوا»^(٢) فركبها
ومضى يسابق ربح الصبا ، ويطوي المنازل منزلا بعد منزل ، وظلوا ساهرين إلى أن
بلغوا بوابة المدينة عند السحر .

ظل أمير المجلس يجول راكبا طوال الليل في القلعة ، وبوهم الناس بأن
السلطان سليم معافى . وكان قد ندب خمسين غلاما للوقوف على باب المدينة
وأمرهم بأن يخبروه بوصول «أغلبك» . فلما صاح «أغلبك» مناديا ، سارع أمير
المجلس وفتح باب المدينة وما إن وقع بصره على السلطان حتى قبل الأرض
والركاب . وتوجه أمير المجلس و«جانشي كبير» في خدمته نحو تابوت أخيه ،
وفتحوا التابوت فرأى وجه أخيه . ثم أجلسوه على العرش ، ودعوا القاضي
والأئمة والوجهاء للحضور إلى الديوان ، ولم يكن لأحد علم بما يجري .

وحين استوى السلطان على العرش ، ومثل القادة والبواصل كل في مكانه ،
خرج سيف الدين من عند السلطان إلى الدعليز ، وقال : «ليكن معلوما للأئمة
والأكابر أن السلطان «عز الدين كيكاموس» قد أصبح مستغرقا في قاموس رحمة
الحق (تعالى) ونزل في تابوت «فيه سكينه من ريكم»^(٣) ، وقد زين أخوه
السلطان المعظم «علاء الدين كيقباد» العالم بجلاله الباعث على السعادة ،

(١) انظر فيما سبق ص .

(٢) تضمنين من سورة هود : ٤١ .

(٣) تضمنين من سورة البقرة : ٢٤٨ . (١) قارن أ . ع ، ص ٢٠٩ .

وأضفى على كرسي المملكة هبة مستمدة من العرش المجيد.

ثم إنهم رفعوا الحجب ، ودخل كل الأئمة والأعيان ، وقبّلوا الأرض بالولاء .
٨٨ وكان الأمير «چاشني گير» يأخذ كل واحد من اليد / ثم دخلوا المسجد ، وتلوا
القسم - والقاضي يلقنهم - باسم السلطان علاء الدين . ولبس السلطان
الأطلس الأبيض يرسم العزاء . ثم أعلنوا الحداد - أسفا ولهقا - ثلاثة أيام .
وفي اليوم الرابع أمر السلطان فاستبدلوا الكأس باللباس ، وخلع على الأمراء
خلعا وافر ، ومنح مناشير الإمارات والمناصب والاقطاعات ، ثم عزم على الرحيل
إلى العاصمة «قونية» .



ذكر توجه السلطان علاء الدين إلى قونية

حين تم إحكام قواعد الأمور ، عزم السلطان بالطالع المسعود على التوجه إلى العاصمة «قونية» مقر عرش البلاد ، فلأزم أمير المجلس ركاب السلطان حتى «كدوك» ، وأقام هناك ضيافة ملكية رائعة وقد زين السلطان المجلس ، وأخذوا في الطرب وهم في غاية البطر من الطعام . وفي اليوم التالي ألبسه السلطان حلما ثمينة ، وأرسله إلى «سيواس» ، وجاء هو إلى «قيصرية» .

وكان سيف الدين أبو بكر ابن «حقه باز» «سوياشي»^(١) قيصرية قد أخبر أعيان المدينة ووجهاءها لكي يقيموا القصور المتحركة والساكنة ويتوجهوا للاستقبال عند «جبق» فلما رأوا راية السلطان ، نزلوا وقبلوا الأرض ، ونالوا شرف تقبيل اليد الشريفة ، ودخلوا المدينة في الركاب السلطاني «كالفراش المشوث»^(٢) ، ودخل الملك «كيقباد» المدينة بين «كيخسرو» و«قباد»^(٣) ، ونال التمكن في مهاد كرامات الأجداد وانتشر الدرهم والدينار بل اللؤلؤ الثمين على المليك كقطرات أمطار الربيع ، وجعل «ابن حقه باز» كل در كريمة كان يمتلكه في صندوق الثروة ووصلت إليه يد الإمكان فداء ونثارا لمقدم المليك .

وأقام السلطان هناك بضعة أيام ثم انصرف على صهوات الإقبال ومناكب الجلال إلى «آقسراه» فلما بلغ رباط «بروانه» اندفع المقيمون في «آقسراه» وهم في

(١) «سوياشي» : كلمة تركية ، وواضح أنها كانت وظيفة من وظائف الأمن في دولة سلاجقة الروم ، وانتقلت إلى الدولة العثمانية ، والسوياشي هو : من يقوم بحفظ الأمن والنظام في المدينة أو القصبة (الدكتور حسين مجيب المصري : معجم الدولة العثمانية ، مصر ١٩٨٩ ، ص ١١٩) .

(٢) تضمين من سورة القارعة : الآية ٤ .

(٣) يعني محاطاً بأعاطم الرجال . و«كيخسرو» و«قباد» من ملوك الفرس القدماء .

شوق لرؤية وجه السلطان الذي ازدان به العالم ، اندفعوا للاستقبال اندفاع العاشق المهجور للوصول أو من كاد يهلك من الظمأ طلبا للماء الزلال .

وقبلوا الأرض ثم أدرِكوا شرف السعادة فقبلوا باسطة من ازدان به العالم ، وانطلقوا صوب المدينة في خدمة موكب السلطان .

وما إن استراح السلطان هناك يومين أو ثلاثة حتى ارتحل إلى العاصمة .

وحين حمل برهد الصبا نسيم الطرة المسكية للرايات التي خفقت بيد الطلائع الميمونة لملك العالم - إلى مشام سكاك «قونية» انبعثت لدى الجميع بواعث العزم للتعرض لتفحات السعادة الناجمة عن لقاء سلطان المشرق والمغرب . فوضعوا ما اكتسبوه في أعمارهم وأذخروه طوال حياتهم نثارا لتقدوم المليك ، وصنعوا خمسمائة جوسق^(١) ، مائتين جارية وثلاثمائة ساكنة ، وزينوها جميعا بغرائب السلاح والخرايد الملاح ، وساروا حتى منطقة «أبروق» للاستقبال .

فلما اكتحلت العيون بنور مستمد من الغبار المتصاعد من حوافر حصان ملك العالم ، صار وصفهم «خروا سجدا»^(٢) دون أعمال تكلف ، وزلزلت صيحة «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»^(٣) قواعد القصر المشيد . ونال «حسام الدين أمير أريف سوباشي» وغيره من الوجهاء شرف الاختصاص ، فجلسوا على المائدة وحضروا الحفل السلطاني . لم إنهم توجهوا ذلك اليوم إلى صحراء «روزبه» ،

(١) في الأصل : «كوشك» وهي كلمة فارسية عُرِبَت «جوسق» ، وهو مقر صغير في بقعة بعيدة على العمران . ويبدو أن بعضها كان ينقل من مكان إلى آخر كما هو واضح من النص .

(٢) تضمين من قول الله - عز وجل - : « إذا نثر عليهم آيات رحمن ربهم سجدا وركنًا » (سورة مريم : ٥٨) .

(٣) من سورة فاطر ، الآية ٣٤ .

٩٠ وفي اليوم التالي طلعت شمس المظلة السلطانية من أفق الخيمة / المستولية على العالم ، فتملكت الرّجفة قلب الأرض والزمان وروحهما من أصوات المزامير والأجراس ، ونشر عقاب المظلة السلطانية جناحي الإقبال على شمس السلاطين فامتدت ظلال السعادة ، وجرى في ركاب مالك الرقاب خمسمائة من مقدمي العساكر من القزاوة والدبالة والفرخ ، ما منهم أحد إلا وهو أشدّ جسارة من النوازل السماوية أو أكثر تبجحاً من موت الفجاءة . وحمل مائة وعشرون حارساً - هم في الهيئة كالغضنفر ، وفي الخصومة مثل كركين^(١) ، وفي الحفاظ مثل كيو^(٢) - حملوا السيوف الذهبية - كقلادة الجوزاء - وأمسكوا بمؤخرة سرج حصان السلطان من اليمين واليسار .

وحين اقتربوا من المدينة ترجل الأمراء جميعاً ، ثم عقد الأمير «چاشني كبير» أطراف عباءته في وسطه ، وأخذ يتقدم وهو ممسك بعنان السلطان الفاخ للعالم ، ودخل المدينة وهو يقرأ : «ادخلوها بسلام»^(٢) . وأخرجت النسوة الأظهاز رؤوسهن من المناظر الزجاجية وكنّ يقلن : «رب اجعله رضىاً»^(٣) ، وأجترى السلطان على لسانه المبارك قول الحق تعالى : «رب أنزلني منزلاً

(١) كركين وكيو ، من أبطال الفرس الأسطوريين القدماء .

(٢) تضمين من قول الله - عز وجل - : «إِن الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، ادْخُلُوهَا

بسلام آمنين» سورة الحجر : ٤٦ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى على لسان زكريا : «برئني وبرت من آل يعقوب واجعله رب

رضياً» (سورة مريم : ٦) .

مباركاً^(١) ، ووضع قدمه على مسند التوفيق [وعرش الملك] ، وأخذ يتلو مكرراً قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾^(٢) ، و﴿ رب قد أتيتني من الملك ﴾^(٣) وعدّ فرضاً عليه أن يدعو بعبارة : «رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ»^(٤) وتمكّن في قلب العرش وروحه تمكّن النور في البصر والقيمة في الجوهر ، (شعر) :

- باسمه امتلأت شفة السكّة ، بالابتسام ، وبذكره صار قلب المنبر حياً ،

- فيهما ازداد التدين رونقا ، وتعالّت الأرض على الأفلاك

٩١ ثم بسطوا المائدة ، ورفعوها ، وأقاموا الحفل ، وسرى صوت الناي وجلجلة / الذف في صفّ من الصوفيّة المتحلّفين في دائرة . كان السلطان كلّ لحظة يهب روحاً جديدة لأحد الحرفاء والتدماء بالتبسّط والتودّد ، وينثر درر الألفاظ الكرام على مفارق الخاصّ والعام . وحين ألقت ريح سورة الخمر نقاب الحيرة عن وجوه من حضروا الحفل نهض أمراء قونية وقادتها واقفين ، وقدم كل واحد منهم هديّة على قدر مكانته ومكنته ، فشُفّعت جميعاً بنظرة القبول . وحين ظهرت القناديل الغضبيّة أسفل القبة العليا تحوّل السلطان عن مقام الأنس والطرب .

(١) تضمين من قوله تعالى : ﴿ وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ (سورة المؤمنون : ٢٩) .

(٢) تضمين من الآية ٧٤ في سورة الزمر .

(٣) تضمين من الآية ١٠١ في سورة يوسف .

(٤) تضمين من الآية ١٩ في سورة التمل .

وفي اليوم التالي أذن السلطان لرشيد الدين الوزير ، وملك الأمراء أنه جاشني
كبير وسيف الدين أبي بكر «حقه باز» النائب ، وجلال الدين فيصير پروانه
بالحضور في الخلوة ، وقال : يتعين الآن إصدار الأوامر المطاعة للأمراء في مناطق
«الأوج» لإعلان قدوم أعلامنا السلطانية إلى «قونية» واستقرارنا على سرير الملك ،
واستمالتهم وحثهم على المبادرة بالقدوم إلى أعتاب السلطنة ، فأمر الكتبة
والمنشعون ، وتمّ التدوين في الحال ، وطارت الرسائل إلى الأطراف على
يد الرّسل.



ذكر بعض السير الحسنة

وما كان يتمتع به هذا السلطان القاهر من خلق زاهر

قال الله تعالى «وسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراه»^(١) :
 قد تبين للعالمين أن الله - عز وجل - منذ أن رقم على ناصية الكائنات رقم
 الإيجاد ، ووضع بيد الملوك من أولي الأمر - وهم من اختصهم بقوله تعالى :
 «وأولي الأمر منكم»^(٢) - زمام تسخير العباد وخطام تذليلهم ، لم تلق أعلام
 الإسلام لظلالها - منذ ابتداء الطلوع حتى انتهاء الوقوع - على عاهل كالسلطان
 ٩٢ علاء الدين كيقيباد بن كيخسرو بن قلع أرسلان بن مسعود بن / قلع أرسلان
 بن سليمان بن قتلش بن إسرائيل بن سلجوق ، «إن راية الإسلام لم تظلل على
 سلطان أحسن ديناً وأصدق يقيناً وأوسع علماً وأغنى غنى وأعظم قدراً وأفخم
 ذكراً وأمدً باعاً وأشدَّ امتاعاً وأجلَّ جلالةً وأكمل عدّةً وآلةً وأرفع ملكاً وسلطاناً
 وأروع سيفاً وسناناً وأحمى للإسلام وذويه وأنقى للشرك ومتحليه اكتساباً وورثته ،
 منه»^(٣) لقد بلغ في العظمة حدّاً جعل ملوك الأمصار - مؤمنين كانوا أو كفاراً -
 من أقصى الأبخاز^(٤) إلى أنحاء الحجاز ، ومن أوائل «باشقرد»^(٥) إلى منتهى
 تخوم «ولاشكرد»^(٦) ، ومن صحاري القبيجاق حتى براري العراق ، لاسيما

(١) سورة الكهف : ٨٣ .

(٢) تضمنين من الآية ٥٩ في سورة النساء .

(٣) كُتب ما بين الحاصرتين في الأصل باللغة العربية ، وقد استعمل الفعل «نظّل»
 لازماً وعدّاه بحرف الجر وهو متعدّ بنفسه .

(٤) الأبخاز : اسم منطقة في تركستان .

(٥) باشقرد : المنطقة الواقعة على سفوح جبال الأورال .

(٦) ولاشكرد (لاشكرد) : مدينة مشهورة بكرمان وسط الهضبة الإيرانية وجنوبها .

ملوك الشام - يزعمون أنهم غلمان له ، ويخطبون الخطبة ويسكّون السكّة باسمه :

رأوا طَوْعَهُ حتماً وفرضاً ولازماً وإخلاصه في الدين والملك واجباً

كان يملك نفساً نظرة بوابل الطهر ، ويتصف بعدل أنار العالم جملة كعين الشمس ، وكان يطيل النظر والتدقيق في أموال الخزانة ، ولا يحيد في إنفاق الخزائن إلى أي من طرفي : الإفراط والتفريط ، لكنّه كان في مراعاة شأن الأضياف ورسل الأطراف بحراً موجاً وسحاباً لجأجأ ، وكان يبالح في توجيه العتاب بل وإنزال العذاب لأنفه بادرة تحصل من أكبر القادة في الجيش ، وكان يستأصل شجر وجودهم ﴿كأعجاز نخل منقعر﴾^(١) من جذوره بفأس البأس والزجر والتوبيخ ، ويجري عليهم حكم ﴿ولنديقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾^(٢) ، فلا جرم أن أصبح التطلع طباعاً مركززة في الذات عند نواب الجهات / وغدا أصحاب الدواوين يستشعرون الخوف ويصطنعون الأمانة .

٩٣

روى الأمير الكبير «جلال الدين قراطاي» وكان قطب الأوتاد وقدوة الزهاد : «كنت ملازماً للحضرة العليا ثمانية عشر عاماً في السفر والحضر ليلاً ونهاراً ، فلم يتناه إلى علمي أن السلطان استراح على فراش النوم - سواء في حالة الصّحور أو السكر - إلا قليلاً ، بل كان قد وضع نصب عينه أمر : ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾^(٣) وكان يعتبر ذلك سبباً لرفع درجاته ، ومع أنه كان يعدّ أتباع مذهب الإمام أبي

(١) إشارة إلى قول الله عز وجل : ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ (سورة القمر : ٢٠) .

(٢) تضمنين من الآية ٢١ في سورة السجدة .

(٣) سورة المزمل ، الآية ٢ .

حنيفة - رضي الله عنه - في الأصول والقروع فرضاً واجباً إلا أنه كان يحافظ على صلاة الصبح وفقاً لمذهب الإمام الأعظم «الشافعي» - رضي الله عنه - . وكان يقسم أوقات الليل والنهار على مصالح الملك والمملكة ، وكان محالاً أن يترك مجالاً للهزل في مجلس أنسه ، بل كان يشغل المجلس بتواريخ الملوك وذكر محاسن سير الملوك القدماء . وكان أحياناً ينظم بطبعه اللطيف شعراً ظريفاً في ضرب «الدوبيت» ، ومن بين ما قاله في هذا الضرب :

حين كنت أتمتع بالصحو فإنتي كنت أنملك عقلي

فلما نعلت نوارى العقل مني

اشرب الخمر فبين السكر والصحو

وقت هو أصل الحياة

فإذا ما صدرت من أحد الحرفاء والندماء كلمة أو حركة خارج مرتبته ووظيفته فإنه لم يكن يفتح له باب المجلس بعد ذلك أبداً .

«وكان ذكر السلاطين القدماء يجري على لسانه بكل إجلال وتعظيم ،

94 وكان ممن يثنى فيهم [ويثنى عليهم]^(١) من سلاطين الإسلام : محمود / بن

سيكتكين^(٢) وقابوس بن وشمكير^(٣) ، وكان يشبه بأخلاقهما . ولم يكن يوقع

(١) إضافة من أ . ع ، ص ٢٢٨ .

(٢) هو السلطان محمود الغزنوي ، أكبر سلاطين الدولة الغزنوية ، (٣٨٧ - ٤٢١) غزا الهند بضعاً وعشرين غزوة ، ونشر فيها الإسلام .

(٣) قابوس بن وشمكير ، الملقب شمس المعالي ، أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان . فارسي الأصل ، نابغة في الأدب والإنشاء ، وله شعر جيد بالعربية والفارسية . توفي سنة ٤٠٣ . انظر ما سلف ، ص ١٢ ، هامش ٢ .

باسمه أهدأ دون وضوء ، وكان دائم الإطلاع على « كيمياء السعادة »^(١) و« سير الملوك » لنظام الملك^(٢) ، وكان يجيد لعب الشطرنج ، والكرة ، والرَّمح ، وقد اكتسب مهارة وحذقا في الصناعات كافة من عمارة وصناعة وسلك النُفود ، والنحت والتجارة ، والرسم ، وصناعة السروج وكان يحسن معرفة قيمة الجواهر .
(بيت) :

إن كانت النبوة قد خُتِمت بخاتم الشرع
فقد خُتِمت به السلطنة دون السلاطين *



(١) « كيمياء سعادت » ، للإمام أبي حامد محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥) ، ألقه بالفارسية ، وجعله بمثابة مختصر لكتابه الكبير « إحياء علوم الدين » وموضوعه الدين والأخلاق والمعاملات .
(٢) يعني به كتاب « سياست نامه » للوزير السلجوقي المعروف « نظام الملك الطوسي » (ت ٤٨٥) وموضوعه نصيح الملوك وسياسة الرعية .

ذكر وصول شيخ الشيوخ

شهاب الدين السهروردي من جانب الخليفة برسالة إلى السلطان

حين أبلغ خبر طلوع طلوع الإقبال وظهور البدائع الخاصة بسعادة السلطان علاء الدين كيقباد لحضرة الخليفة وبلاط الإمام «الناصر لدين الله» تفضل فأرسل منشور السلطنة ونيابة حكومة ممالك الروم، والخلة السلطانية وحسام الملك وخاتم الإقبال في صحبة^(١) الإمام الرباني أبي يزيد^(٢) الوقت والجنيد^(٣) الثاني، من تصدر الصفة في قبة الأولياء، والأتقياء، وارث علوم الأنبياء «خلاصة القدرة خالصة السدرة عارف الحقائق قارع الشوايق شهاب الملة والدين شيخ الإسلام والمسلمين هادي الملوك والسلاطين الداعي إلى جناب مالك يوم الدين أبي عبدالله بن محمد السهروردي رضي الله عنه»^(٤).

وحيث أبلغ السلطان بالقدوم المبارك للشيخ إلى «أقسراه» أرسل الأمراء مع ٩٥ إقامات كثيرة^(٥)، فلما لحق بمنطقة «زنجيرلوه» خفّ القضاء والأئمة والمشايخ/

(١) في الأصل: سلطنت؛ والتصحيح من أ. ع ص ٢٣٠.

(٢) أبو يزيد السطامي: متصوف فارسي توفي ٢٦١ له شطحات جاوزت الحدود أحيانا حتى اعتبره الجنيد غير مكتمل في طريق الصوفية. تنسب إليه الطريقة «الطيقورية».

(٣) الجنيد: أبو القاسم بن محمد، صوفي بغدادي، توفي ٢٩٤، تنسب إليه الطريقة «الجنيدية» وهو من الذين أسسوا التصوف على الكتاب والسنة.

(٤) ما بين الحاصرتين ورد في الأصل باللغة العربية. والسهروردي هو السهروردي البغدادي شهاب الدين وهو متصوف وفقه شافعي عرف بتقواه وتسكبه، توفي ببغداد ٦٣٢، وهو غير السهروردي المقتول.

(٥) كذا في الأصل، والأوامر العلالية ص ٢٣٠: «با إقامات بسيارة» ولعله يريد بالإقامات المون، وفيها إشارة - فيما يبدو - إلى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «حسب ابن آدم أكالات يقمن عليه» رواه الترمذي، ولم أعثر في معانيها في المعجم على هذا المعنى.

والمتصوفة والأعيان والإخوان بأعداد كبيرة للغاية للترحيب به ، ثم توجه السلطان بنفسه بجيش منظم تنظيماً باهراً^(١) لاستقباله . فلما وقع نظره على جمال الشيخ المبارك قال : « ما أشبه هذه الطلعة بوجه من أخذ يفكّ القيد عن قدمي في المنام عشية خلاصي من السجن ويأخذ بيدي كي أركب ويقول : سوف تلازمك همّة عمر بن محمد السهروردي دائماً أبداً . »

فلما اقترب أخذ في معانفته ومصافحته ، قال الشيخ : ظلّ بال عمر بن محمد السهروردي قلقاً من ناحية سلطان الإسلام منذ ليلة السجن ، والمثمة لله أن دخل حصول ما لا عوض عنه دائرة التيسير قبل حلول ما لا يد منه ، ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾^(٢) ، فبادر السلطان - وهو في غاية الارتياح والانشرح - بعد السلام وأمسك باليد اليمنى المباركة للشيخ ، وتضاعفت أسباب الاعتقاد ، وبلغ في تعظيمه أقصى نهايات الغابات ، وأراد أن يفعل ما فعله إبراهيم ابن أدهم^(٣) حين سلك طريق عيسى بن مريم ، وكان الشيخ يشاهد بنظرته الثورانية أوهام السلطان وخواطره ، فيجيب على كل خاطر ويعمل على تسكين البواعث والدوافع التي استقرت في الطبع منذ يوم «ألست»^(٤) ، ويفسر قول الحق تعالى ﴿وما منّا إلا له مقام معلوم﴾^(٥) ويقول : «ولكلّ عمل رجال » ويشجّع على

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) سورة قاطر : ٣٤ .

(٣) إبراهيم بن أدهم : زاهد مشهور بالزهد والوعظ ، وكان ابناً لأحد ملوك بلخ والإشارة هنا إلى تحول إبراهيم ابن أدهم عن الإمارة إلى الزهد والإعراض عن مباحج الدنيا ، عاش في القرن الثاني الهجري .

(٤) إشارة إلى قول الله - عز وجل - : ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ (سورة الأعراف : ١٧٢) .

(٥) سورة الصافات ، آية ١٦٤ .

بسط العدل والتمسك بأهداب الدين ، حتى انسلخ السلطان كآية - بمجرد وصولهم المدينة - من لباس التعصب والغرور والمعجب والغفلة ، وصار كروح الملك كله خير .

96 وفي اليوم التالي / دعي الشيخ إلى قصر السلطنة حتى يليس السلطان خلعة الخلافة ويضع على رأسه العمامة التي كانت قد كُورت في بغداد ، وعلى ملاء من الناس أتوا بمقرعة الحدود - وهي تقليد من تقاليد دار الخلافة - وأجروها على ظهر السلطان أربعين ضربة ، وقادوا جنيبة^(١) دار الخلافة ذات التعل الذهبي ، فاستلم السلطان - بحضور الأنام كافة - حافر جنيبة الإمام ثم ركب هو والشيخ المعظم - كل منهما - جنيبته ، وشاهد الناس جميعا السلطان على تلك الهيئة .

فلما عادا ووضعت المائدة ثم رفعت ، بدأ منشدو الخاص السلطاني والسماع^(٢) ، فتواجد^(٣) كبار المریدين الذين كانوا قد قطعوا الأغوار والتجود في صحبة الشيخ ، وتجلّى في كلّ الحاضرين شوق عظيم من ذوق ذلك السماع ، وفعل ذلك فعله في السلطان وجمع من الأمراء - سيما جلال الدين قراطاي - ولما تحوّل الشيخ إلى المنزل المبارك - وكان مهبطا للمواردات الروحية - تكلف السلطان [من التقود والمتاع]^(٤) تكلفا يزيد عن الحد والقياس ، وبعث به إلى الشيخ .

- (١) كذا في الأصل : جنيب ، والكلمة عربية ، ومعناها دابة .
(٢) السماع : مصطلح صوفي ، ويعني ما يرثل من أشعار وأذكار على وقع الناي والدّف ، لإثارة الطرب والوجد في قلوب السامعين .
(٣) الوجد : مصطلح صوفي أيضا ، وهو ما يرد على القلب دون تصنّع ولا تكلف .
(٤) إضافة من أ. ع ص ٢٢٣ .

وطيلة مدة إقامة الشيخ بقونية استسعد السلطان برؤيته المباركة بضع مرّات .
 فلما حان وقت انصراف الشيخ ورجوعه أرسل إليه في صحبة «قراطاي» و «نجم
 الدين الطوسي» من أموال خراج النصارى والأرامنة مائة ألف وخمسة آلاف دينار
 من الذهب السلطاني المسكوك بالسكّة العلاميّة من فئة الخمسمائة والمائة
 والخمسين مثقالاً مضروباً ، وكميّة من الأمتعة برسم النّفقة . وخرج لوداعه
 حتى «زنجيرلو» ، وهي تقع على بعد فرسخ بأكملة من قونية . ونال المدد من
 الشيخ ، وحين المفارقة جرى على لسان الشيخ هذان البيتان :

٩٧ / ولم أرَ كالتوديع أقيح منظراً وإن كان يدعو أهله للتعانق

وللصارم الهندي ألين جانباً ملامسة من كفّ ألف^(١) مفارق

ولزم بعض الأمراء وضيوف الشرف السلطاني شروط خدمة الشيخ حتى
 جاوز ملطيّة - آخر حدود المملكة .



(١) في الأصل : ألف ، وهو تصحيف .

ذكر شروع السلطان علاء الدين كيقباد

بافتح وكان أول فتحه قلعة العلاية

لما كانت أعلام دولة السلطان تملو مع الزمان على شواهد الإقبال وقلال الجلال ييمن الملك المتعال وعناية أعتاب ذي الجلال ، وكانت بركات السماء تحل في الزروع والضروع بفضل حسن إشفاقة ومكارم أخلاقه ، حتى وإن كان ما بين الزجاجية والكأس من مدام وخمر - دماً ظهر بينها من التصافي ما لا مزيد عليه ، وبلغ المطربون في مجلسه الملكي الذي تتزايد فيه البهجة غاية البراعة من تواتر مداعبة الأنغام على الآلات الموسيقية ،

قال السلطان يوماً لندمائه - وكانوا بمنزلة الوزراء والمستشارين - يتعين علينا أن ندع الحفلات وما بها من بهجة وطرب ونبادر إلى إعداد العدة للحرب ، فيتبغني أن يجعل لقوانين السلطنة مثل هذا الحق . فركع الأمراء الكبار أمام العرش تأذبا وقالوا إن ملك اليونان خاضع للمليك العالم ؛ وإن ثغر أنطالية وإن كان قد تسر فتحه ، لكن [همّا عظيماً وخوفاً لاحداً له ينشأ]^(١) من جهة قلعة «كلونوروس» - التي تبدو السماء أمامها كالأرض الفسيحة المترامية ، هي جبل بغير أمان ، لها من البحر خندق ومن صخور الجرانيت حصار ، قد تحكمت من جانب البر على ملك «سيس» ، بينما فرضت من جانب البحر خراجاً ثقيلاً على ٩٨ ربة مصر ، وليس لمثل هذا الصرح الهائل إلا المليك الذي هو ملجأ العالم . فلو صدر الأمر إلى الجيش المنصور ، فالأمل أكيد في أن نصبح كل نملة تتيئاً وكل صعوة عنقاء ، وأن تدرج تلك القلعة - التي تبدو مساوية للسماك مناطحة

(١) زيادة من أ. ع ، ص ٢٢٧ ، وبدونها لا تكتمل الجملة ولا يستقيم المعنى .

للأفلاك - في أنشطة ممالك الدولة ، مما يؤدي إلى انتظام ذلك الدرّ الشمسين في سلك لآلئ الملكة الأخر .

فوافق السلطان على هذا الرأي وأمر بكتابة الأوامر إلى جهات « الأوج » لجلب العساكر ، وفي التوتّر كتبت الديوان الأنفاس^(١) الشبيهة بالعبير على القرطاس المضمّخ بالكافور ، وزينوا وجه الورق الأبيض بسطور مسلسلّة كطرر الحسان الشبيهة بالشمس ، وكفرر الأحبة المائلة لهيكل المشتري ، وشفّعت بتوقيع السلطان ، ثم بعثوا بها على يد غلمان الحرس في شكل رسائل مرسلّة على الخيل السريعة .

وفي أقل من عشرة أيام تجمّعت حشود تنقّب الغبار المتصاعد من حوافر دوابها وجه الشمس والقمر .

أمر السلطان أن يقسم ذلك الجيش - صائد العالم - ثلاثة أقسام : قسم يشب وبهجم كالنمور من الناحية الصخرية والحجرية ، وقسم يشتبك في القتال كالتماسيح من جهة البحر ، وجماعة تنطلق كالأموّاج العاتية تجاه القلعة في السفن بينما ينصب على ذلك التل المرتفع - الذي بقي الفلك من حدّته ذاهلا متلفعا على الدوام بالغمام الأسود - منجنيق كالجبل تصاب جبال « ألبيرز »^(٢) بالوهن من حجارتّه ، وأن يصعد البواسل - الذين تكون الصخور الصلدة وقت الحرب عندهم / كالحرير - ذلك التل .

فلما وضع المنجنيق وفق حكم السلطنة سمع « كيرفارده » صاحب القلعة أن
(١) كذا في الأصل : أنفاس ، كلمة عربية ، جمع نفس : « المداد يكتب به » (المعجم الوسيط) .

(٢) اسم سلسلة من الجبال العالية في شمال إيران .

السلطان عبر بجيش كبير تلك المياه المهلكة ، ولم يلحق به ولا بجيشه أي أذى من وعورة تلك الطرق المخيفة . فقال : بهذا الحديث سيكون انفصالي عن ملكي القديم ، ولن يكون بوسعي أن أفك عنى هذا القيد مهما أحكمت التدبير ؛ ما كان بوسع الشمس - وهي راكب وحيد - أن تجتاز من قبل هذا الجبل الوعر إلا بألف قائد ودليل ، والآن يجتازه الملك كيقباد اجتياز الريح ، فما أيسر عليه - بمدد الله وعونه - أن يحارب السماء ويقارع الفلك ، فما لنا سوى أن نتذرع بالصبر ونجلس على باب الانتظار لنرى ما يستخرجه الفلك من وراء الحجاب ، فليس نمت علاج آخر .

وفي اليوم التالي رفعت الرايات الصفراء للملك - الذي طوى الأرض - على القبة اللازوردية ، فأسود العالم من غبار الجيش . ورغم أن الزمان لم يكن بمقدوره أن يلقي نظرة غضب على ذلك المكان الموحش ولم يكن بوسع آذان الفلك أن تسمع أن بالإمكان فتحها ببذل المجهود ، فأى أثر لسهام الفلك على قلعة يتحدث حراسها مباشرة مع كوكب عطارد ١٢ (شعر) :

- ولكن حين يكشر الحظ المشوم عن أنيابه ، يجعل الحجر الصلد على شاكله الشمع .

أمر السلطان بأن يصعدوا الجبل فوجا فوجا ، فاعتلوا تلك الصخور الصلدة دفعة واحدة كأنهم عقبان طائرة أو نمور كاسرة ، وعلى ذلك الجبل ، الذي لم يكن للفكر أن يجد إلى ارتقائه سبيلا - بادرت فرقة بالقتال فأحاطت القلعة ١٠٠ كالفرجار بمائة منجنيق ثقيل ، واستمرت الحرب شهرين وحتى عبر شهران/ كيوم واحدة^(١) . وذات ليلة رأى السلطان في المنام شخصا حسن السمات أخذ

(١) ما بين الحاصرتين مكتوب في الأصل باللغة العربية .

يحدثه بهذه العبارات (شعر) :

- ليس لهذه القلعة الشاهقة من نظير ، ولا يمكن لأحد استخلاصها
بالحرب .

- لكن خالق الكون عون لك ، واستخلاص مثل هذه القلعة شأن من
شؤونك .

- فحيثك إن قصد الفلك ، انتزع الخ من رأس الشمس .

- فإن كان طريق الحرب متجها صوب البحر ، فرت التماسيح من البحر إلى
اليابسة .

- ولكن مثل هذا الصرح العجيب ، يمكن استخلاصه بقوة الله .

فصحا السلطان من النوم فرحاً بهذه البشارة ، وأثبت الأبيات على قصاصة ،
وحين انبلج الصبح ، وسلك جيش الظلام طريق الانهزام^(١) ، أذن للأمرء
الكبار- الذين كانوا حاضرين في الدهليز الملكي - بالاجتماع به في الديوان ،
وحكى لهم حكاية المنام ، وقرأ عليهم الأبيات ، وفرق الكثير من الصدقات من
بقر وغنم ودراهم على الفقراء ومطوعة الغزاة .

وفي نفس الليلة بدا لصاحب القلعة بداء في أمر الامتناع والدفاع ، فدعا
إليه الأعيان والوجهاء ، وقال : لن نتمكن من الثبات أمام قوة السلطان ، ولئن
كانت قلعتنا تجالس الفلك وتجاور العقاب ، فإنه يبدو من المحال اجتياز حكم
القضاء والقدر ، والواجب إذن هو استبدال التفارب بالتقاعد مع ملك يتمتع بالعمة

(١) يعني حين أشرقت الشمس وبَدَدَ النور الظلام .

اللدنية . وفي الحال اختار رسولا صادق اللّهجة وأرسله إلى الأمير « مبارز الدين أرتقش » - وكانت بينهما صداقة وطيدة بحكم الجوار وتداني المزار - كي يصبح وسيطا ، « كي يلتقط شوك هذا الحزن - الذي بلغت آلامه القلب والروح - بملقاط الألفاظ من قدم زماننا المضطرب ، ويلتمس العفو من حضرة الملك للذنب لم نرتكبه » .

فعرض الأمير مبارز الدين القضية على السلطان ، فبدت أسارير السرور على جبينه المبارك ، وقال : إن ما يرضيه لا يد وأن يكون موافقا لنا . فأبلغ الأمير مبارز الدين الرسول بحصول المقصود ، فأرسل إلى « كيرفارد » قائلا : « إن الرأي أن يُفرغ الروح من الفكر ، ويجعل دأبه الإذعان لأحكام ملك الزمان ، وينزع من قلبه التعلق بالقلعة ، وينشد من الآن الملجأ والملاذ في الظل المبارك للملك » .

فلما عاد الرسول تبسم « كيرفارد » تبسم الربيع ، وأرسل رسولا ضرب اللسان إلى حضرة السلطان كي يسلم مكتوباً مشتملاً على ما سمعه ملك العالم وهو : كانت هذه الصخرة الصلدة منذ زمن « دارا » و « هوشنج »^(١) وعهد الإسكندر وقبصر موطننا لأباء هذا المملوك الذليل وأجداده ، وحسرة على أعدائه وأضداده ، ولم يزمع أي ملك موفق حربها ، ذلك لأن خالق الكون لم ينشئ على الأرض سماء مثلها ، وقد زودت من الذخائر والمتاع بما يكفي إلى يوم الحساب . غير أنني حين ألقيت بنظرة من بعيد على المظلة المنصورة اعتورني فتور في الأعضاء ١٠٢ وتملكتني غشاوة في نور البصر ، واستبدت الضعف بالقوى / وبدا هذا الموقع الخيف في عين العقل بئرا لاقرار له ، فقلت لنفسي : إن مناطحة الصخر والتثبيت بالرايات الخفاقة في الملا مهلكة وضياح ، والواجب البحث عن مقر ومفر في

(١) من ملوك الفرس القدماء .

ظل شمس الملوك ، فإن شملتني العاطفة الملوكية ، وكان لي مع نوال الأمن
١٠٢ على حياتي / - كسرة خبز من ممالك السلطان ، فسوف يكون ذلك غاية
التلطف مع المملوك ونهاية الحدب على الخادم .

فاستحسن المليك قوله ، وقال : لو كان بالإمكان تدعيم أركان نية الصداقة
عنده بأوتاد القرابة لوجب أن يتم ذلك بأسرع ما يمكن^(١) حتى تزداد نقتته .
فلما سمع « كيرفارد » هذا أتى بخريذة من خرائد النساء لتدخل في زمرة من
يلزم من الحرم الملكي [وتنتظم في سلك مطهرات الحريم السلطاني الميمون وفق أمر
الشريعة المحمدية]^(٢) .

وبذلك التأمّت الأمور ، وكُتِب منشور بإمارة « أقشهر قونية » وملكية عدد من
القرى وأُرسل إلى « كيرفارد » .

وفي اليوم التالي نزل من أوج القلعة إلى حضيض خيمة السلطان - وكانت
تسامت زحل - وأخذ في إبداء الأعذار ، فلحظه السلطان بعين الرأفة ، وجعل
يبالغ في تكريمه واحترامه ، والتمس « كيرفارد » حضور السلطان إلى القلعة فاتجه
بالمظلة والرّابة صوبها ، وبادر أهلها باستقباله بالنثار والدراهم والدنانير . فلما صعد
إلى أعلى القلعة شاهد الوفير من المزارع والعديد من المصانع وما لا حصر له من
الذخائر ، فأدى شكر النعمة لله تعالى على يسر الفتح بتلاوة « الحمد لله الذي
صدقنا وعده »^(٣) ونصر عبده ، وأمر بأن يبنى هناك على تلك الصخور الصلدة
سور ، ثم منح ذلك الموضع شرف التسمي باسمه والتلقب بلقبه .

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٤٧ .

(٢) زيادة من أ . ع ، أيضا .

(٣) سورة الزمر : ٧٤ .

/ ذكر فتح قلعة «آاره» على يد ممالك السلطان

حين فرغ السلطان من عمارة «العلاية» نى عنان الفتح صوب «أنطاليه» ، وفي الطريق وقع بصره على قلعة «آاره» ، وكانت قد بنيت وسط سهل فوق حجر صخري ضخيم ، وبجانبيها يجري نهر ذو لون سماوي وعزم فتي كنهير النيل ، ومن أعلاها كان على حراسها أن يحنوا ظهورهم لقربها من السماء^(١) ، ومن أسفلها كان «جبل قاف» يبدو أشد انخفاضاً من القيعان .

وكان أخو «كبيرقارده» قد عرض كشفا عن اللذات الدنيوية ، وتجنّبها واختار سلوك التبتل^(٢) ، وفضل ليس الصوف الخشن على الحرير الأطلس .

فأمر السلطان أميراً من أمراء الدولة بأن يسير مع فرقة من العساكر المنصورة إلى قلعة «آاره» ويقول لحاكم تلك البقعة : إن أخاك - وهو المعروف بالكفاءة والشجاعة - لم يستطع إبقاء قلعة «كلونوروس» بعيدة عن أيدينا ، منذ شهر مضى ، وأغلب الظن أن الضعف والعجز الناشئين عن الحصار سيمجّل بأجلك ، وأنت رجل عاقل قد ركبت الهمة من جفاء الأيام ، ومن ثم فإن انتهاج جادة السلامة يناسب حالك ، فإن سلكت طريق الصواب مثلما فعل أخوك وسلّمت القلعة لمعاليتنا تيسرت لك المآرب والمقاصد ، أما إن هممت بمخالفة أحكامنا ، فلن تجد شوكة هذا الخلاف إلا في عين جهلك .

وما إن أبلغ برسالة السلطان حتى هاجمه في الحال مرض «القولنج» لما اعتراه من هيبة السلطنة وما غلب عليه من فزع وجزع ، وأسلم حساب العمر والروح

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٤٩ .

(٢) في الأصل : تبتل ؛ يعني كسول ، والتصحيح من أ . ع ، أيضا .

إلى فذلك^(١) «ومالك»^(٢) ، فصعق وجهاء القلعة من هول الحادث ، وسلّموها
١٠٤ رغبا أو رهبا . وهكذا دخل ذلك الموضوع بمجرد / رسالة ودون إعمال سيف أو
حسام في عداد غيره من بلاد المملكة وقلاعها .

ولما بلغ خبير الفتح الثاني سمع المليك أقام الاحتفالات العامة ، وأفرغ ذهنه
من فكرة الحرب ، وشرب الخمر على أوتار الرّبابة والصنّج ، فلما شارف
«أنطالية» خصّ الأمراء كافة بالخلع والتكريم ، وأذن لهم بالانصراف إلى المشتى
والمصيف ، وانطلق هو مع خواصه لقضاء الصّيف في «أنطالية» .



(١) لعلها تضمين من قول الله تعالى في سورة المعارج : ٤٤ : «خاشعة أبصارهم
ترهقهم ذلة ، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون» .
(٢) مالك : حازن جهنم .

ذكر عمارة سور قونية وسيواس

وتوزيعها^(١) على أمراء الدولة في سنة ثمانى عشرة وستماية

ذات يوم ، بسى ملك المشرق^(٢) بوجهه السعيد على الفلك اللازوردى فأخذ السلطان يتجول متنزلاً صحاري «قونية» ورياضها مع أمراء الديوان والقادة ، وفجأة ألقى بنظره من رب المدينة فرأها مدينة قد ازدانت بما فيها من بشر ومتاع ، بلغت مساحتها مسيرة يوم ، قد غرست في طولها وعرضها المزروعات والأشجار المثمرة (شعر) :

- ينبع ماؤها من نهر الفرات ، يمر ريحها على ماء الحياة .

- سارع الناس من كل بلد وإقليم ، واستوطنوا تلك المدينة الواحة الهنية .

- هي ليست بمدينة ، بل عالم بأسره ، هي بحر عميق ، غير أنها سُميت مدينة .

لكنها « كالتصل عُرِي متناه من الخلل » قد عطلت من حُلل السور ، قال السلطان لأمرء الدولة : من الخطأ البالغ ترك مثل هذه المدينة الشهيرة معطلة من حُلل السور كالعرائس الغائنة المجلوة . ولكن كائت / الدنيا - بسبب ما لنا من همّة مظفرة وسان فتاك - تعدّ سورا حولنا ، فالحزم يقتضي مَن يتصف بالذها ، أن يكون على حذر دائم من الجشع والطمع ، فدورة الأيام لا تدوم على وتيرة ، والزمان مولد للحادثات ، والشمس جالبة للوقاعات ، (بيت) :

- يأتي الزمان بآلاف الصور ، ولم يكن ، أي منها موجودا في مرآة تصوّرنا .

(١) في الأصل : ربع أن : يعني ربعها ، والتصحيح من أ. ع ، ٢٥٢ .

(٢) يريد به الشمس .

ورأينا منصرف إلى أن يُقام سور حول هذه المدينة و«سيواس» ، كي لا تؤثر فيها فأس دواهي الذهر المتقلب ، ويتجاف عنها نقاب أحقاد الأحقاب .

ثم إنه أمر بإحضار المعمارين والرسميين الحاذقين ، وركب مع الأمراء وطاف حول المدينة ، لكل يحدد بالرسم مواضع البروج والأبدان^(١) واليوآيات . ثم أمر نواب الخاص السلطاني بأن تقام من الحساب الخاص أربع بوابات مع بعض الأبراج والأبدان ، وقسم الباقي على أمراء البلاد - كل على حدة - وأمر بالإسراع في الأمر واغتنام الفرصة ، وأرسل أمرا بنفس المعنى إلى أمير المجلس «سيواس» ، لكي يني بدوره - بعد الحصول على موافقة الملوك والأمراء في تلك النواحي - سورا كالجبل حول «سيواس» .

وبدئ في وضع أساس السور بكل من «قونية» و«سيواس» ، وتواصل العمل ليلا ونهارا - على قدر الاستطاعة والإمكان - بهدف الإنجاز والإتمام . ولم يتركوا شيئا إلا فعلوه في سبيل تقوية القواعد وإعلاء الأبدان وتشييد البروج ، لما كان بينهم من عصبية وحسد . وبعد الإتمام أبلغ السلطان ، فركب وطاق على أطراف الخندق ، ونظر إليه بعين الاعتبار / وشعر بالرضا والاعتباط ، ثم أمر بأن ينقش كل واحد منهم اسمه بالذهب على الحجر ، لكي يبقى لمساعيهم اسم ورسم في الدنيا لأجيال عديدة ، ثم أقام احتفالا ، وياشر البهجة والأنس .



(١) كذا في الأصل : ابدان ، ولعله يريد بها الأسوار .

ذكر ورود محيي الدين ابن الجوزي من حضرة الخلافة

برسالة ، واستتجاد العساكر وندب بهاء الدين قتلوجه لذلك

لما انتهت عمارة قونية وجّه السلطان عنان عزمه صوب «قيصرية» لتفقد مصالح البلاد ، فلما شارف «قيصرية» أخبر أمراء ملطية أن «محيي الدين ابن الجوزي» قد أوثك على بلوغها حاملا رسالة من حضرة الخلافة ، فأمر السلطان بأن يتقدم ضيوف الشرف السلطاني حتى «سيواس» المحروسة لاستقباله وأن يبذلوا جهدهم في توقيف جانبه . وما إن بلغ نزل القوافل «اللا» حتى خفّ السلطان لاستقباله بالمظلة والطبول ، وهو في زينة تحسده عليها أرواح الملوك السابقين . وبعد المعانقة أبلغه ابن الجوزي بسلام أمير المؤمنين وتلاطف السلطان وتحدث معه كثيرا . فلما بلغوا البوابة ودع قادة الآفاق ودلف إلى داخل القصر .

وفي اليوم التالي (حين دفع راضة القدر الإلهي بمقتضى قوله تعالى «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره»^(١) برج الأمد تحت تمكين ملك النجوم السيارة ، وركب السلطان ذو العرش اللازوردي^(٢) على الحصان الأخضر الذي يسابق الريح)^(٣) ، كان ديوان مالك الرقاب قد زين بزينة جعلتها أشبه ما تكون بروضة أهل الفردوس ، وقد اصطفّ الأمراء الكبار عن يمين ويسار ، وتجنّس الإمام محيي الدين التوجه لديوان السلطنة مصطحبا الخلع والجنائب والأدوات المهذبة والآلات المذهبة . وأخذ «جلال الدين قيصر برواه» بيد الرسول اليمنى «وظهير الدين منصور» / بيده اليسرى على سبيل الإعزاز والتكريم ،

١٠٧

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٢) يعني الشمس .

(٣) فارن أ . ع ص ٢٥٧ ، والأصل مضطرب للغاية في هذا الموضع .

وأجلساه على كرسي سبق وضعه على درجة العرش ، ووضع حمالو دار الخلافة الأحمال على حافة الصُّفَّة ، وسحبوا الجنيبة - وقد ألبست رداءها المرصع - على الصُّفَّة . وأنزل السلطان من فوق العرش ، وتسلَّم في ذلك الحجاب ركاب جنية حضرة الخليفة تعظيما وتوقيرا ، وارتدى خلعته الخلافة . وأخذ محيي الدين بيد السلطان وأجلسه على العرش ثانية . ثم ما لبث القراشون أن رفعوا الحجاب ، فشر الأمرء والقادة تحفا من الذهب ، ومدَّوا بساط السَّماط .

وبعد تناول الطَّعام وتبديل الرِّفَع بالوضع طلب محيي الدين الخلوة ، ثم بدأ الكلام فحمد الباري وصلى على روضة المصطفى ودعا لحضرة الإمامة وأثنى على حضرة السلطان ثم قال : إن أمير المؤمنين يبعث بالسلام لملك الإسلام ، ويقول إن جيش التتار ما إن فرغ من محاربة محمد خوارزمشاه حتى استمكنت قوته واستحكمت شوكته ، وقد نما إلينا أنهم يقصدون هذه الحدود ، فلو أن السلطان سير ألفي فارس من بلاد الروم إلى هذه التَّخوم يرسم النَّجدة ، احتياطا واسما ، لكان في هذا مصلحة للملك والملة . قال السلطان : سمعا وطاعة ، يتم اللازم ويُرسَل على أسرع حال . فعاد الرسول إلى محل إقامته فرحا مسرورا .

وتوجه السلطان - بهية ووقار - إلى قصر الخلوة ، فاستدعى الأمرء الكبار ، وقال : كان اعتقادنا في بُعد غور أمير المؤمنين ودرايته أكبر من هذا ، إذا لا تجوز مقابلة جيش كسيل العرم لدولة جديدة وحظَّ فتى - وهو جيش قد هاج وماج كبحر من النار - إلا بالمدارة . ولعل الأصوب أن يثبیر أمير المؤمنين / بأن يتجمَّع من كل إقليم رسول بالتحف والهدايا في موضع معيَّن فيلتقون جميعا كالنجوم في برج السَّعادة ، وينطلقون في صحبة رسول أمير المؤمنين إلى حضرة الخان ، ويعتذرون إليه بأن سلاطين البلاد لو قدموا إلى حضرته بأنفسهم لحل بلادهم

الاضطراب ، ويظهرون الطاعة ، ومن ثم تختمر الآراء والتدابير وفق ما تقتضيه المصلحة^(١) ، ويوضع للمصالحة بناء محكم وقاعدة واسعة .

غير أننا لو أبلغنا هذه المقدمات للمسامع الشريفة لأمير المؤمنين قبل إرسال النجدة فسوف يحملها على العجز والضعف ، ويظن أننا ضننا بالإيجاد بالأجناد . فإن كانوا قد طلبوا ألفي فارس فلنرسل خمسة آلاف ، فيستصحبون بذلك مواليد سنة واحدة .

وفي الحال صدرت الأوامر بهذه المهمة وتخريص العساكر للتوجه إلى ملطية ، بحيث يكون سيرهم صوب دار السلام بقيادة ملك الأمراء « بهاء الدين قتلغجه » .

وفي اليوم التالي استدعى السلطان الرسول للنزهة ، وأعاد على مسامعه الحكاية كما جرت ، وسمح له بالانصراف ، فلما لحق محيي الدين بمقر إقامته أرسل الخزان في إثره بخمسين ألف سلطاني ، ومائة ثوب ثمين ، وخمسة بغال سريعة السير ، وعشرة خيول ، وخمسة غلمان من الروم ، وعشرين ألف سلطاني برسم من يرافقه من كبار الشخصيات .

فلما انصرف لم يمض شهر واحد - بل أقل - حتى لحق الجيش بأسره بملطية المحروسة ، ويقووا ينتظرون قدوم الراية السلطانية : فسرح السلطان الراية بصحبة « ظهير الدين الترحمان ابن كافي ملطية » مع المبارزين والجنائب / ١٠٩ والحراس وخزان السلاح وكميات هائلة من الميرة والزاد .

وكان الأمير بهاء الدين قد تجهز وأعد أسباب السفر ، فلما وصل ظهير الدين مع الراية وأبلغ الأمر ، عين الميمنة والميسرة والمقدمة والساقة والقادة ورؤساء

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٦٠ .

العشائر وبينهم ، وانطلقوا بنظام لم يشهد أحد له نظيراً .

وحين رأى ملوك الديار من «خريسيرت» و «أمده» و «ماردين» و «الموصل» تلك العظيمة ، عظم قدر السلطان في قلوبهم ، فأخذوا في تقديم أنواع الهدايا والضيافات . وكان الأمير بهاء الدين يبالي بحدوده في احترام الملوك وإكرامهم ، كما يوصل إليهم من تشاريف السلطان وإنعاماته ورسائله النصيب الأوفى .

فلما وصل إلى الموصل احتجزه بدر الدين لولو ثلاثة أيام ، وقدم له خلال إقامته من الخدمات ما لا يتسع المقام لوصفه ، وفي اليوم الرابع أخذه الأمير بهاء الدين إلى حضرته ، فأقام احتفالاً شده لفخامته وروعته بدر الدين لولو - برغم ما عرف عنه من علو الهمة - فأثنى على السلطان ثناء عاطرًا لا يقال : قد يستدل على ما للسلطان من كمال الخلال وارتفاع ذروة الشئاميل والخصال بمثل هؤلاء المعاليك التجاء^(١) .

ثم إنه كتب رسالة إلى الملك مظفر الدين^(٢) أن جيشاً هائلاً يتقدم من قبل السلطان لئلا تفتقد عتبة الإمامة ، فإن حدث وتوقف هذا الجيش هناك فسيستكبد الديوان العزيز الكثير من النفقات ، لذا بات من الأولى صرفهم لكي يعودوا مسرعين من حيث أتوا . وقد أعد الملك مظفر الدين الأنزال^(٣) والتقدمات وتهيباً بنفسه للاستقبال ، فلما رأى الجيش وقائده على هذا النحو استصوب رأي بدر الدين ، وطير رسالة على جناح الحمام إلى الديوان العزيز ، فوصل الجواب من

(١) زيادة من أ . ع . ص ٢٦٢ ، وتبدو هذه الفقرة - التي أهملت في الأصل -

ضرورية لكي يتم معنى الجملة السابقة عليها مباشرة .

(٢) يراد به الملك مظفر الدين كوكبوري صاحب ليزل .

(٣) نزلها ، وهي جمع نزل أي المكان الذي ينزل فيه الضيف .

الذيوان ببقاء الجيش هناك إلى أن يصل ضيوف الشرف ، فليحتجز / الملك مظفر الدين عساكر الروم هناك بطريقة تتضمن اللياقة والتكريم .

كانت السماح عند الملك مظفر الدين طبيعة والسخاء غريزة ، فلم يترك شاردة ولا واردة . وبعد بضعة أيام جاء أحد كبار الأمراء من الذيوان العزيز لإعذار الأمير بهاء الدين ، فذهب عند الأمير مظفر الدين ، وأتى بصحبه إلى الأمير بهاء الدين ، وسلمه رسالة الذيوان العزيز مع سلام العتية المقدسة ، فوضع الأمير بهاء الدين رأسه في الحال على الأرض ، ثم وضع الرسالة على مفرق رأسه ، وكان قد كتب في الرسالة : كانت الأنباء قد تواردت من قبل بأن جيش المغول حين فرغ من أمر خوارزمشاه انطلق إلى هذه الناحية ، وكنا قد استجدنا بالسلطان احتياطا أما الآن فنحن نسمع أن رأيهم قد تحول عن تلك الفكرة ، فسمح بالانصراف لملوك الأطراف الذين كانوا قد قدموا من مختلف الأرجاء ، فيتعين على الأمير بهاء الدين العودة بجيشه بسلام .

وجيء بخمسين ألف دينار خليفي ومائة جعل ومائة حصان وخمسين بغلا وعشرة آلاف رأس من الغنم ، وثلاثمائة خلعة ومائتي بغل محملة بأنواع المأكولات والحلوى يرسم النزل . فدعا الأمير بهاء الدين للخليفة وأتى على ما قدم من صدقة وإنعام ، ووضع جبينه على الأرض ، وأعطى ضيوف الشرف خلعا سلطانية ، وسجل ذلك كله ودونه ، ثم قام بتوزيعه على الجيش . وأمر بأن يركب الجيش بأسره بكامل سلاحه وعتاده من الغداة ، وأن يعرضوا أنواع الشجاعة والشهامة والمعب بالرمح ورمي السهام واستخدام الأنشودة والوهق .

وفي اليوم التالي انتظم الجند لم ركبوا ، ولبس الأمراء الخلع ، فلما ظهرت /

مواكب بغداد وإربل^(١) ولّى الأمراء وجوههم - وقد ارتدوا الخلع - صوب دار السلام ، ونزلوا من فوق خيولهم ، ووضعوا رؤوسهم على الأرض ، ورفع قادة الفرق أصواتهم بالدعاء لأمير المؤمنين والثناء على ملك العالم .

فلما شاهد رسل أمير المؤمنين والملك مظفر الدين ذلك التواضع ورأوا حشود المسكر ومهارة الفرسان واستغراقهم التام في الذهب والسلاح قالوا : إن سلطاننا نجدته^(٢) هذا الوقار وهذه العظمة إن قصد بنفسه ملكا فمن ذا الذي يتجو من بأسه وسطوته ، وأثنوا ثناء جزيلا على الأمير بهاء الدين وحشوده ، وودع كل من منهم الآخر ، ثم انطلقوا آيين صوب الروم .

وحين وصلوا ملطيّة ودخل الأمير بهاء الدين بيته أقام وليمة كبرى ، ثم أمر بالانتشار ، وأرسل أحد كبار الأمراء في صحبة راية السلطنة ، كما أرسل نائبه إلى الحضرة السلطانية واعتذر عن نفسه ، ثم ما لبث أن أسرع بعد شهر إلى الديوان ، ونال شرف تقبيل اليد .



(١) لعله يعني بذلك قدوم رسول الخليفة والملك مظفر الدين ومن يرافقهما من كبار

الأمراء لتحية جيش الروم قبل مغادرته .

(٢) قارن أ . ع ص ٢٦٤ .

ذكر أخذ السلطان الأمراء الكبار

في قيصرية وإنزال العقوبة بهم

لما انقضت مدة على دولة السلطان علاء الدين كيقباد وسلطنته ، واستقرّ على عرش الدّعة ونال الإعزاز ، سلك الأمراء الكبار كالأمير « سيف الدين آينه چاشني گيره » و « زين الدين بشاره أمير آخوره » و « مبارز الدين بهرامشاه أمير المجلس » و « بهاء الدين قتلوجه » طريق البطر والأشر بحكم ما لهم من سبق الخدمة وكمال الثروة وكثرة الأتباع والأشباع ، وأخذوا يمارسون على السلطان صنوفا من التحكّم ، وبلغ بهم الحدّ ، أن اتخذت الترتيبات في مطبخ السلطان أن يعدّ في كل يوم ثلاثون رأساً من الغنم كرواتب للخاصّة والعامة كما كان للأمير « سيف الدين آينه » راتب مطبخ يومي قدره ثمانين رأساً من الغنم ، وأمسك في يده بزمام النقص والإبرام كليةً ، وحين كان يترك حضرة السلطان متّجهاً إلى منزله لم يكن يدور حول قصر السلطنة [وكان بقية الأمراء وأركان الدولة يعدّونه مقصداً وزعيماً مطاعاً لهم] (١) كما لم يكن بالإمكان مخالفة إشارته في حجابة السلطان .

كانت الأحقاد والضغائن قد ظلت تتراكم من قبل ذلك في القلب المبارك للسلطان ، وظل على مداراتهم لأن انتهاز الفرصة لم يتيسّر ، لكنه كان ينطق في بعض الأوقات في الخلوات بكلمات مسمومة . وكان كافرو النعمة من المقربين لحضرة السلطان - يبلغون أسراره بأسرها للأمراء (١) ، فكانوا يدورهم يسلكون طريق التذلل والتملق لكنهم كانوا يتشاورون فيما بينهم خفية بقصد حصد فرع

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٦٥ .

غير أنهم اتفقوا سوياً ذات ليلة في نهاية جلسة شربوا فيها الخمر أن يوجهوا الدعوة إلى السلطان من الغد لضيافة بيت الأمير سيف الدين آينه ثم يضعون في قدمه قيذا ثقيلًا ، ويأتون به «كي فريدون» الموجود في «قيلوحصار» ويجلسوه على العرش . فخرج أحد الغلمان - وكان موضع سرهم - وقد بلغ السكر منه غايته من ذلك المجلس ، وذهب وهو ثمل لا يعقل إلى بيت «سيف الدين ابن حقه باز» والأمير «كمنينوس» وكان كلاهما محرماً للسمر بمنزلة «ثاني النين في الغارة»^(١) . فأجابا بقولهما : إن تديبر / أمرهم سهل ميسور ، لكن من الصعب تنفيذه في «أنطالية» باعتبار أن الأمير مبارز الدين ظل حاكماً لها نافذ الأمر فيها طيلة عشرين عاما مضت ، فلو أن السلطان يأمر بإرجاء هذا التدبير لحين النزول بقيصرية لكان ذلك أكثر صوابا . فاستحسن السلطان هذا الرأي . فلما حل موسم الارتحال عن أنطالية عزم على التوجه إلى قيصرية .

وهناك أمر - كمقدمة أولية لهدم بنيان وجود الأمراء - بأن يضرب «شمس الدين القزويني» أمير الحجاب خمسين ضربة بالمقارع على باب الديوان إذ كيف يسمح لأتباع الأمراء وحواشيهم بدخول الديوان بسلاحهم وعتادهم . والتعليمات هي أنه لا يُسمح بعد اليوم بذلك لكل أمير إلا إن كان أميراً ممن يلبسون «الجرموق»^(٢) ، واستمرت هذه القاعدة ، فبدأ الجبال فسيحاً أمام مكر

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ (سورة التوبة : ٤٠) .

(٢) «سرموزه» ومعناها «جرموق» ، وهو ما يلبس فوق الخف ، وقد أتبها «القلقشندي» في كتابه صبح الأعشى : «سرموزه هكذا دون تعريب ، انظر ٤ : ١٠ .

ودبر السلطان أمرا مع « كمينيوس » و « سيف الدين ابن حقه باز » و « مبارز الدين عيسى » أمير الجاندار^(١) وهو أن الأمراء حين يدخلون دار الحكم في اليوم التالي على عاداتهم ، يأخذ « كمينيوس » في الطواف خفية وهو مسلح ويرفقتة أعوانه فوق سور حديقة السلطان ، ويلبس غلمان الخاص السلاح فيسقفون ملازمين [على الرسم المألوف بصفة القصر]^(٢) وفقا للنظام المتبع في الحراسة ، وينلق الحجاب باب القصر بإحكام بعد دخول الأمراء ، ولا يسمحون لأي مخلوق بالدخول أو الخروج ، وأن يقف الأمير « مبارز الدين » أمير الجاندارية^(٣) بشهامته المهودة هو وإخوته على باب قاعة الاحتفالات بالعدة والعتاد ، فيلقون القبض على كل أمير يقصد التوجه إلى بيته في أعقاب السكر ، ويضعونه في بعض البيوت ، ويتظنون إلى أن يصدر أمر بشأنهم .

فلما حلّ اليوم الموعود ، تمّ تنفيذ ما اتفقوا عليه ؛ وسبق الأمير « سيف الدين چاشني گير » غيره وأغيا في الانصراف ، / فتقدم « مبارز الدين عيسى » وإخوته وقالوا : الحكم هو أن يدخل الأمير هذا البيت . فأجاب : لا بدّ أن هناك خطأ ما . قالوا : بل هو الصواب . فألقى قلنسوته في الحال على الأرض وقال : من يوم أن قال السلطان في الحديقة بأن الأشجار العجوز ينبغي أن تُقلع وتُغرس مكانها أشجار غصه فتيّة قد علمنا أنه سيدبر مثل هذا الغدر ، ولو أتيت كنت قد تداركت الأمر في ذلك الحسين لما اعتصورني العجز اليوم ، قد رضيت

(١) إمرة الجاندارية : أمير جاندار : «وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان » (صبح الأعشى ٤ : ٢٠) .

(٢) زيادة من أ . ع ص ٢٦٧

- انتزعت القلب من الجسد والروح والمال والولد ،

ورضيت بما هو أسوأ من الموت .

ثم خرج زين الدين بشارة «أمير آخورة»^(١) ، فاحتجزوه بدوره في بيت آخر ،
 وفعلوا نفس الشيء مع بهاء الدين قتلوجه ، ثم نهض أمير المجلس متأخراً عنهم
 جميعاً ، فأجبر على سلوك ذلك الطريق ، فلماً أخذوا جميعاً ، جاء «ابن حقه»
 بازه إلى حضرة السلطان وقال : ليسعد السلطان ، لقد زج غلمان السلطان
 والأمير بالأمرء - الذين كانوا قد جلسوا [بالصفحة] - في السجن ثم فتحو باب
 قصر السلطنة ، وذهب التواب إلى بيوت الأمرء ، وسجلوا ما يملكون من متاع
 وزينة ، وختموا كل البيوتات بالخاتم ، واختاروا من الموككين من أغاروا على
 بيوت أقاربهم والمتصلين بهم جملة .

فلم يقرّ للسلطان قرار من فرط ما تملكه من ضعف تجاه «جاشني كبير» ،
 فأرسل إليه «مجد الدين إسماعيل» والي قيصريه يسأله : ما الباعث على ما كنت
 تبديه من تبجح وتحكم ؟ أجاب بقوله : أنا ربّيتك أنت وأخاك / على كتفي وفي
 أحضانني أيام الغربة ، وقصصت شعري الطويل وبعته لنسوة الرّوم من أجلكما
 برغيف من الخبز لسدّ الرّمق^(٢) ، وقدمته لكي تأكله أنت وأخوك ، وأثيت
 بجسد أبيك الطاهر من الرّوم إلى دار الإسلام ، وانتشلتك من الحبس على
 خلاف رأي الأمرء والوزير ، ولم يكن لأحد من محاليك أبليك منزلتي في القدمة ،

(١) راجع فيما سبق ، ص ٥١ هامش ١ .

(٢) ازبي بيوسته كيري ، وهي في الأصل : از بي ... ، بالباء المخففة ، ولا معنى لها ،
 والنصح من أ . ع ص ٢٦٩ .

فإن كان ثَمَّت تجاوز ، فهو مبنئ على هذا ، وكانت ثقتي كاملة في العهد والميثاق الذي كنت قد نطقت به يوم السجن ، أنا من لا سبيل للسلطان إلى العثور على مملوك مشفق مثله ، فإن عجز عنه فلن ينفعه الندم ، (بيت) :

لتقرعن على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

فلما أبلغوا هذه الكلمات الرقيقة لمسامع السلطان تضاعف ما في قلبه من فسوة وغلظة^(١) ، وأمر بأن يحملوه إلى أحد الأبراج ويفصلوا رأسه عن جسده . أما «زين الدين بشار» فجمعوه في بيت وأغلقوا عليه الباب حتى أخذ يتغذى بأعضائه من فرط الجوع . وأرسل أمير المجلس مع «روزبة» الخادم إلى قلعة «زمندو» ، وأجلس بهاء الدين قتلوجه فوق بغل بغير سرج فدفع به إلى «توقات» وهو يركي ويتحب .

وحين أُنجزت الأمور استدعى السلطان الأمراء الذين كانوا قد قاموا على إنمامها ، فدخل عليه «كمنينوس» وأمير «جاندار» وإخوته ، ومثلوا بين يديه ، فأجلسهم جميعاً في مجلس الأُنس ، وأمر في تلك الليلة بأن يعهد بمنصب إمارة الأمراء^(٢) إلى كمنينوس عوضاً من «سيف الدين آينه» .

وفي اليوم التالي أتجه السلطان - على خلاف المعهود - إلى الميدان تصحبه ١١٦ الطبول والعلم والبوق والمظلة / ، وتنزّه مدة - بكلّ جلال ووقار - في صحراء المشهد ، وظلّ يركض بحصانه حتى صلاة المغرب ، ويلعب بالكرة .

وفي تلك الأثناء رأى السلطان أن الأمير «كمال الدين كاميار» وه ظهير

(١) قارن أ . ع ، أيضا .

(٢) في الأصل بكلركي : هي كلمة تركية ، وتعني أمير الأمراء .

الدين منصور ابن الكافي، الترحمان و «شمس الدين ولد قمر خراسان» - وكانوا من أواسط الأمراء - يتخافتون فيما بينهم ، فقال : ألم بأن لهذا نفر من الاخساء أن يخرجوا ربح الفضول من رؤوسهم ؟ وأمر أمير العدل بطرد الثلاثة جميعا من الميدان بالصولجان ، وبأن يتعرض ما في بيوتهم من متاع وزينة للغارة ، وأن ينفوا من بلاد الروم . فنزلوا «حزيرت» ، فرحب بهم ملكها ، فتلقي من جانب السلطان عتابا لصنيعه هذا . فانطلقوا من هناك إلى «أخلاطه» فاستضافهم «الملك الأشرف» سنتين ، ثم إنهم جاءوا إلى بلاد الروم بشفاعته ، لكنهم ظلوا على حالهم من الذلة والخذلان فقد تبدد كل ما كان لدى «كمال الدين كاميار» وذهب هباء منثوراً ولم يعد له إلا حصان واحد .

وذات يوم خرج السلطان وهو في «علائية» إلى الصيد ، فركب كمال الدين في خدمته ، وعند الرجوع وأثناء الصعود إلى القلعة سقط حصانه على الأرض فلم يسع كمال الدين كاميار إلا أن حمل السرج على ظهره ومضى إلى منزله . فلما وصل السلطان سأل : حصان من هذا ؟ فتبسم «نور الدين ابن طلاتي الأخلاطي» وكان من ندماء الخاص ، قال السلطان : علام تبسم ؟ أجاب : قد بلغت مني الحيرة كل مبلغ للقول المأثور : «إنه لا يعز من عاديت ولا يذل من واليت ، ولا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»^(١) ، ما كان لكمال الدين كاميار من الدنيا بأسرها إلا هذا الحصان ، فجرى عليه - لكبر سنه - ما جرى .

فلم يجب السلطان حينذاك ، ولمّا نزل استدعى «كمال الدين كاميار» ، ومنحه تشريفا خاصا ، وألف دينار أحمر وخمسة من البغال غير المسرجة /

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٧٢ .

وعشرة من الخيول المرسجة الملجّمة وخمسة غلمان ، وأمر الأمراء بأن يعطوه من أموالهم ، وأنتم عليه فأقطعه ولاية «زره» ، وكان بها في ذلك الوقت مائة ألف من [الخاصة وستون من ممالك الحواشي] (١) .

لنرجع إلى ما كتبنا بصدده ؛ حين قدم السلطان من الميدان إلى الإيوان أمر بإنزال العقوبة بكل حواشي الأمراء المقتولين وغلّمانهم ومن كانوا على صلة بهم ، وأعطى غاتما «لابن حقه باز» لتوقيع ذلك الحكم ، بحيث إذا حلّ الليل يقضي عليهم جميعا ولا يبقى على أحد منهم (٢) . فركب «كمنينوس» في الحال مع غلام وركائبي وجاء إلى الدبوان ، وطلب المثول بين يدي السلطان ، ثم إنّه دخل ووضع رأسه على الأرض وقال : اليوم ، حين ذهب هذا المملوك من قصر السلطنة إلى منزله كان يحيط بي حشد هائل من أتباعي وخدمي وذوي الصلة بي ، أما الآن فقد بقي من أولئك جميعا غلام واحد وركائبي (وتفرق الباقون منزعين) (٣) ، قال السلطان : وما السبب ؟ أجاب : ألم يؤذن لسيف الدين النائب بالقضاء على ذوي الصلة بالأمراء وغلّمانهم ؟ ، إنّ الناس حين سمعوا ذلك استبدّ بهم القنوط ، وقالوا : لو صدر منك ذنب يستوجب العقوبة غنا فسوف نعامل نحن نفس المعاملة ، فيحسن أن نقوم بتدارك الأمر قبل حلول الواقعة . قال السلطان : الحقّ ما قالوه . وأعطى مندبيل الأمان بحيث يبتطل ذلك الحكم .

ولما كان السلطان قد فرغ من جهة قتل الأمراء (٤) ، وامتلأ وعاء الخزائن بالثقود والجواهر ، شرع في فتح البلاد والقلاع المتاخمة لحدود مملكته .

(١) قارن أ . ع . ص ٢٧٣ ، والنص في الأصل في هذا الموضع غير واضح .

(٢) زيادة من أ . ع . أيضا .

(٣) قارن أ . ع . ص ٢٧٤ .

في أيام السلطان «علاء الدين كيقاد»

عرض أصحاب الأخبار على حضرة العاهل أن الملك «مسعود» صاحب «آمد» قد انحرف برأسه عن ربة الولاة للسلطان ، واستنصر بالملك «الكامل» وجعل الخطبة والسكة باسمه ، فاستبدَّ الغضب لهذا بالسلطان وأمر بأن يتوجه قادة حدود الروم بأسرها بكلّ معدّات القتال وبأسرع ما يمكن إلى «ملطية» الهروسة ، وترفون ما سوف يؤمرون .

فلحق الجند جميعاً بدار الرّفة « ملطية» ووصل الأمر لتنفيذ ما يلي من مهامّ : يتطلق الأمير «مبارز الدين جاولي» بفوج من الأجناد صوب «كاخته» - وهي من بين ممالك «آمد» - ويهيئ الأسباب المفضية إلى فتحها . ويتّجه الأمير «أسد الدين كندصطبل» بكوكبة من الجنود المشهورين إلى «جمشكزك» و«كرفراك» . وكلاهما تابع بدوره لحكم «آمد»^(١) .

فانطلق الأمير مبارز الدين بالعساكر وآلات الحصار إلى «كاخته» ونصب أحد الجنائيق المغربية بمحاذاة البوابة . كما نصب الثين من الجنائيق أحدهما على يمين القلعة والآخر على يسارها . فلما علم الأمدي بذلك بعث برسالة استغاثة عاجلة إلى الملك الأشرف ، الذي دفع بعز الدين بن البدر مع عشرة آلاف فارس من قبائل الأكراد والأعراب نحو «كاخته» .

فلما أخبر الأمير مبارز الدين بأن الشاميين قادمون^(٢) وقد عقدوا العزم على

(١) في الأصل : او : يعني هو ، والصحيح ما جاء به أ . ع . ص ٢٧٥ : آمد .

(٢) في الأصل : اند : يعني هم ، والصحيح ما جاء به أ . ع . أيضا : آيند : قادمون .

القتال ، نصب جماعة على أعمال المجانيق ، واستعدّ بنفسه للقتال مع الأمراء والأجناد ، وقدم إلى الصحراء في مواجهة الأعداء .

وفي اليوم التالي انطلق الجيشان للمواجهة ، وجاء عند ذلك مدد قوامه ستة آلاف فارس من « أمد » فاختلفوا بعضهم ببعض ، فأرسل الأمير مبارز الدين جانباً من ١١٩ الجيش [للحراسة] في طريق القلعة ، وانطلق بنفسه مع خمسة من الإخوة - وهم من عرفوا بأولاد « فردخلاه » وكانوا قد وصلوا لتوهم من ولاية « لشكري » - لمواجهة الشاميين . فبادرهم الشاميون بالهجوم عدّة مرات لكنهم لبثوا كالجبال الرّواسي . ثم إنهم حملوا حملة واحدة وقتلوا مقتلة عظيمة من جند العدو ، وأسروا « عز الدين بن البدر » قائد الجيش ، ووجّه الباقيون مدعورين حيارى وجوههم كلّ واحد إلى ناحية وولوا الأدبار .

قلماً جيء بابن البدر إلى خيمة الأمير مبارز الدين ، قابله بكلّ احترام . ثمّ إنه سارع في تلك الحميّة ^(١) صوب القلعة فلماً شاهد أهل القلعة ما حدث بلغ نواحيهم الأمان عنان السماء ، فنزل جماعة منهم أسفل القلعة ، وطلبوا خطأ بالأمان لكي يسلموا القلعة ، فاستمالهم الأمير مبارز الدين وأزال بمصقل اللطف ما ران على خواطرهم من صدأ الخفة ، وأقسم على مشهد من صاحب القلعة قائلاً : أنا جاولي وهذا الجيش [وثيقة أمراء السلطان وعساكره] ؛ طالما أنّ أهالي القلعة قد ساروا في طريق الانقياد والإذعان وأنهم سيسلمون القلعة لمماليك السلطان ، فلن يخلق بهم ضرر صغر أم كبير ، وسوف أحقق لهم كلّ رغبة يريدونها من حضرة السلطان ، وإن أرادوا الرّحيل بأموالهم وأمتعتهم فلن أمنعهم . فإنّ غرض سلطان العالم هو القلعة فحسب .

(١) كرمي : الحرارة . والحميا : شدة الشيء وحدته (المعجم الوسيط) .

وحين سمع الأعيان هذه المعاني من الأمير مبارز الدين ، نادوا للمصلاة فصلوا جماعة^(١) ، ثم صعدوا ، وأنزلوا نساءهم وعيالهم من القلعة ، وأعدوا « كاخته » وهيارها ثم سلموها في اليوم التالي لمعاليك السلطان لكي يرفعوا عليها علم ملك العالم .

١٢٠ وصعد الأمير مبارز الدين ، فأقام حفلا تلك الليلة بجوف القلعة ووصل / الليل بالنهار في الطرب والمرور .

وفي اليوم التالي صرف « عز الدين بن البدر » مع سائر الأسرى في صحبة مائة فارس إلى حضرة المليك ، ورفع تقريرا للديوان عن صورة ما حدث ومحاربة الشاميين وانهزامهم هم والأمير عز الدين ، وتضمنية أهالي القلعة . فاقتربت تلك المساعي عند السلطان بالرضا والقبول ، وأرسل إليه خلعة ملكية مع ما لا حصر له من الأقطاف والإنعام . وفوض أمر حفاظة القلعة وحراستها إلى واحد من خواص الغلمان ، ودفع إليه برسالة جوابية لكي يحملها إلى البطل .



(١) قارن أ . ع ، ص ٢٨١ .

ذكر فتح قلعة «جمشكزك» على يد ممالك السلطان

انطلق الأمير «أسد الدين كندصطبل» - قائد جند ملطية - وفق الأمر المطاع بخمسة آلاف فارس وآلات الحصار صوب قلعة «جمشكزك» ، فرأى صخرة قد شمخت برأسها إلى السماء ، وبها غار هو من صنع الله ، وأسفلها نهر جار لا يقم للثليل وزنا وبحسب الفيل بعوضة ، ومن هذه الناحية من النهر مدينة أكثر منعة من القلاع الحصينة بل هي أكثر إحكاما وضخامة من القلاع [نظر الأمير «كندصطبل» في تلك القلعة ثم قال لبقيه القادة والمقدمين^(١) : ياله من موقع بهاب العقاب أن يحلق فوقه ، ويبدو من المحال أن يعثر فيه الثقب على موضع لشفرة ، إنه موقع لا ينال بالحرب والجلاد ، فإن دخل في أنشودة المراد بالوعد والوعيد فهو المراد وإلا فلنجهد قدر الإمكان لعله يتيسر بالتأييد الرباني والإقبال السلطاني .

ثم إنه أرسل إليهم رسولا ، لكي يفاتحهم في أمر «كاخته» وأنه لا محيد عن استزلالهم بالقسر ، وإهلاك نخبة جند الشام بالقهر ، ويتلو عليهم التعليمات الواجبة النفاذ . فلما اقترب الرسول من القلعة ألقى عليه وإبل من حجارة الثيل والسهام فأخذ يناديهم قائلا : أنا رسول ، قادم لمصلحتكم . فلم يعيروا التفاتا ، واضطروا للرجوع . فقال الأمير : يجب علينا أن نفتتح طريق الحرب طالما أنهم أغلقوا باب الكلام . ثم أمر فنصبوا العرادات ولبس الجند لأمة الحرب ، وشرعوا في الزحف بأعداد هائلة على البوابة ، وظلوا من الفلق إلى الغسق منشغلين بضرب المنجنيق والسهام والكرّ والقرّ ، وانتهى الأمر بعودتهم إلى الخيام عاجزين مضطرين . وطيلة أسبوع واصلوا الليل بالنهار في قتال مستمر^(٢) .

(١) إضافة لا بد منها لكي يستقيم السياق ، انظر أ . ع ٢٨٣ .

(٢) راجع أ . ع ، ص ٢٨٥ ، وعجالة الأصل مضطربة ركيكة .

وفي اليوم الثامن بدا لهم أن يلقوا فوق الغار بعشرة صناديق حديدية بها عشرة من المقائلين ، لا يترك ضيقها لأحد منهم سبيلا حتى إلى التفكير^(١) ، فجعلوا بها تقويا تطلق منها السهام ، فأخذوا يرمونهم من سحب القوس بوابل من السهام كالمنظر ، وأخذ «كندصطبل» يدور حول نفسه لفرط العجز واتعدام الحيلة ، ولم يكن يرى علاجاً لهذا العناء .

وفجأة جاء شابٌ حسن الطلعة وقال : بالأمس بينما كنت أصعد فوق هذا الجبل وجدت ثغرة في جنب غار القلعة ، فلو مارس النقبابون عملهم هناك لتيسر فتح القلعة في أقلّ مدة . فأمر الأمير بأن يتوجّه الجيش - كما جرت العادة - إلى المحاصرة ، وانطلق هو بحصانه فارتقى المنطقة الصخرية ، لكي يرى ما يحسن فعله لتدبير الأمر .

وحين رأى تلك الثغرة ، أمر بأن يشرع خمسون نقاباً ممن عرفوا بالحمية في أعمال الفأس ، وأن يحدثوا ثلثة في السور بضرب السواعد ، فأصبح كل واحد من العمال المهرة وكأنه «فرهاد»^(٢) لعذوبة كلام ذلك الأمير المخلص للسلطان ، وما لبثوا في أقلّ مدة أن أوقعوا الخلل في الحصن الحصين والقلعة الضخمة بضرباتهم القوية المحكمة ، وأحدثوا فتحة عريضة .

(١) قارن أ . ع . ٢٨٣ .

(٢) حين رعد «فرهاد» بزواج محبوبته «شبيرين» إن هو أنم حفر أحدود في الصخر الصلب لكي يمر منه الماء إلى أعلى الجبل ، شمر عن ساعد الجد لإتمام هذه المعجزة المعمارية الخارقة ، لكنه حين أوشك على إتمام العمل تناهى إلى سمعه نبأ كاذب مفاده أن «شبيرين» قد قضت نحبها ، فألقى بنفسه من فوق الجبل منتحرا . وقد عرض لهذه القصة عدد من كبار شعراء القرمس كالغردوسي في «الشاهنامه» ، ونظامي الكنجوي في «خسرو وشبيرين» .

ثم أمر بأن يمطر الجيش القلعة بوابل من السهام ، وأن تدلف فرقة من الشجعان ضخام الأجسام - كبيزن-^(١) إلى تلك الفتحة ، فينتزعون الفوز والظفر ١٢٢ من فم الثنين . فأجرى الشجعان المضحون بأرواحهم / نهرا من دماء سكان القلعة في الغار ، بينما أحال الجيش من الخارج النهار ليلا أسود مفزعا على من بداخل القلعة بضرب السهام . وبعد جهد جهيد تحوّلوا لعجزهم إلى المسكنة والتذلل وطلب الأمان ، فأرسلوا شخصا والتمسوا الأمان ، فحقّق « كندصطبل » مأمولهم واستبدل الحفل بالحرب وفراغ البال بالجدال .

وفي اليوم التالي نزل سكان القلعة بمتاعهم ، ثم هبط مستحفظها كسيف البال قد انكسر جناحاه وأصبح ذليلا عاجزا وطلب العذر عن تماديه في التطاول . وحملت الرّاية على شرفات القلعة ، وبعد حمد الخالق وإهداء الصلوات لروضة السيّد المختار جهرورا بالدعاء للمليك مع الغلمان من فوق سماء من الحجر مكينة في الأرض^(٢) .

وكتب الأمير « كندصطبل » رسالة مشتملة على تفاصيل ما وقع من حكايات والتّهنئة بالفتح الثّاني الذي سنح بالفضل الرّبّاني وأرسلها إلى حضرة السلطنة . فأدّى السلطان الشكر على النّعمة الإلهية ، وعيّن مستحفظا للقلعة ، وضاعف ما بها من عدّة .



(١) بيزن : واحد من أبطال الفرس الأسطوريين القدماء .

(٢) يعني القلعة .

ذكر تدلّل الملك مسعود إلى الحضرة السلطانية

حين تبيّن للملك مسعود أن القلاع التي كانت سندا لإقباله وجناحا لطائر حاله قد أخذت زخرفها وأزينت برباطة نصرة السلطان وأعلام سلطنته ، شرع في البكاء على عرشه ، وندم على ما كان قد فرط منه من تقصير . ورأى المصلحة في أن يبادر - قبل أن ينهب نصفُ الملك ، الذي قد بقي ، من اليد دفعة واحدة وبقلت مركب السعادة من القدم - فيمسك بتلابيب حماية السلطان / وكرمه وبسلك طريق الإخلاص والتفاني متبعا في ذلك قدماء الرجال العظام من أسرته .

فاختار رسولا فصيح اللسان بعث معه برسالة ملؤها التمعني وطلب الأمان ، مع خدمة تليق بالسلطان من اللآلئ والجواهر البراقة والخيول والغلمان والملايس الملوّنة وأسفاط العنبر والكافور إلى حضرة السلطان ، واستغفر لذنوبه ، والتزم بأن يرسل كل سنة أموالا وأحمالا مجهزة إلى الخزانة ، ويشدّ حزام الانقياد على وسط الروح إن كلفه السلطان بمهمة . فلحق الرسول بالديوان ، ونال ودا . قال السلطان : ما ظهر كدر في مشارع عواطفنا إلا بسبب طيش الملك مسعود وحماقته ، أما وقد دخل من باب الاعتذار فقد سلكتنا نحن بدورنا طريق العقو ، فتجاوزنا عن سيئاته ، فإن رفع رأسه بالعصيان ثانية وبذر بذرة الكفران في أرض الإيمان فجزاؤه مثل ما رأى ، بل ربما شهد ما هو أسوأ : « ولأخرة أشدّ عذابا وأسوأ تنكيلا » (١)

ثم سمح للرسول بالعودة ، وولى السلطان وجهه للمصيف في مروج السواحل التي هي بالجنة أشبه منظرا .

(١) كذا في الأصل بالعربية ، ولعله يشير بهذه الجملة إلى قول الله - عز وجل : ﴿ والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾ النساء : ٨٤ ، وقوله جل وعلا في سورة النساء الآية ٢١ ﴿ ولأخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ .

ذكر مصاهرة السلطان أولاد الملك العادل

حين حلّ موسم الربيع ، وأتجه السلطان من مصيف أنطالية إلى قيصرية أمر بإطلاق سراح «عزّ الدين بن البدر» ومن معه ، وكان قد أوقع به في حرب حصن «كاخته» وجرى أسره ، وظلّ محبوساً بقلعة قيصرية . وقد خلع السلطان عليه خلعة ملكية ، وأذن له بالتوجه نحو الشام بكل إكرام واحترام .

١٢٤ وذات يوم في أثناء / النظر في المهام [والتدابير ، قال السلطان لسيف الدين النائب ابن حقه باز : يبدو لي أن مصاهرة أبناء العادل من شأنها أن تعمل على استحكام دعائم التوفيق ، فبذلك يزداد رونق السلطنة . فتكفل سيف الدين - بعد أن استصوب رأي العاهل - بإنجاز تلك المهمة ، وتوجه إلى ديار الشام بخزانة كاملة ، فلما بلغ «مطية» توفي لمرض عرض لجوهر بدنه . فانتدب السلطان «شمس الدين ألتونيه جاشني كغيره» بدلا منه ، فلما لحق شمس الدين بمطية نقل الأمتعة والخزانة إلى بيته ، ثم انطلق بعد أخذ الأهبة والاستعداد .

وكان «عزّ الدين بن البدر» قد أخبر ملوك الشام بمقدم رسول (من قبل السلطان ، شاكرًا ما حظي به هو من أيادي السلطان وانعامه ، فأزال كل شائبة علقبت بنفس أولاد العادل)^(١) . فعندوا الحفاوة بمقدم الرسول على أفضل نحو أمرا واجبا ، وبلغوا المرتبة القصوى والدرجة العليا في توقيره وإجلال شأنه .

وفي اليوم التالي يادر أبناء العادل - وكانوا ملوك الشام وأطراف الأرمين وديار بكر ، كالمملك المعظم والمملك الأشرف والمملك الغازي^(٢) والمملك فخر

(١) قارن أ . ع ، ص ٢٩٥ .

(٢) انظر ما سلف ، ص ١١ ، هامش ١ .

الدين^(١) - فاستدعوا القاضي بدار السعادة « دمشق » ، وأتوا بالأمير « شمس الدين » فرتب الأمير شمس الدين التحف والأمتعة التي كان قد جلبها معه ووضع الجواهر والمرصعات على أطباق فضية وذهبية .

ثم إنهم أبقوا على شمس الدين ألتونيه هناك حتى يفرغوا من ترتيب
١٢٥ الأسباب لسفر هودج العروس ، فكتب رسالة في هذا الصدد / إلى السلطان
مشتملة على أن إنجاز الأمور ومدار الأفلاك قد وافقوا مراد العاهل ، وعرض أن
ركاب السلطان لو نهض إلى ملطية لكان ذلك نوعاً من تكريم الملوك وإعزازهم .

وبمطالعة الرسالة ظهرت على السلطان آثار السرور في أسارير مملوءة بالنور ،
وصدر الأمر للأمرء بأسرهم : إن لموكب السلطان عزموا على التوجه إلى ملطية
فتعین على الجميع التوجه إليها دون توقف . ونهض هو نفسه بطالع السعد .

وفي الطريق طلعت الخراييج والدمامل على رقبة السلطان فأخذ يعاني ويتألم
ألماً عظيماً . فلماً لحق بملطية كان هودج العروس قد وصل قبل يومين أو ثلاثة ،
وجاء أمرء الشام الكبار في خدمته . فاستقبلهم الأمير « كندصطيل » و « شمس
الدين ألتونيه » وقصوا عليهم ما حدث من أحوال وحكايات . وقد أثنى السلطان
على ما يتصفان به من كمال الحصافة وتمام النباهة .

وفي تلك الأثناء أثرت الآلام العظيمة في بدن السلطان ، فقال الأطباء

(١) كذا في الأصل، وأيضاً في أ. ع، ص ٢٩٥: فخر الدين. ولعل المؤلف يريد به
الملك فخر الملة محمداً ابن الملك العادل. وفخر الملة هو نفسه الملك الكامل محمد
الذي تولى ملك الديار المصرية. (راجع فهارس تحقيق الجزء الثاني من كتاب، مفرج
الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل، ص ٤١١، تحقيق الدكتور جمال الدين
الشيال، طبع مصر ١٩٦٠).

الحاذقون^(١) الذين كانوا موجودين عندئذ : لو وصل إليه حدّ الميضع لكان من المتوقع حدوث خطر عظيم ، والمأمول أن تظهر رأسه بالضّعماد والمرهم . ولفرط العجز يمس السلطان من الحياة ، ثم أمر باستدعاء «فاسيل» الجراح . فلما حضر رأى أن مادّة [الجرح] قد نضجت تماما ، فوضع رأسه في معرض الخطر ، وأعمل الميضع ، فاندفع القيح والصدئ في الحال ، وأحضر «قراطي» الطّست ، وكان الرّيم كلما اندفع تسللت الراحة إلى نفس السلطان ، فلما تطهر الجرح كلىة غلب عليه النوم ، وظلّ ساكنا يوما بليلة ، فخاف الناس من تلك الحالة ، وظنّوا أن محذورا ربما يكون قد وقع .

١٢٦

فلما استيقظ السلطان طلب الجراح / لكل بمألاً [تجويف] الجرح بالقطن ، وكان قد أحسّ قبل ذلك براحة كبيرة ، فقال : من يشعر بالارتياح لسلامتي عليه أن يبادر بالإغداق على «فاسيل» ، فإذا بهذا الرجل الذي كان يشعر كل صباح بالعصّة لتدبير قوت يومه^(٢) ، يباهي «قارون» ، ويحاكي البحار والمناجم عندما حلّ الليل لكثرة ما تكبّد أمراء الشام والروم والنسوة من الخواتين من إغداق عليه .

وبعد ذلك بأسبوع واحد أو أقلّ اندمل الجرح فعزم السلطان على الخروج للترّهة . وأمر بالبدء في تهيئة الأسباب لإقامة الحفل فزيّنت المدينة ، وكان الأمراء والقادة الشاميون قد صاغوا سبعة قصور من الذهب والفضّة وزيّنوها بأنواع الجواهر

(١) ذُكرت أسماءهم في أ . ع ، ص ٢٩٦ على هذا النحو : «الصدر فريد الدين»

محمد الجاجرمي ، وبدر الدين ابن الحريري الذي نظم كليات القانون ، وعز الدين

ابن هبل الموصلي ، وتقي الدين الرسعني الطبيب ، وصفي الدولة النصراني .

(٢) قارن أ . ع ، ص ٢٩٧ ونص الأصل لا يخلو من اضطراب .

ووضعوها فوق ظهور البغال ، قبل وصول مهد العروس ، وأخذ الأعبون بحركاتهم الجميلة والمشعرون^(١) بطفراتهم السريعة المتقنة يستعرضون مهاراتهم وفنونهم .

والتمس ملك «خربرت» أن يكون عديلا للسلطان ، فبذل له السلطان ذلك ، فتمهد تلك الضيافة بصنوف الكرم من بذل الدنثار والدرهم ، وقضوا أسبوعا بأكمله في المتعة واللهو .

وفي اليوم الثامن بدأ السلطان الاحتفالات العامة ، فدعا إليه أمراء الشام ، واعتذر عن ما كان قد وقع لهم من تأخير في الغربة بسبب ما ألمّ به من تعب ، فوضعوا رؤوسهم جميعا على الأرض ، وحمدوا الله تعالى على سلامة المهجة وحصول البهجة .

ولما تلقّت أمّ الدينا (السّماء) بالرداء الأزرق القاتم ، وتجلّت البنات الشبهات بالياسمين ذوات القدود الفضية من سقف القصر الأزرق ، وسط قرأشو قدر ، ولقد زينا السّماء الدنيا بمصاييح^(٢) سماء لازوردية مملوءة بعرائس التّجوم السّيارة ، وتظاهر الحرفاء بالتساكر^(٣) ، تبختر السلطان في حجال الجلال ، ولحق بحرم الوصال ، ورأى من الواجب فضّ الختام وقضّ الرّخام في الحال / ١٢٧
وبذل بسبب تلك السعادة كنزا لاثقا لأولئك الذين قدموا من جانب الشام على

(١) كذا في الأصل : مشعبدان ، عربية الأصل ، وشعبد ، مهر في الاحتمال وأرى الشيء على غير حقيقته .

(٢) سورة الملك الآية ٥ .

(٣) في الأصل : تشاكر (لفظ عربي الأصل) ، لعله تساكر : إظهار السكر وليس بسكران .

أمل تنسّم نسائم إنعام الملك الموفق ، وجعل الملكة مالكة لكنوز قارون وحاكمة
ملك فريدون^(١) .

وفي اليوم التالي خصّ أمراء الشام بتشاريف ثمينة ، وأجلسهم في محفله .
كذلك قضى أسبوعا آخر في اللّهُو مع الأقران .

وفي اليوم الثامن أذن لأمرء الشام بالعودة والانصراف مزوّدين بسائر الألطاف ،
وتوجّه هو إلى قيصرية ، ومن هناك إلى أنطالية . وكان كلما بلغ مدينة من المدن
زينت وأديرت بها آلة اللّهُو والسّرور .

وقضى السلطان الشّتاء وأيام الثلوج في تلك الرّياض والمروج ، وحين بدأت
رياح الرّبيع في الهبوب ، وأخذ البرد في الذوبان كقلوب العاشقين ، وشرعت
عروق الأرض في الضّرب والخفقان كقلوب المشتاقين صدرت الأوامر لأطراف
البلاد إلى الأمراء والأجناد كي يحضروا إلى « قيصرية » المحروسة .



(١) في الأصل : تشاكر (لفظ عربي الأصل) ، لعله تشاكر : إظهار السكر وليس
بسكران .

ذكر السبب في قصد السلطان فتح صحراء «الففجاق» ،

وأخذ «السغداق» علي يد «حسام الدين چوبان»^(١)

حين قدمت المظلة المستولية على العالم من العاصمة إلى قيصريّة ، دخل
فجأة من باب المحكمة تاجر كان برأسه دوار من جرّاء سعيه حول العالم كالكرة
زراء النفع والضّر ، فقد كان يدازم على عبور البحر ، ويلقي بنفسه مستسلماً
فوق الماء كزهرة «التيلوفر»^(٢) رغبة في تحصيل الذهب ؛ فأطلق لسانه بالثناء
كالسوسن ، ورفع يده بالدعاء كالرّمان ، وقال : قد اخترت - أنا العبد الفقير -
التعب في طلب الرّزق ، ولم أر للسعادة والطرب وجهها في ليل أو نهار ، وصرت
أجرى وأركض خلف القوت (الذي ما تحصّل أبداً) فوق رطب الدنيا وبابسها ،
وأضعت العمر العزيز بدداً في الجرى وراء الكثير والقليل لإشباع ما بالبلطن من
جوع . وأتفق لي أن أدخرت في قصر الفناء (الدنيا) بضعة دراهم بمشاة من
١٢٨ ضروب الغصص و صنوف المتاعب والآلام / ، وأخذت أسمع وأنا في ديار
الففجاق والرّوس إلى ما اشتهر به هذا البلاط من عدل وشرف ، ومن اغتباطي
بذلك وليت وجهي صوب هذه الأعتاب ، وأردت أن أعبر البحر ، فلماً بلغت
معبر «الخزرة» ، أخذوا مني كل مالي الذي أنقصت عمري في تحصيله .

ولم يكن قد أتمّ كلامه بعد حتى بدأ شخص آخر في الجهر بشكواه قائلاً :

كنت قد عقدت العزم على القدوم إلى هذه النواحي من جهة «حلب» ، فلماً

(١) في الأصل : أمير چوبان : أي أمير الرعاة ، ولم يرد هذا اللقب ضمن ألقاب الدولة

الملوكية التي أوردها القلقشندي في صبح الأعشى ، وهي ألقاب تماثل ما كان

لدى دولة سلاجقة الروم . وربما كان هذا اللقب من ألقاب تلك الدولة بخاصة .

(٢) نبات مائي ينبت في الأنهار .

وصلت إلى ولاية « ليفون » أخذوا المال مني ، فإن لم يكن لدى النصارى خوف من هذا البلاط فمن أين لنا بعدل سلطان يعالج لوائح هذا الظلم .

وما إن أنتم كلامه حتى صرخ آخر قائلا : أنا من سكان أنطالية ، وضعت كل ما أذخرته طيلة عمري في سفينة ، وبادرت بالسفر بحرا ، فهجم الفرنجى علينا وأخذ كل ما كان معنا وأسر الكثيرين .

حين وصلت هذه التظلمات إلى مسامع السلطان ، تملكه الضيق والاضطراب كأسد العرين ، وأمر بأن تجبر أحوال التجار في الحال ، والتفت إلى الأمراء ومشاهير الديوان ، وقال : « الروم إن لم تُغزَّ غزَّت » ، إنه مثل مشهور ، لقد تركنا تلك الطوائف آمنة ساكنة لفرط ما بنا من رحمة ، فإن لم يقدرُوا هذه النعمة^(١) لفرط غيابهم وأخذوا في الإضرار بتجار الذين قد بذلوا أرواحهم نمنا لرغيف خبز^(٢) فصاروا مشردين في الأقاليم خوفا ورعبا ، فإننا لا شك نعدر بل نمدح ونشكر إن نحن أرسلنا الأبطال وفرسان الرجال^(٣) لمحك أذن أولئك الضلال .

ثم أمر ملك الأمراء حسام الدين - چوسان - وكان من قدماء الأمراء ١٢٩ وكبار قادة السلطنة ، بأن يسلك طريق «سغداق» / ، وسير الأمير مبارز الدين جاولي چاشني گير والأمير كمينينوس بجيش كثيف إلى أرمينيا ، وأمر بأن تسوى كل قلعة قائمة على ممر جبلي بالتراب كخط من يظن ظنَّ السوء ، وأن ينكبوا أعداء دين الله نكبة يظنُّ أثرها في قلوب الكفار وأرواحهم حتى القيامة ، وأرسل

(١) قارن أ . ع ، ص ٣٠٤ .

مبارز الدين أرتقش بجيش جرار نحو الساحل ، وسوف نبين فيما يلي بالترتيب ما كان لكل واحد منهم من آثار الشجاعة والصرامة^(١)



(١) ترك المؤلف هنا فصلا بأكمله في الأوامر العلائية ، بحتوان : ذكر إقامة السلطان بموضع كيقبادية في أثناء غيبة الأمراء . انظر الأوامر العلائية ص ٣٠٧ - ٣١٠ . وقد أشار المؤلف إشارة عابرة إلى مضمون هذا الفصل في مقدمة الموضوع التالي .

ذكر عبور جيش السلطان بحر الخزر

بقيادة حسام الدين چوبان

أقام ال اطان زما في كيقبادية بقمصرية ، وظل يتطلع لسنوح الفتوح .

وحين عبر جيش الملك البحر قاصدا الخزر ، رأى أهل السغد - وكانت بومة الخذلان وطائر الإدهار قد قبعا على شرفات قصر زمانهم - أن غابة من السغن والقلاع قد جرت فوق سطح البحر ، فأرسلوا رسولا لاستقبال ملك الأمراء قائلا : إنما نحن مماليك ملك العالم نطيع أمره ، فما الباعث على إرسال جيش كثيف إلى شاطئ البحر ، فإن كان قد ظهر فتور في أداء الجزية [ورسم] (١) العبور فيمكن سداد ما عليها من غرامة . وإن كنتم تقصدون الرؤس ندبنا لكم وجعلنا بصحبتكم وخدمتكم شبابا كأشجار السرو الطليقة لكي يحاربوا الأعداء بالسيف ولا يضنون بأرواحهم .

وبعثوا برسول عن طريق الصحراء إلى ملك القفجاق أن أعلام عساكر السلطان قد توجهت في الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام (٢) إلى هذه الناحية ، واليبحر لا يظهر للعيان من تواب الجيوش وحركته الدائمة . فأرسل ملك القفجاق في الحال إلى ملك الرؤس ، وجمعوا من قبائل الرؤس والقفجاق وعساكرها عشرة آلاف فارس ، وانتظروا ما يعود به رسول أهل السغد من جواب من لدن الأمير حسام الدين .

ولما وصل الرسول إلى ملك الأمراء بدأ يتكلم كلاما واهنا كبيت العنكبوت ،

(١) إضافة من أ . ع ص ٣١١ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : آية ٢٤ قوله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام .

وقال : المتوقع من أقطاف ملك الأمراء أن يعود لكي نزيل - بقدر الإمكان - مخالفة التفسير التي ارتكبتها ، ونحن نقدّم الآن خمسين ألف دينار في مقابل الأمان الذي يعطيه لنا هذا الجيش .

فاستبدّ الضيق بملك الأمراء وسط البحر ، وقال : أنا ما جرّدت الجيش لكي أفايض سوق القتال بذهب كاسد ، أو يرجع عندي خبط أصحاب الفشل بالقول الفاسد لكلّ رسول وقاصد لإحباط العمل ، فحين تلقّيت أمر ملك العالم خضت لجة البحر بسفينة القلب ، فكل من يلوي عنقه عن أمر السلطان لن أجعل طوق عنقه إلا رهاق الخذلان . أما من يدخل رأسه في دائرة الطاعة فلن يذوق مني إلا لذّة المن والسلوى . وأعاد الرسول يائسا . وعبرت العساكر كلّها البحر بالتوفيق والسّلامة ، وحطّت رحالها من الرّطب على اليابسة .

ثم إن الأمير حسام الدين أقام حفلا ، وظل إلى منتصف الليل يعطي الطرب حقّه مع أمراء العساكر . وعند الفجر جاء فارس من الطليعة وقال : ظهر الجيش الغدّار للترك . فلما سمع القائد ذلك أمر بأن ينهض الجيش وأن يرتفع نداء الطبول ليصل إلى سمع «جبريل» (عليه السلام) ثم قال للقادة : يجب علينا قبل أن تصل إليهم قوات في ميدان المعركة لمدهم من الرّوس والسّقيين أن نضع على أبداننا الدرع مكان الكفن ، وأن نبذل في مواجهتهم أقصى ما يمكننا من جهة ، لكن بشرط أن نصطبر حين ينتظم الجيش وتشكّل الصفوف وتشن الأرواح خشية مفارقة الأشباح (الأبدان) ، إلى أن يشن الترك هجومهم الثاني ، فتسكن ربح صولتهم . فإذا ما علمنا طريقة قتالهم حملنا عليهم دفعة واحدة كي نظفر بحسن الذّكر .

ومن الجانب الآخر كان الترك يقولون : لقد عبر جيش كالتار بمعونة الهواء

فوق سطح الماء إلى هذا التراب^(١) ، وقصد هذه الولاية فيتبغى أن نستشير أبداننا
ونركز بأفئدتنا على الحرب والقتال .

وحين خرج الطاووس المشرقي من الحجاب الفسقي ، بدأ القتال بالنزال
بين الجانبين ، فأخذوا يفصلون الأرواح عن الأشباح من الصباح حتى الرواح ،
ويعملون بالسيوف والرماح أرض الروس الواسعة بدماء الأوداج ، وكما جلت
الورود الصفراء^(٢) في هذا الغضاء اللازوردي مضت عساكر الطرفين إلى مضارب
الخيام .

فأقام الأمير حسام الدين حفلا ، ونادى على الأمراء والقادة الشامخين
برؤوسهم ، وقال في أثناء العُقار : كل واحد منكم أكثر إعزازا مني في خدمة
عرش السلطنة ، ولكن لا بد من التوافق والتآزر إذا حمي الوطيس . واليوم ، ظهر
بعض الفتور عن تصعيد القتال مع الأعداء ، فإن لم نضح بأرواحنا غدا وفعلنا ما
فعلناه اليوم لن يبقى لنا اسم ولا ذكر في الدنيا ، فنكون بذلك كخصومتنا
سواء بسواء .

فأنتى عليه العظماء والقادة ، وقالوا : أجل ، نحن ممالك سلطان العالم ،
لكنتك لو أمرتنا لاجتئنا بحصان الامتثال لأمرك ذروة قصر الإنثي عشر بابا^(٣)
والقبة الزرقاء كومضة البرق . فنحن إنما ندعن لكل ما تأمر به .

(١) جمعت هذه الجملة عناصر الكون الأربعة - حسب مقولة الفلاسفة القدماء -
وهي : النار والهواء والماء والتراب .

(٢) يعني النجوم .

(٣) يبدو أنه يشير إلى بروج السماء ، وتبلغ عدتها في علم الفلك عند القدماء اثني
عشر برجاً .

وفي الجانب الآخر ، كان التُّرك قد شهدوا من جيش الرُّوم ما نحن من
 ١٣٢ جراح^(١) ، واستغرق سائرهم بالبدن والروح / في نهر من الدَّم ، فقالوا : أهل
 السُّدِّ والخزير يقتربون الذنب وتخلّ علينا نحن غرامته^(٢) ونقمته ، ولكن أما وقد
 وقع ما وقع فلا يجوز التَّسليم مهانة وذلّة .

وفي الصُّباح الباكر حين أَلقت الشمس درعا ذهبية في هذا البحر اللازوردِيّ
 على الماء سارع حامل أعلام الجيش المنصور برفع الرّاية ، فتحرّكت الجنود ،
 وأخذت السَّحابة التي كان ويلها المناصل والمعابل في الإمطار ، فهجم الأمير
 حسام الدين هجمة الأسد ، ودفع الجيش في إثره الخيول دفعة واحدة ، فلما
 نصبوا طرّة الرّاية^(٣) في مقابلة ربح النَّصر. في جيش التُّرك ، ومزجوا بضرب
 الحسام دماء عروق أولئك الكفّار العاقين بالتراب ، وسلك التُّرك طريق الهزيمة ،
 وعدّوا الفرار العاجل نصرا مؤزّرا . ودفع الجيش بتلك الحملة الشّجاعة لملك
 الأمراء حسام الدين جويان عن عشّ القلب ما كان يتردّد عليه من أحزان ، ورفع
 راية السُّرور فوق السَّماءات العُلى ، وتوجّه الجيش بحسن الطّالع صوب الخيّم
 الذي كان وكرا لعقاب الظُّفر وقد نال المقاصد والأمانى .



(١) في الأصل : زخم العجم ؛ يعني جرح العجم ، ولعله يعني به الجرح المقاتل
 المهلك .

(٢) في الأصل : فراسة ، والتصحيح من أ . ع . ص ٣١٧ .

(٣) كانت بعض الرّكبات تتميّز بأن : « في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش »
 (صبح الأعشى ٤ : ٨) .

ذكر تذلل ملك الروس وطلبه الصلح

من ملك الأمراء حسام الدين چويان رحمه الله

حين علم ملك الروس بفساد حال رجال القبجاق ، قال : إن جلب البلاء على النفس وسلوك طريق الحرب مع هؤلاء القوم ذوي الخالب الحادة أمر بعيد عن العقل والكفاءة ، وحيثما انتظم الأمر بالشعر والنثر كان اللجوء لسفك الدماء بالحسام والسنان فجاجة ونقصا .

فاختار رسولا ذا هيبة وفهم ، صحيح العقل ، وكتب رسالة تشتمل على ما

يلي :

أطال الله في عمر السلطان علاء الدين كيقيباد ألف عام . ليكون معلوما لملك الأمراء أنني مذ سمعت أنّ آيات ملك العالم الغالبة وجيشه قد توجهت إلى هذه ١٣٣ / النواحي ، اضطربت الروح في جسدي ، وأنا لا أدري ما الأمر ؟ ومن الخصم والمنازع ؟ فإن كان جيش القبجاق قد وقع بحماقته في الضلالة ، وأهرقوا الكثير من الدماء الزكية على الأرض هدرا ، فما أنا إلا مملوك للسلطان ، بكل إخلاص . ويقيني أنكم إن استخلصتم هذه الديار بالسيف البتار فلن يسلم لكم ضبطها وإصلاحها دون قائد ، فاعتبروني أنا نفسي المملوك الذي استعملتموه لها .

وإنني أتوقع من حضرة ملك الأمراء أن يبذل شفاعته في هذا الباب ، وأن يرسل للسلطان مبيّنا له خشوع هذا المملوك المسكين وخضوعه .

ثم إنه أرسل الرسول بتحفة كثيرة من الجلود والكتان الروسي وعشرين ألف دينار لملك الأمراء . فلما اقترب السفير من الجيش ، ودقق النظر في الجند

والضبط والربط وخيمة العظمة وديوان الرفعة^(١) سكت وقد طار ليه وهمس
مناجياً الله قائلا : يارب الأرباب .

وحين أبلغ ملك الأمراء بوصول رسول ملك الروس أمر بأن يتقدم المضيفون
لإنزاله في خيام الإكرام بمنتهى الحفاوة . وفي اليوم التالي أرسل في طلب
الرسول . وكان قد أمر قبل ذلك بتزيين الباب وخيمة القيادة بكل آبهة ممكنة بأن
يصطف هناك عدد من الشباب المختارين وقد لبسوا السلاح ، وأن تنتظم جيول
الدورية بالطوق واللجام بمحاذاة الخيمة ، وأن تفرق باقي الجيوش فوجا فوجا في
الحديد المذهب من مفرق الرأس إلى حافر الحصان فتقف في كل ناحية وقد
وضعت الرماح على الأكتاف .

استراح المبعوث الروسي زمنا عند باب خيمة القيادة ثم دخل حضرة ملك
الأمراء ، فوضع رأسه بكل مذلة على الأرض ، وسلم الرسالة والتحف فقبلها
ملك الأمراء جميعا وفرقها في الحال على الجيش ، وأبقى عليه عنده ثلاثة أيام
١٣٤ ثم دعا الأمراء في اليوم الرابع / وقال : طالما أن الروسي سلك طريق المداينة فعلينا
نحن إذن الإبقاء على أحكام السلطنة وشرعتها ، ثم نعرض أمره على حضرة
السلطان . فما الذي ترونه صوابا في هذا الشأن ؟ قالوا جميعا : ما من فكر ولا
رأي أفضل من هذا . فعندئذ استدعى الرسول وقال له : إن السلطان لا يلقى
أحدا أبدا في هازية الهوان دون ذنب اقترفه ، بيد أنه لا يسمح بإهمال ولا إسهال
في البطش بالمتمردين ، (بيت) :

- لو جعلت من نفسك مملوكا له لأصبحت ملكا ،

(١) قارن أ . ع . ص ٣٢١ .

ولو أذعنت لأمره لأصبحت موقفاً مسدداً .

والمأمول أن يقدو كل ما يتشغيه ملك الروس ميسراً ، وأن يعود ما يرسيه من
أسس المحبة بالنفع عليه .

ثم صرف الرسول مزوداً بالخلع والهدايا ، وبخلعة من الخصاص السلطاني
وقلنسوة سلطانية مفرقة ، إضافة إلى رسالة مشحونة بغنون التعاطف . ثم إنه أرسل
بعد ذلك إلى «سينوب» و«قسطمونية» من الغنائم مالا يدركه الحصر .



ذكر فتح «السُّغْداق» على يد حسام الدين چوبان في أيام

السلطان «علاء الدين كيچباد» رحمه الله

حين سمع أهل «السُّغْد» خبر كسر جيش «القفجاق» صارت قلوبهم
واهنة وظهور آمالهم مكسورة ، وشرعوا في إعداد العُدَّة وإرهاف الأسياف وثقيف
الأسنة ، وتأهبوا للحرب .

وبعد أسبوع نزل القائد بجيش جرَّار على باب المدينة ، وفي اليوم التالي
حين أخذ وجه الملك السِّيَّار في التَّألق من تحت المظلة السوداء لليل ، تحرك
الجيش فوجاً فوجاً كجبل من الحديد ، واندفع الشباب المحاربون بالسلاح / ١٣٥
والعُدَّة من داخل المدينة نحو الجيش ، وظلوا في حراب وطمعان وضراب حتى
نُسخت آيات النور بالظلام وطلعت كواكب الفلك الأزرق . ورغم أن عدداً لا
يذكره الحصر من العساكر المنصورة صار مجروحاً وأصبحت دماؤهم في ميدان
المعركة مسفوحة فإنَّ نقش وجود السُّغْديين قد أمحى من لوح الوجود بحدِّ
السيف البتَّار .

وفي اليوم التالي حين أضاءت مظلة الشمس الذهبية فوق المهد المظفر
للفلك ، وتددت ظلمة الدَّبجور بأشعة النور ، تحرك الجيش من جديد ، وخرج
المشاة من المدينة للقتال وقد انطوى الدرع على الدرع ، بينما أثار الفرسان
الأبطال الغبار^(١) ، وتقاطر بعضهم وراء بعض ، وحاربوا بالنفط والأفواس والسَّهام
والحجارة . فولَّى جند الإسلام الأدبار - بحكم ما كانوا قد تواضعوا عليه فيما
بينهم - وأعطوا ظهورهم للعدوِّ دفعة واحدة ، فصار السُّغْديون من القرع

(١) قارن أ. ع ، ص ٣٢٦ .

كانتهم الأسود في الشجاعة ، وانطلقوا في إثرهم . فلما ابتعدوا عن المدينة عطفت عليهم العساكر المنصورة ، وأعملت فيهم السيوف الجسورة ، وانهمر سيل من دماء الكهول والشباب في الأودية والشعاب .

ولما حلّ الليل ، أرى السلطان ذو السلب الذهبى^(١) إلى فراش حريريّ أسود، بينما ولى ملك الأمراء وجهه - بتأييد الإله وعظمة دولة السلطان وقوة الجيش - إلى حيث يستريح . وبعد تناول الطعام جعل الرأي للمُدام ، وقال : أما وقد طفحت الأرض بدماء الثمالي الأشرار ، فلا بأس من أن نعدّ دم الدنّ - لإصلاح شأن البدن - حلالاً وإن كان حراماً ، فلم يبق من دم العدو صاف ولا عكر .

وحين رأى كبار السنّ في المدينة أن لم يعد من الشباب إلا أسماءهم ، إذ فجرَ حدّ السيف من سحاب وجودهم سيولاً ، قالوا : إن بضعة آلاف من الشباب البارع في القتال المتقن لدقائقه قد ولّوا وجوههم شطر إقليم العدم ، فكانوا كالكهشيم تذروه رياح هبّية هذا الجيش ، ولم يكن يوسعهم الصمود لغارة واحدة، ١٣٦ فلا حيلة لنا بعد هنا إلا التضرع / والتذلل . فهذا الذي حدث لنا ما نجم إلا عن ضعف الرأي وفساد التصوّر ، ولن يفيد «جزع وقلق بعد ما جرى الكتاب وسبق»^(٢) .

ثم إنهم أرسلوا بضعة أشخاص ممن عرّفوا بالخبرة وطول التجربة إلى ملك الأمراء ، فقبّلوا الأرض حين سُمح لهم بالسّير ، وقالوا : أجل ، قد بلغت

(١) زرين سلب : والسلب ، ما يُسلب ، يقال : أخذ سلب القتل ، ما معه من ثياب وسلاح وغيره ... (المعجم الوسيط) ويعني به الشمس .

(٢) وردت هذه الجملة في الأصل باللغة العربية ، قارن أ . ع ، ص ٣٢٧ .

جرائمنا وزلاتنا أقصى الغايات ، لكن الأمر يسهل علينا إن جعلنا لطف ملك
الأمراء لنا شفيعاً ، فالواجب عليه في هذا الاقتدار الاقتداء بمالك ذي الفقار^(١)
حيث يقول : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ،
سوف تقدم كل ما يأمر به من خراج ، ونؤدي كل ما يفرضه علينا من
جزية^(٢) ، وتحمل غرم أموال التجار التي ضاعت في هذا الساحل ، ونيادر بطاعة
كل من يسميه لإمارتنا وخدمته عن صدق نية وإخلاص طوية .

حين رأى ملك الأمراء ذلك التضرع قال : ما تسبب في حدوث هذه الواقعة
إلا شؤم رأيكم وسفاهة الشباب الذين سقطوا بصحراء الملحمة « كلحم على
وضم^(٣) ، فعليكم بالانتظار الآن حتى أبعث واحداً من الأعيان لحضرة
السلطان ، وأتشفع لديه كي يمن عليكم ، فإن فعل أمتهم من جور دورة الفلك
الجافي ، وما وقعتم بعد ذلك أسرى لمثل هذه الهنة ، بل لن تروا بعد من أذى
أهدا .

فلما تبذت للرسل ألقاف ملك الأمراء من خلال تلك الألقاظ أبوا إلى
المدينة سعداء ، وقصوا على أهلها ما كانوا قد رأوه وسمعوه ، وظلوا الليل بطوله :
كل من كان لديه شيء أتى به ، فجمعوا خزانة هائلة من كل نوع من الناطق
والصامت والصاله والنامق^(٤) .

وعند الفجر حين أطفئ قنديل القمر ، وأشعل شمع الخميطة الزرقاء ، أمر

(١) يريد به أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) قارن أ . ع ، ص ٣٣١ .

(٣) كذا في الأصل ، بالعربية .

(٤) كذا في الأصل : نامق ، ولعلها : ساكت .

ملك الأمراء بأن يلبس الجند بأسرهم السلاح ، وجلس هو مع القادة أمام خيمة القيادة ، فاندفع الناس صغيرهم وكبيرهم / من باب المدينة ، واختلطوا [بالجند] كما يختلط الذهب بالحمل لعدل ملك الأمراء . وقُدِّمت الهدايا ، وصاح قادة السرايا : ليرفع سائر الجند يد التتغيص والشحناء عنهم من الآن فصاعدا .

ثم أمر ملك الأمراء بتجهيز سفينة سريعة للغاية - كانت تسبق القمر في السير - لكي تُقلَّ أحماس الخاص السلطاني مع الهدايا الأخرى في صحبة رسول قد تجلَّى بأداب خدمة الملوك برسالة مشتملة على ذكر كل ما جرى من أحوال . فلما وصل الرسول إلى الديوان وأبلغ البشارة بفتح «السفداق» وكسر جيش «التفجاق» ومهادنة ملك الروس ، أمر السلطان وهو يشعر بارتياح بالغ بأن يُطلق سراح المسجونين ، كما أمر بتسليم ذلك التاجر الذي كان قد سبق له أن استغاث واستعدى ، والتمس العون من عدل السلطان ومرحمته^(١) إلى الرسول . أما الرسالة التي كتبت لملك الأمراء فقد اشتملت على شكر المساعي الجميلة التي تجلَّت من جانبه هو والعساكر في تلك المعركة . ثم إنه سير الرسول بالخلع السلطانية التي تم إعدادها لملك الأمراء وسائر القادة من خزانة ثياب السلطنة .

وقال السلطان : قد تجاوزنا بشفاعه ملك الأمراء عن سفاهة السعديين ، ومنحناه ما اقترفوه من ذنب ، لكن بشرط أن يحلَّ الخراب والمنيبر وشريعة النبي عليه الصلاة والسلام شعاراً وقانوناً عَرْضَ الوثن والناقوس ، وأن يردوا ما قد أخذوه من تجار الديار . فإن هم أدوا هذه المهمات على الوجه الأكمل ، يعود ملك الأمراء بالجيش في حفظ الله العادل .

(١) زيادة من أ . ع ، ص ٣٣١ .

وما إن وصل الرسول حتى تلى الأمر على رؤوس الأشهاد ، وتخصّل للرجل
 التاجر عوض كلّ درهم دينار . وخرج الجيش بأسره في أبهته وزينته ، وأقيم منبر
 ١٣٨ كأوائل الربيع مزين بالثياب الفاخرة [الملونة]^(١) ، ووضع المصحف المجيد / فوق
 طبق ذهبي ، فأخذه ملك الأمراء ووضع على رأسه وأمسك راية السلطان بكفه ،
 ودخلوا المدينة بكلّ أبهة وجلال ، وأذن المؤذن على مكان عال ، وحطّم الناقوس
 المعمول به عند النصارى تحطيمًا كاملاً .

وفي أقلّ من أسبوعين [شعروا عن ساعد الجد وأخذوا في تشييد مسجد
 جامع كبير فأنتموا ببناءه]^(٢) ، ثم نصبوا مؤذّنًا وخطيبًا وقاضيًا ، وأخذوا من أبناء
 كبار الأعيان عددا من الصبّية رهينة ، وتركوا أحد القادة مع فوج من الجيش
 حامية هناك ، وحين تمّ إعداد السفن وتجهيزها رجعوا بضممان السّلامة في صحبة
 ملك الأمراء إلى حضرة السلطان^(٣) .



(١) إضافة من أ. ع ، ص ٣٣٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين ترجمة لنص الأوامر العلانية (ص ٣٣٣) ، وقد فضلناه على
 الأصل لركاكة عبارته واضطرابها .

(٣) قارن أ . ع ، أيضا .

ذكر توغل مبارز الدين جاولي

مع كمينوس في ولاية الأرمن وفتح القلاع

حين قصد الأمير مبارز الدين جاولي جاشني كبير وكمينوس بلاد أرمينيا وفقا للأمر الأعلى ، وأوا طريقا صخريا وعرا ضيقاً ، وبعد المنطقة الصخرية غابة ، وفي كل مكان قلاع وبقاع وأماكن ومساكن ، فتشاوروا ، ثم أجمعوا على ألا يجتازوا قلعة إلا إذا فرغوا منها . فوصلوا أولاً إلى «جنجين» ، وكانت قلعة حصينة ومعقلا مكيئا ضخما . فأمر «جاشني كبير» بأن يصعد الجند الجبل فوجا فوجا ، وأن يثبتوا الأعلام ويدقوا أوتاد خيام كأنها الجبال الرأسي على قلالها ، ويضربوا طوقاً^(١) حول القلعة ذائعة الصيت .

وفي اليوم التالي حبسوا الأنقاس عن أهل القلعة ، الذين كتبوا رسالة - لما لحقهم من عجز ومذلة - إلى ليفون [تكور]^(٢) أفصحوا فيها عن ما هم فيه من عجز وانعدام حيلة ، فاستعان ليفون بالفرنجية وكتب رسائل استغاثة ، فتجمعت منهم جماعة ، حمية وعصبية / ، ولحقوا بليفون .

استقر جيش المليك على الجبل بينما نزلت جنود الخصوم في الصحراء . فلما حلّ الليل ، وأقاموا الحقل ، قال الأمير مبارز الدين في أثناء المعاقرة : إن هذا الجيش الذي قد جمعه ليفون من كل مكان ليس له في نظرنا وزن بوجه من الوجوه ، وفي الغد عند انتصاف النهار حين تتوسط الشمس ميدان السماء نحيط مع جملة الشجعان بالكفّار ، ونبذل ما في الوسع ، والمأمول أن يتحقق وعد الحق [تعالى] بنصرة أعوان الدين .

(١) كردا كرد ، حول (أ . ع ص ٣٣٧) وفي الأصل : كردا كرد ، وهو تصحيف .

(٢) زيادة من أ . ع ، أيضا .

[وعند السُّحر ، ومع طلوع طاووس الخميطة الموشاة بالزخارف ، أقبل الصبح
 بضحكة طير الحجل البري ، فمضى الجيش برغي ويزيد كالأسد الهصور
 وارتفعت في الجو من ألوان الأعلام روضة ورد أخرى . وشرعت الردينيات^(١)
 في العمل ، وحين شمروا الأردن^(٢) عن الأبدان ، أخذت السُمهريات^(٣)
 بالأبصار كأنها اليقظة والسهر ، وحل السهم من صميم القلوب محل الفكر
 والتدبر ، وأصبح السيف البتار محمول الأعناق بدل الرؤوس ، وملك جيش الإله
 بعظمة المليك لباس الوجود من قلب العدو بحملة واحدة^(٤) ، فانطلق الصراخ
 من أعماق الكفار وقامت القيامة .

ثم إنهم شنوا حملة واحدة على عساكر السلطان ، فأمر القائد بأن يحكم
 الفرسان كافة الإمساك بالعنان ، فأحكم الجند الصفوف إحكام جبل «نهلان»
 وفقا لأمر البطل ، حتى أحمدت ريح القشل جيش ليفون . وعندئذ انطلقوا
 جميعا كالشهب الراصدة للعفاريت وراء ذلك القبيل من عبدة الطواغيت ،
 فضاقت بهم الصحراء على أنساعها بسبب ضربات السهام ، وأخذ الفرسان
 يتعقبونهم بخيولهم ، فما من أحد وجدوه منهم إلا أطاحوا به .

١٤٠ وفرّ ليفون إلى الجبل مع عدد من أولئك / الظلمة مطأطئا رأسه كالمتظلعة .

أما جيش السلطان فقد عاد بفضل الباري من المعركة بالكثير من الغنائم والعديد

(١) ردينيات ، كذا في الأصل ، كلمة عربية ، جمع رديني وهو الرمح المنسوب إلى
 ردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .

(٢) جمع ردن ، وهو أصل الكم .

(٣) جمع سمهري وهو الرمح الصلب العود ، ويقال إنه منسوب إلى سمهر وهو رجل
 كان يقوم الرماح .

(٤) إضافة من صاحب المختصر لا وجود لها في الأوامر العلاتية ، انظر أ. ع ، ص ٣٣٨

من أسرى الفرج وكفار تلك الديار ، ووقف بحذاء القلعة . فلما شاهد أهلها تلك الهتة من علي استبدت بهم الحيرة وركبهم الاضطراب .

وأمر الأمير مبارز الدين بإقامة الحفل ، فتغنى المطربون بمقدمة رائعة في زوال نوبة دولة الكفار ، وشتفوا الأسماع بشجاعة أبطال الحرب بأحلى نغم وأصدق قول .

وفي الصباح نزل أحد القساوسة من القلعة وقد تحضبت عيناه بالدماء ، وقبل الأرض أمام قائد جيش السلطان وقال : قد بقينا جميعا عاجزين عن العمل ، ونثرنا نقد العمر في ربح الخيبة من تعب الحصار ، لقد سمعت ورأسي بين كفتي إلى القائد ، لأنظر ما هو صانع .

فقال الأمير مبارز الدين : لا ذنب لكم في الأمر ، وإن كنتم تبغون صلاح أمركم فيتعين عليكم أن تتركوا السلاح وذخائر القلعة حيث هي ، وتحملوا كل أمتعنكم الشخصية وترتحلوا إلى حيث تريدون ، ولتكونوا آمنين من ناحية الجيش . فطلب القسيس الحجّة على ذلك ، فكتب في الحال كتاب الأمان . فأخلوا الحصن ، ونصبت راية السلطنة على شرفات القلعة بالظفر والبهاء .

وكتبت في الحال رسالة مشتملة على كسر الأعداء وخفض عيش سائر الجند ، ورفع لواء السعادة ، وضمّ تلك القلعة إلى سائر الممالك . وذكر الأمير فيها أنّ المعقل والحصون في هذه المناطق كثيرة ، والأمل أن يتيسر فتحها جملة ، ١٤١ / لكن لا بدّ من إرسال المعدات والأسلحة .

وما إن انطلق الرسول ، حتى وصل مبعوثو ليفون فجأة ، وعبروا عن الدلّ بألف ضراعة قائلين : إن كان السلطان يعاقب على قدر الجرم ، فحسب هذا

المملوك المقترف للذنب ما ناله من تنقيص وتوبيخ في هذا التاريخ . إنني ألتزم بأن أرسل كل سنة قصيرة عن طويلة ألف فارس وخمسمائة قوأس ، وأشرف السكة بألقاب السلطان الموفق ، وأضعاف الخراج .

فيبحث ملك الأمراء رسولا بالرسالة إلى حضرة السلطنة . وقد بلغ ما فتحه من القلاع الأخرى بتلك الولاية حتى عودة الرسولين ثلاثين قلعة نصب على كل منها محافظا . ثم إنه أرسل رسالة أخرى إلى السلطان بأن الولايات قد اتصل بعضها ببعض ، ولم يبق فيها من حصن غريب .

وضرب السلطان صفحا عن جرائم ليفون ، وأرسل عهدا ، كما أنفذ أمرا مشتتملا على لئزجاء الشكر شحامد ملك الأمراء وكمينوس ومسايعيها . وأمر بأن يتم استيفاء أموال التجار بأسرها من الوجوه التي تيسرت بفتح القلاع ، وأن يتم تسليم القلاع والولاية للأمير قمر الدين ، ويسمح للجند بالعودة إلى الأوطان ، ويشخص ملك الأمراء وكمينوس بمفردهما إلى الحضرة السلطانية لإبلاغ ما حدث مشافهة ، وينالا أتم حظوة باللقاء الميمون للسلطان .



ذكر فتح قلاع السّواحل على يد مبارز الدين أرتقش

يوم أن انطلق ملك الأمراء حسام الدين أمير جوبان ومبارز الدين جاولي إلى السُّغداق وأرمينيا ، إنصرف مبارز الدين أرتقش الأتابك^(١) - وكان مملوكا للسلطان - نحو السّواحل / ، فاستحوذ على أربعين قلعة مشهورة مثل «مافا» و«اندرشنج»^(٢) و«أناصور» .

ورغم أن الفرنجية قد شحذوا في أوّل الأمر أسنان الخصام كالتّماسيح وأزمعوا الحرب ، لكنّ نواتر الضّرب من قبل أهل الحرب على يوافيخهم حملهم على إرخاء عنان الانهزام مضطّرين ، وسلّموا الحصون والقلاع ، وركبوا السّفن في جنح الظلام ، وسلّكوا طريق الأمصار .

فلما رأى سكّان القلاع أن بقاعهم قد غلت من الحامي والحارس والرّامح والتّارس اضطرّوا لطلب الأمان وسلّموا القلاع للمماليك .

وقد عرض الأمير مبارز الدين أخبار الفتوح وقال إن أمور السّواحل قد ضبطت وفق رأي المماليك ورجبتهم ، فإن أذن لنا السلطان انطلقنا صوب جزر القرغ . فأمر السلطان بأن تؤدى أموال التجار بالتّمام والكمال ، وأن يُسمح للجيش بالعودة إلى قاعدته - وأن يشخص مبارز الدين إلى الدّيون حاملا معه كلّ جليل وحقير من المهمّات . ووفقا للأمر الأعلى [اتخذ ما كان ضروريا لتدبير الأمر ، ... ثم عزم

(١) الأتابك : لقب شرفي ، ومعناه الأمير الوالد ، وله يس له وظيفة ترجع إلى أمر أو نهى ، وغايته رفعة المحل وعلو المقام (صبح الأعشى ٤ : ١٩) .

(٢) في الأصل : اندرسج ، كذا بدون نقط ، والتصحيح من أ . ع ، ص ٣٤٣ .

على الارتحال للمثول في الحضرة السلطانية [١] حيث قَبِلَ اليد ، ونال تلك
السعادة في قيصريّة المهروسة .

وكان فصل الخريف قد حلّ حين فرغ الأمراء جميعاً من مهامّ الفتوحات
وهرعوا إلى البلاط في قيصريّة ، وكانت الأشجار قد تعوّدت على نشر الذهب
بدلاً من نشر الغضّة ، واتجه السلطان إلى «أنطالية» ففضى الشتاء هناك في مرح
وحبور .



(١) إضافة من أ. ع. ، ٣٤٣ - ٣٤٤ يقتضيها السياق .

ذكر وفود الملك علاء الدين داود شاه

صاحب أرزنجان على حضرة السلطان ووصف أرزنجان ونواحيها

١٤٣

لما جلس الملك علاء الدين داود شاه بعد أبيه الملك فخر / الدين بهرامشاه على سدة الملك والقيادة ، انقاد له ملك مدينة أرزنجان وولاياتها التي تعد أفضل البقاع وأتزه الأماكن والرباع ، حيث يجري نهر الفرات دبرها ، وهبات نسيم صياها ملؤها البنفسج والورد البري . ومع أنه كان ذا نصيب وأفر من كل أنواع العلوم ، فإنه انشغل بارتكاب المناهي ومتابعة الملاهي والاستبداد بالرأي والاستماع لهذيانات قرناء السوء . ولم يكن يعير أذنا صاغية لنصائح كبار السن والمشفقين أولي الرأي والتدبير . وعقد العزم على التكتيل بأمراء مملكته وتصفيتهم ، فقتل بعضهم وكبّل البعض الآخر ، وآثرت طائفة الارتحال عن ديارها وأموالها حذر الموت ، فأزمنت الجلاء مولية وجهها شطر السلطان ، فعرضوا عليه سوء أعمال الملك وقبح فعاله فأكرم السلطان وفادتهم .

وكتب رسالة خطية للملك علاء الدين بوجوب إطلاق سراح الأمراء السجّاء وردّ ما قد أخذه منهم ، فإن استرضاهم وعمل على تهدئة خواطرهم أرسل إلينا بذلك^(١) .

فاعتذر الملك بأن هؤلاء الجماعة سلكوا معي طريق الجفاء والألمبالاة ، ووافقوا خصومي ، وحين تحققت من أمرهم عاملتهم بما يستحقون ، فبدأ رسول السلطان بتوجيه العتاب ، حتى حملة بالوعد والوعيد على إطلاق سراحهم ، وكفّ يده عن أموالهم وممتلكاتهم . وأعاد الرسول مقضي الوطر .

(١) قارن أ . ج ، ص ٣٤٦ .

وحين وصل الأمراء الأسرى إلى أعتاب السلطنة حظوا بالمودة الكاملة والعطف البالغ ، وعين كل واحد منهم إقطاعات مشبعة مغنية باقتراح كمال الدين كاميار .

ولما سمع الملك علاء الدين أن كبار رجال مملكته قد انتظموا في سلك ممالك دولة السلطنة ، وأن التكبير والغرور قد أخذ من أتباع أولئك الأمراء لذلك كل مأخذ فشرعوا في التحكم في نواب أرزنجان والإرراء بهم ؛ بلغ به الضيق مبلغا من الحسد والغيرة لذلك فأعد - وهو في حالة من الحزن والألم والخوف - من أسباب السفر ما يليق بأبواب السلاطين وما تتم به استمالة خواطر الأكابر من التحف والهدايا . وانطلق صوب بلاط السلطان ، فلما لحق بحدود فيصريّة سارع ضيوف الشرف الخاص لاستقباله ، وحملوا إليه الكثير من الأنزل والأحمال .

وفي اليوم التالي خرج السلطان لاستقباله ، وحين وقع نظر الملك على مظلة السلطان ، نزل من فوق الحصان ، فتقدم الأمراء بأمر من السلطان وأركبوه ثانية ، فلما اقترب أراد أن ينزل مرة أخرى فمنعه السلطان ، وتشرف الملك بتقبيل اليد ، وهو على ظهر الحصان ، فاحتضنه السلطان ، وأخذ يسأله عن المشاق التي تكبدها في الطريق ، فالتمس الأعذار بعبارة عذبة حلوة ، وكان السلطان قد تجشّم الركوب متبادلا معه الحديث سائلا إياه عما طرأ من أحوال .

ولما اقترب من المدينة لوى السلطان العنان صوب كيقبادية ؛ بينما ذهب هو مع الأمراء وضيوف الشرف إلى التزل الذي كانوا قد حدّوه سلفاً . فنصبوا خيمة الملك التي كان قد أحضرها معه من أرزنجان ، وهي ذات جبال حريرية ، وظلت الموائد ممدودة بأنواع الأطعمة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع حمل الأمير نجم الدين ولد الطوسي إلى الملك - بأمر السلطان - عشرة آلاف دينار وحزاما

مرصعاً وقلنسوة مفرقة بالجواهر وجبة ملكية نسجت بخيوط الذهب وحصاناً عربياً من جنائب الخاص ، ورحب به .

١٤٥ وبعد ذلك أحضر ضيوف الشرف السندات / لوكلاء نفقة الملك ، فكانت: سندا بألفي رأس من الغنم ، وسندا بألفي حمل من القمح ، وسندا بمائتي حمل من الحمير ، وعشرين ألف درهم نقدا قيمة الحوائج من الشمع والسكر وغيره^(١) . فأزجى الملك الشكر على النعم الجزيلة لعاهل العرش والسيف وقضى ذلك اليوم مع أهله في سرور وورغد .

وفي اليوم التالي لبس الخلعة السلطانية وركب حصانه ، فلما وصل عند السلطان أعاد تقبيل اليد ، قال السلطان : لعلّ الملك قد استراح من عناء الطريق ، وهجع على فراش الراحة ، فأثنى الملك علاء الدين على عاهل الزمان والمكان نناء كثيراً ، ثم نزلها سوياً في صحراء المشهد . وحين عطف السلطان العنان نحو الإيوان ، أدى الملك الخدمة ثم ذهب إلى خيمته .

فلما انقضى نصف النهار قدم «نجم الدين ولد الطوسي» من قبل السلطان بخلعة أعلى قيمة من الأولى ، كما أحضر أمير الإسطبل خيولاً عربية مزينة بطوق ولجام من الذهب ، وأبلغنا سلام السلطان ، إذ أن الملك قد تكبد المشقة زمناً ، (بيت) :

— ما دمنا نشرب الخمر اليوم معا ، فلتنضرب عن الدنيا صفحاً بإرادة من قلوبنا .

لبس الملك الخلعة وركب على مركب من مراكب الخاص ، فلما بلغ

(١) فارن أ . ج ، ص ٣٤٩ .

الإيوان وجاء نظره على السلطان وضع رأسه على الأرض فهض السلطان وبالغ في إعزازه وتكريمه ، وحين دارت الكؤوس بضع دورات أخذ الملك يشب من مكانه بسبب غرور الشباب والشعور بالسعادة ، وترك عنان الكلام في يد اللسان الذي تنتج منه معظم آفات الروح ، وأخذت تصدر عنه كلمات لا ينبغي أن تقال ، وحركات لا يصح أن تفعل ، وكان السلطان يكرمه بجر ذيل العفو على هفواته . وظلّ عشرة أيام يحضر كل يوم في الحفل الملكي الذي تستنير به الدنيا .

١٤٦ وفي اليوم الحادي عشر أتى الأمير / «نجم الدين» من قبل السلطان بخزانة يكفي ما بها نفقة ألف ملك ، والتمس العذر .

وفي اليوم التالي كتبت على يد «سعد الدين كوكب» الترجمان معاهدة محكمة بخط السلطان الذي هو الجواهر المنشور^(١) ، جاء فيها : طالما أن داود شاه يحفظ عهدنا من صميم القلب ، ولا يصادق خصومنا ، ولا يرسل إلى كل دار من الديار من المكاتبات ما يدلّ على الشّحناء والبغضاء ، فلا بد أن يشهد من جانبنا المدد والتوفيق والجاه ، أما إن باشر خلاف ما تم الاتفاق عليه وما هو متوقّع منه فسوف يلقى من الجزاء ما يستحقّه . وأرسل المعاهدة إلى الملك وأمره بالانصراف قريبر العين إلى عشّه وداره ، فقدم في اليوم التالي لوداع السلطان ، وتوجّه صوب مستقرّه ، وظلّ السلطان مدّة في قيصريّة ، ثم اتّطلق إلى الساحل .



(١) كهربار ، وفي الأصل : كهرباء ، وهو تصحيف . (انظر أ . ع . ٣٥١ .)

ذكر «قباد آباد» وأمر السلطان بإعمارها

حين طوى السلطان تلك المراحل على الصّافات الجياد ، واجتاز العاصمة ،
وصل إلى متنزّهات «أكربناس» فرأى موضعا لو أن «رضوان» بلغه لاختار مفارقة
الجنان وعضّ بنان الحيرة (شعر)

- أرضها من الخضرة فيروزية اللون ، امتلأت - بما عليها من زهور
الشقائق - ببقع الدّم .

- في كلّ ركن عين ماء الورد ، كأنها قطرات من النور لاقطرات من الماء
- الجو معبأ برائحة المسك والأرض مملوءة بالمنابر ، يرتع الصيّد من كل نوع
فيها بلا وجل .

- وهناك بحر أخضر ماؤه عذب كاللبن ، مملوء بموج كأنه حرير الصين .

- وهناك عين جارية على طرف البحر يغدو كبير السن برؤيتها شابا .

فأصدر السلطان أمرا إلى سعد الدين كويك - الذي كان أميرا للصيّد
والتعمير - بأن يبدأ ببناء عمارة تزرّي بجمالها ببدر الفردوس ، وتخطّم بإنذاعها
رونق السدير والخورتق^(١) ، على أن يُعَلَى ببناءها . وخطّ السلطان وفق تصوّره
واختياره رسما لتلك العمارة ، وعيّن لكل موضع قصرا .

فأنتم سعد الدين كويك إنشاء ما بيعت على البهجة من مناظر جميلة ، وبيت
النشاط في الرّوح من جواسق مريحة ، عقدها المقوسّ يسامت قبة القلّك الأعلى ،

(١) السدير والخورتق قصران بناهما ملوك المناذرة في العراق ، الأول قرب الحيرة والثاني
قرب النجف ، وكان يضرب بهما المثل في الفخامة والبهاء .

قد غار وجه الغلثك من ترابها الفيروزي والأزوردي ، فصار ذا لون أزرق مزعفر .
هي أكثر زينة من أرواح ذوي العفة ، وأعظم انساعاً وأعظم وأوفى متاعاً من
صحراء القناعة ؛ وذلك في أقلّ مدّة وأقصر زمان وفقاً للأمر النافذ .

ثم إنّ السلطان لوى عنائه بعد تزويقها وتعميقها صوب « أنطالية »
وهي « علامية » .



ذكر أسباب أطماع السلطان

في انتزاع أرزنجان من قبضة تملك علاء الدين داود شاه

حين انطلق ملك أرزنجان منصرفاً من خدمة السلطان ولحق ببلاده حملة ١٤٨ بطر / الشباب على أن يرسل رسالة إلى الملك ركن الدين جهانشاه ابن مغيث الدين ابن قليج أرسلان صاحب « أرزن الروم » قال فيها : رغم أنني نلت في هذه المرة من حضرة السلطان الكثير من الذهب وطلاوة القول ^(١) ، فإنني لا آمن من قبل أمرائي المقيمين هناك ، والمثيقين أنهم لا يد أن يحرضوه على طردني من هذه المملكة ، فإذا ما تيسر له ذلك فلن يبقى عليك أو يحيايك ، رغم كونه ابن عمك أيها الملك ، وسوف أفرق حقائق الخيل والخزائن خفية بين جموع الجند ، وأصرف هممتي هذا الشتاء كله على ذلك . فإن كنت حريصاً على الإبقاء على رأسك وملتك ، فأظهر الوفاق معي في هذه القضية ، وابدل ما في وسعك من عمل .

وكانت عنده مطربة تضرب على العود ، هي فريدة دهرها ووحيدة عصرها في الجمال ، وخفّة اليد ، والدّعابة ، والغناء وحسن الألحان ، وروعة الصّوت ، ودقّة الأداء . فبعث بها مع الكثير من الهدايا إلى الملك الأشرف . وكان فحوى رسالته إليه : أنني أجعل قلعة « كماغ » فداءً لأتباعك ومما ليكك كي تسلمني بدلاً منها في بلادك موضعاً حصيباً ^(٢) أقضي به ما بقي لي من عمر - قلّ أو أكثر ممّا لا علم لأدمي به - وأنا فارغ البال آمن .

كما بعث برسالة بنفس المعنى مع الكثير من الهدايا إلى السلطان الغازي

(١) في الأصل : زور زبان خوش ، وهو تصحيف ، راجع أ . ع ، ٣٥٤ .

(٢) في الأصل : حصنت ، وهو تصحيف ، راجع أ . ع ، ٣٥٦ .

جلال الدين خوارزمشاه^(١) . وأرسل مكتوباً إلى علاء الدين « نومسلمان »^(٢) يقول فيه : إنهم لو اغتالوا السلطان وبعثوا روحه الطاهرة إلى عليين ، فإنه سيسلمهم قلعة « كحاخ » بما تشتمل عليه من ذخائر ، وسيجعل من « أرزنجان » - وهي مستقر دولة آبائهم من قديم - مركزاً لدعوتهم [الإسماعيلية] . فلما بلغت هذه / المعاني سمع السلطان أغرق في الضحك وقال : لقد اختلط عقل هذا المسكين وانقلب به عرشه ، (بيت) :

- لأن أمره لم يتيسر بالذهب ،

فإنني أمتشق له سيفي البراق

وحين وضع ماشطو الغيب لمروس الربيع المسك في الأكمام والورد في الجيوب ، اعتزم السلطان على الرحيل من الساحل متوجّهاً إلى منطقة « قياد أباده » وظلّ هناك شهراً ، وعزم من ثمّ على التوجّه إلى « قيصريّة » دون إبطاء . وقد نهض « الملك الأشرف » بفعل تحايل المطربة وخذاعها ، وأرسل

(١) السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، تولى حكم الدولة الخوارزمية بعد وفاة أبيه علاء الدين محمد سنة ٦١٧ ، فحشد القلوب المبعثرة من القوات الخوارزمية وتنازل بها للغول فأوقع بهم هزائم متكررة ، مما اضطر « جنكيز خان » إلى التحرك بنفسه لمحاربه ، فهزم جلال الدين الذي فر إلى بلاد الهند ، ثم عاد مغرباً مرة أخرى بعد أن أعاد تنظيم صفوفه ، وتشتمل الصفحات التالية من هذا الكتاب على وصف فريد لجانب من الفترة الأخيرة من حياته ، وقد توفي مقتولاً سنة ٦٢٨ هـ .

(٢) نومسلمان: هو جلال الدين الحسن المعروف بـ « نومسلمان » أي المسلم الجديد . جلس على عرش الدولة الإسماعيلية في « ألمات » سنة ٦٠٧ ، فأظهر الحيدة عن المذهب الإسماعيلي ، وحمل أتباعه على عدم الغلو واتباع رسوم الشرع ، وأقام علاقات وطيدة مع الخليفة العباسي وسائر ملوك الإسلام الذين اغتبطوا بهذا التغيير ، وقد توفي سنة ٦١٨ . (انظر : محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية في إيران ، طبع مصر ١٩٧٥م ، ص ٢٢٥ ، وما بعدها) .

«الحاجب» مدد الملك [علاء الدين] ، فجاء وأقام بأرزنجان مدة ، ثم عاد خائباً . ولقد حال أمرأوه الكبار بينه وبين إظهار الآراء الفاسدة وإعلان البضاعة الكاسدة ، وقالوا إن الصواب أن نحمل أبناء الملك إلى السلطان رهينة ونلتمس الأعذار عن تلك الأفعال ، ونرفض بعضها بالإنكار والجحود ، فاستحسن الملك ذلك ، وأرسل الأبناء في صحبتهم إلى حضرة السلطان .

وكان السلطان قد سمع من قبل بتلك الأمور ، فأمر أمراء السلطنة بالتوجه كل واحد على حدة بالجيش الذي يتولى كل منهم قيادته إلى حدود «أرزنجان» و«كماخ» ، حتى تجتمع فجأة في تلك المناطق من العساكر المنصورة حشد هائل ، وأغلقوا طريق القلاع كي لا يلجأ علاء الدين فجأة إلى قلعة منها فيطول الأمر . ووفقاً للأمر الأعلى تجتمع على باب كل حصن جيش هائل .

وحين ارتد الملك خائباً من كل النواحي أخذ يبحث عن وسيلة يذهب بها، إلى حضرة السلطان . وفجأة أُبلغ بأن موكب السلطان قد اجتاز نخوم «سيواس» بجنود لا حصر لها ، ولحق بحدود أرزنجان ، فجاء للاستقبال مضطراً دون إعداد هدية أو نقدة مع عدد من خواصه ، والتقى في الطريق بالأمراء الكبار ، فسارع الأمراء إليه وتعانقوا ، وأبدوا أبلغ التعاطف ، وأرسلوه إلى حضرة السلطان في صحبة الصاحب ضياء الدين . ١٥٠

لم يذكر السلطان شيئاً قط مما كان قد نقل إليه عنه ، بل تودد إليه ، وأتمم عليه فأقطعه «أقشهر قونية» مع «أبكرم» ، وبعث به في صحبة غلمانه وقادة جيشه القدماء إلى «أقشهر» .

كان الملك «علاء الدين داودشاه» قد ازدان بأنواع العلوم سيما النجوم ، وكان يتقن أجزاء المنطق والطبيعي والإلهي إتقاناً كاملاً ، كما كان يتمتع بنصيب وافر من الرياضيات . وكان ينظم شعراً كالماء الزلال بل كالسحر الحلال . وفي

تلك الأيام أرسل هذا الرباعي لحضرة السلطان :

أيها المليك ، إنَّ قلب أعدائك قد أوجعه الألم ، ووجه الخصم قد اصفرَّ
خوفاً منك

والحقُّ أنه برغم ما أعانيه من غصص وآلام

فحسبي أن يكون لي في ملكك «آب كرم» (أي ماء حار) وخبز بارد
غير أنه بدد ذلك الملك القديم بشؤم القرناء الأشرار، والتدماء المفسدين
والجلساء الجاهلين .

لنعد إلى ما كنا فيه . وفي اليوم التالي دخل السلطان المدينة بعون الله ، فلما
استخلص ممالك «أرزنجان» أعطها للملك «غياث الدين كيخسرو» جدَّ
سلاطين الوقت ، وصرف مبارز الدين أرتقش لكي يكون أتباعاً له ، وخصَّص لهم
الكثير من الخزائن وما لا حصر له من الجند ولما كان قد علق بالخاطر الشريف
للسلطان غبار من جهة «الملك الكامل» وأولاد «العادل» كانت هممة
متصرفه دائماً نحو غزو الشام للمبادرة باجتثاث جذور أبناء «صلاح الدين»
و«العادل» و«شيركوه» . فلما منح أرزنجان للملك غياث الدين^(١) فوَّض
ولاية العهد للملك «عز الدين»^(٢) حفيد الملك العادل ، وحمل الأمير على
الحلف بذلك .

١٥١

كما فوَّض ولاية الشام إلى الملك «ركن الدين» ، وكان أيضاً من
[أبناء] الملكة «العادية»^(٣) . وقد ارتحل «نظام الدين أحمد

(١) إضافة من أ . ع ، ٣٥٩ .

(٢) يريد به الملك عز الدين قلع أرسلان بن السلطان علاء الدين كيقباد نفسه .

(٣) في الأصل : العادلة . وسيرد لقبها في سائر المواضع بعد ذلك العادلة . وهي بنت
الملك العادل الأيوبي ، وكان السلطان علاء الدين كيقباد قد تزوجها لتوطيد أركان
ملكة بدعم علاقاته بإخوتها ملوك الشام والجزيرة (انظر ما سلف ، ص ١٥٠) . وانظر
ما حل بالملكة العادلة وابنيها «ركن الدين» وأخيه «عز الدين قلع أرسلان» الذي
ولاه أبوه ولاية عهده ، في ص ٢٥٣ - ٢٥٤ من هذا الكتاب .

الأرزنجاني»^(١) في ذلك الوقت هذا الرباعي :

قد أضأت صباحاً من أجل «الشام»^(٢)

حين جذدت رسوم الإسكندر

وجعلت الشمس راية للملك

وقنت^(٣) قوانين السلطنة

وحين فرغ السلطان من مهمات أرزنجان واتخذ الاحتياطات اللازمة للقلاع ، أمر الجيش بأن يهاجم «أرزروم» و«كوغونية» ، «حتى يرى أي طريق يسلكه معنا الملك ركن الدين جهانشاه والملك مظفر الدين محمد» .

ولما علم الملك «ركن الدين» ب ورود العساكر تقدم بقدم التواضع والتذلل وسير الكثير من التحف لخدمة الجيش ، وأرسل أميراً من أمراءه مع كنز رابع إلى حضرة السلطان ، وأعطاه رسالة مضمونها : ما أنا إلا مملوك مسكين ، فإن كان الأرزنجاني الجاني قد نمرّد ، فقد نال جزاءه . أنا مملوك طالما كنت حياً ، أقود حصان الإخلاص مسرعاً في طريق الولاء للسلطان ، والمأمول أن تتلى في شأني الآية الشريفة «ولانزر وازرة وزر أخري»^(٤) وألا يوجه السلطان عتاباً لي - أنا المملوك البريء - على ذنب «داودشاه» .

(١) من مردي الصوفي المعروف جلال الدين الرومي ، النظر : ذبيح الله صفاء ، تاريخ أدبيات در إيران ، ٣ : ١٢٨٣ طبع طهران ١٣٥٢ هـ . ش .

(٢) كلمة «شام» فيها تورية لمعناها الفارسي ، وهو الليل ، وبهذا يكون معنى الشطر : قد أضأت صباحاً بالليل .

(٣) في الأصل «مفتن» وهو تصحيف . انظر أ . ع . ص ٣٥٩ .

(٤) الأنعام - الآية ٦٤ .

فلما وصل الرسول لحضرة السلطان ، وعرض المشافهات والتحف / شمله السلطان بعنايته لفرط كرمه ، وقرّر له أرزن الروم وفقاً لملتحمه ، وأصدر أمراً بأن يكف الجيش عن النهب والغارة في ولايته .

ذكر فتح « كوغونية » واستئزال الملك مظفر الدين

أصدر السلطان أمراً بأن ينطلق « الأتابك أرتقش » بجيش حاشد لمحاصرة « كوغونية » ويستحوذ عليها بالصّح أو بالحرب . ومن إن وصل « الأتابك أرتقش » في أول يوم حتى اتخرطوا في حرب هائلة ، وقتل عدد كبير من الناس من الدّاخل والخارج ، ورغم ما كان لدى الملك من ذخائر ومصانع تزوّده بحجار جارية من الماء ، فإنّه خشي من انقسام أهل القلعة ، وفكر في وخامة العاقبة ، وأرسل رسولاً إلى الأتابك لكي يشفع له عند السلطان ، كي يمنحه إقطاعاً في الممالك المحروسة بدلاً من القلعة ، فبعث الأتابك الرّسل إلى الحضرة السلطانية في سدا الشّان فاستبشر السلطان بهذه البشري ، واستدلّ بها على بعد غور الملك وكفاءته ، وأنعم عليه - على سبيل التملك - بـ « رمان » و « نهر كالي » - في حدود الشام - و « أرسوي » التي كانت منشأ أصحاب الكهف ومقام « دقيانوس »^(١) . كما فوّض إليه « قيرشهر » المحروسة كإقطاع معاف ومسلم ، وكتب بذلك كلمة ميثاقاً ومعاهدة وأرسلها إليه هو وأولاده الثلاثة : فخر الدين سليمان ، وعز الدين سیاوش ، وناصر الدين بهرامشاه ، مع خلع نفيسة في صحبة الرّسول .

ولما رأى مظفر الدين الموائيق والمعاهدة استبشر وشعر بالتمكين ، وأخطى القلعة ، وانطلق هائج البال إلى « قيرشهر » المحروسة وأمضى / الأيام حتى آخر العمر في دعة وراحة ، لدرجة أن السلطان « غياث الدين كيخسرو »^(٢) رغب في خطبة كريمة من بنائه ، فرفض ، وقال : إن السلطان [غياث الدين] قد شغل

(١) الملك الجبار الذي فر منه ومن قومه أصحاب الكهف، انظر تفسير ابن كثير .

(٢) هو ابن السلطان علاء الدين كيقياد، وقد أصبح غياث الدين سلطاناً بالفعل، ولكن

بالتنهك والخرف ، ولا يصلح أن يكون صهراً لأسرتنا . وبسبب هيئته وحرمة مكانه لم يتلقَ عقاباً من جانب السلطان بل إنهم اعتذروا له . وانتقلت كريمة المعصومة إلى الحرم الجليل للسلطنة بحكم الشرع . وكان أبنائه من بعده ينظر إليهم بعين التعظيم والإجلال من قبل سلاطين الروم .

ذكر إرسال السلطان غياث الدين ليتولى ملك أرزنجان

حين فرغ من فتوح القلاع لوى عنان الفتح نحو «سيواس» المحروسة ، وأمر « مبارز الدين أرتقش » أن ينهض بإعداد عدة الملك لغياث الدين كيخسرو ، فدخل الخزانة بتصويب « نجم الدين الطوسي » وأعدّ وهياً من العدة ما لو بعث « بهمن » و« شابور»^(١) لرؤيتها لعضّ كلاهما أصابع الذهبة والخجل . فلما أعدت الأدوات وتم تنظيمها ، توجه [أرتقش] إلى تلك الحدود بالطالع والسعيد ، يصحبه من الجند مالا يدخل حدّ الحصر ، وحين بلغوها تجشم الملك مشقة الخروج للاستقبال ، ثم جلس على عرش التوفيق ، ومدّ بساط العدل والمرحمة ، وعصّ الكفاة بالمعطف .

ولما بلغ السلطان خبر حربه على الرعية تضاعفت العوامل الباعثة على مسانده عنده .

وبعد أن لحق غياث الدين بأرزنجان ، أقام السلطان مدة قليلة لاستقبال الرسل القادسين من أطراف العالم ، ثم عزم على التوجه إلى « قباد آباد » و« أنطالية » و« علاقية » وظلّ هناك من أوائل الربيع حتى شهر « نيسان » .

بعد وفاة أبيه في شوال سنة ٦٣٤ (كما سيأتي) . وعلى هذا فإن غياث الدين لم يكن قد أصبح سلطاناً عند تقدمه لخطبة تلك الأميرة ، غير أن المؤلف درج على أن يعطى لقب « السلطان » لكل من تولى الحكم ، حتى أثناء ذكر أحداث سبقت توليه السلطنة . (انظر مثلاً : ما يلي ص ٣٠٤ ، هامش ٢)

(١) بهمن وشابور من ملوك الفرس القدماء .

ذكر وصول قاضي القضاة محيي الدين طاهر

ابن عمر الخوارزمي برسالة من قبل السلطان

جلال الدين خوارزمشاه

حين انهزم السلطان الشهيد جلال الدين بن علاء الدين محمد تكش في حدود الهند من جيش المغول ، ووقع في نهر السند المتلاطم موجّه ، ثم نجا من تلك الورطة ، قام « وفاملك » - وكان في أول أمره من أرباش الفتيان في تلك النواحي - بالعناية بأمر السلطان بما قدّمه من خدمات حازت الرضا والقبول ، فلَقِبَ لذلك بملك الوفاء ، وقُوِّضَ إليه حكم تلك الديار . ووصل السلطان إلى مدينة مراغة بشرازم متفرقة من الجند كانت قد لحقت به بعد أن تمزق جيشه في تلك المعركة .

وقد أرسل قاضي القضاة محيي الدين - وكان من فحول أئمة خوارزم يشار إليه بالبنان في علم الكلام ، ومتفق عليه في سائر العلوم - لافتتاح سبل المودة مع السلطان « علاء الدين كيقباد » ، وكان هذا الأمر من أهم المهتمات عنده ، فأرسله إلى حضرة السلطان بهذا المکتوب ، وهو من منشآت « شهاب الدين كوسوي » :

إمداد السلام ، وإيراد التحية ، ووظائف الثناء ، ورواتب المدح التي تدفع إلى مشام القلب بنسيم العقيدة الصافية والطوية النقية ، وترسخ قاعدة الوداد ومباني الاتحاد ؛ كلما توجهت نحو المجلس السامي للسلطان المعظم الذي عهدت كعهده جمشيد^(١) وهو ذو القرنين هذا الزمان ، علاء الدين وقطب الإسلام

(١) جمشيد : أحد ملوك الفرس القدماء ، عرف بالعدل وبسطة الملك .

والمسلمين، فلك المعالي شمس الأعالي ، ظل الله في العالمين ، افتخار آل
 سلجوق ملك الملوك والسلاطين، برهان أمير المؤمنين ، دام سامياً وبحمى الملوك
 حامياً ، استبدت بي الرغبة في إحراز سعادة الاجتماع ، ونازعتني نفسي إلى
 إدراك كرامة اللقاء ، وهو رهن بمواناة الحفظ ومساعدة الزمان على النحو الذي لا
 يمكن تقريره بالكتابة مهما كان القلم حاداً وسيّالاً / : « الخط ما يغني بما
 لا ينفذه . » ١٥٥

ولئن كان تعبير الزمان وتقلب الأدوار قد سدّ من قبل هذا باب المكاتبة
 والمراسلة الذي يسلوبه الأصدقاء وقت الهجر والفرق ، فمن الآن فصاعداً يجب
 بذل ما في الوسع لرفع حجاب المغايرة والغربة ، وفتح باب المؤدّة ، والاتحاد ،
 فيتخذ الجانبان شعاراً من قول القائل :

« تمسك إن ظفرت بودّ حرّ فإن الحرّ في الدنيا قليل »

إذ المشاركة في مشايعة سنة الجهاد والمجاهرة أمر ثابت بحمد الله ومنه ،
 والمساهمة في توفيق الدين والملة أمر حاصل : « وأولى الناس بودّك وخلتلك من
 وافقك في دينك وملتك » .

فمن جهة سلاطين المغرب فإن ذلك المجلس السامي ، دام سامياً ، واسطة
 سدّ الشغور ، وجمع أهل الكفر والفجور . ومن جهة ديار المشرق ، فنحن نعمل
 بدورنا لإطفاء نار فتن الكفّار بالسيف البتار ، إذن - ومع وجود العديد من القرائن
 من نفس الجنس - لو لم نفتح طريق المباشرة ونصبح متشاركين متشاكبين في
 جذب المنافع ودفع المضار :

« فأي الناس تجمله صديقاً وأي الأرض نسله إرتيادا »

هذه الرسالة يتم تحريرها من مدينة « مراغة » - عمرها الله * وهي في هذه الساعة مركز لريابتنا^(١) ، حُقَّت بالميامن والنصر والظفر ، وذلك في أواخر جمادى الآخرة ، جعله الله غُرَّةً للتوفيق وصباحاً للسعادة على المجلس العالي .

وبحمد الله ومنه ، وببمعن همة دولة المجلس السامي - دام ساميا - وتأييده فإن أحوال دولتنا وأعمال مملكتنا تستوجب مائة ألف حمد . فلقد اجتمعت كل أسباب التوفيق وعُدَّة العمران من اجتماع الكلمة وإجماع الأمة ووحدة الصف ومطابرة أكابر الملوك ومشايخة الأسر الكبيرة / وضبط الملك الموروث والمكتسب ١٥٦ دفعة واحدة باسم الله تعالى . ولقد دخلت - في مدة غيبة راياتنا السلطانية عن هذه الممالك - مملكة طويلة عريضة من ديار الهند في حوزة عمالنا ، واستقرت هممتنا كلها وانعقد عزمنا برمته على الانتقام من أعداء الدين ، وشفاء قلوب أهل الإسلام .

وما من شك في أن المجلس السامي - دام ساميا - قد بلغ به الابتهاج والسعادة كلَّ مبلغ لما انصف به حال ملكنا ودولتنا من رونق وازدهار ؛ حيث تستمر استقامة الرعية واستقامة العمال . وإن كلَّ معادة تحصل لجلسكم نحسب أنفسنا ذوي سهم ونصيب فيها .

والآن ، وقد وجهنا إلى حضررتكم الصِّدْرَ المعظم العالم المجتهد قوام الملك مجير الملة والحق والدين ، شرف الإسلام والمسلمين ، علامة الزمان باقعة العصر ، افتخار خوارزم وخراسان ، ملك النواب ، قاضي القضاة في الممالك ، أبا الملوك والسلاطين طاهر - أدام الله تمهيدته وحرس تأييده ، فهو واسطة عقد الأكابر ،

(١) قارن أ. ع ٣٦٩ .

وخلاصة زمرة المفاسخ ، ومن قدماء أعيان الحضرة وبقايا أركان الدولة - قرنت بالخلود بمزيد التقريب ومزية الترحيب المخصوص ، وهو في معظمات الأمور مشار إليه ومتفق عليه ،

وسوف يفصح شفاهة برسائل تفتح الطريق وتزيل عن مرآة القلب غبار الغربة والمغايرة ، ويذكر عبار معار كنا التي يعرفها حق المعرفة ، مما يوجب رفع حجاب المبينة والغربة وفتح باب الموافقة والوحدة حتى يكون تردد الرسل واختلاف المبعوثين والسفراء من الآن فصاعداً أمراً متواتراً .

وينبغي أن يصفي المجلس السامي لكلامه - الذي كثيراً ما مرّ على مسامع الملوك والسلاطين - بسمح الرضا ، وليعتبر كلّ قوله ورسائله مرسلأً مناً ، وأن يعتبر ما يعرضه من ملتصقات ويرفعه من مقترحات الكم والكيف لمصافنا صادراً عن خلوص / النية وصفاء الطوية ، والحمد لله رب العالمين [(١)] .

فبالغ السلطان في إكرامه ، فكاننا يركبان سوياً وقت النزهة ، ورفع السلطان التكلف وحجاب الأجنبية بينهما . واستقر رأيه على خطبة إحدى الأميرات من بنات السلطان جلال الدين - وقد ولدت له من أخت الأتابك « أبي بكر ابن سعد » ، صاحب شيراز - للملك « غياث الدين كيكسرو » ، فيجعلان بينهما قرابة ومصاهرة .

وأرسل في الجواب هذه الرسالة من إنشاء « مجد الدين الطغرثي الأسد آبادي » :

حيث إن الله تبارك وتعالى قد جعل انتظام مفاخر الجواهر واجتماع غرائب

(١) إضافة من أ. ع . ٣٧٠ .

المناقب في الذكاة الشريفة وطينة المجلس العالي للمسلطان المعظم الإمبراطور الأعظم
 عاهل بني آدم الإسكندر الثاني ، صاحب قران العالم ، جلال الدنيا والدين ،
 علاء الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، مظهر الحق بالبراهين ،
 ملك الملوك والسلاطين أدام تضاعف جلاله ولقاه في الدارين نهاية أماله ،
 وصرف عين الكمال عن كماله بمحمد وآله ،

فقد تجلّت - بحمد الله - براهين اللطف العميم والكرم الجسيم كأصدق
 ما يكون و

« ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد »

وهكذا أراد أن تكون المبادرة باستمالة الآراء^(١) ، والافتتاح باستعطاف
 الأهواء - وهو رأس مال الملك وأساس التوفيق - من جانب حضرتكم لكي يصبح
 التيسير قرينا لأقسام التعطف والتودد وأنواع التلطف والتعطف لذلك الجنب
 الكريم ، بل جنات النعيم : « أهي الفضل إلا أن يكون لأهله » .

ومن ثم أمر بافتتاح المكاتبة مع هذا المخلص ، وأحرز قصب السبق في رعاية
 قواعد الوداد ، « غير مدفوع عن سبق العراب » . فلما وصل خطاب العظيم ،
 الذي يبعث على المباهاة والافتخار ، اضطرم الشوق الذي كان كامناً في الجوانح
 وتمسكتنا في الصدر فبلغت ألسنة نار الالتياح الثريا :

« وأبرح ما يكون أولوف يوماً إذا دنت الخيام من الخيام »

علم الله أنه منذ أن تواترت الأخبار بحركة الرأيات المنصورة للانتقام من

(١) زاد في الأصل كلمة : ازو : يعني منه ، وهو تصحيف ، انظر : أ. ع ، ٣٧٢ .

الكفّار الملاحين ، وشفاء صدور أهل الدين ، سبّما الآن وقد لقيتُ بشائرُ علوِّ
 الهمة ، وفيض إمداد التوفيق سنداً من مضاء عزيمة المجلس العالي للسلطان
 المعظم ، فأخذتُ تزداد أمنية المباشطة في حضرته لحظة بلحظة ، وتنشط الرغبة في
 المجازفة بمكاتبتة . لكن لا يخفى عن الحضرة أن لهذا المخلص جهاداً في الأركان
 الأربعة (للمعمورة) باستمرار رحلة الشتاء والصيف تحت ظلال السيف . وهو
 نفس المعنى الذي تفضل به المجلس العالي في الخطاب الشريف حيث أشار إلى
 اقتران الجنس ، وفيه كفاية للتمهيد للاعتذار .

والأمر الثاني أن الله - عز وجل - أكرم تلك الحضرة بكرامة الافتتاح ومزية
 الابتداء فأراد لهذه اللطائف أن تكون من نصيبه ، ولم يكن من الجائز العمل
 بعكس ما قضت به الأقدار . أما وقد سُمع بالمباشطة فسوف يزداد ملل الحضرة
 من نواتر المكاتبات .

لقد وصل الجانب المحروس الصدر الكبير للعالم مجير الدولة والدين ، ظهر
 الإسلام والمسلمين ، وحرر الملوك والسلاطين ، سنا الدولة القاهرة ، ضياء الأمة
 الباهر ، مجتنبى الخلافة المعظمة ، ملك ملوك التّواب ، قدوة الأكابر والصّدور ،
 نعمان الزّمان ، صدر صدور « خوارزم » و« خراسان » ، وافتخار الدنيا الطاهر ،
 أدام الله تمكينه ، وجعل اليقين قرينه ، فأبلغ بالمشافهات الشريفة ، فهبت
 بمطالعة لطافه العميقة تلك تبشير خلوص العقيدة ،

١٥٩ وفي الأيام القليلة التي قضاها هنا سلب القلوب بذكر المعالي السلطانية ،
 وزاد من تمكّن الأرواح بتلك المكارم الملكية ، ورداً عليه نال القائد « صلاح
 الدين » سعادة المثول في خدمتكم . والثقة أكيدة في أنه حين يتشرف بالمثول في
 خدمة تلك الحضرة العظيمة سيلقى ما يقوله ويديه بالجملة تعويلها ، ولتحسبوه

قول هذا المخلص ، فتدعموا بذلك قاعدة المودة التي أرسيتموها بتواتر المفاعليات
وتعاقب المكاتبات : شعر

لو كان فيما يراه من كرم فيه مزيدٌ فزادك الله

وذلك طالما استمرّ هذا المخلص على جادة الخدمة ، يسلك طريق التقارب .
والسلام .

ولما وصل القاضي مجير الدين إلى سيواس ، عرض له مرض مهلك ، فودّع
الدنيا وهو يعاني من الألم ، فرافق صلاح الدين التحف والهدايا ، ووصل إلى
منطقة « أخلاط » في الوقت الذي كان السلطان مشغولاً فيه بمحاصرتها .

ذكر وصول رسل السلطان جلال الدين

للمرة الثانية

اختار السلطان جلال الدين للمرة على [زيارة] صلاح الدين كلاً من
الملك جمال الدين فرخ الطشتندار^(١) - وكان من المقربين لأبيه - وجمال
الدين السّاوجي ، ونجم الدين أبي بكر الجامي ، وعشهم بهدايا توفّرت له في
ذلك الوقت وكانت موجودة في الخزانة ، والاصطبل ، وجعل يرفقتهم اثنين من
كبار الأمراء الخوارزميين ، وزوّدهم بالوصايا البليغة في تعظيم منزلة السلطان وتوقير
مكاته .

(١) يعني المسؤول عن « الطشت خاته » : « وفيها يكون الطشت الذي تغسل فيه
الأيدي ، والطشت الذي يغسل فيه القماش ... وفي الطشت خاتاه يكون ما يلبسه
السلطان .. إلخ » (صبح الأعشى ٤ : ١٠) .

وعندما بلغوا حدود الروم كان السلطان في « علائقة » . ووفقاً للأمر عبر بهم المرشدون من تلك الممرات الوعرة في الجبال والمضايق ، مما لا يجول بخاطر العقاب في الأحلام عبوره لما به من أهوال ومخاوف . وأبلغ السلطان نبأ قدومهم . فأمر بأن ينهض / الأمراء الكبار لاستقبالهم بجنايب الخاص ، وأن ينزلوهم بموضع نزه ذي بهجة ، فظلوا خمسة أيام بين الأنهار والكؤوس والمراعي لنقض غبار السفر وإزالة وعناء الترحال .

وفي اليوم السادس حين خرج السلطان - الذي علا اسمه فسامت الشمس بالقبّة الزرقاء - أمر بأن يتوجه « كمال الدين كاميار » و« ظهير الدين الترحمان » للوفاء باحتياجاتهم ، وتقديم الاحترام لهم ، [وأن يسألوهم عن المتاعب التي قد شاهدوها في الطريق والتقصير الذي أبداه المضيفون]^(١) ويدعوتهم للمثول بين يدي السلطان .

وحين بلغوا الأعتاب الملكية استولت عليهم الدهشة وتملكتهم الحيرة - برغم ما كان فيهم من غرور وعجب - فقبلوا الأرض دونما اختيار منهم . ففضل وقام نصف قيام إكراماً لهم ، فسلموا الكتاب وأبلغوا الرسالة ، ثم انصرفوا إلى مقر إقامتهم بعد الفراغ ، وتلقوا الإعزاز والإكرام طيلة أسبوع كامل .

وفي اليوم الثامن أمر السلطان فأعد المجلس وتم استدعاؤهم للحضور ، وجلس السلطان جلسة « جمشيد »^(٢) على عرش ذهبي مرصع بالجواهر كان قد صنع له ليلقى به رسل الكبار ، ووضع التاج الكيقبادي على رأسه . وبعد حمد رب العالمين ، والصلوات على روضة سيد المرسلين قال للرسل :

(١) إضافة من أ. ع ، ص ٣٧٥ .

(٢) الملك الفارسي القديم .

أبلغوا السلطان الغازي الخدمات الوافرة من جانب هذا المحبِّ المخلص ،
 واعرضوا غليان مراحل الشوق المتزايد تزايد هممه العالية تطلُّعاً لتقريب مراحل
 الاجتماع ، ولتقررُوا أن غاية ما كنَّا نتمنَّاهُ وزيادة ما كنَّا نرنو إليه أن حسام انتقام
 السلطان طالما قد انتهى من قهر خصومه في « الأبخاز » ودخل الغمد ، وطالما قد
 فرغ ذهنه العالي من فتح منطقة « تغليس » ، فقد كان لا بدَّ له أن يهجع بضعة
 أيام يرسم التنزُّه والتفرُّج في مروج الرُّوم كي نستجِمَ مراكب / الفرق ومواشي ١٦١
 الجند ، ويتبدل التلاقي بالفراق . ورغم أن وعاء مقدرة أمثال هذا المخلص يقصر
 عن الوفاء برعاية جنابه فحسبه أن يدعن ويطيع .

أمَّا الآن وقد تحقَّق أنه صرف همته محاصرة قبة الإسلام « أخلاط » بتسويل
 أصحاب الأغراض ، وماهم إلا شياطين الإنس^(١) ، فإن هذا الأمر يبدو بعيداً عن
 الرأْي السديد ؛ ونحن وفقاً لحكم الحق تعالى : « وأمر بالمعروف وانه
 عن المنكر »^(٢) ، نجهر بالقول بأنه أولى به [أن يثني عناته عن تلك المدينة
 ويقصد ملكاً من ممالك المشركين . وهناك مصلحة أخرى من باب النصيحة التي
 هي الركن الأهم والباب الأعظم للذين والملك]^(٣) وهي أن يسلك مع جيش
 التتار طريق المداراة والمهادنة ، وأن يقصر - كلعماً نمكُن من ذلك - باب
 المصالحة من جنابه وبكلِّ ما في وسعه^(٤) ، وإنه ليجول بخاطري وضميري أن

(١) هذ نص عبارة الأوامر العلامية ، ص ٣٧٧ ، وعبارة الأصل مضطربة .

(٢) لقمان : الآية ١٧ .

(٣) زيادة من أ. ع ، ٣٧٩ .

(٤) « لأن عقلاء القرون الأولى وحكماء الأزمان السابقة قد قالوا إن الدخول في طريق
 المعاداة والخصومة مع قوم أقاموا دولة جديدة، سيما وهم يتوكلون ويعتصمون بحول
 الله تعالى وحبله وقوته في كل الموارد والمصادر ولا يقنون علي جانب أو زان أو =

أرسل رسالاً إلى «الإيلجيين»^(١) ، وأعتذر لهم عمّا بدر من السلطان «علاء الدين محمد»^(٢) - أنار الله برهانه - من تعجيل ، وذلك لصالح المسلمين أجمعين ، كي تنطفى جمره الفتنة - التي استولت على أطراف الخافقين - بلين المقال وبذل ادال .

ولا شك أننا سوف ننقل هذه الفكرة من حيّز القول إلى الفعل ، كي يكون ذلك معلوماً لديكم . وقد بدا من الواجب إبلاغ هذا الأمر إلى المسامع الشريفة للسلطان الأعظم لأنه يكون مشاركاً ذا نصيب في هذا الصدد .

فإن جعل السلطان إنجاز الأعمال الرائعة رأس مال عمره ، بأن يقلع عن سفك دماء أهالي الأرمين ، ومحاصرة تلك الديار والدمن وصرف العساكر عنها ودفعها صوب «آران» ، وأرسل إلى جيش المغول وطلب الهدنة والصلح ، وتعهد ألا يتوغّل في دار الإسلام بوجه الغدر وسفك الدماء - وهو أمر مذموم عاقبته شوم - لكي يستريح من التشرد وأكل السحت ؛ فإنني لن أبخل بكل ما يجول بالخاطر من الجواهر والذهب والفضة ، وما إلى ذلك من الخدمات .

=فاسق أو سارق - أمر بعيد عن مسلك أولي الألباب وذوي الحصافة وأصحاب الدراية (الأوامر العلائية ص ٣٧٩) .

(١) إيلجيان : كذا في الأصل ، جمع : إيلجي : رسول ، مبعوث ، مندوب ، ويبدو أن هذا اللفظ قد استخدم اصطلاحاً في دولة سلاجقة الروم - للدلالة على المغول ، كما ستلاحظ فيما بعد .

(٢) يعني به السلطان محمد خوارزمشاه (ت : ٦١٧ هـ) ، والد السلطان جلال الدين ، وكان هو الذي استثار انتشار فقضوا على دولته ودّمروا بلاد المشرق الإسلامي في أقصر مدّة .

أما إن أعرض عن هذه النصائح ، فالنصيحة واجبة بحق الإسلام وطريق
 الصيانة للعالم ، وعلينا بدورنا أن نعمل بما تقتضيه الآية : ﴿ وإن طائفتان من
 المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي
 تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن
 الله يحبّ المقسطين ﴾ (١) .

ونرى واجبنا جلب المنفعة ودفع الأذى ، فإذا ما أصابتنا عين لامة في خصم
 الموقف ، نكون قد خرجنا من عهدة أمانة البارئ تعالى ونقدس ، وبذلنا
 المجهود (٢) في ذلك . أما إن أطلّ النصر بطالعه من حجب الغيب فهو المراد ،
 والبادي أظلم .

فلما ودّع الرّسل الخدمة ، أمر السلطان « ألتونيه چاشني كبير » أن يستعد
 للرّحيل للرّد على [خوارزمشاه] والأ بيخل بيذل كلّ دقيقة من دقائق الطّنافس
 والنّفائس .

وأمر بأن ينطلق بصحبه ألف من الفرسان المشاهير الأبطال ممن عرفوا بطول
 القامة وضخامة الجثة والوسامة وفرط الشجاعة . فلما تمّ تدبير الأمور انطلقوا ،
 وتوجّهوا من الحضرة السلطانية مباشرة إلى الطريق . فلما فذانت الخيام ، وتمّ
 إبلاغ السلطان جلال الدين أن رسلاً من جانب الروم بقوات شرفيّة ، أمر أن
 يخرج أمراء خوارزم الكبار وأبطال الجيش على جنائب الخاصّ لاستقبالهم .
 وامتنالاً للحكم التقوا بالأمير « شمس الدين ألتونيه » ، ولم يخلوا بشرائط التعظيم

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

(٢) في الأصل : محمود .

والإجلال بوجه من الوجوه. / وإن هي إلا لحظات حتى بدأوا بجرّ الأحمال والأثقال ، والجمال والبيغال ، والأمتعة والفُرش وقطعان الغنم والماشية وماشيها جمل بُخشي^(١) تحمل لوازم الخزانة والمطبخ ومعدّات الخمر والخيمة ، كما لحق بها مائة بغل تحمل الذنابير الذهبية والخلع الخاصّة والمعدّات الذهبية . فدُهِش الخوارزميون جميعاً وأثنوا كثيراً على السلطان علاء الدين : (بيت) :

— إن المُلْك لجدير بهذا الملك ، لأنه إنما يرتي مثل هؤلاء المعاليك

وقبل أن يبلغ الأمير « شمس الدين » حدود « أخلاط » أصيب بمرض « النقرس » ، فأخذ يضع الدّهانات المخدّرة^(٢) ، ويتحرّك على محفّة ، فلما وصل إلى حضرة السلطان أعفي من وضع الجبين على الأرض .

وفي اليوم التالي استدعى السلطان جلال الدين قادة جيش خوارزم وزين الأعتاب والديوان بشكل جذّاب ، ووقف « فخر الدين علي شرف الملك الخوارزمي » فتولّى أمر سؤال الرّسل وجوابهم ، ومع أنّه كان بمثابة الوزير ، لكنّه كان يتصدّى للحجّابة ويتحمّل عبء رفع « الصّولجان » يوم الاستقبال . فجيء بالأمير شمس الدين جالساً في محفّة ، فلما دخل الديوان أبدى الأعذار عن عدم تقبيل البساط ، فقرّنت بالقبول ، وقبّل اليد ، وأدى رسالة السلطان . فلما فرغ من أداء الرّسالة ، واتّجه إلى الخيمة ، استدعى أمراء خوارزم وأعدّ حوائطاً ملكياً وحفلاً سلطانياً ، فاندّش الأمراء من كثرة النّعمة والتّمكين ، وظل مدة

(١) ألبخت : الإبل الخراسانية .

(٢) فارن أ. ع ، ٣٧٢ .

شهر على هذا المنوال لا همّ له بعد التتزه إلا سماع الأوتار وشرب الخمر العذبة.

١٦٤ وذات يوم التفت السلطان جلال الدين إلى كبار رجاله وقال: «إننا ما أظهرنا يوماً تطلقاً مع رسول الروم، وما أدركنا معه [أنخاب] الصداقة، والرأي أن نقيم حفلاً نسعى فيه إلى تكريمه. فقالوا جميعاً بلسان واحد: إن عندهم من معدّات الاحتفال ما لا يتيسر منه العشار طيلة أعمار لأي سلطان، ولديهم أطعمة لذيفة وخمر وردية تزيل الهم والحزن، فيجب أن نبقى على هيبتنا ولا يجدر بنا أن نزرع بذرة هذا العيب.

ولما طالت مدة إقامة «چاشني گير» تأذى السلطان علاء الدين لذلك، فأرسل كمال الدين كاميار في مهمة لكي يتحسّن الأخبار. فلما وصل كمال الدين إلى حضرة السلطان جلال الدين، وتجاذب الحديث معه في كل باب، لم يشتم رائحة الصلح من أيّ وجه، فراغ والتمس الإذن بالعودة، فأجابه السلطان لذلك، وردّ ردوداً موهمة حول «أخلاقه». وهي أخلاق أباطيل:

نخرصاً وأحاديشاً ملفقة ليست بنبع إذا عدت ولا غرب^(١)

[وقال إن مدينة أخلاق قد ضاقت عليها الحصار، ولا يضيع ما تكبّدناه لمدة طويلة من تعب ومشقة^(٢)]. فإن كان قد علق بحاشية الخاطر الكريم للسلطان غبار بسبب ردّ هذه الشفاعة، فلا بد أن يزال بماء تمهيد الأعذار. فعودوا بالسلامة، وأبلغوا الخدمات المخلصة، وسيقدم رسلنا في أعقابكم، ويأتون

(١) التبع والغرب نوعان من الشجر تصنع منهما القسيّ والسهام، والبيت يضرب مثلاً لهوان الشأن.

(٢) إضافة من أ. ع، ٣٨٣.

بالمواتيق وإجابات الرسائل بالتفصيل . فودّع الأمير « شمس الدين » ، و « كمال الدين » السلطان ، وخرجوا مسرعين . ولما فصلت العير عن معسكر الخوارزميين في الصحراء ، وساروا في الطريق يومين ، تركوا متاعهم هناك ولحقوا مجردين بالإيوان السلطاني / في « العلائية » . ١٦٥

وفي الطريق رأوا « ركن الدين جهانشاه » في « أرزن الروم » وأوصوه بأن يتجنّب الأعداء الذين يتخفون في صورة الأصدقاء ، وألا ينحرف عن الميل والولاء للسلطان . فتمهّد بذلك ، لكنهم ما بلغوا « أرزنجان » إلا ولحق « ركن الدين » بالسلطان جلال الدين وحرّضه على غزو ممالك الروم .

وحين بلغ السلطان الأمر استعدّ للفرار والقتال ، وأرسل « كمال الدين كاميار » لدعوة الملك « الكامل » وباقي أولاد « العادل » ، وأمر بمسير عشرة آلاف فارس في صحبة « چاشني گير » ، و « كندصطبل » ، و « مبارز الدين عيسى » ، و « نور الدين كمانخي » إلى « أرزنجان » لمزيد من الاحتياط وليحرسوا الممرات .

ولما وصل كمال الدين عند الملك الكامل والأشرف ، راوغاه في أوّل الأمر ، ولم يجيباه بصراحة ، فأطلق كمال الدين لسانه بالتقريع والتوبيخ ، وقال إن لم تبادرا بتقديم هذا الإمداد وتوفير هذا الإسعاد ، فلو حدث ما يخشى منه في الغد - والعياذ بالله - ورأيكما حرم السلطان بيد أجنبي : لن تنفيذ ندامة ولا تحرق إرم . فأصيبا بغصّة من هذا الكلام ، ووافقا في الحال ، وأعدّ العساكر ، وانطلق الملك الكامل بالعسكر إلى « حران » فلما بلغها جاء أصحاب الأخبار في إثره من قبل « مصر » وأخبروه أن الفرنجي وصل إلى شاطئ البحر بجمّ غفير يربو على المائة ألف فارس ، وعزم على غزو المسلمين ، فعاد الملك الكامل متعجلاً ، وأرسل

رسالة اعتذار إلى السلطان ، فلما وصل إلى هناك نصره الله تعالى ، وألحق الدمار بالكفّار ، فأرسل الملك الأشرف ، والملك الجواد^(١) ، والملك الغازي ، والملك المغيث ، والملك العزيز لحضرة السلطان .

/ ذكر استقبال السلطان

١٦٦

للملك الأشرف ولقائهما رحمهما الله تعالى

أمر السلطان بأن يُحمل إلى منزل الملك الأشرف خيمة ملكية كأنها الجبل يشكو الفلك من ارتفاعها ، وأن تُضرب على حافة نهر جارٍ في منطقة المروج ، وأن تُهيأ الخزانة وعدة الفراش والطست والشراب والمطبخ بمعدات ذهبية كأنها مفردات كنز بالغ الروعة ، وما يلحق بذلك من أدوات ولوازم تليق بالسلطين .

ونهض السلطان للاستقبال ، فلما بدت المظلة السلطانية نزل الملك الأشرف من فوق الحصان وتطلّع نحو السلطان ، فلما اقتربا ورأى السلطان الملك الأشرف واقفا على قدميه نزل ، فوضع الملك الأشرف رأسه على الأرض في عدة مواضع . لم إنهما ركبا بعد المعانقة والملازمة ، وأخذ السلطان في التلطف معه ، وقال : إن الملك قد تجشّم مشقة السير ، وناله الكثير من التعب ، والمأمول أن تكون ميامن حركات أقدامه وبركات أعماله سبباً في زيادة عظمتة إيواته ، فنزل الملك من جديد وقبل الأرض ثانية ، فأشار السلطان بأن يُقدّم بغل سريع السير بطوق ولجام ، فركبه الملك وأخذ في تجاذب أطراف الحديث مع السلطان ، وكان الأمير كمال

(١) وهو الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود ابن الملك العادل الأيوبي ، يقول عنه ابن راصل في كتابه : «مفرج الكرب في أخبار بني أيوب» ، (٣ : ٢٧٤) : «وكان في خدمة عمه الكامل .. وكان جواداً إلى الغاية ، شجاعاً .»

الدين يتولى أمر الترجمة بينهما .

وحين اقتربا من المروج أمر السلطان أكابر الدولة بالذهاب إلى الخيمة مع الملك والنزول لخدمته . فدخل الملك الخيمة ، وقدم له من النعمة ما يشيع عين الطمع . فلما قام عن المائدة وتوجه إلى مخدعه شهد متاع السلاطين من سرير ملكي وطست وأوعية ذهبية ومجمرة مرصعة وحمام سفري وغلمان كأن وجوههم الشمس ذوو شعر مسكي ، فأصبح الملك مائة لسان تشي على سلطان العالم ، وأبدى رغبة في الاستحمام من مشقة الطريق . ثم تبختر متوجها إلى الإيوان العام ، وطلب الملوك والإخوان ، وفجأة / وصل السقاء ، وحيء بالآت الحفل والطرب ، ولما أثرت الخمر الصافية في عقول أهل المجلس تأثيرا ظاهرا ، ونقلت رؤوس خفاف الروح من النوم ، ظهر التفرق في الحرفاء والتدما .

وفي اليوم التالي حين تفتن نقاشو القدرة فرسموا القرص الذهبي للشمس على صفحة السماء الزرقاء سلك الملك الأشرف وسائر الملوك جادة الخدمة وجاءوا إلى الأعتاب السلطانية . فخرج السلطان من الإيوان راكبا فاتحنوا وهم على ظهور خيولهم ، وأخذ السلطان في التعطف والسؤال عن الأحوال ، واعتذر عما يكون قد وقع من تقصير في الحفاوة بالقدم . فنزل الأشرف من فوق الحصان ثانية . وأمر السلطان بأن يقدم حصان من الخاص ، فركبه الأشرف . مجمل القول أن السلطان بلغ الغاية القصوى في تكريمه ، وبذل الخلع والصلوات والإقامات .

ثم إنه دعاه إليه مع إخوته ، وأجلس الملك الأشرف معه في مكان واحد ، ودارت دورة الخمر الحلوة ، فلما أثرت سورة المدام في طينة السلطان ، أمر

بالإمساك ، وأمر الوزير بأنه إذا توجه الملك الأشرف صوب مقر إقامته أرسل في إثره إلى الخيمة بكل آلات الحقل وخلعة ملكية قيعة وحصاناً يسابق الريح بطوف ولجام ، وبأن يحسن إلى كل إخوانه بما يبقى ذكره أهد الدهر ، فأفخذ الصاحب الأوامر المطاعة .

وفي اليوم التالي حين أخذت براعم الأرجوان تتفتح في الروضة زرقاء اللون ، توجه السلطان إلى المدينة ، فلما اقتربوا من البوابة نزل الملك من فوق الحصان ووضع غاشية السلطان على كتفه^(١) كما نزل كل ملوك الشام وأخذوا يسيرون في ركاب السلطان إلى أن بلغوا وسط الميدان . فلما رغب السلطان في اللعب بالصولجان ، كان الملك الأشرف كلما تصادف وسقط الصولجان من يد السلطان ، نزل من فوق حصانه / ونفض عن الصولجان الغبار بأطراف لحيته الشريفة ، وقبله ثم سلمه للسلطان ، وعندما كانوا يسحبون حصان السلطان كان الملك يقبل الأرض ، ثم يعاود الركوب .

١٦٨

ذكر توجه السلطان والملك الأشرف مع العساكر المنصورة

نحو « ياسي چمن » لمحاربة السلطان « جلال الدين »

في اليوم التالي حين طلع الصبح الصادق من أفق المشرق ، وجرّد ملك الكواكب السيارة حسامه المصقول من غمده عازماً على الغزو ، تعالي هدير الطبول ، من تلقاء أعتاب السلطان ، ويقال حسن ويوم ظفر سارت المظلة المنيرة

(١) وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، ... تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها أحد الركابدارية ، رافعاً لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا « (صحيح الأعشى ٤ : ٧) .

للعالم ، [وماج الجيش بكلّ الطوائف من ترك وإفرنج وكرج وأوج وروم وروس
وعرب - فوجاً فوجاً - كبحر من الحديد]^(١) ، فجازوا « سيواس » إلى
« أقشهر » في أسبوع بسبب ضخامة الحشد .

وحين أُبلغ السلطان « جلال الدين » بأن السلطان والملك الأشرف وباقى
الملوك وأبطال الذيار نزلوا بالعساكر المشهورة بصحراء « أقشهر » طلب « أرزن
الرومي » ، وذكر له ما جرى . فأجاب قائلاً إن الرأي هو أن نلتحق به « ياسي چمن »
قبل أن يبلغها ذلك الحشد ، فإذا ما تيسرت لنا السيطرة على ذلك الموضع أقبلت
الغلبة والنصر يختران صوب عتية الإيوان الأعلى . فانطلق السلطان منخدعاً
بأوهام « أرزن الرومي » وأخذ يسابق الريح طول الليل ، حتى بلغوا جبل « ياسي
چمن » عند الفجر ، وحازوا الماء والعشب .

ولما علمت الجنود التي كانت قد ذهبت من قبل للمحافظة على ثغور
« أرزنجان » وحراسة المضائق بقدوم رباب السلطنة مع ملوك الشام ، توجهت بأسرها
لخدمة السلطان . ودفع الأمير مبارز الدين جاولي - بالاتفاق مع سائر الأمراء -
بألف من الفرسان إلى قمة الجبل كطليعة . فلما أقبل الليل ، وأبعدت الطليعة
عن الجيش ، ظلوا يسهرون على الجبل طوال الليل حتى اقترب الصبح . وفي
الفجر وجدوا أنفسهم وسط جيوش العدو ، / وكان في ملازمة ركاب خوارزمشاه ١٦٩
مائة ألف فارس ، فحاصروهم ، فكشفت الحرب عن ساقها وأبدت شراسة
أخلاقها ، وهمّت بسفك الدماء وإهراقها^(٢) ، ويرغم ما لحق بالخوارزمي من
مدد نلو المدد ، بينما كان جند السلطان قليلي العدد فاقد المدد ، فقد لبثوا

(١) زيادة من أ. ع ، ٣٩١ .

(٢) وردت هذه الجملة الثلاث في الأصل باللغة العربية .

وأذاقوا شربة الموت لأضعاف عددهم . وفي النهاية حين فرغت الكنائس من
السهام ، ولم يبق في الجعاب نصال تشبه الشهب ، اضطروا إلى الترحل عن
خيولهم ، وألقوا الصّفاح بالكفاح ، فصار بعضهم قتيلاً وكثيراً وبعضهم الآخر
مأخوذاً أسيراً .

وحين جيء بالأمراء الذين دخلوا في زمرة الأسرى إلى الخوارزمشاه ، أمر
بوضع الوهق في أقدامهم ورقابهم ، وتوقيفهم إلى أن تُعرف عاقبة الحرب ولمن
النصر والظفر .

ثم إنه استدعى « أرزن الرومي » ، وقاخه في عنف مقاومة تلك الشردمة
القليلة ، فأجابه بقوله : كان هؤلاء الفرسان يمثلون ظهر الجيش الرومي ، أما
وقد هزم وانكسر بفضل الله ، فإن مملكة الروم ملك للسلطان .

وخرج بضعة أفراد من الاشتباك ، وكانوا يعرفون الطريق ، فلاحقوا بجيش
السلطان ، وقصّوا عليه القصة برمتها ، فطلب السلطان الملك الأشرف ، ورسم
صورة الواقعة على لوح مخيطة ، فلم يفعل الملك بذلك المقال ، وأظهر الثبات
كالجبال ، وقال : أجل ، إن الجيش الذي ينكسر أولاً يكون النصر حليفه في
النهاية ، ويتعين على السلطان أن يطمئن قلبه من هذه الناحية تماماً ، فسوف يتم
الرد على تلك الطائفة الحاكمة بفضل الحق - تعالى - ومواتاة الحظ .

/ ذكر حركة الرايات المنصورة للسلطنة /

١٧٠

وانكسار الطليعة الخوارزمية

وفي اليوم التالي أرسل جيش العرب مع فوج كبير من مشاهير الأبطال
كثقدمة ، بينما اختار « الخوارزمي » جيشاً هائلاً ذا عظمة وجلال لتسقط

الأخبار والتقدّم كطليعة . فتوغّل في المروج ، وأرادوا أن ينزلوا على شاطئ النهر
ويسيطروا عليه . وفجأة وصلت إليهم طليعة السلطان وأخذ بحر من السيوف
ينهمر عليهم ، وأدّى النظام الفريقيين واصطدام الطائفتين إلى دقّ الرُّؤوس في
الخوذات والأبدان في الدُّروع كما يدقّ ليابُ الغسّاق في الهاون ، وحين تحوّل
النهار الأبيض إلى ليل بهيم بسبب ظلمة القتام والغبار أخذت كواكب الأسنّة
وشهب النّصال تُبرق .

وفي النهاية أسفر النّصر عن وجهه ، وولى الجيش الخوارزميّ الفرار ، واندفع
أبطال الوغى بحلبة وضجيج كالعقارب خلف أولاد الأفافين أوثلك ، وصعقوا
كل من وجدوه بسيل السيوف فانقلبوا صاغرين .

وحين انكشفت صحراء المعركة - وكانت بحرًا موجًا من دماء الأوداج -
عن أشلاء الأعداء ، وفرض [جند السلطان] سيطرتهم على الماء والعشب ،
أرسلوا فارساً إلى أعتاب السلطان ، وأخبروه بانكسار الخصم ، وانهزام الجيش ،
واختيار الماء والعشب ، والتمسوا تحريك الركاب السلطاني إلى ذلك الموضع .

وفي الحال ضربوا الخيمة الملكية ، ورفعوا الأعلام ، وتحرك الجيش كالجبال
الحديدية ، وأخذوا خيمة السلطان إلى تلك المروج . فوصل الخبر إلى
خوارزمشاه ، فزابل الاطمشان قلبه ، وشرع في عتاب الأزرومي .

/ ذكر انكسار طليعة الخوارزمي

كرة ثانية

وفي اليوم التالي دخل جند كثيرون من الجانبين كطلائع ، وأخذوا يجولون طيلة الليلة في الجبل والوادي ، فلما تفرق جيش الهند^(١) من جديد ، ونزل ملك النجوم في ميدان الإقليم الخامس ، رأى كل جيش غريمه فجأة ، فاصطفوا وهجم الخوارزميون أول الأمر ، فجعلوا من نصال السهام ما يشبه الفكر حين دفعوها إلى ضمائر الصغار والكبار ، وأخذ الرسل يطلقون هنا وهناك صواعق السهام والمعابل مزودة بريش العقبان حتى أبلغ خير شدة القوس وقوة سواعد الأبطال الرنين بلسان مبين لمسامع الخصوم خفاف الحركة وفرسان تلك الميادين .

فثبت جيش الملك « كشهلان »^(٢) و« حراء » للأمر ، وحين مالت ربيع صولتهم للركود ، جرد الجند مرهفات السيوف وحرروا مشقبات الرماح ، وهجموا عليهم دفعة واحدة كنوازل الأقدار ، فأطاحوا بكل من لحقوا به ، ولعبوا الكرة في ميدان المعركة بجماعم تلك الطائفة ، كما قذفوا بقلانس السعادة إلى أجواء القلک . وتبدل إقبال الخوارزميين إدياراً والمكر انكساراً والهجوم فراراً ، وأخذ جندهم من راكب وراجل يتمثرون ويتساقطون ، وقد عزموا على الفرار وتولية الأديار^(٣) . وأهرق دمع العين على فراق الروح ، واتصف ملك الأرواح بصفة

(١) يعني بجيش الهند : البابل .

(٢) اسم جبل .

(٣) في الأصل : دل بمراد نهاده ، ولا محل لها ، وقد اخترنا أن نبدل « فرار » بكلمة

« مراد » المثبتة في الأصل ليستقيم المعنى .

العجز والذهشة لاذحام النفوس الشهيدة ، وضاق الجوّ بأفواج الأرواح المفارقة - التي سقطت من المغاربة والمشاركة في تلك الملحمة - كضيق القلوب الولهانة للعشاق ، وضيق صدر البخيل . وقام جند السلطان / حامدين ذاكرين الله في ذلك المقام ، وأرسلوا رجلاً لإعلام الحضرة السلطانية بالأحوال ، وكان الرّكّاب السلطاني نفسه قد تحرك ، وسارت الجيوش المنصورة وهي تحمد الخالق ، فأقبلت على أيمن طائر إلى بلاط الملك المستولي على العالم ، وعلم أن الخوارزميين كانوا قد ألتخنا بالجراح في معترك المنايا .

وألقت الحيرة والاضطراب خوارزمشاه في الضيق والحرج فأخذ يحترق كالشمع من الحرقة ، ويعزو تلك التكبّات إلى نفاتح « الأرزرومي » وسوء ندييره وشؤمه . فوسوس إليه « الأرزرومي » حينذاك قائلاً : اقبض على أولئك الذين وصلوا هاربين مع قادة آخرين ، وانزع أرواحهم بالسيف البتار لكي يثبت من تبقىوا في الحرب ثبات الصخور ، ولا يسع الخصم التحرك ، وتصدق عليه صفة «وقذف في قلوبهم الرعب» .

فبادر بالقبض على سبعمائة رجل حرّ بريء من جيشه ، ووضع الأغلال في أعناقهم ، وأمر بضرب رقابهم جميعاً . وسوف يبقى هذا إلى يوم الحساب بمثابة خزي وشنار ، وإثم وعار ، فقد لزم ما قاله ذلك الغدار أسود القلب ، وكان أعدى أعداء نفسه في ذلك الأمر .



ذكر فرار طليعة خوارزمشاه للمرة الثالثة

من طلائع السلطان

وفي اليوم التالي حين قبَل فلك النجوم - كعادة العبيد - أعتاب ملك العالم، ظهرت الأعلام الحمراء والصفراء في آفاق الميدان برفقة أولئك الجند من تماشيح القتال، فتحرَّك الحشد كله، بينما ركب السلطان / الفاتح حصاناً يشبه مسيره مسير ربح الصبأ في تلك السهول الرائعة، وقد أثر حرَّ الهاجرة في أنصار العساكر المهاجرة، وأخذت نفوس الشجعان تجفّ في الحلق، فانطلقوا جميعاً إلى المناهل والعيون، والأنهار الجارية في تلك المروج.

١٧٣

أما السلطان فإنه لم يلتفت إلى المياه والجيش - لئلاّ قد عقدها في نفسه ولأنه قد روي إلى الأبد بشرية «أبيت»^(١)، وإنما صعد فوق جبل هو أعلى من همة الأسخياء وقامة الحسناء، وجال بنظره هنا وهناك، فرأى الصحراء والوديان مشحونة كلها بجند العدو وكانوا قد نصبوا خياماً في خيام، وتزاحموا تزاحم الثمل والجراد. فهجم عليه جماعة من شجعان الحرب، فخرج إليهم نحو ألف فارس منهم، وبدأت حركة هائلة من الكرّ والفرّ، ولو لم تحجب أستار الظلام بينهم لما بقي أحد من الجانبين حياً. وعادت كل فرقة إلى موقعها.

وظلّوا طوال الليل في التدبير والترتيب للمقارعة والنزاع وتشقيف البراع، والرّهف لتحقيق إرهاب شعاع [الحسام]^(٢)، وقضى السلطان عظيم الشان في تلك الليلة وطراً، وبعد تجديد الغسل، دخل في صلاة يناجي ذا الجلال، وأخذ يدعو به «يا» بلغة بغير لسان في خلوة القرب اللامكاني ويطلب المدد.

(١) إشارة إلى الحديث النبوي: «إني أبيت يطعمني ربي وسقيني» عن أبي هريرة.

انظر البخاري مثلاً، باب الاعتصام، طبعة دار الشعب، مصر، ٩، ١١٩.

(٢) ورهف: رفقّ وحَدّد، والرّهق: من معانيها التعجيل.

ذكر مقابلة الجيشين وانهزام السلطان جلال الدين

وأسر أرزن الرومي وأخيه

يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان سنة ٦٢٧ أصبح الجيش مبتسماً
كشفت الصبح ، متألّفاً كوجه الشمس ، وأمر السلطان أن يدخل الجند / في
السلاح ، ويصطفوا صفوفاً ، ويحدّوا الميمنة والميسرة ، والقلب والسافة . وأن
ييدي أسود القتال علائم الفداء والتضحية . ولأنه لم تبق مسافة فاصلة بينهم
وبين العدو ، بل إنهم - لثداني الخيام - بدوا كأنهم « قاب قومين أو أدنى » ،
وتلاقوا دفعة وأظهروا كل ما هو مسور^(١) ومقدور . وفي الحال أوصلت أصوات
الطبول الهدير إلى أذن « جبريل » ، وأتيح للأعلام أن تحدث « منجوق ذي
الجيبة »^(٢) ، و« عيوق »^(٣) ، ووقعت الرجفة في أسود الأعلام^(٤) كما يرتجف
قلب البخيل على صورة الدرهم . وامتطى المليك حصاناً ضخماً يستطيع أن يعبر
البحر بوتية واحدة .

١٧٤

وفي الناحية الأخرى جرت تعبئة الجيش تعبئة ملكية ، واصطف جيش
ضخم يزيد عن مائة ألف للمقتال ، وتقدّم الملك الأشرف إلى حضرة السلطان
وقال : لو أنّ السلطان ركب اليوم بغلاً بدلاً من الحصان ، بل لو وضع للملغ

(١) في الأصل منشور ، وهو تصحيف بلا شك .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله اسم نجم من النجوم ، غير أنني لم أعثر لهذا الاسم على أثر
في المعاجم والمصادر المتخصصة التي رجعت إليها ، (انظر مثلاً : كتاب التفهيم
لأوائل صناعة التنجيم ، لأبي الريحان البيروني ، تحقيق جلال همالي ، طبع طهران
١٣٩٣ هـ) ، و« منجوق » بالفارسية تعني الراية ، أو الموضع الأعلى من سارية العلم .

(٣) العيوق : نجم .

(٤) يعني الأسود المرسومة على الأعلام .

شكّال^(١) أيضا ، فلا شك أن كل ثعلب في هذا الجيش المغوار سيغدو عشرة أسود كواسر ، فيتمكّنوا بذلك من الإيقاع بالعدو . فقدّموا بغلاً ركبهُ السلطان في الحال .

فلما تمت التعبئة ، واقترب وقت تدانيي الجمعين ، صعد حوارزمشاه على تل مرتفع وألقى نظرة على سواد الجيش المنصور ، ثم أخرج آهة باردة تألماً وحسرة ، إذ لو كان هذا الجيش في حوزتي ، وكنت أمضي إلى الحرب أمام جيش التتار بهذه الفئمة ، لكان نصيبهم مني الدمار والهلاك ، وكنت قد تعهدت نباتات الأرض بالدماء التي تسيل من تلك الكلاب الضارية . ثم إنه عاد إلى قلب جيشه بدموع منهمة وصبر نافذ .

وحمل « الملك الأشرف » ، و« كمال الدين كاميار » حملة الأسود ، فألقوا بالميمنة على الميسرة / وأجبروا الجميع على اللجوء إلى وادٍ ضيق لا هو بموضع للفرار ولا بمكان للحرب ، ولم يشتغل السلطان حوارزمشاه بالحرب والظعن والضرب ، وإنما أسرع في الحال نحو الأعلام وقصّل منها « العصابة »^(٢) والبسرق والعلم ، وربطها بمؤخرة السرج ، وانطلق هارباً حيث واصل السير بالسرى ، والوخدان بالذميل^(٣) .

(١) الشكّال، القيد: وهو أن تكون إحدى اليدين وإحدى الرجلين من خلاف محبكتين (٢) في الأصل منجوق ، وهي - فيما يبدو - الراية المطرزة بالذهب ، والتي تحمل ألقاب السلطان واسمه ، وكان المعاليك في مصر والشام يطلقون عليها اسم «العصابة» ، انظر صبح الأعشى ، ٤ : ٨ .

(٣) كذا في الأصل ، كلمتان عربيتان ، والوخدان : الإسراع وتوسيع الخطو ، والذميل : السير السريع اللين .

وشغل جيش العرب بغارة السلب ، وأخذ أهل الروم يتحركون في إثر الخصوم في نواحي تلك الديار فرقة فرقة كالجبل الهادئ الساكن ، وفجأة أدركوا صاحب أرزن الروم ، ورأوا معه أخاه العزيز - الذي لم يكن يفارقه - فأخذوهما ، وأتوا بهما إلى ملك العالم ، فارتضى تحت أقدام المليك حجاجا ، فأمنه السلطان من ضرب السيف ، وعهد به إلى بعض أمرائه ليبدلوا كل جهدهم في حراسته ، على ألا ينالوا أبدا من حرمة وتعظيمه ، بل يزيدوه حرمة وتعظيمًا . كان أول النهار ملكًا موفقًا ، وآخره أسير حرب ^(١) .

ثم إن السلطان أتجه إلى البلاط ، فحمل الملك الأشرف الغاشية على كتفه ، وأخذ يسير على قدميه في ركاب السلطان ، الذي تعجب هو وجميع من حضر للمظفه البالغ ، وكان السلطان يبدي كل لحظة اعتذارًا ، ويدع لطيفة من اللطائف . فلما دخل السلطان البلاط ، قبّل الملك الأشرف الأرض ، ثم أتجه صوب خيمته . وانطلق السلطان من الصفة - من جديد - إلى الخلوة حيث المصلّى كمي « يناجي ربه » . وسجد لله شكرًا ، وحمد ملك العدل والدين وأتسنى عليه .



(١) راجع ابن الأثير، (الكامل ١٢ : ٤٩١ في حوادث سنة ٦٢٧) ، وقد شبه صاحب أرزن الروم فيما انتهى إليه أمره بالنعامة: «فكان كما قيل: خرجت النعامة تطلب قرنين، فعادت بلا أذنين. وهكذا هذا المسكين جاء إلى جلال الدين يطلب الزيادة، فوعده بشيء من بلاد علاء الدين، فأخذ ماله وما بيده من البلاد وبقي أسيرًا...» .

ذكر تحرك رايات السلطان صوب

أرزن الروم وفتحها على يد السلطان علاء الدين كيقباد

١٧٦

في اليوم التالي ، حين أزمع ملك الكواكب وملك الثواقب التحرك في منازل النهار الصادق ، توجه السلطان مع الملك الأشرف وإخوته إلى «أرزن الروم» ، وفي الطريق تناهى إلى سمع السلطان أن فرقة من جيش خوارزم - كانت قد ولت الأدبار - لكنها سقطت بالأمس في هوة سحيقة ، وأن أفرادها قد تساقطوا جميعاً في تلك الهوة بخيولهم وأسلحتهم بسبب ربح الهجوم العاصف وخوف الموت . فأصدر السلطان أمراً لجماعة من الجيش المذكور بالذهاب إلى هناك وتقديم تقرير عن الموقف ، فلما بلغوا المكان ، وجدوا أرواحهم قد فارقت الأبدان وانتقلت إلى الدار الآخرة ، فأثوا بما كان معهم من عدة وعتاد إلى دار السلطنة .

وفي اليوم التالي أراح العيد السعيد بثفة باسمة النقباب عن الوجه الذي يزين العالم ، وظهر الهلال من أحد جوانب السماء فبدأ كقوس طغراء^(١) السلطنة .

وفي الصبح الأول توجه كبار رجال الشام نحو بلاط ملك الأنام ، فنزل السلطان من على العرش وأمسك بيد الملك الأشرف ، وأجلسه بالقرب منه على الطراحة التي كانوا قد أعدوها تحت العرش ، ولما شربوا المشروبات ، وكان المركب السلطاني قد ازدان ابتهاجاً بالعيد ، ركبوا خيولهم ، وأخذ أبطال الميدان في إظهار أنواع المهارة والفرن والفروسة ، ثم إنهم توجهوا إلى المصلى ، وتعبّدوا للمعبود المطلق . وسالت الصدقات كقطرات الأمطار على السائلين ، ثم حضروا خوان الخاص . فلما ترك كلّ منهم الخوان إلى خيمته ، أرسل السلطان عشر

(١) انظر فيما سبق ص ١ هامش ١ .

خلع سلطانية مع عشرة خيول إلى الملك الأشرف وسائر الملوك ، ودعاهم إلى
الحفل المضيء للعالم . وسبب بعد عهدهم بمعاقره الخمر ، أخذوا من
الأنخاب ما كان ثقيلا .

وفي اليوم التالي لحقوا بمنطقة « أرزن الروم » ، فأغلق الأمراء الذين كانوا
في المدينة الباب ، وفتحوا طريق المقاومة . فأمر السلطان بأن يدخل المدينة رجل
أمين يوثق بقوله / فيدعوهم إلى جادة الانقياد بلسان الملك ، ويهددهم نيابة عن
بلاطه بوعيد : « إن عذابي لشديد » . ووفقاً للحكم ، دخل أحد المقرئين من
خاصته في صحبة أحد أمراء بالمدينة لكي يدفع بأهلها إلى طريق الصلاح ، وبالغ
في ذلك كل المبالغة ، فقرنوا الأمر المطاع بالإجابة بشرط أن لا يلحق بالأمير
وأخيه وبقية الأمراء أذى ، ويتمّ التجاوز عمّا مضى . فأقسم السلطان على ذلك
في مكتوب وفقاً لطلبهم ، وأرسل كتاب عهد وميثاق إليهم ، فلما طالعوه قدم
« همام الدين الجاندار » وسائر الأكابر من المدينة إلى خدمة السلطان ، وحملوا
الرّاية داخل المدينة .

وفي اليوم التالي ركب السلطان على حصانٍ فاتح للعالم كالبدر المنير ، وسار
الملك الأشرف مع أخوته على أقدامهم في الركاب العالي ، فلما دخل السلطان
الإيوان ، وقف الملك الأشرف مع الإخوة مصطفيين ، فوضع السلطان قدمه على
حافة الصّفحة مدّة يسيرة ثم جلس ، ثم ما لبث أن قام وأمسك بيد الملك الأشرف
ودخل قاعة الخلوة ، وفضوا ذلك اليوم في اللهو . وفي أثناء النشوة تشفّع الملك
الأشرف للملك ركن الدين^(١) فوَقعت شفاعته موقع القبول ، ونال خلعة لعمينة

(١) يريد به ركن الدين جهانشاه ابن مغيث الدين ابن قلع أرسلان ، صاحب « أرزن
الروم » ، انظر ما سلف ، ص ١٨٢ .

وحظي بشرف تقبيل اليد ، وتفضل السلطان عليه فأقطعه « أقسرا » وتوابعها كما أقطع أخاه « أيوب حصار » .

ثم إنه وجه فرقة من الجيش صوب « أخلاط » وكان نواب السلطان جلال الدين حين سمعوا بالواقعة قد أدخلوا المدينة وعبروا إلى « أزان » .

وبعد شهر قال للملك الأشرف ، يتعين على الملك أن يتجشم مشقة التوجه نحو « الأرمن » / لكي يدخل « أولتي » مع بضعة قلاع أخرى من بلاد « الكرج » في نطاق سيطرة ديوان الملك الأشرف . فقَبِلَ الملك الأشرف اليد ، وطلب منشورا على ذلك وعلى ملك الأرمن ، فتعجب السلطان لفرط تواضعه ، وسطر المنشور ، وأطلق الأمير « جانني كبير » مع خمسة آلاف فارس في خدمة الملك نحو « أخلاط » ، على سبيل الاحتياط ، وأمر له بنفقة تزيد عن الحد مما لا طاقة لأي سلطان عليه ولا على عشره ، والتمس الأعداء وقطع مسافة طويلة بالمظلة والزاية لوداعهم .

توقف السلطان بعد عودته - أسبوعا - لتفقد أحوال القلاع والبقاع ، وأمر بأن ترسل رسائل الفتح^(١) إلى نواحي البلاد . ثم عاد إلى « قيصرية » بعد نيل المرادات .

(١) أورد الأستاذ « هوتسما » محقق الأصل الفارسي في الهامش نص إحدى رسائل الفتح التي بعثها السلطان علاء الدين كيقباد إلى ملوك الأطراف . وهي مرسلة إلى « مظفر الدين كوكبوري » صاحب « إيرل » . وكان « هوتسما » قد عثر على تلك الرسالة في مخطوطة تركية موجودة بالمكتبة الوطنية بباريس . وموضوع الرسالة ما جرى من أحداث عقب انهزام السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ومحاصرة « أوزن الزوم » ثم السيطرة عليها ، وحسم مادة المفسدين والمتناقضين الذين كانوا يحرضون السلطان جلال الدين على المسلمين ويغرونه بهم .

- وفي هذه الأثناء وصل من « علائية » مكتوب بأن سلطان العالم إن لم يحرك ركائبه بسرعة فسوف يفلت عنان حكم « العلائية » من يد ممالك / السلطنة ، إذ أن محافظ القلعة -ولو عُلق جسده في حبل المشنقة لكان أولى- قد كفر بالعممة ويزمغ أن يسلم القلعة للقبارصة ، فاندش السلطان لهذا الكلام ولازمه التفكير وقال : أيقع اختياري على من لا أصل له وأجعله رئيساً وحاكماً على صدور الناس / ومن تزكى منهم ، ثم يضمم مثل هذا الغدر الذي ليس له من عذر ، إن هنا لشيء عجيب . وركب في الحال على بغل يشبه في سيره ربيع قسم الجبال ، وبرفته بعض / الخواصر ، ولحق بالعلائية بعد ثلاثة أيام ، وأظهر كأنه لم يسمع بشيء ، لكنه شغل في السر بالتفحص واستكشاف الأمر ، فلما تحقق أنه خائن غادر ، وشهد الأئمة والحفاظ في مواجهته ، وأفشوا مسارب نديره وكشفوا عن فكره ، وعلم أنه الحق الصراح ، أمر السلطان في الحال بأن يحملوه إلى البرج وبمزقوه إرباً إرباً ، وأن تعلق جثته بما نالها من خزي جزاء ما فعل . وصار كل من كان شريكاً له في تلك المقالة قريباً له في نفس الأمر .

ولما سمع ملوك السواحل بتلك العقوبة ، بعثوا على الفور من كل صوب بالخراج والجزية لخدمة مالك العرش والتاج .

وظل السلطان طيلة شهرين هناك يقيم الحفلات الملكية نارة ، ويسرم أمراً مقروناً بالتوفيق نارة أخرى . ثم جاء من هناك إلى أنطاكية وظل هناك أربعين يوماً أخرى ، ثم أمر أن تمكث العساكر المنصورة في أوطانها ومساكنها مستريحة مرفهة مدة سنة .

ذكر توغل فرقة حراسة مغولية حتى « سيواس »

الغروسة - حماها الله تعالى

في سنة ٦٢٩ توغلت فرقة من جيش المغول - يقودها « جرماغون نوبن »
- في نواحي « سيواس » حتى بلغت رباط « ابن راحت »^(١) ، فقتلت وأسرت
واسترقّت الكثير من الخلائق والمواشي . وحين بلغ هذا الخبر الفاجع مسامع
السلطان ، أمر « كمال الدين كاميار » - وهو في غاية الانقلق - أن ينطلق بمن
حضر من الجيش من مفاردة حلقة الخاصّ وغلّمان الأعتاب السلطانية وملازمي
الخرم بعثادهم وعدّتهم . ويعمل - بكل ما أوتي من كفاءة ودراية - على
تسكين هذه النائرة / ، فانطلق الأمير « كمال الدين » بتلك الطائفة من الجيش ١٨٣
- فلما بلغ « سراس » كانت فرقة الحراسة المغولية قد عادت أدراجها . فتبعهم
الجيش حتى « أرزروم » . كان الأمير « مبارز الدين جاشني كبير » متولياً حراسة
تلك الثغور ، فاستشاره ، فأجاب بأن جيش المغول إن كان قد عاد أدراجه فلا
ينبغي السير في إثره . فأقام [كمال الدين] في تلك النواحي يوماً ، ثم أبلغه
الجواسيس أنهم اتجهوا إلى ديارهم ، وأنهم عبروا « ممر يونس » ولحقوا به « مغان » .
وفي أثناء توقف الجيش تجمّع الكثير من الجند ، فقالوا لا يجمل بنا الرجوع
دون أن نفعل شيئاً ، وكان [السبب في]^(٢) دخول المغول ممالك السلطان هو
إغراء ملكة « الكرج » ، فوجدوا في هذا تعلّة لغزوها .

(١) « كان معروفاً بالرباط الإصفهاني » ، أما الآن فقد اشتهر باسم رباط كمال الدين

أحمد بن راحت « (أ. ع ، ص ٤١٩) .

(٢) إضافة من أ. ع ، ٤٢٠ .

ذكر دخول عساكر السلطان
ديار الكرج وفتح القلاع على يد ملك الأمراء
« كمال الدين كاميار »

أعدَّ الأمير « كمال الدين » و« جاشني كبير » آلات الحصار ، ولم يقتصر
على المشاة الذين كانوا قد جاءوا من مختلف نواحي البلاد ، وإنما أخذ خمسة
آلاف آخرين من المشاة ، وانطلقا بحشد كبير صوب ولاية الكرج . وتمكنا في
أسبوع واحد من الاستيلاء بالسيف البتار على ثلاثين قلعة شهيرة كانت شرفاتها
تسامت السّمك وقواعد أبينتها تعاكس السّمك وتعرقل مسيره ، وانتزعوا بالرمح
الثقيلة والسيوف المهتدة كل حركة في أرواح أهل الكرج . وأنجز الله في تلك
السنة وعده الصادق لعساكر السلطان من منطقة « الأبخاز » بقوله : « وعدكم الله
مغانم كثيرة تأخذونها »^(١) ، ثم إنهم انطلقوا من هناك إلى قلعة « خاخ »
واستولوا عليها بإعمال المنجنيق والسيوف الصّقبيل البراق . / وأذاقوا أهل « خاخ »
نفس الشربة ، وجعلوا الدنيا الواسعة تضيق بهم كنعين النمل بما رموهم به من
الحجارة والسهام الرائشة .



(١) الفتح : الآية ٢٠ .

ذكر تذلل «رسودان» ملكة الأبخاز

وطلبها مصاهرة أعتاب السلطنة بتوسط ملك الأمراء

لمّا سمعت «رسودان» ملكة الأبخاز بتوغّل عساكر السلطان وبالنكسة التي حلّت بالقلاع الواقعة بتخوم بلادها ونجحت في بقاعها بفعل حوافر الخيل الجوّابة التي يمتطيها المقاتلون من بلاد الرّوم ، خاصمتها الراحة وجافاها الهدوء والسكينة . وبعد إدارة أقداح الاستشارة رأّت المصلحة في أن تدخل من باب الملاطفة والمسالمة مع أرباب الدولة . ومن أجل ذلك فتحت باب المكاتبه مع الأمير كمال الدين ، والتتمت الأعدار عن ما كانت قد عاينته من خبث أمرائها [بسماحهم لجيش المغول بالتوغّل في بلاد الرّوم] (١) ، وأرسلت الأحمال . وقالت : إني خادمة السلطان ، أطيع كلّ من يأمر به وأذعن له ، وأغلب الظن أن الرضا بالعفو لا يكون مقرونًا بتخريب بلادي ، وأن لا يجيز ملك الأمراء - بما يتميّز به من كمال الكرم ومحاسن الشيم - أعمال الظلم . والمتوقّع من أطفائه الإبقاء على بقايا البلاد ، وأن يطلع الأعتاب السلطانية على رغبتنا في الصلح ، وحين تلوح آثار العناية والتعطف سيتمّ تأكيدها بطريق المصاهرة والقرابة ، إذ يجول بخاطري أن تصبح ابنتي المظهرة - وهي من صلب سلجوق ومن أصل داود (٢) - قرينة لملك الإسلام غياث الدّين كيخسرو بحكم ما حصل من جوار بين ديارنا .

فقرن ملك الأمراء كمال الدين - بما عرف عنه من دهاء وحسن إدراك -

ملتئمسة الملكة بالإجابة / ، ودعا إليه الجند . ثم أبلغ السلطان نبأ فتح ثلاثين أو ١٨٥

(١) زيادة من أ. ع ، ص ٤٢٢ .

(٢) نريد به داود بن سليمان بن قتلмыш بن أرسلان بن سلجوق ، وهو ثاني سلاطين سلاجقة الروم ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سليمان مؤسسه الدولة . انظر شجرة نسب سلاجقة الروم في آخر هذا الكتاب .

أربعين قلعة مشهورة معمورة ، وسي الدّراري ونهب الأموال والمواشي وتشيع الجيش بالمال .

وكان السلطان - منذ أن بعث بالجيش في إثر المغول - قد كَفَّ عن إحياء الحفلات وأمسك عن الطرب ، وليث يترصد الأخبار السارة . فأمر في الحال بإحياء الحفل ، وتمّ استدعاء حرفاء الطرب . وتمتّ إجابة الأمير كمال الدين بردّ موشح بالتوقيع الأشرف للسلطان ، مشفوع بالإعراب عن الرضا بما بذل من مساع مشكورة وخدمات مبرورة ، وصدر الأمر بأن يُسمح للعساكر بالعودة إلى الأوطان ، وأن تعدّ مصاهرة الملكة مقرونة بالقبول ، وألا يُسمح للجيش منذ الآن بالحاق ضرر بولاية الأبخاز .

فاستدعى الأمير كمال الدين الأمراء ، وأبلغهم بالأمر ، ثم ارتحل . وحين لحق بحدود «أرزنجان» أمر الجند بالانصراف ، وسارع هو إلى الحضرة السلطانية ، فنال من الإكرامات والكرامات ما لم ينله أحد .

ذكر توجه عساكر السلطان نحو الأرمن

واستخلاص إقليم أخلاط وباقي بلاد الأرمن

وإضافتها إلى سائر الممالك المحروسة

حين سمع السلطان أن ممالك الأرمن قد صارت مهالك ، وأن الملك الأشرف - بحكم ما كان يغلب على طبيعته من محبة للهو - قد استقر بدمشق بعد «سنجارة» ، وسلك سبيل الطرب في جوسق «هت»^(١) ، وأنه لا يعير اهتماماً لما يحدث بديار الأرمن في الوقت الذي يتابع فيه جيش المغول غاراته دون

(١) في أ. ع ٤٢٧ ، يرب .

انقطاع ، ويقبض على بقايا الرعية فيأخذهم أسرى . كما كان جناب من الجيش
١٨٦ الخوارزمي قد تفرق مشرداً في تلك الأطراف ، فأخذ أفراده في قطع الطريق / ،
حين سمع السلطان ذلك كله أمر - لفرط شفقتة ورحمته - « كمال الدين
كاميار » بأن يوجه الحشم المنصور بأسره إلى تلك الحدود ، وأن يعمل على
إلحاق ديار الأرمن من « أخلاط » و« بدليس » حتى نواحي « تغليس » بسائر المعالك
المخروسة .

فانطلق الأمير كمال الدين بموجب الحكم مع العساكر كافة ، فلما بلغ
أخلاط وجد تلك المناطق « كدار ما بها آدم » واستقبله جماعة ممن بقي من
سراة الناس هناك دون قبيل وقال وجواب وسؤال ، وحملوا الرأية في الحال إلى
المدينة ، وأقسموا على الولاء للسلطان ، وجعلوا الخطبة باسمه .

وغادر الجيش المدينة ، وأمر بالنزول على شاطئ البحر ، وسيرت أفواج
العساكر بصحبة الأمراء إلى كل ناحية ، وفرضوا سيطرتهم على ممالك الأرمن
بأسرها ، بيمن دولة السلطان .

وأرسل الأمير كمال الدين بخبر فتح ديار الأرمن ، وما وقع لثلك الديار
والذمن من خراب ، إلى الحضرة السلطانية ، فسر السلطان بالفتوح ، وأنفذ أمراً
- بيمن نقيب الأمير كمال الدين واستمالته وسائر الأمراء الذين كانوا يتولون قيادة
الجند - بأن يسلم « الصاحب ضياء الدين قرا أرسلان » ، و« سعد الدين
المستوفي الأردبيلي » و« تاج الدين پروانه ابن القاضي شرف » من المال ما يذهبون
به نحو أخلاط والأرمن ، ويدبرون أمر تلك البلاد ، فيعينوا أبواب الإنفاق ،
ويقيدوا أملاك الغائبين والقنلى ، وأن ينصرف الأمير كمال الدين صوب
« أرزوم » ويمسقى هناك في انتظار الأوامر . فلما وصل الصاحب وپروانه

والمستوفي^(١) هناك كان لا يبدل للأمير كمال الدين من مادة الجير لإعادة بناء ما تخرّب من أبنية القلاع ، فأخذ يسلم حجر الجير والتبن في نواحي «عادل جواز» . وأمر كل واحد من الأمراء بأن يبني بضعة أفران كبيرة ، ويباشروا العمل ، فأقاموا في يومين أو ثلاثة آلاف قمينة من قمائن الجير ، وأخذوا يحملونه بالجمال إلى أرزن الروم ، وصل أمر باستدعائه وبالسماح للعساكر بالعودة إلى أوطانها ، فسمح للجند في الحال ، وانطلق بنفسه عازماً على المشول في الأعتاب السلطانية .

حين لحق الصاحب ضياء الدين وتاج الدين پروانه وسعد الدين المستوفي - وفي صحبتهم ألف فارس من المفاردة - بإقليم أخلاط ، نصبوا الديوان ، فسجلوا كل الأملاك والمقارنات ، ودعوا المزارعين وأرباب الأراضي للعودة إلى أراضيهم ومياهم ، وسلموهم البذور والماشية ، وأسقطوا عنهم التكاليف المعهودة . كما استدعوا محافظي القلاع ، وضبطوا الإيرادات والمصاريف العامة .

ولما وصل الخبير لولاية «الكرج» و«أرزن» ، توجه إلى الأوطان كل من فرّ وتفرّق ، وما لبثت الولاية أن عمرت في أقلّ مدة .

ثم إنهم فوضوا قيادة جيش تلك الممالك «لسنان الدين قيمار» ، وكان أميراً شجاعاً وقائداً عسكرياً ذا دراية وتجربة . فبلغه أن «قيرخان» قد نزل «بتطوان» مع جماعة من جند الخوارزمية ، وأن الولاية ليست بأمنة من جهته . وكان السلطان قد سمح بدعوته للولاء لأعتابه .

(١) قارن أ. ع . ٤٢٧ .

وذات يوم تغيب « سنان الدين قيمانز » مع غلام وركابي فقط عن أنظار
 الأمراء ، وتوجه صوب « طاطوان » ، فلما اقترب أدرك رجلاً من جيش
 الخوارزمية وقال : أخير الخان أنه حين غلبت قاهماز / الحاجة للقاء جاء أعزل من
 السلاح . فعسى أن يسمح له بالتشرف بالخدمة . فلما سمع « قيرخان » ذلك
 تملكه العجب ، وأرسل واحداً من ملازميه - كان ذا دراية - لاستقباله لكي
 يتبين صحة الخبر . فلماً تحقق أنه هو ، ذهب « قيرخان » بنفسه لاستقباله مع
 شخص واحد هو حاجبه ، فلما حصل اللقاء وتلاطفا طويلاً استأذن الأمير
 « سنان الدين » وذهب عند زوجة قيرخان وأبلغها السلام وسألها عن نكبات الأيام
 وواساها ثم عاد إلى قيرخان ، وطلب طعاماً على سبيل التبسط ، فأتوا بما كان
 حاضراً من الطعام . وبعد تناول الطعام انتزع « سنان الدين » مصحف الحمائل
 من غلافه ثم وضع يده عليه وأقسم أن أمراء السلطان لا يحملون في قلوبهم أي
 ضغن لقيرخان وسائر أمراء الخوارزمية ، ولن يسيئوا لهم ، وكل ما يقولون عليه أن
 ينتقلوا من هذا التشرد إلى حالة من الأمن والاستقرار ، وليس أدل على ذلك من
 أن السلطان قد قال للمصاحب بأن يدخلكم في دائرة الطاعة . فإن وافقكم هذا
 الأمر فيتعين على قيرخان وسائر الأمراء أن يقسموا بأنهم مع السلطان جميعاً في
 السر والعلن .

فاجتمع « قيرخان » ، « بركت » ، « بيلان نوغوه^(١) » و« ساروخان »
 و« كسلو سنكم » والأمراء الآخرون بأسرهم ، وأقسموا على ذلك كله ، وأتوا
 بالخمير ، فلماً تداولوا عدة أقداح اعتذر « سنان الدين » وطلب السماح بالعودة

(١) ورد هذا الاسم في أ. ع ، ٤٣٠ : بيلان نوغور خان بيردي .

لإبلاغ الصّاحب وباقي الأمراء ، وتم الاتفاق / على أن يركبوا عند الصّبح
 ويدخلوا بساتن المدينة لكي يقوم أمراء الدّولة وأكابرها باستقبالهم ويتمّ هناك إقرار
 ما يلزم من مهمّات والتأكيد عليه .

وحين دخل سنان الدين قيعاز المدينة كانت صلاة العشاء قد قضيت ، وقد
 نهض أركان الدّيوان فسأله الصّاحب عن سبب غيبته فأخبره بالأمر ، فأثنوا جميعاً
 على فرط كفاءته وشجاعته . وأمر الصّاحب بإعداد مائدة كبرى .

وفي اليوم التّالي حين طلع كوكب الشّمس وأطلّ من قتل جبال المشرق ،
 كان قيرخان وسائر أمراء الخبرارزمية قد وصلوا إلى أطراف المدينة ، فحفظ تاج
 الدين بهروانه وسنان الدين قيعاز وسائر الأمراء للاستقبال ، وأنزلوهم بأحد
 البساتين ، ووضعوا من الأطعمة ما كانوا قد أعدّوه ، وبعد الفراغ طلب تاج الدين
 بهروانه تجديد القسّم رغبة في تأكيده . فأعاد قيرخان والأمراء الآخرون القسّم على
 نحو ما فعلوا بالأمس . فلما حصل لهروانه وسائر الأمراء اطمئنان البال ، دخل
 بهروانه المدينة ليلاً وأعاد على سمع الصّاحب ما كان قد تمّ تدييره وجمعه من
 مهمّات ، فأمر الصّاحب بأن يعدّوا أضعاف مأكولات الأمس . وفي اليوم التّالي
 خرج بنفسه من المدينة بموكب حاشد تحفّه الزينة والجلال ، فلما أبلغ قيرخان
 بوصول موكب الصّاحب جاء لاستقباله ، فتعانقا . وراسى الصّاحب قيرخان ،
 ونزلا بيستان ، وكرر الصّاحب لقيرخان العهد والميثاق بالأيمان المؤكدة ، وقسّم
 كل ولايات أرزن الروم عليه هو وباقي القادة ، والتمس الأعذار لأنه إنما يتم
 الاقتصاد حالياً على هذا القرار ، فإذا ما وصلنا لخدمة السلطان فسوف يجري تعزيز
 كامل .

ثم ذهب إلى المدينة ، وكتب على التّوقيعات السلطانية التي كان قد

١٩٠ اصطحبها معه موثيق باسم كلٍّ واحد من / أمراء الخوارزمية . وفي الصباح الباكر أرسل الموثيق مع ثلاثمائة ، من الأعلى والأوسط والأدنى إلى قيرخان .

وفي اليوم التالي ارتحل قيرخان مع جميع أتباع الخوارزمية إلى أرزروم .

ذكر غارة المغول على الخوارزمية وتفريقهم

حين ارتحل الخوارزميون من إقليم «أخلاق» ، وانطلقوا صوب أرزن الروم ، ولحقوا «بطو غطاب» ، صادفهم في الطريق مرج كأنه من روضات الجنان ، فراقهم لخصب منبته ولطف مرعاه ، وفتنوا به ، ونزلوا جميعاً دفعة واحدة ، وأنزلوا السروج عن ظهور الخيول ووضعوها على الأرض ، وتخلوا عن أسلحتهم ، ووضعوا رؤوسهم على وسادة الراحة ، ثم راحوا في نوم عميق .

وفجأة أغارت عليهم من أحد الوديان كتيبة مغولية ، فجعلت عدداً لا حصر له منهم علفاً للسيوف ، بينما نجا بروحه كلٌّ من أعطي مهلة في الأجل ، وشردوا في الوديان فرادى وجماعات .

وحين حسم جيش المغول أمر الخوارزميين ، كانت السماء قد اصفررت [ومالت نحو الغروب] فجاءوا إلى أبواب «أخلاق» بسيوف رزفاء ملوثة بالدم ، فلزم الفرسان والكتاب الذين كانوا في المدينة الحبطة والحذر طول الليل ، وتأهبوا للقتال والنزال . وعندما اتبلج الفجر كان جيش المغول قد ارتحل ، وترك النيران في مكانها مشتعلة . فدفع الصاحب عدداً من الفرسان للتحقق من الأمر ، فدققوا النظر في المكامن والمهارب والمسارب والكهوف ، فلم يعثروا على أي أثر . وفجأة خرجت عجوز وهي تزحف من فتحة أحد الجدران ، وأسرعت نحو الفرسان ،

فحملوها إلى الصّاحب . كانت تلك المرأة أم^(١) قيرخان ، قالت : / ما إن استفرقنا في التّوم بصحراء «طوغطاب» ، حتى هجم علينا فجأة سبعمائة رجل من لاسي الدروع من جيش المغول ، كانوا قد ظلّوا يقودون خيولهم من «مغان» إلى تلك المنطقة طوال ستة أيام بلا توقّف ، فنجا كلّ من كان متيقظاً وأتيح له الإمساك بدايةً من الدوابّ ، فصعد جبلاً أو هرب في وادٍ . ثم إنهم أخذونا وساقونا إلى أن رأوا الفرسان . فأنخذت من ظلمة الليل وقاءً عصموني ، وتخفيت في فتحة بأحد الجدران . ومن ذلك الحين وأنا لا أعلم شيئاً عن أحوال الخوارزمية .

قال الصّاحب : أليس من العار أن يعجز أربعة آلاف رجل من الخوارزمية عن التصدي لسبعمائة رجل من التتار ؟

أجابته العجوز : لو أقيمت فلنسوة مغولي وسط آلاف مؤلفة من الفرسان الخوارزمية لولوا الأدبار جميعاً ، هكذا تمكن رعب المغول في قلوب الخوارزمية . فانفعل الصّاحب لقول أنثى الضبع تلك ، وقال يجدر بنا قبل أن ينقلب المغول ويحاصروا المدينة أن نتطلق إلى أرزروم [فاستصوب كلّ أصحابه هذا الرّأي]^(٢) ، وأخذوا في تدبير الأمور الهامة للمالك ، وحملوا من العلف ما يكفي لأربعة أيام ثم سلكوا طريق أرزن الروم .

وهناك جاء الرّسل من كلّ ناحية بأن كل فرد من جنود الخوارزمية قد انتهى به المطاف إلى إحدى النواحي . فأرسل الصّاحب مبعوثين لدعوتهم إليه ، فجاءوا

(١) أم امرأة قيرخان ، أ. ع ، ٤٣٣ .

(٢) إضافة من أ. ع ، ص ٤٣٤ .

جميعاً في خدمته ، وقصّوا عليه ما حدث . فبالغ الصّاحب في استمالتهم وقال :
المأمول إلا تتعرّضوا بعد ذلك لأي نكبة بجلال دولة السلطان ، وأن تكون هذه
آخر النكبات وخاتمة المصائب . وأعطى لهم جميعاً الثياب والذهب ، فانطلقوا
راضين صوب قيصرية .

وحين وصلوا إلى أعتاب السلطنة في قيصرية ، أتى السلطان على الخدمات
الرّائعة والآراء السّديدة للوزير وطيب خاطر الخوارزمية ، ومنح « أرزنجان »
١٩٢ لقبيرخان ، و« أماسية » لبركت ، و« لارنده » لكسلو سنكم ، / و« نكيده »
« ليلان نوغو » بصفة إقطاع .

ذكر الحشد الذي جمعه الملك الكامل

لغزو بلاد الرّوم ، وانهزامة وعودته

منكوباً مقهوراً إلى القاهرة

في سنة ٦٣٠ لم يقتصر الملك الكامل - لعقله النافس وشقائه الخالص -
على ملك مصر وحكم بلاد اليمن ، بل كان يريد الاستيلاء على مملكة الرّوم
لتضاف إلى بلاده . وبذل التوجّس والتفرقة بالتقارب والوحدة ، فدعا كفرعون
بالآية : « فحشر فنادى »^(١) وأمر بأن يشنّ الأخوة هجوماً مباغتاً على بلاد الرّوم
كسيل العرم ، فلا يقع للسلطان علم بالأمر إلا بعد أن يغزو « الكامل » بلاد
الروم ويجلس على العرش .

وقد أنهى هذا الأمر في الحال إلى ديوان السلطان ، فلما أحيط علماً بهذا

(١) التّازعات : الآية ٢٣ .

التخبط من جانب الكامل قال : إذا كان غرور الملك ، [بمقتضى قول الله عز وجل عن فرعون] : « أليس لي ملك مصر » (١) قد حمله على التفرعن (٢) والإعراض عن قبة المودة ، فقصده محاربة هذه الأسرة السلطانية ، فإن المأمول أن يولي وجهه صوب القاهرة مههوراً بأسرع ما يمكن وأن يلوذ بالفرار إلى مصر جزاء لما هو مصرّ عليه من الشرّ ويمزق ثيابه ويلقي بها في النيل حسرة على ما كان من ملكه للشام .

وفي الحال أمر « كمال الدين كاميار » بأن يتوجّه دون إبطاء بمن حضر من الجند حول الأعتاب السلطانية إلى تمرّ آقچه « ويتخذ اللازم لصيانتها ، وألا يسحل بشيء مما هو معروف عنه من حزم ودراية ، لأن المواكب السلطانية ستطلق في الأثر .

فواصل الأمير كمال الدين مع الأمراء والقادة السير بالسري حتى وصل إلى أول « المر » / قسد المنافذ بالشجر والحجارة وشحنها بالمقاتلين . ١٩٣

وبعد يومين أو ثلاثة وصل السلطان بعساكر وفيرة وبصحبته أمراء الرّوم وخوارزم ، وما لا حصر له من العتاد والعدة .

وعندما كان يولي جيش الحبش الأدبار منهزماً خوفاً من جيش الصين والخن (٣) كان الخوارزمية والرّوم يخرجون من تلك الممرات ويشتبكون في القتال والنزال مع رجال الشام ، فيقتلون ويجرحون الكثيرين من الناس دون أن يلحق بهم - بقدر الله - أذى من قبل جيش الشام . وكان السلطان حينذاك

(١) الزخرف : الآية ٥١ .

(٢) في الأصل : فرهب (خداغ) والتصحيح من أ. ع ٤٣٧ .

(٣) يعني إديار الليل وإقبال النهار .

رطب اللسان بقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جندنا لهم الغالبون ﴾ (١) .

وذات يوم قال السلطان : ينبغي الوقوف بكل جذية أمام جيش الشام عند الصبح ، ولنفصل في هذا الخصام بحكم الحسام . فأخذوا في التأهب والاستعداد طول الليل . وفي السحر حين ركب قائد السيارات حصان الفلك الأسود ، وجرّد في معرض ميدان الأفق الشرقي خنجراً من شعاع جلال مسرعاً هنا وهناك ، ليس السلطان بنفسه لأمة الحرب ، وراح الأمراء الكبار بأسرهم في الحديد ، وولّوا وجوههم صوب الخصم فرووا السيوف زمناً بأوداج الأعداء .

ولم تكن الحرب العوان قد كشفت عمّن كان النصر معواناً له ومن لحق به الخذلان ، ولم يكن الكاسر قد سلب المنكسر كرة الظفر حتي شوهد فارس أقبال ثم وضع رأسه على الأرض ، وقال : أيها المليك ، توكت عندك^(٢) فعند الصبح سلك الملك الكامل مع إخوته طريق الشام ، ففرح السلطان بتلك البشارة .

وأراد الملك الكامل وإخوته الدخول من طريق « دوزخ دره » « وباغنيك » ، وكانت العساكر المنصورة تحرس هذين المعبرين ، فلما بلغوهما وبدا من المتعذر فتح ثغرة في الحصار المضروب اضطروا إلى التنادي بالمثل القاتل « الفرار بقراب أكيس »^(٣) ، واتجهوا إلى طريق حصن « منصور » ، فلما بلغوه أضرموا النار في القلعة وخرّبوها ، وولّوا وجوههم شطر مصر والقاهرة خوفاً من بأس الدولة القاهرة : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ (٤) .

(١) سورة الصافات : الآية ١٧٣ .

(٢) إضافة من أ. ع . ص ٤٣٨ .

(٣) المثل العربي : « أن ترد الماء بماء أكيس » .

(٤) الأحزاب : الآية ٢٥ .

ذكر محاربة ملوك الشام وشمس الدين صواب

لعساكر السلطان وانهزامهم وتحصنهم

بقلعة خرتبرت

لما رجع الملك الكامل خاوي الوفاض من بلاد الرّوم سار إليه ملك خرتبرت لفرط عجزه ، وكان قد تولّى بالولاء له وانخرط في زمرة المحبّين لدولته وقال : لقد اكتسبت عداء السلطان بسبب مودّتي لكم ، فيلزم من باب المروءة أن تكون صيانة ملكي في ذمتكم . فندب الملك الكامل كلاً من ملك حماة وملك حمص والأمير شمس الدين صواب - وكان زعيم الدار [وخادم حرم الملك الكامل]^(١) والاعتماد كلّه على شجاعته - مع خمسة آلاف فارس للمحافظة على « خرتبرت » .

وحين رجع الملك الكامل جاء السلطان إلى ملطية ، واستدعى العساكر التي كانت قد توجهت لحراسة الممرات ، وأمر بمدّ الجسور على نهر الفرات ، وأن تعبر العساكر بأسرها . فلما بلغوا صحراء خرتبرت ، كان ملوك الشام قد نزلوا تحت « العقبة »^(٢) ، وأخذوا الأهبة للقتال ، فشرع مبارز الدين جاولي وبهرامشاه الجاندار وياقوت ميرداد وسائر الشخصيات الكبيرة في نعبثة الميمنة والميسرة ، وتقابل الجانبان ، واصطفا صفوفاً حتى انتصف النهار ولم تصدر عن الطرفين حركة - لأنهم كانوا / ينتظرون الأمير كمال الدين .

١٩٥

وكان قد نما إلى سمع الأمير كمال الدين أن ملوك الشام يزعمون التحرك

(١) إضافة من أ. ع . ٤٤٠ .

(٢) العقبة : المرقى الصعب في الجبل .

للقِتال عن طريق « البيرة » ، فوجّه الجيش صوب ذلك الطريق على سبيل الاحتياط . فلما وصل إلى هناك ولم ير أحداً انصرف إلى خربتيرت [وظل الأمير « مبارز الدين جاولي چاشني كبير » و« شمس الدين ألتونبه چاشني كبير » بتريشان ويتباطأ حتى تلتحق بهما بقية العساكر^(١) ، وأرسل إلى [كمال الدين] رسولاً قنباطاً ولم يتعجل ، فلما رأى الرسول أنه سوف يحدث تهاون في الإمداد ، صاح في الجند بأن عساكر الشام قد ولت الفرار ، وأن عساكر الروم التي كانت في مواجهتها قد نالت ما لاحصر له من الغنائم . وبهذا الإطماع انضم خمسة آلاف فارس بكل من « چاولي چاشني كبير » و« ألتونبه چاشني كبير » .

ولما رأت العساكر المصطفة أن جنداً قد وصلوا لمدهم هجموا ، فردّ الشاميون هجومهم . فهجم عليهم « تاج الدين پروانه ابن القاضي شرف » مع عساكر « نكيدة » ، وجاء « سعد الدين كويك » من الميسرة إلى الميمنة ، فألحقا بجند الشام هزيمة كاملة ، وقتلت من الشاميين مقتلة عظيمة ، ولم يقتل أحد في الحرب من هذا الجانب إلا أحد الفرخ ، وأسروا سبعمائة من جند الشام وأرسلوهم إلى دهليز الفاخ . ثم إن الشاميين نزلوا وسط عقبة خربتيرت ، وعاد الروم إلى مضارب الخيام .

وفي اليوم التالي وصل « كمال الدين كاميار » بجيش جرّار ، فلما شاهد جند الشام من فوق العقبة عقاب مظلة الفاخ ، تدافعوا في هلع وذهول حتى دخلوا قلعة « خربتيرت » فدخل جند الروم المدينة بتؤدة ، وبالغوا في النهب وحرق الديار ، وخرق الأستار / . وكان السلطان قد بقي في ملطية في انتظار من يبشره بالفتح .

(١) إضافة من أ. ع ، أيضا .

ذكر والد ووالدة مؤلف أصل هذا المختصر

الأمير ناصر الدين أمير ديوان الطغرا

وهو مما ينبغي إيراده وفق مقتضى الحال

كانت والدته « بيبي » المنجمة ، وهي بنت « كمال الدين السمناني »
رئيس أصحاب الشافعي في نيسابور ، وهي من قبل والدتها حفيذة « محمد بن
يحيى »^(١) برعت في علم النجوم ، ولما كان طالعتها مشتملا على سهم الغيب
فقد جاءت أحكامها في الغالب موافقة للقضاء والقدر .

وعندما جاء « كمال الدين كاميار » في سفارة إلى السلطان جلال الدين
عند باب « أخلاط » ، رآها مقرّبة لخدمة السلطان ، ووجدها مرجوعاً إليها في
أحكام النجوم ، وبعد عودته عرض هذه الحكاية على سبيل التندر في أثناء
المخاطبة ، ولما حدث للسلطان جلال الدين ما حدث ، حيث حلت به النكبة من
جيش المغول انتهى الأمر بهذه المرأة وزوجها إلى دمشق ، فلما بلغ خبر ذلك
للسلطان « علاء الدين » أرسل إلى الملك الأشرف رسولا لاستدعائهما ، فأتى
بهما إلى بلاد الروم معزّزين مكرّمين .

ولما ذهب الجيش إلى خرتيرت حكمت بيبي المنجمة بأنه في اليوم الغلاني ،
وفي الساعة الغلانية يصل من يشتر بالنصر والظفر ، فأخذ السلطان يترصد ذلك
اليوم ويتطلع إلى وصول الرسول في تلك الساعة . وفجأة وصل الرسل نبأ مفاده
أن عساكر الشام قد خذلت ولجأت إلى « خرتيرت » ، ولو تحركت الريات نحوها
في أي لحظة سيتم فتح القلعة دون أدنى منازعة . فتزايدت ثقة السلطان بمهارتها
في ذلك العلم من موافقة ذلك الحكم . وأطلق غلمان الخاص في الحال

(١) محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري ، يحيى الدين (٤٧٦ - ٥٤٨) ، رئيس
الشافعية بنيسابور في عصره ، تفقه على الإمام الغزالي ، ودرّس بنظامية نيسابور .
انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، طبع مصر ١ : ٤٦٥ .

لإحضارها ، فلماً دخلت قال : وافق حكم يبيي خاتون القدر الرباني / .
 وألبسوها خلعة ، وأمرها السلطان بأن تعرض كل ما تتمناه من أمنيات ، فالتصمت
 إسناد ديوان الإنشاء الخاص بالسلطان لزوجها * مجد الدين محمد الترجمان * .
 وكان من سادات * كورسرخ * ، ومن الشخصيات الهامة بجرجان ، فتحقق لها
 ذلك دون أدنى تردد ، وظل دائماً ملازماً في الحضر والسفر ، وكان يحظى
 بالعطف الملكي ، وبلغ أمره في تلك الدولة مبلغاً بحيث لم يكن السلطان يرى
 من هو أصلح منه لحمل الرسائل إلى البلاطات الكبرى كبغداد والشام
 والخورزميين * وجلال الدين مسلمان^(١) و* إيلجني^(٢) وقد انتقل إلى جوار
 ربه في شعبان سنة ٦٧٠ هـ .

نرجع إلى ما كنا بصده ، أمر السلطان فدقوا في الحال طبول البشائر ، وفي
 اليوم التالي تحرك موكب السلطان صوب خرتيرت ، وما إن بلغوها حتى نصبوا
 ثمانية عشر منجنيقاً ، فأجالوا مجال الأمل وضيّقوا مدة الأجل بتواتر الحجارة على
 المحصورين بالقلعة . ومن غرائب الأنفاقات أنهم كانوا قد علقوا حملاً في تنور
 بمطبخ ملك خرتيرت لكي يقدم للملك وملوك الشام ، فدخل المسؤول عن
 المطبخ وذكر أن حجر المنجنيق سقط على التنور وأخذ الحمل وغيبه في الأرض
 [ولم يعد له من أثر]^(٣) .

وكان ملك حماة رجلاً عاقلاً ، فقال : يا أصحاب الدولة ، إن الدخول من

(١) في الأصل : علاء الدين ، وهو خطأ واضح ، انظر ما سلف ص ١٨٣ ، هامش ٢ .

(٢) كذا في الأصل ، وواضح أنه يشير بهذه الكلمة إلى الثغول ، وإيلجني بمعنى

مبعوث ، أو رسول . انظر فيما سبق ص ١٩٨ ، هامش ٢ .

(٣) إضافة من أ. ع ، ٤٤٤ .

باب المقاومة أمر بعيد عن الحكمة والسادات . والرأي أن يذهب واحد منا إلى
حضرة السلطان ويمسك بتلابيب كرمه فلعله يؤمننا على أرواحنا . فاتفقوا جميعاً
على أن يأتي ملك حماة - الذي كان قد أشار بهذا الرأي - إلى خدمة
السلطان، فحظي بالعاطفة الملكية وقرنت شفاعته بالإجابة بشرط ألا يخرج ملوك
الشام وأمرآؤه من القلعة شيئاً قلّ أو كثر ، وأن يقتنعوا بخروجهم سالمين . وتمّ
تسطير كتاب الأمان على هذا النحو ، لكنّ / حجارة المنجنيق واصلت العمل .

١٩٨

وفي اليوم التالي خضعت عذبات^(١) أعسلام سلطان ممالك الشرق على
شرفات السّماء الزّرقاء^(٢) . فعَلَّت الأصوات من القلعة طالبة الأمان ، وطلبوا أن
تُرفع إليهم الراية السلطانية ، فحمل « خاصّ مغرول » الرّاية إلى أعلى ، ونصبها
على جدار البوابة ، وكانت أصوات البشارات من الدّاخل والخارج تصل إلى
أسماع الكواكب السيّارة .

وخرج أمراء الشام وملوكهم من القلعة ونزلوا بموضع كان ضيُوف الشّرف
قد حدّده من قبل ، فأرسل السلطان لكلّ خلعة على قدر مرتبته ، وأمر بأن
يحضروا إلى الحفل المضنيء للعالم بعد صلاة العشاء ، فدخل ملوك الشام وأمرآؤه
جملة وقد لبسوا الخلع ، ونالوا من الطّعام والشّراب نصيباً ليس هناك ما هو أهناً
منه ، بخلاف شمس الدين صواب الذي لم ينتفغ إلى الخلعة ، ولم يتناول
كسرة خبز في الخوان . فضاقت السلطان بتّمره وتجرّره ، وقال للأمير « كمال
الدين » إنه لم يلبس ثوبنا الأسود ولم يأكل خبزنا . فأجاب كمال الدين : قد
أكل بكلتا يديه وبلغ به الشّبع مبلغه . فتبسّم السلطان لسماع تلك اللطيفة .

(١) كذا في الأصل ، كلمة عربية . والعذبة طرف الشح .

(٢) هذه عبارة أ . ع ٤٤٥ ، وعبارة الأصل مضطربة .

وفي اليوم التالي نودي في الجند : كلّ من يبيع دوابّ للشاميين لن يكون جزاءه إلا القتل والصلب . وما كان هذا الاستخفاف [بالمملوك وهو أمر لم يكونوا يستحقونه]^(١) إلا بسبب فساد رأي « صواب » . وفي اليوم التالي حصل المملوك على الإذن بالانصراف فيمّموا وجوههم شطر أوطانهم . وكانت الرطوبة قد غلبت على مزاج « صواب » فعجز عن المشي ، فأخذ غلمانه يحملونه بالتناوب على درع كرجي ، حتى بلغوا به حدود الشام .

وفي اليوم الذي نال فيه المملوك الإذن [بالانصراف] أصدع السلطان التواب والأمناء إلى القلعة لتدبير أمورها^(٢) . ثم اتجه صوب قيصريّة ، وأصدر أمراً «لكمال الدين كاميار» و«إياز الشرابسالار» لكي يطهرا الملكين اللذين أنجبهما من الملكة العادلة / ويقوما بختانها وفق رسوم الختان السلطانية . وانطلق بنفسه عازماً على بلوغ مشتى أنطاكية وعلائية .

١٩٩

ذكر فتح حرّان والرّها والرّقة وتوابعها ولواحقها

حين عزم موكب ملك النجوم على الانصراف - بالأمر الإلهي - من برج القمر إلى برج الحمل ، وكسا بصنعتة أطراف قلل الجبال بالحليّ والحلل . انطلق السلطان من أنطاكية وعلائية إلى قيصريّة التي كانت مجمعا للعساكر .

وأمر الأمير كمال الدين وسائر أركان الدّولة أن يعقدوا العزم على فتح حرّان ، والرّها ، والرّقة ومضافاتها ، ويجعلوا من ديار العادل والكامل وقصورهما مجالس للسكون ، ومرابض للظباء والأنعام .

(١) إضافة من أ. ع ٤٤٦ .

(٢) قرآن أ. ع ٤٤٦ .

فانطلق ملك الأمراء كمال الدين بخمسة آلاف فارس كالبرق اللامع . وما إن بلغ تلك التواحي حتى نصب المجانيق ، ورغم أن شرفة « حران » كانت تسامت برج النجوم ، وتستنكف عن أن يذكر بين يديها جبل « قاف » كما كانت أمواج خندقها توقع الرعدة في روح البحر الأخضر ، فإن الرجفة أخذتها من كل جانب بسبب تواتر الهجمات ووقع أحجار المجانيق في بيوت ساكنيها والحجرات . لكنهم - إنصافاً لهم - صابروا مدة شهرين .

فلما عجزوا عن تجرّع ما للصبير من كاسات ممرات ، وشرع عسكر الكرج والفرنج في إيذاء كرائم حريم المسلمين في المدينة ، صرخوا طالبين الأمان لتسكين هذه الفتنة وخوفاً على أرواحهم . وأرسلوا الأكابر لخدمة ملك الأمراء . فاشترطوا عليهم إلا يحملوا خارج القلعة شيئاً سوى الأطفال والعيال ، وأن ينزلوا منها عاربن كالحليب / ويخرجوا خروج الشعرة من العجين . ٢٠٠

فرفعوا الراية السلطانية وصعد الأمراء إلى القلعة وهي خالية ، فأثبتوا في الدفاتر ما لا حصر له من الأموال والخزائن ، وشحنوها في الصناديق ثم ختموا عليها^(١) ، وأبلغوا السلطان . فأمر - بعد أن أثنى على ما بذلوه من مساع - بأن يرسلوا الخزائن بكل حيطة إلى الخزانة العامرة ، ويتركوا بالقلعة ما لا بد من وجوده بها ، ويرسلوا ما تبقى مما انتقوه لكي ينقل إلى ملطية المحروسة . ثم إن عليهم المبادرة بترميم ثغرات القلعة ، والتوجه بعد إنجاز المهام إلى الأعتاب السلطانية .

وبعد عودة ملك الأمراء والعسكر من فوق قلعة حران وصل رسل ملطية فجأة بخبر مفاده أن الملك الكامل عاد إلى حران واستولى على القلعة ثانية بحصارها ، ووضع الحافظين والجنود والنواب في أجولة وحملها على الجمال

(١) قارن أ. ع ٤٤٨ .

وأرسلها إلى مصر ، وزج بهم في السّجن المؤبد . ومع أن السلطان انفعّل بهذا الخبر لكنه استشهد بالمثل القائل « فيوم لنا ويوم علينا » ، وقال إنّ استرجاع حرّان ليس بالأمر المهمّ ، والرأي أن تتطلقوا محاصرة «أمد» .

أجاب « كمال الدين كاميار » إن أمر السلطان سليم ، وإن العساكر المتصورة لو قصدت قلاع الأفلاك لمزّعت أبراجها في التراب بغير عناء ، ولكن لما كانت «أمد» مدينة لها قلعة هي جبل صلد ، ولم يقبض لأيّ سلطان سبق أن يفتحها ، فهيهات هيهات أن تتمّ السيطرة عليها ، لكنّ أغلب الظنّ أنّها تفتح في ثلاث سنوات متتابعة بحيث يتمّ في السنة الأولى إحراق مزروعاتها ، ونهب مواشيتها وأسر رعاياها ومزارعيها ونكبيهم . ولا يسمح لمُدّة سنة أخرى أن يصل إليهم مدد بشكل مخزوناً احتياطياً لديهم . وفي السنّة الثالثة يمكن أن يمسكوا بتلابيب الأمان ٢٠١ ويسلموا المدينة . / ونظراً لأنه أحجم بهذه العبارة عن محاصرة « أمد » ، فقد توقّف السلطان في الأمر^(١) .

ذكر تصدّي تاج الدين لمحاصرة أمد

وعودته خائباً

ذات يوم ، وفي أثناء معاقرة الخمر وتداول الأقداح قال « تاج الدين برواته » ابن القاضي شرف الدين الأرزنجاني ، ترويحاً لسوقه ونيلاً من مكانة كمال الدين كاميار - وكان أهل العالم بأسرهم يحسدونه - قال وقد وجد السلطان في حالة من الانسراح والارتياح : لو أذن السلطان للملوك بأن يتوجّه بالجند القدامى بمن فيهم الخوارزميين إلى « أمد » فسوف يستولي عليها خلال سنّة أشهر بل أقل .

(١) إضافة من أ. ع ، ص ٤٥٠ .

فأكرمه السلطان حين أئزمه بذلك ، وقوَّض إليه زعامة الجيوش ، وسير في صحبته الجند ومعهم الآلات الحربية والعتاد والعدة المزيَّنة .

فلما وصل إلى هناك ، قضى مدة في حصارها ، فما ظهر لذلك من أثر ، وعمد « قيرخان » وسائر أمراء خوارزم - انطلاقاً من الحقد الذي ملأ قلوبهم من جهة الملك الغازي وبدر الدين لولو والملك المنصور صاحب ماردین ، لكونهم لم يلتفتوا إلى السلطان جلال الدين عندما لجأ إليهم - عمدوا إلى الإغارة على تلك البلاد ، وأشاعوا بها الخراب حتى أبواب « ستجار » حيث أعملوا فيها القتل والسبي والحرق والنهب .

وتم إبلاغ الأمر للحاضرة السلطان ، لكنه كان مصراً على فتح « آمد » ، وأرسل الصاحب شمس الدين الإصبهاني بجيش آخر مع ما لا يدخل في الحصر من مال وعتاد حتى إنه حمل على الجمال برسم المنجنيق حصي مستديراً من الحديد ففة المئين^(١) والثلاثة أمان والخمسة أمان ، فامتنع ذلك الفتح عليه أيضاً ، وظلّ خائفاً من غضب السلطان [وحلّ فصل الشتاء]^(٢) فاتخذوا من ذلك وسيلة لكي يزعموا للحاضرة أن أمر « آمد » كان لا بدّ أن يحسم ، لكنّ حلول الشتاء المفاجئ أضعف من حماس العساكر وحدّ من حركتهم . فنالوا بهذه الوسيلة رخصة التفرّق والعودة ، لكنّ السلطان قال : لا بدّ لي من مزاوله الأمر ومباشرته بذات نفسي في العام القابل ، وأتمّ تلك المهمة على أكمل وجه . ولما وصل الأمراء إلى الخدمة لم ينطق بعتاب وتجاوز عمّا فات .

(١) المن : معيار قديم كان يكال به أو يوزن ، وقدره إذ ذاك رطلان بغداديان .

(٢) إضافة من أ. ع ، ٤٥١ .

ذكر ورود رسل بلاط [أوكتاي قان] (١)

إلى السلطان علاء الدين كيقباد

حكى الأمير شمس الدين عمر القزويني المعروف بسروران (٢) وهو من
أكابر منطقة قزوين (٣) فقال :

عرضت لي حادثة من أحداث الأيام ووقائع الدهر ، ففارقت وطني القديم
الذي كان مقطع السرة ومجمع الأسرة ، وسلكت طريق التجارة . فلما بلغت
مدينة أرزروم ، ورأيتها مشحونة بالنعمة والراحة ، أقمت هناك مدة ، وحصلت مالا
ومتاعاً وفيراً ونعمة متزايدة . وفجأة عزمتم على السفر إلى تركستان (٤)
فصنعت ألواناً من الجواهر والمرصعات ، وقضيت مدة في استكمالها ثم قلت
لنفسي هذا متاع لا يليق إلا بخزانة إمبراطور . فأسرجت مطية السفر ، وفتحت
على نفسي الطريق إلى تلك الحضرة ، فلما بلغت أبرمت صفقة ناجحة وزاولت
تجارة رابحة .

وكان الإمبراطور حاضراً وقت عرض الأمتعة فقال لي : من أين جئت ؟
قلت : من بلاد الروم . قال : تلك البلاد التي بيد السلطان علاء الدين كيقباد ؟
قلت : نعم . قال : ما طريقته في السياسة والملك ؟ قلت : على النحو الذي يروق
للإمبراطور . وليس في الإسلام سلطان مثله : عدل شامل ، وعقل كامل ،

(١) إضافة من أ. ع ، ٤٥٢ .

(٢) سروران ، أكابر ، ساردة ، رؤساء .

(٣) إضافة من أ. ع ، ٤٥٢ .

(٤) في الأصل : بركستان (كلدا) ، قارن أ. ع ، ٤٥٣ .

وملك معمور ، ومال موفور ، ورعية مسرورة^(١) . فقال : من الظلم أن نحرم هذا السلطان من عبايتنا ، ولندعوه لكي يصبح على ذمتنا ، ويسقى ملكه ورعيته عامرين ، فإن أرسلتك رسولا إليه فاذهب . فقلت : ما أنا إلا امرؤ ناجر ، لا علم لي بدقائق الرسالة والسقارة ، فلعلني أهمل دقيقة لا علم لي بها ، فألام عليها . قال : طالما وقع نظرنا عليك ، واخترتناك لمثل هذا العمل ، فإن الله سيجري على لسانك ما يرضيه الناس كافة . ثم أرسلني إلى خدمة السلطان مع اثنين من خدم المغول هما « بدون » و« أرمتاي » ، وعملة تذكارية ذهبية ، وأخرى فضية ، مع أمر ملكي مضمونه ما يلي :

نص الأمر الملكي الذي جاء

إلى السلطان علاء الدين كيقباد

يعلم العاهل العادل السلطان علاء الدين أننا قد انتهجتنا منهجاً حسناً في الحكم وسياسة الرعية ، والقادمون والذاهبون عنك راضون . فلقد سمعنا ، ورضينا كلّ الرضا ، وأرسلنا إليك ما يعبر عن رضانا ومودتنا ، وأردنا أن تبقى على الدوام سعيد القلب في ملكك . ولما كان الله تعالى قد جعلنا عظماء وأعزنا ووهب سطح الأرض لقبيلنا ، ولما كنت أنت تملك الطريق المرضي ، فقد أصبح واجباً علينا إظهار حالنا لك ، وإطلاعك عن طريق الرسل والمؤتمرين بالأمر . ونحن إن أظهرنا أحوالنا ولم يسمع لنا كان جزاء من لا يسمعون أو يلوون رؤوسهم أن يقتحم جيشنا ولايتهم ، فيقتلهم ويأسر النساء والأطفال ، ويغير على الأموال ويخرب المتاع ، وينزل به السوء والضرر ، ولا نكون نحن السبب في ذلك .

(١) اختصر مؤلف الأصل قسماً كبيراً من هذه الأوصاف ، قارن أ. ع ، ٤٥٣ .

كُتِبَ فِي سَنَةِ ٤٠٤ بِيَجِين ٦٢٢ مِنْ مَقَامِ بِلَاط ٤ سِيزَه ٤ .

فَوَاصَلَتِ السَّيْرَ إِلَى أَنْ لَحَقَتْ بِبِلَادِ الرُّومِ بَعْدَ أَنْ طَوَيْتِ سَجَلَةَ مَسَائِكَ ،
الديار ، فلما بلغت قيصريه كان السلطان بالعلائية ، وكان مبارز الدين چاولي قد
٢٠٤ أرسل رسولاً / وعرض على السلطان حالنا . فأبقونا هناك حتى الربيع . وكان
الأمراء يأتون لرؤيتنا كل يوم بعد التنزه وقبل [إقامة الديوان]^(١) وكانوا يراعون
جانبنا أبلغ الرعاية .

ولما تبسّم وجه الربيع ، وقدم السلطان من علائية إلى قيصريه استدعانا
وعاملنا بكلّ احترام وتكريم ، فلما سلّمت المرسوم (يرليغ) نهض واقفا وطلّعه
بنفسه . ولما نزل من فوق العرش وأحضرني إلى قاعة الخلوة وحدي دون
الغلامين كان أول لفظ سمعته منه قوله : لله الحمد والشكر أن يكون الرسول
الذي وصل إلينا ممن اصطفاهم الله ، فهو مسلم ، فأصبح من أعزّ الله عزيزاً
علينا ، ومذكراً لنا .

ثم إنه قال : إن التدين يقتضيك أن تصدقني القول فيما سألك عنه ؟ قلت :
سأفضي بكلّ ما أعرفه لحضرة السلطان في جميع الأحوال .

قال : هل يظلمعون في ملكنا لو صبرنا نواباً عنهم ؟ قلت : معاذ الله لا
تكلف مولاتهم إلا أن يذهب المنسوب للخدمة كلّ عام ، ويحمل إليهم شيئاً
قليلاً مما يربّث من الملابس في الخزائن ومن المتاع ما يكبر سنّه بمرور الوقت في
الرّوث والاسطبلات ، والذهب الذي يتعرض للتلف تحت الأرض ، وأن يكون

(١) قرآن أ. ع ٤٥٥ .

في صفهم ظاهراً وباطناً . فقبل السلطان النّياية وأمر فأعدت التحف والهدايا والطرف الرومية .

وفجأة في الثالث من شوال سنة ٦٣٤ انتقل السلطان إلى جوار الحق - تعالى - . وجلس ابنه « غياث الدين كيخسرو » على العرش . فأرسل إليّ أنا والغلامين وقال : خاطبك أبي قائلاً لك : يا أخي ، وأنا أدعوك بقولي : يا أبي . وسأسلك بدوري طريق النّياية .

وبعث بالهدايا التي كان السلطان علاء الدين قد أعدها بصحبة فخر الدين [المعروف بابن الحمار المصري] ^(١) إلى ملطية . فلما وصل إلى ولاية خراسان كبنا الملاحة بجيش حاشد ، وحملونا إلى « كردكوه » ^(٢) ، فظلنا محبوسين مدة ثلاثة أشهر ويومين . ولما وصل خبرنا إلى الخدمة ، صدر أمر إليّ « جرماغون نوين » ^(٣) فخلصنا من أيديهم . فلما وصلنا إلى الخدمة ، وعرضنا أحوال الإعزاز والإجلال وقبول الطاعة ، وترتيب التحف ، ووفاة السلطان علاء الدين ، قال : « قيران » ، « قيران » ، « قيران » ثلاث مرات . ثم صدر الأمر بأن أذهب إلى الروم وأكون نائباً ، فلما بلغت العراق كان « بايجو نوين » ^(٣) قد اصطدم في « كوسه طاغ » بجيش غياث الدين ، وسارت الأمور في وجهة غير التي قدّمناها .

(١) كذا في أ. ع : ٤٥٦ ، وفي الأصل : يسر جهر ، ابن جهر . يسر بحر : ابن الحمار .

(٢) إحدى قلاع الإسماعيلية .

(٣) قائد مغولي .

ذكر وفاة السلطان علاء الدين كيقباد^(١)

كانت شمس معالي السلطان علاء الدين كيقباد وجلاله في الحكم والسداد قد بلغت درجة الكمال ، لا بل حائط الزوال ، وأدعن لحكمه عظماء الآفاق ، وبدأ في مشاركة أمير المؤمنين المستنصر في المملكة بمقتضى ملك الأعمام ، وخوطب بالسلطان الأعظم والقسيم المعظم .

وكان يحكم غبار الوحشة الذي علق بخاطره المبارك ، قد أمر بجمع الجند في قيصرية لغزو ولاية الشام ، وفوض أمر العناية « بسواس » إلى « قيرخان » بعد أن كان أمرها موكلاً إلى فخر الدين لياز « الشرابسالار » . وكان أخصّ الخواص ، وانتقل إلى جوار الحق . كما أقرّ ملك أرزنجان ثانية للملك غياث الدين . وروّح « ألتونبة چاشني گير » لتولي مهمة الأتابك^(٢) وملك الأمراء لدولته .

٢٠٦ كما قرّر ولاية عهد / سلطنة الروم للملك عزّ الدين قنج أرسلان ، وألزم سائر الأمراء بمتابعة ذلك حتى اطمأنّ الجميع رغياً ورهياً فبايعوا ، وأقسموا الأيمان المغلظة الوثيقة على الولاء له والانقياد .

فلما بزغ هلال شوال سنة ٦٣٤ ، كان قد حشد في صحراء المشهد من الجند ما لم يكن بالإمكان حصره ، وقد حضروا في ساحة العيد ، واستعرض كلّ شخص ما يتقنه من فنون ، ثم إنهم أدخلوا الميدان ، وانطلق السلطان خلف الأمير جلال الدين قراطاي قابضاً على رمحه لزاعماً أنه سيلقي به من فوق ظهر الحصان على الأرض [٣] فلم يحكّنه الأمير جلال الدين من ذلك بروغائه ،

(١) قارن أ. ع ، ٤٥٦ .

(٢) ومعنى الأتابك : الأمير الولد ، والمراد أبو الأمراء .. وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي ، وغايته رفعة المحلّ وعلو المقام (صبح الأعشى ٤ : ١٨) .

(٣) إضافة من أ. ع ، ٤٥٩ .

وقد لعبا هذه اللعبة عدة مرات ، ثم تَوَجَّه إلى خيمة ذات ثلاث قباب ، وأدَّوا صلاة العيد ، ثم وضعوا الخوان ، ورفعوه .

وفي اليوم الثالث من شوال أمر باستدعاء كلِّ الرُّسُل الموجودين بقميصرية لحضور الحفل السلطاني ، وتجمَّع الأمراء والأكابر والأماجد التابعين للسلطنة ، وجيء بالآلات الطرب ، وتصاعدت أصوات المطربين ذوي الألحان البديعة ، وبدأ السَّقاء ذوو التَّنْقُط الذهبية والسِّيقان الفضيَّة في الدَّوران على رؤوس الحرفاء كأنهم أشجار سرو سائرة ، وصاح الناي سريع الوقع بنداء (بيت) :

خذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولذَّةٍ فكلُّ وإن طال المدى يتصرَّم

وغراب البين يتعب بالنحيب مبلغاً أسمع الجلائس ورضاع الكاس بصوت مهول .

نشيد : (شعر) :

كم جموع قد رأت أبصارنا يمزجون الخمر بالماء الزلال

ثم صاروا في غدٍ أيدي سبا وكذلك الدَّهر حال بعد حال

وفجأة جاء ناصر الدين على جاشني كبيره بطائر قد سُوي لحمه جيِّداً ولا زال ساخناً إلى الحفل ، فقطعه وقَدَّمه للسلطان . وما إن تناول السلطان بضع لقيمات حتى ظهر تغيُّر / كامل في مزاجه الكريم ، فأخذ أهل المجلس في التفرُّق ذاهلين .

وتجشَّم السلطان - لفرط ما به من اضطراب والتهاب - الركوب إلى قصر كيقبادية ، وقد أصابه في شديد . وقال لقراطاي : قد انتهى أجلي فبادر

باستدعاء « كمال الدين كاميار » لتزويده ببعض الوصايا ، فأسرع غلمان الخاصر في طلبه ، فوصل الحضرة عند صلاة العشاء . وكان قد ظهر الكلال على القوة الناطقة للسلطان حتى إنه كان يستخدم الإبهامات والإشارات ، فمما أدرك الأمير كمال الدين شيئاً منها ، ومن ثم سارع بالعودة إلى البيت .

وكانت الليلة التي انتقل فيها السلطان من قصر « كيقبادية » إلى جنة الرضوان هي ليلة الاثنين الرابع من شوال سنة ٦٣٤ ، وبعد يومين حمل جسده المطهر إلى « قونية » ، ودُفن جنبا إلى جنب آبائه وأجداده .

لقد أصبح قلب البرق بسبب ذلك مشويهاً ، وامتلاً عين السحاب بالدمع ، وأخذت أمور الملك والملة منذ ذلك اليوم في التراجع ، وأصابها الفساد ، ولحق الوهن بما يمسك السلطنة من نظام .

وكان من عجائب الاتفاقات أن الملك الكامل والملك الأشرف - وكلاهما كان يمني نفسه بالسيطرة على بلاد الروم - قد لقيا حتفهما في هذه الأيام نفسها .

ووقع الهرج والمرج في أحوال ممالك الروم ، فلم يذق خلق إنسان شربة هنيئة بهذه الممالك التزهة العامرة ، التي كانت موئل الغرباء وملجأ الضعفاء . ولم تنبثق من الأرواح والقلوب مئات الآلاف من أنهار الحماسة والفتوة .



ذكر تمكّن السلطان « غياث الدين كيخسرو »

« ابن كيقباد » على سرير السلطنة

٢٠٨

حين نصب السلطان علاء الدين كيقباد خيمة الرّوح في ظلّ الرّحمة / الإلهية ، وولى وجهه صوب رياض جنّات النّعيم ، نما إلى علم الملك « غياث الدين » ما اعترى حال السلطان من فساد . فسير في الحال الدّعاة إلى كل أمير من أكابر الدولة ودعاهم لمولاته ومناصرته . فوجد كلاً من « شمس الدين ألتونيه چاشني كجير » ، « تاج الدين پروانه » ابن القاضي شرف ، و« جمال الدين فرخ » أستاذ الدار ، و« سعد الدين كويك » ، و« ظهير الدّولة ابن الكرخي » سمحّ العنان سريع الإجابة في ذلك .

وفي اليوم التالي ، كان الأمير « كمال الدين » ، و« حسام الدين قيمري » ، و« فيرخان » وأمراء آخرون يتنزهون في الميدان دون أن يكون لديهم علم بما آل إليه حال السلطان ، فرأوا غياث الدين مع الأمراء الذين كانوا قد أجابوا دعوته ، وقد أسقط الأجام وانطلق ليدخل المدينة ، فذهبوا في الحال إلى قصر السلطنة ، فلما رأوا المؤيدين كثيرين ، أقسموا على الوفاء لغياث الدين والولاء له . وحمل « ألتونيه چاشني كجير » ، و« جمال الدين فرخ لالا » السلطان وأجلسوه على العرش ، وقبّلوا يده ، ونثروا النّثار . فأمر بإطلاق سراح المسجونين في الحال ، وإحكام بوابات المدينة .

ولما سمع « حسام الدين قيمري » أن الأمراء قد أجلسوا غياث الدين على العرش خلافاً لقرارهم مع السلطان وعهدهم له^(١) ، أخذ منه الغضب كلّ

(١) انظر ما سلف ، ص ١٨٥ .

مأخذ، وقال للأمير كمال الدين وقيرخان إن الملك عزّ الدين موجود في كيقبادية ولا بد لنا من الحفاظ على عهدنا مع السلطان السابق ، وذلك بأن نُجلس عزّ الدين على العرش. فمن عارضنا أحلنا دمه بطعن السيف ، وألحقنا بوجوده الدمار ؛ الجيش معنا ، وولاية العهد بأيدينا / ولن نسمع أبداً بأن يحق بنا هذا العار. وإذا عارضنا مؤيدو غياث الدين حاصرنا مرادهم وحطمناه في حلوقهم.

فوافق « قيرخان » « قيمري » في الأمر ، بينما توقف كمال الدين كاميار ، والنمس لنفسه حججا وتعلّلات . وفجأة جاء من المدينة خبر إلى كمال الدين بأن الأمر قد نعدّاكم ، ولن يؤبه بكم . وكل من يسارع في الهجاء يجد لنفسه مخرجاً آمناً ، وكل من أسلم نفسه لريح لا تهب من مهبّ موافقة السلطان غياث الدين لن يسلم من جرحه بمرهم الندم .

على أن الأمير كمال الدين لم ينتفت إلى ذلك أيضا ، وظلّوا يطوفون بأطراف المشهد حتى صلاة العشاء . فلما رأوا أن لا جدوى من الماطلة والمضايقة ، وليس بالإمكان تصوّر مزيد على حكم « والله يؤتي ملكه من يشاء »^(١) ، دخل الأمراء الثلاثة المدينة ، وهنأوا السلطان بالسلطنة . وقد تقدم « تاج الدين پروانه » مسرعا لكي يلقن الأمير كمال الدين القسم ، فوضع يد الرفض على صدر مرانه ، وأمسك المصحف المجيد بيده ، وذهب عند العرش وأقسم بعبارة فيها من البلاغة والفصاحة ما تحيّر معه كل العقلاء وأصحاب الفضل الذين كانوا هناك . ثم حلف « قيرخان » و« قيمري » وغيرهما من الملوك والرؤساء جميعا . وتقرّر الملك للسلطان غياث الدين كبخسرو ، وأرسلت الأوامر إلى الأطراف متوجّهة بتوقيع : الملك لله ، وحرّ السجناء .

(١) البقرة : الآية ٢٤٧ .

ذكر القبض على قيرخان

و فرار الجيش الخوارزمي نحو الشام

بدأ سعد الدين كويك ، لخبث طبيئته وفساد دَخَله في مكره السوء ،
فألصق بقيرخان - وكان من كبار أمراء العساكر الخوارزمية - / تهمة عند غياث ٢١٠
الدين ، فعرض عليه أنه سيضرب صفحاً عن الولاء له ، وسيُغري به الأعداء إذا
ذهب عن هذه المملكة إلى مكان آخر ، حيث إنه قد وقف على ما للملك
والجيش من كمّ وكيف . والرأي أن يُقيد لكي يلزم الآخرون جادة الإخلاص
رغباً ورهباً ، ولا يفكّرون في مفارقة هذه الحضرة .

ولغرض السدّاجة ، وبسبب الغرة التي هي من لوازم الصبا والشباب ، أمر
السلطان بإحضاره فحبسوه في مسجد قصر السلطنة ، وحملوه بالليل مقيداً إلى
قلعة «زمندو» ، فابتلي هناك بمرض وتوفي .

فلما سمع الأمراء الآخرون بذلك ، لاذوا جميعاً بالفرار ، فعمّ التزلزل
وفشى الاضطراب في البلاد ، وتعرضت الولاية بأسرها للنهب والغارة . فندب
السلطان « كمال الدين كاميار » لاستعادتهم ، فانطلق بالجند الموجودين
بالحضرة^(١) متوجّهاً إلى « ملطية » ، وأرسل « أرتقش » قائد جند ملطية في
إثرهم حتى « خربت » .

وكان الخوارزميون قد عبروا الفرات عن طريق « عرب كبير » ، فاعترض
أرتقش مع سيف الدين بيرم « سوباشي » خربت - طريق الخوارزميين ، فأرسلوا

(١) زيادة من أ . ع . ٤٦٨ .

رسولاً برسالة مضمونها : قد انتقلنا من التشرذم إلى الهناء والدعة في ظلّ السلطان السابق ، فلما انتقل إلى جوار ربّه ألقيتم بقائدنا « قيرخان » في السجن دون جرم جناه . فتركنا خدمة هذه الأسرة الملكية خوفاً على أرواحنا وانطلقنا نجوس خلال الديار طلباً للرزق ، والمصلحة أن تعودوا أدراجكم ، وألا تلجئونا إلى الإعراض عن رعاية حقوق التعمّة وأكل الخبز والملح .

٢١١ غير أنهم لم يعبأوا بهذه التصالح لفرط / ما بهم من غرور وعجب ، واصطفوا في مواجهتهم للقتال . فأصبح « شمس الدين بيرم »^(١) في تلك المعركة مضغّة لأنياب الذئب [وصاروا طعمة للنسور والعقبان]^(٢) ، وتمّ أسر « سيف الدولة أرتقش » ، واستولى الخوارزميون على الكثير من الخيول والأمتعة من تلك المعركة ، وانطلقوا مسرعين لا يلوون على شيء صوب ديار الشام ، فاستولوا على « حرّان » و« الرها » ، و« الرقة » ، و« سروج » ، وغيرها من المواضع .

ولما علم « كمال الدين كاميار » بهزيمة الجيش اتخذت بومة الحزن لنفسها عشاً في قلبه وروحه حال قيامه وعوده ، فأعوزه ما يستعين به على التقدّم للأمام ، وما وجد مجالاً للعودة . بيد أنه اضطرّ إلى العودة وأنهى الحال كما جرت للسلطان .

وأنيحت « لكوبك » اللعين في تلك القضية من الثغرات الكبار ما أعانته على هدم ما أعلاه الأمير كمال الدين من مبانٍ ، وبلغ بالأمر في السرّ الحد الذي سيأتي ذكره حيث أذاق كمال الدين وعدداً آخر من الأمراء شربة الهلاك .

(١) لعله هو « سيف الدين بيرم » المذكور بالصفحة السابقة .

(٢) إضافة من أ. ع ، ٤٦٩ .

ذكر شروع «كوبك» في قتل أكابر بلاد الروم

سحت «لكوبك» القرص في أثناء غيبة الأمراء ، فعلاً وعاء غضب السلطان بما بدر من الأتابك «شمس الدين ألتونيه» من مساوئ ، وكسب كوبك إلى صفته في هذا المسمى «تاج الدين پروانه» . وما ذلك إلا لأن شمس الدين كان يطلق لسانه في بعض الأوقات قائلاً : لا بد من إبعاد هذا الكلب عن الحضرة وإلا أصاب كل إنسان بجراحات . وكان الأمير «كمال الدين» يحول دون تنفيذ هذا الأمر .

و ذات يوم كان ديوان السلطنة مزداناً بأركان الدولة ، وأخذ «شمس الدين ألتونيه» يختال على أكابر رجال الديوان . فخرج «تاج الدين پروانه» و«كوبك» من عند السلطان ، فوثب «كوبك» وقد أدخل خاتم السلطان في إصبعه / ٢١٢ فأمسك بشيبة «شمس الدين ألتونيه» البيضاء ، وأخرجه من صف الأكارب وسلمه لأحد الحراس لكي يذهب به إلى الخارج ويقتله شهيداً . ولم يجرؤ أحد على أن ينسب بينة شفة .

قال الصاحب شمس الدين [الإصفهاني] لكمال الدين كاميار : إن كم تدارك هذا الأمر سيتجرأ كوبك ويصل شره إلى الآخرين ، وينبغي الحيلولة دون هذه السياسة . لكن كمال الدين لم يعبأ بالأمر ، ولم يجد من المصلحة أن ينطق الصاحب عن كوبك بكلمة واحدة . وراحت منذ ذلك اليوم سوق وقاحته ، ثم إته قلب «تاج الدين پروانه» ظهر المخن ، وأخذ يسمي سراً وجهراً للقضاء عليه . ولذلك أبعد الأمير تاج الدين نفسه عن الساحة ، وطلب الإذن بالانصراف ، وانطلق إلى «أنكورية» - وكانت إقطاعاً له - وظل هناك يمضي وقته ويشغل نفسه باحتساء المدام وبذل الإنعام على الخاص والعام .

ذكر قتل الملكة العادلية

وحس ابنيها عز الدين قلعج أرسلان وركن الدين

حين نشر سلطان الربيع أعلام التمكين ، وضربت عساكر الرياحين خياماً بلون الدّم في صحراء نفوح برائحة المسك ، وانتقل السلطان من « أنطاكية » إلى « فيصريّة » ، أمر « كوكبك » بأن يفرّق بين الملكين ووالدتهم الملكة العادلية ، ووفقاً للحكم أرسل الملكة إلى قلعة « أنكورية » ، حيث خنقوها بعد مدة بوتر القوس^(١) ، بينما حمل الملكان إلى قلعة « برغلو » حيث تمّ حبسهما .

كان السلطان « غياث الدين » قد أخلف [أبناءه] « عز الدين كيكائوس » من سيّدة « بردولية »^(٢) ، و« ركن الدين قلعج أرسلان » من جارية رومية ، و« علاء الدين كيقباد » من ملكة الكرج ، فقد فوّض « مبارز الدين أرمغانشاه » لكي يكون أتاك « عز الدين كيكائوس » ، وأمره بالقضاء على أخويه^(٣) .

(١) « وكانت المرحومة ... لفرط ما هو مركز في جبلتها من عفة وصيانة قد طلبت الأمان قبل أن يدخل الجلاّدون عليها ، حيث جدّدت وضوءها وركعت ركعتين لفراق الحياة ، ثم توجّهت إلى السّماء - قبلة الدّعاء - وقالت في دعائها : اللهم إني أمتك وابنة عبدك البائسة المظلومة الذّكيلة ، فارقوا [صح : فارق] الظّلمة بيني وبين بنيّ ، وهمّوا بإزهاق نفسي ، وإزهاق روحي وإزهاق دمي . اللهم إني أستودعك أولادي فكن لهم حافظاً ومجيراً ، وافعل بالظالمين ما هم أهلّه ، واغفر لي وارحمني ونب عليّ إنك أنت التّواب الرحيم ... » (أ. ع ، ٤٧٢) .

(٢) كذا في الأصل ، وقد لاحظ الأستاذ « هوتسما » محقق الأصل الفارسي أن اسم امرأة يونانية قد كتب بخط غير مقروء بهامش تلك الصفحة مقابل الكلمة المذكورة في المخطوط الأصلي ويشير « هوتسما » إلى أنّ أمّ عز الدين كانت ابنة راهب يوناني .

(٣) أي أن السلطان « غياث الدين كيقباد » أمر « مبارز الدين » يقتل أخوي السلطان نفسه .

وكان « مبارز الدين أرمانشاه » رجلاً خيراً حسن السيرة فتوقف في قتلها ،
ويقول بعضهم إنه قتل غلامين بدلاً منهما ، وحمل علامة إلى السلطان . بينما
نقول طائفة بأنه قضى عليهما ، مجمل القول أنه لم يتم التأكد من قتلها على
يد مبارز الدين أرمانشاه^(١) .

ذكر قتل « كويك » لتاج الدين پروانه

رحمه الله تعالى

أسر الوشاة الأراذل والنمامون الأشرار إلى « كويك » أن « تاج الدين پروانه »
لما وصل « آقشهر » ارتكب الفاحشة مع مطربة من مغنيات ملك « خرتبرت »
دون وجه من وجوه البيعة . وما إن سمع هذا الأمر حتى استفتى الأئمة والقضاة:
ما تقولون في حدّ الزاني المحصن في الشرع سيما في بيت وليّ النعمة . فأفتوا بأنّ
جزاء الزاني المحصن هو الرجم .

وفي وقت الخلوّة بالسلطان أظهر « كويك » تلك الفتاوى وقال له : لو
نسامحتهم في هذا الأمر فسوف يتجرأ الخدم ويطلقون أيديهم في أسر مخدوميهم .
ويتأثير سورة الخمر تعجلّ السلطان في إنزال العقوبة ببروانه ، وسلّم الخاتم لكي
يقوم « كويك » بتلقيته جزاءه وفقاً للشرع ، وتم توقيع الأمر بذلك .

فاتقل كويك كأنه البرق المحرق والسيل المغرق إلى « أنكورية » في يومين ،
ونزل بها ومازال عليه غبار السفر بقصر السلطان ، فاستدعى « تاج الدين پروانه »
وأمرأ المدينة وأئمتها ، وأسمعهم صيغة الأمر . وأوتق قيده في الحال ، واشتغل
بضعة أيام في تتبع ما لهروانه من أموال وأسباب ، فلما فرغ من ذلك أتى إلى

ميدان « أنكوريه » بذلك الأمير الوسيم الذي كانت الشمس المنيرة تتوارى خلف حجاب السحب غيرة من وجهه الأزهر ، وكان عطارد يعضّ على أصابع الندم ليراعته في الخطّ والبلاغة [فقد كانت له مشاركة كاملة في كل العلوم ، وإن غلبت عليه العناية بعلوم الفقه والعربية] (١) ، ولم يكن لذي روح أن يتجاسر على أن يلقي بورقة ورد على صدره الشبيه بالياسمين - فدفنه حتى صرته ، وأمر العوام فسراً برحمه بالحجارة وإرسال روحه الطيبة العذبة إلى الفردوس الأعلى ، ثم إنه أتى بمجمل أمواله من نقود وعقود إلى الخزانة .

ولما أهدر « كويك » دم هؤلاء الثلاثة (٢) ، ولم يعترض أحد أو ينكره عليه ، بلغ أمره حدّاً جعل قلوب أغلب الأمراء تدين بالولاء والانقياد له رغياً ورهياً . ولم تكتحل عيون العظماء بنوم هادئ خشية منه وخوفاً .

كانت أمّه « شهناز خاتون » من بنات الأغنياء بمدينة « قونية » ، وكان « غياث الدين كيخسرو » - والد علاء الدين كيقباد - مفتوناً (٣) بذواتيها المفتولتين ، إذ كان قد وقع في حبّها لجمالها النادر الذي تملكه الحزن « ليلي » بسبب روعته ، فأضحت في حزنها كالجنون . فجيء بها إلى السلطان خفية ، ثم أعادوها معززة مكرّمة . ولم يكن لأحد علم بشيء من هذا ، اللهم إلا جدته . فلما زوّت أمّه ونقلت إلى بيت أبيه كانت حاملاً فيه لشهرين ، وتخابلت فجعلت نفسها عذراء ، ولقرط دهاء جدته أظهرت أنها حملت في ليلة الزفاف ، فلما انقضت سبعة أشهر ولدت « . وهو يريد بهذا التقرير المزور أن يدخل في روع الناس أنه / من أصل سلجوقي .

(١) أ. ع ، ٤٧٦ .

(٢) يعني شمس الدين ألتونيه ، والملكة العادلية . وتاج الدين برواته .

(٣) في الأصل : مثنون ، ولعلها تصحيف : مفتون ، الكلمة العربية . وقد أبتناها .

كذلك حمل السلطان بالتدليس والدجل على أن يغير لون المظلة الأسود إلى اللون الأزرق لكي يتناهى إلى علم حضرة الخلافة أن سلطان الروم قد شعر بالعار من شعار آل العباس ، فأبعد شوب لونهم عن مظهره ، حتى إذا أصاب سهم مكيدته الهدف المطلوب بعد ذلك جعل هذا السبب عكازاً للاعتذار .

ذكر فتح قلعة سميساط

على يد « كويك »

كان « سعد الدين كويك » يريد أن يلقى في قلوب الشاميين الرعب والهلع بطريق الاقتدار وفتح الديار والأمصار ، فدفع بجند بلاد الروم صوب ديار الشام ، وحاصر سميساط ، ولما لم يكن للملوك الموجودين بها قبل بالمقاومة طلبوا الأمان ، وبعثوا برسالة إلى كويك : « معلوم لدينا أنه لا قبل لأحد بالحرب والنزاع مع دولة السلطان ، وما كانت هذه المقاومة التي أبديناها خلال هذه الأيام القليلة إلا من كدر أصاب حظنا المشؤم . فلو أن ملك الأمراء أعطانا الأمان ، وعهد إلينا بصليب الصليبيات الذي كان - من قديم - يعهده أجدادنا في هذه القلعة ، وكان المسيحيون من الفرنجية والروس والنصارى والكرج يأتون لزيارته ^(١) فيحصل لنا من ذلك من الفتح ما نتبلغ به برغم كثرة ما لنا من الأتباع والأشباع والأولاد والحفدة ^(٢) ، ولم يتعرض أحد لأطفالنا وعبائنا ؛ فإننا نسلم القلعة .

فعدّ كويك إجابة ملتصمهم أمراً لازماً ، ومنع الجيش من القتال ، وكتب عهداً وأرسله . وفي الحال أخطى الملوك القلعة ، وأنزلوا متاعهم ، ورفعوا الراية

(١) قارن أ. ع ٤٧٦ .

(٢) هذا نص عبارة أ. ع ٤٧٦ ، وعبارة الأصل مضطربة .

عالية في يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة ٦٣٥ ، وتم فتح سميساط ووضعت
٢١٦ قلاع / أخرى في أقل مدة ، فتضاعف بذلك ما كان لكوبك من عظمة وهيبة .

وبرغم كل ما اشتمل عليه من عيب الطوية وسوء العشرة مع الأكابر كان
فريداً في الإحسان إلى الرعية وبسط العدل ، وكان في السخاء أكثر تدفقاً من
البحر ، وأبلغ إداراً من السحاب ، وبرغم كل ما انطوى عليه طبعه من تنمر كان
في خلوته بالندماء والحرقاء كالوردة الضحوك .

ومن بين عقوباته الغريبة أنه بينما كان في غزوة من الغزوات اقتحم جمل
من حمولات الجند زراعة أحد الزراع ، فجاء المزارع ينوح ويكي على باب
خيمة ككوبك ، فأمر في الحال بأن يأتوا بصاحب الجمل ، وذلك بأن يمرّوا
بالجمل على المعسكر بأكمله ، فلم يجروا أحد على الإقرار بملكيته للجمل .
ولما لم يظهر له صاحب أمر بتعليق الجمل على شجرة صفصاف كانت قد نمت
على رأس ذلك الحقل . ومن ثم لم يكن أحد يجروا على أن يلتقط شيئاً رآه
ساقطاً في الشارع ، وكان يتم إبلاغ من عرف من الناس بجمع اللقي
والمفقودات بأن يحملوها إلى دهليز السلطنة ، فإن كانت ثوباً أو ما في حكمه
علقت في جبال الخيمة وأطناها ، وإن كانت حيواناً تعهدوه ، وسار مناد ينادي
في الجيش : ممن ضاع الشيء الفلاني ؟ فكان الخصم يسمع ، ويأتي بيئته ،
ويأخذ الشيء في الحال .

ذكر أخذ كوبك له « قيمري » و « كمال الدين كاميار »

(رحمهما الله تعالى)

وحين قفل « كوبك » راجعاً من فتح قلعة « سميساط » اتهم « حسام الدين قيمري » بإحدى الجرائم ، وحبسه مقيّداً في قصر السلطنة بهماطية المحروسة واستولى على ما لا حصر له من الأموال لحساب السلطان / وقر له كل يوم نصف من اللحم ، ومئين من الخبز ، وثلاثة أرادب من الحوائج . ٢١٧

فلما انتقل إلى قونية أودى هذا السفاك المعتال - بما أشاع من أراجيف - بكمال الدين كاميار في حضيض قلعة « كاوله » برغم كل ما كان له من مكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف فرفعه بذلك إلى أوج الشهادة . وقد كان كمال الدين من أكابر الدهر وفضلاء العصر ، وكان في الفقه ممن اقتبسوا عن نظام الدين الحصري^(١) ، وفي أجزاء الحكمة من المستفيدين بشهاب الدين [السهروردي المقتول]^(٢) ومن بين الأبيات التي عارض بها كاميار الحكيم شهاب الدين قول السهروردي (شعر) :

يا صاح أما رأيت شهياً ظهرت قد أحرقت القلوب ثم استترت
طربنا طرباً لضوئها حين طرت أورت وتوارت وتولت وسرت

فعارضها الأمير كمال الدين كاميار بقوله :

يا صاح أما نرى بروقاً ومضت قد حيرت العقول حين اعترضت
حلت ولحت ولوحت وانقرضت لاحت وتجلت وتخلت ومضت

(١) هو محمود بن أحمد بن عبد السيد (جمال الدين البخاري الحصري) ٥٦٢هـ -

٦٣٦ فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه . ونسبه إلى محلة كان يعمل فيها

الحصير . (راجع : الأعلام للزركلي) .

(٢) السهروردي المقتول : شهاب الدين يحيى بن حسين (٥٤٩ - ٥٨٧) فيلسوف

إشراقي ولد بسهرود ودرس في آذربيجان وأتهم بالزندقة وقتل في قلعة حلب .

ذكر قتل السلطان لكوبك

وتشقى صدور الناس

كان فوران إعصار كوبك يتزايد كل يوم ، وكانت صواعق عذابه الشديدة وبطشه المبيد تحرق كل ساعة بيدر عمر أحد العلماء . من أجل ذلك استبد الأئم بالسلطان لعراق أكابر دولته ، فضلا عن أن الوسوس ساورته لأن «كوبك» كان يدخل عليه بسيف الحمائل . فأرسل غلاماً من غلمان الخاص إلى «سيواس» عند «قراجة» أمير الحرس ، أن «كوبك بك» أهلك أركان السلطان ، وهو يدخل خلوتي الآن مجترئاً بالحزام والسيف ، ويتملكنا الذهول لتهوره وتجبره . فعلى «قراجة» أن يأتي بأسرع ما يمكن للمبادرة بتدارك أمره .

٢١٨ / فقدم «قراجة» في صحبة الغلام متجهاً إلى حضرة السلطان حتى «قباد آباد» ، ثم أطلق الغلام قبله إلى السلطان للإعلان عن قدومه ، وأبدى بعض التريث والتباطؤ . ثم نزل فجأة - في المساء - بمنزل «سعد الدين كوبك» . ولم يكن «كوبك» يخبئ أحداً سواه ، فلما رآه سأله : هل وصلت إلى خدمة سلطان العالم ؟ أجاب : كيف يتسنى لي أن أذهب إلى خدمة السلطان وأحسب نفسي من المقربين إليه دون إذن من ملك الأمراء ، إنني أعد جانب ملك الأمراء المعظم هو المعاذ والملاذ .

ومن أمثال هذه الأكاذيب والأباطيل نفع في ذلك الملعون ، فلما اطمان كوبك من جهته أمر فأقيم مجلس الأئمة ، وطربوا ، وأنعم عليه تلك الليلة بأنعام وفيرة ، وأخذ معه على الصباح إلى حضرة السلطنة ، فدخل هو أولاً ، وأعلن عن مقدمه ، ثم إنه أدخله وأوصله إلى أن قبل يد السلطان .

(١) نخت : أولاً ، وفي الأصل : بحسب ، وهو تصحيف بلا شك ، انظر أ. ع. ٤٨١ .

وبعد ذلك اتفق أمير المجلس مع السلطان على أنه إذا ما حضر « كوكب » مجلس الأتس ، يدفع السلطان الأتخاب لأمير الحرم فيحتسيها ، ويستأذن في الخروج بحجة الرغبة في التبول ، ويكون مع رفاقه مترصدين خروج « كوكب » ، فإذا خرج أعملوا فيه السيف ، وخلصوا العالم من بلائه . فشرب أمير الحرم الأتخاب وجلس في الدهليز يترصد خروجه ، فلما خرج « كوكب » نهض وافقاً احتراماً له ، فلما مر من أمامه أراد أن يضربه على قفاه بالعصا ، فسقط العصا علي كتفه ، فأمسك برقبة أمير الحرم ، فسحب « طغان » أمير العلم سيفه وجري خلف كوكب [فجرحه] فألقى بنفسه - خوفاً على حياته - في « شرابخانة السلطان ، فلما رآه السقاء مضرجاً بدمه تجمّعوا عليه ويبد كل منهم سكين أو سيف أو خنجر / وانتزعوا روحه النجسة ونفسه الخبيثة من جسده وألقوا بها في دركات الجحيم .

ولما أرسلوا روحه إلى سجين ، أمر السلطان بتعليق جثته النجسة في مكان مرتفع كي تصبح عبرة لأولى الأبصار : فجعلوا أجزاء أعضائه في قفص حديدي ، وعلقت في حبل متدل ، وكان السلطان علاء الدين قد علق على نفس الحبل من كان لقيه « كمال » مشرف « قياد آباد » بسبب حيث « كوكب » وسعائته ، فظلت جثة « كمال » معلقة هناك ، وكان السلطان [علاء الدين] قد غضب على « كمال » وتعجل في عقوبته ، فتملكه الندم فور تنفيذ العقوبة ، وأخذ أقرباء كمال وعشيرته يتضرعون لإنزاله من هناك ودفنه ، لكن السلطان كان يقول : والله لا ينزل حتى يعلق حاسده وقاصده مكانه^(١) .

(١) قارن أ. ع ، ٤٨٢ .

ولما علقت جثة « كويك » على المشنقة بادر أقارب كمال ، فأنزلوا جثته المقددة ودفنوها . وهذه من بين الكرامات التي يحكونها عن السلطان علاء الدين .

فلما تدلى القفص من الحبل ، كان عدد من الناس قد تجمعوا لمشاهدة جثته الممزقة إرباً ، وفجأة سقط القفص فأهلك رجلاً . فقال السلطان : لا زالت نفسه الشريرة تعمل عملها في هذا العالم .

ولما فرغ السلطان من تلك المهمة ، استدعى « جلال الدين قراطاي » (وكان « كويك » قد أبقى عليه معزولاً في إحدى النواحي) واستماله وسلم إليه « الطست خانة » وخزانة الخاص . وجرى إسناد نيابة السلطان إلى شمس الدين (وكان خط العزل قد رسم على صحيفة عمله حين أسندت الوزارة إلى صاحب مهذب الدين) .

ذكر وصول هودج ملكة الكرج

إلى قيصرية وانتظام العقد والزفاف

سبق أن ذكرنا أن « كمال الدين كاميار » حين دفع بالجيوش إلى ديار الكرج ، كانت « رسودان » - ملكة الكرج - قد أرسلت إليه رسلاً ، وجرى في تلك الأثناء حديث المصاهرة حيث التمسست مصاهرة الملك غياث الدين ، فراقت تلك الصلوة للسلطان علاء الدين وقرنها بالقبول .

فلما وصلت نوبة السلطنة إلى غياث الدين ، نذب شهاب الدين المستوفي الكرمانلي - ولم يكن له في خبرته ودرايته ثاب في العالم القاني - لإنجاز هذه المهمة ، فلما وصل إلى هناك ، كانوا قد أعدوا كل شيء ، فتوقف عدة أيام

لترتيب ما تبقى من أمور ، ومن ثم توجه بالفأل السعيد بصحبة هودج من يشبه عهداً عهد « بلقيس » لخدمة سلطان هو أشبه ما يكون سليمان .

وحين بلغ « أروزجان » ، بعث برسول سريع على براق لكي يشتر بوصول هودج سيّد العالم ، فأمر السلطان بأن ينهض قادة الجند ممن هم على الطريق الذي تمر عليه الملكة للحفاوة والترحيب ، وألا يدعوا شرطاً من شروط البشر والبشاشة إلا ويفوه حقه .

وقدم السلطان بالمظلة الجليلة إلى « قيصرية » المحروسة وأقام حفلاً . فلما ظهرت دراري الثواقب وسواري الكواكب كالمشاعل ، تبختر السلطان متوجّهاً إلى حَجَلَة^(١) الوصال وحجرة الخلوة . فرأى قمرأ يتصدّر موضعاً وسروراً يحتل سريراً ، فطوّق بساعده وحيدة الذهر تلك ، وحقق أمنية القلب .

ذكر اعتناء السلطان بدعوة الخوارزمية للعودة

ذكرنا من قبل أن « قبرخان » حين أصبح مقيداً بسبب خبث « كويك » ، وُزج به في قلعة « زمنسو » انطلق باقي أمراء خوارزم صوب ديار الشام ، وظل « ملوك الشام » و« ديار بكر » و« ربيعة » و« مضر » و« الجزيرة » خائفين محتزين خشية ما يصدر عنهم من ركضات وسلطات وفجأت ونفثات / ، وأخذوا يبعثون بالأحمال الوفيرة من كل صوب إلى بيت كل قائد منهم ، ويدفعون عدوانهم عن بلادهم بالأيمان والمواثيق . غير أنهم كانوا يتوغلّون في بعض الأوقات داخل الحدود ، ويحولون دون تردّد القوافل جيئة وذهاباً .

(١) كذا في الأصل ، كلمة عربية الأصل ، والحجلة : ستر يُضرب للمروس في جوف البيت .

فلما عُرض الأمر على حضرة السلطان ، أرسل إليهم « مجد الدين الترحمان » ، الذي كان قد نال عندهم حظوة في عهد السلطان جلال الدين ، ودعاهم [في رسالته]^(١) إلى العودة لبلاد الرّوم على سبيل استمالتهم وإثباتهم المقصود . فلما لحق بهم ، وأبلغهم رسالة^(٢) السلطان لزموا حسن الاستماع ، وليسوا خلع السلطان ، ووضعوا الجبين على الأرض وقبلوا حوافر الجنائب .

واجتمعوا في اليوم التالي ، واستدعوا الرسول ، وقالوا : قد نفرقنا بسبب واقعة « قيرخان » ، وفي الطريق أرغمنا على الاشتباك مع الأمراء الذين كانوا قد جاءوا لاستردادنا ، فأنزلنا بهم هزيمة نكراء ، ولا زلنا إلى الآن نخوض في تيه تلك العثرة ، فكيف يتسنى لنا أن نضع أقدامنا على بساط تلك الحضرة يرغم كلّ ما صدر عنا من تجاوزات . لكننا نعد هذه البلاد التي ابتلعناها بالغلبة من جملة ممالك السلطان ، فتولى تصريف أمورها إذا ما أُنعمت علينا بها بمنشور سلطاني باعتبارها إقطاعاً . ويكون لكم علينا أن نجعل أرواحنا فداء في مواجهة كل عدوّ نعهدون به إلينا ، كما نجعل الخطبة والسّكة باسم السلطان ، ولن نسمح بالقطع - أن تعرض ممالك السلطان لأي اعتداء من جانب عساكرنا .

فقرّ القرار على هذا كله ، وبادروا بتغيير الخطبة والسّكة ، وقد راق ذلك الرأي للسلطان .



(١) إضافة من أ. ع ، ٤٨٦ .

(٢) بنام : باسم ، وهو تصحيف : پیام : رسالة - انظر أ. ع ، أيضا .

ذكر استجداد ملوك الشام بحضرة السلطان ، وانهزام الجيش الخورزمي وفرارهم إلى حضرة «دار السلام»

٢٢٢ / وأطلب الخوارزميون بعض الوقت على الالتزام بالحلف والحفاظ على العهد، ثم ما لبثوا أن اتحرقوا بوسوسة الشيطان وتلبس إبليس عن جادة الطاعة ، وجعلوا نسيان^(١) الحقوق مقدمة لسجل العقوق ، وعدوا نهب البرايا وبث الفرع في نفوسهم والغارة عليهم أمراً واجبا .

فاتفق ملوك الشام على تشتيت^(٢) قطيعهم وتفريق كلمتهم ، واستجدوا بحضرة السلطنة خوفاً من أن يلحق بهم العار . فتم اختيار ثلاثة آلاف فارس شهير - بأمر^(٣) السلطان - من «خرتبرت» و «ملطية» و «آبلستان» و «مرعش» المتاخمة لحدود الشام لمؤازرة الشاميين ومعاضدتهم بقيادة ظهير الدين منصور الترحمان . فلحقوا بحلب في مدة لا تتجاوز ستة أيام ، ومن ثم توجهوا إلى «البيرة» مع صاحب حلب - وكان قد أقام جسراً وأعد وسائل العبور - وانضموا إلى الملك المنصور صاحب حمص ، وكانت قيادة جند الشام منعقدة له . وانطلقوا بجناح النجاح وأخفاف التخويف وقوادم الإقدام مصممين على قتال الخوارزمية كأنهم الأفاعي المهتاجة والبلاء النازل .

وكان الخوارزميون قد دفعوا أمامهم بأرباب الخوف وعمال السيوف من أجل إعداد الصفوف ، فلما جاوزت الجنود «رأس العين» بمرحلتين ، ظهرت فجأة كوكبة من الخوارزمية فوق أحد التلال ، فتعقبهم الرجال الشجعان الأشاوس

(١) في الأصل : نشان : علامة ، وهو تصحيف بلاشك .

(٢) نسيب ١٩ كنا في الأصل ، والتصحيح من أ . ع . ٤٨٧ .

(٣) «بامبر» ١٩ كذا في الأصل ، وهو تصحيف بلاشك .

بخيولهم مجردة من السروج ، وألهب الخوارزمية واضطربوا اضطراب الزئبق ، ولم تلبث الأمواج المتلاطمة لبحر الحرب أن أطفأت شعلة «السراج الوهاج»^(١) وبذل الغبار المنبعث من تحت الأقدام الليل بالنهار . وكان يخشى أن يفر الشاميون من الميدان تحت وطأة الضغطة الخوارزمية ، فباغتهم ظهير الدين منصور وعطف عليهم فجأة ، فتحقق له الظفر ، وألجأهم إلى الفرار والجملاء .

٢٢٣ / وبعد أن تابع الفرار وجد بعضهم نفسه بنواحي «بغداد» . ولقد عاملهم أمير المؤمنين المستنصر بالإعزاز ، وأكرم وقادتهم .

وفي تلك المعركة تحقق لكلا الجيشين : الشامي والرومي مالا حصر له من الأمتعة والأسلاب .

وكان «شهاب الدين زندري» منشي الحضرة الجلالية قد تقلد في ذلك الوقت وزارة «بركت خان»^(٢) ، وأصبح نائباً لقلعة «حران» . فلما سمع نبأ انكسار ولي نعمته فكّر في أن يغتتم فرصة ليتوجه نحو الروم وينتظم في سلك ممالك تلك الدولة ، «وإن أنا سلمت القلعة لسلطان الروم فلا شك أنه يتعين عليّ الانصراف إلى دياره لأنني لن أستطيع النظر في وجه «بركت» خجلا» . وكان الملك المنصور قد بذل بدوره الوعود - سراً - لشهاب الدين زندري و«جمال الدين حبش» - مجتمعين - بإمارات مقلعة ومغنية .

وفجأة حملت راية «الملك الناصر» - صاحب حلب - وعُلقت فوق القلعة ، فتعالت الأصوات بالدعاء له ، فلم يقل «ظهير الدين» وغيره من أمراء الروم شيئاً تعظيماً للقدر ، وظلوا بضعة أيام سوتاً ، ثم انصرف كل واحد منهم إلى ناحية .

(١) يريد به الشمس .

(٢) قارن أ . ج ، ٤٩٢ ، وعبارة الأصل مضطربة .

ذكر فتح «أمد» على يد ممالك السلطنة

وحين عاد أمراء الروم إلى عيماهم بعد وداع عساكر الشام ، قالوا : لئن كان أمراء الشام قد استولوا على «حران» بالحيلة فسوف يلحقنا أكبر الشين وأعظم العار إن رجعنا - بجمعنا الكبير هذا - دون أن ننجز عملا . ويحسن بنا أن ننتجه إلى «أمد» فلعلّ الله ييسر لنا فتحها .

وكتبوا بهذا المعنى مكتوباً إلى حضرة السلطنة ، وطلبوا مدداً من الجند ومعدات القتال ، فندب السلطان في الحال «چاولي چاشني كبير» مع «يونار چاشني كبير» سوباشي^(١) نكيسار ، مع سائر عساكر ولاية «دانشمند»^(٢) ، وأمرهم بالإسراع في المسير ، فلحقوا بباقي الجند في أيام قلائل ، وباشروا الحصار .

وذاث يوم عند غلبة الهاجرة ، كان «فخر الدين ابن الديناري» - حاكم قبائل الأكراد - جالساً على طرف السور ، فسار «ناصر الدين أرسلان بن قيمازه» ، نائب ظهير الدين بمحاذاته ، وألقى عليه السلام وسأله عن الأحوال ، ثم قال : إلى متى ينحمل سيدي مكابدة الحصار وعناء القتال والتزل ، إن لدى الأمير ظهير الدين كلمات يريد أن يفضي بها إليك . فأجاب : سأرسل لكم بعد صلاة العشاء رجلاً ثقة شكله كذا وهيبته كذا من باب «الماء» ، لكي يسمع ما يقوله ظهير الدين ويبلغه إليّ .

وفي الوقت الموعود برز من البوابة شخص في زي فقراء [الصوفية] ، فأخذه

(١) انظر فيما سبق ، ص ١٠٧ ، هامش ١ .

(٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٤ ، هامش ٢ .

ناصر الدين وأتى به إلى ظهير الدين وفي الحال أخلى ظهير الدين المكان ثم قال :
 يعلم ذوو الأبواب أن تمكن السلطان بالمال والرّجال والشوكة والقوة هو - دون
 ريب - أكبر وأعظم من سائر ملوك الدّيار ، وأنه لا حاجة به إلى هذه القلعة ؛
 لكن الذي ينبغي أن تعلموه ييقين هو أنّ الجيش طالما جاء إلى هذا الموضع فن
 ينصرف حتى ينال مبتغاه ، ولو أنّ الأمير فخر الدين سلم القلعة قبل أن يبادر إلى
 ذلك شخص آخر ، فإن ذلك من شأنه أن يبلغ براية حكمته ذروة المعالي وشرف
 الشرف . ويعهد بالمدينة إلى ممالك دولة السلطنة . وأنا ألتزم بالوفاء بكلّ مقصود
 لديه ، وأقسم بالأيمان الغلاظ أن أحققه له من حضرة السلطنة^(١) . ثم إنه سلم
 ٢٢٥ ذلك الشخص خمسين ديناراً .

فلما أبلغ الرسول فخر الدين بما حدث ، أظهر السرور البالغ ، وأخذ يتأهب
 كلّ لحظة . وفي اليوم التالي جاء الرسول بالجواب : إني لا أجد في تسليم
 المدينة طريقاً سوى أن تحرقوا الباب الحديديّ للصور الموجود على حافة الخندق ،
 فإذا ما تم ذلك وعملت النار عملها ، قمت أنا - في ظلمة من الليل - بإنزال
 حبال المخايق ، لكي أرفع الجنود إلى أعلى السور ، وهكذا يتمّ الفتح . شرط أن
 يقسم الأمير ظهير الدين على الاتفاق الذي يقترحه والوعد الذي يلتزم به^(٢)

فأقسم الأمير ظهير الدين في الحال - وهو واضع يده على المصحف - أنه
 لا بد أن يفى بما يقول ، وألا يلفّ أو يدور حول التأويل والتبديل ، وألا ينقض
 حبل الميثاق ويتكته بأيّ وجه من الوجوه ، وأن يفى بمرادات الديناري بكلّ عناية

(١) قارن أ . ع . ٤٩٣ .

(٢) أيضاً .

واهتمام . وأن يرسل إلى الملك الصالح^(١) في «حصن كيف» أربعمئة ألف درهم نقداً يرسم الغدية^(٢) .

فلما قفل الرسول راجعا إلى المدينة وحكي ما كان قد سمعه ، أعاد «ابن دينار» الرسول من جديد قائلا له : لا بد أن يسلموك أربعمئة ألف درهم حتى تضعها في الصندوق ، وتختتم عليها بالختم ثم تعود . وحين رجع الرسول إليهم وعرض الأمر عليهم انطلق الأمير ظهير الدين إلى «چاولي» وطرح عليه القضية ، فأرسلا في استدعاء الأمراء بأسرهم . وجاء كل منهم بما عنده من فضة وذهب فقدمه ، وتم تسليم ذلك كله إلى الرسول فوضعها في الصندوق وختمها ثم قفل راجعا .

وفي اليوم التالي أخذ العساكر يحملون أشجار العنب الجافة حزمة حزمة إلى باب القفصيل ، وجرت محاولات من أعلى السور لردهم على أعقابهم ، إذ تم قصفهم برجمات الحجارة والسهام ، لكنها لم تجد نفعا . فلما غطي الباب بأكمله أضرم النفاطون المهرة النار فيه ، فتصاعد دخان الهشيم إلى عنان السماء ، واحترق الباب وتساقط ما به من حديد .

فلما أسدل الظلام أستاره أدلى ابن الديناري بالحيبال لكي يبدي الأبطال شجاعتهم ويرتقوا البرج . فوق نزع بين العساكر بسبب التناقض [على الصعود] ٢٢٦ / ولفرط ما صدر عنهم من قيل وقال تنبّهت فرقة أخرى من حرس الأبراج ،

(١) هو الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان المنصور صلاح الدين الأيوبي (٦٠٠ - ٦٥١) ، راجع ترجمته في المنهل الصافي ، ٢ : ٥٥ ، وعقد الجمال في تاريخ أهل الزمان ، ص ٨٤ .

(٢) قارن أ . ع ، ٤٩٥ .

فأمسكوا بمشعل لاستيضاح سبب هذا الهرج والمشغلة^(١) ، فرأوا أن حبال المنجنيق قد نزلت من ذلك البرج والبدن اللذين فوضت حراستهما إلى ابن الديناري، وأن الخيانة حلت محل الأمانة. وفي تلك الليلة عاد المسافر خائبين .

وفي اليوم التالي عقد أكابر المدينة اجتماعا ، وقالوا إن ابن الديناري - وهو الركن الأوثق في الحراسة - اختار المخالفة وليس لنا من سبيل لأخذه وتوبيخه . والرأي هو أن نسلم القلعة برضائنا كي لا نصبح الآية الشريفة : ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾^(٢) وصفا لحالنا . ثم أصعدوا شخصين أو ثلاثة إلى أعلى السور . فنادوا قائلين : ابعثوا ناصر الدين نائب ملك الأمراء إلينا عند «باب الماء» . فذهب ناصر الدين إليهم ، وكان قاضي المدينة و«نجم الدين ابن جبير الجار» و«المقدم جعفر المنجنيقي» وغيرهم من كبار الشخصيات قد حضروا ، فقالوا له : لو تحمكت بعض التعب وأبلغت الأمراء السلام لكي يتجشموا المشقة ويأتون إلى هنا لحظة .

فلما حضر الأمراء نزلوا من أعلى إلى أسفل ، وجعلوا الباب مواربا حتى نصفه ، ثم أقبلوا على الأمراء فصافحوهم وعانقوهم . وبعد القيل والقال التزم الأمير «ظهر الدين» بإنجاز مطالبهم وأكدها بأقسام القسم وأنواع الأيمان . وظهر الإصلاح الكامل بين الجانبين .

وفي اليوم التالي دخل كل أمير بجنده ورايته المدينة ، ونصب أعلامه على سور «أمد» / ، وضربوا طبول البشارات ثم إنهم ذهبوا إلى قصر السلطنة ، وجعلوا الناس يقسمون - الواحد نلو الآخر - على الولاء للسلطان غياث الدين وطاعته

(١) قارن أ . ع ، ٤٩٥ .

(٢) سورة السجدة : ٢٩ .

وسارع محافظو القلاع الأخرى إلى خدمة الأكاير ، وقدموا مفاتيح القلاع وأوضحوا تفاصيلها وما بها من متاع .

ثم بعث برسول مسرع إلى حضرة السلطان بهذه البشارة ، فأمر السلطان بكتابة رسائل الفتح وبأن تسطر للأمراء الأوامر مشتتة على شكر ما بذلوه من مساع . وقال السلطان : « كل ما يراه الأمراء من مصلحة تتعلق بتلك المناطق ، فإن عليهم تنفيذه على الفور دون انتظار أمر أو استطلاع رأي . لأنهم مكلفون من قبل الحضرة بتقديم المصالح وتأخير المفاسد بتلك الديار»^(١) . ولقد عهد بقيادة الجيش إلى « مبارز الدين عيسى » الجناندار .



(١) العبارة لـ أ . ج . ٤٩٧ ، وعبارة الأصل مضطربة .

ذكر خروج خوارج الباهلي وانطفاء ما أشعلوه من فتنة

قد نقل [إلينا] من أفواه الثقات أن «بابا اسحاق» الخارجي كان من منطقة «كفر سودة» من مضافات قلعة «سميساطة» ، وكان يدور برأسه منذ مبادئ الشباب ولوع بالرواية واصطياد المريدين . وكان ماهرا في صنعة الشبذة والسحر ، وكان مشغولا دائما بدعوة الأتراك الجهلة الذين إن سمعوا - باليسير من التموه - عن فقيه سفيه ومفتي مفتن ، احتشدوا وأعلنوا الموافقة والقبول . وكان دائم البكاء ، ظاهر الورع ، هزيل الجسد .

فلما انقضت مدة وأقبل عليه خلق كثيرون ، وصاروا من مرديه والمعتقدين فيه ، جال بفكره أنه لو خرج بذلك العدد من الأتباع لن يكون لمصباح كذبه ضياء . فتواري فجأة عن الأنظار . وبعد مدة ذاع صيته في بعض قرى «أماسية» ، وكان أول ما وصل إلى تلك القرية برعى الغنم لأهلها ، ويظهر الأمانة والورع ، ولا يقبل من أحد شيئا ، وكان يقنع من القوت بالقليل كل يوم . وبلغ في نوره منزلا جعل كل امرأة ورجل مقيدتين بقيد أنشودة الاعتقاد فيه . وكان إذا أصاب أحدا ألم أو حزن ، أو وقع نزاع بين امرأة وزوجها يكتب تعويذة إذا رجعا إليه ، ويعطيهم إياها ، فيتحول ذلك كله في الحال إلى راحة واستقرار .

ولما كثر أتباعه وأشياعه خرج من القرية ، وبني صومعة على تل قريب منها ، وشغل هناك بالإرادة^(١) والتنسك ، ولم يسمح لأحد بالدخول عليه اللهم إلا لعدد قليل من المريدين . وكان يظهر أنه قد عزف كلية عن الطعام والشراب ، واختار الصبر على الجوع والعطش ، وأخذ يبعث بالمريدين إلى كل ناحية حيث

(١) قارن أ . ع . ٤٩٩ .

يتجمع الأتراك وغيرهم حتى إنه بعث إلى الخوارزميين الذين كانوا في بلاد الشام.

وكان يقبَح حياة السلطان غياث الدين لشغله بالشرب والمناهي ، وبهذا الخداع^(١) أخذ يدعو الناس إليه . فلما استقرت القلوب على محبته ومودته أطلق أحد مريديه إلى « كفر سود » كما أرسل مريدا آخر إلى « مرعش » . وقال : مروا المخلصين لنا بأن يركبوا خيولهم في الشهر الفلاني واليوم الفلاني ويتوجهوا لفتح البلاد . وكل من سمع اسمنا وصار معنا لهم في قمع المفسدين اجعلوه شريكا في الغنائم والأموال ، أما من أبدى معارضة فلا نهملوا - بغير محاباة - في قتله .

فذهب هذان المریدان بناء على إشارة ذلك المسن الضال إلى هاتين الولايتين ، ونادوا في قبائل الأتراك وطوا نفهم / ، وكانوا قبل ذلك يبضع سنوات قد هبأوا أسباب القتال ، وجلسوا ينتظرون الأمر . فلما بلغهم هذا النداء اندفعوا كالتمل والجراد ، وخرجوا في يوم معين .

كانت أول قرية أضرموا النار فيها هي مسقط رأسهم ، وقد انتشروا كالدخان الأسود في نواحي العالم ، وكانوا - وفقا لحكم ذلك اللعين - يعطون الأمان لكل من سلك طريق دعواهم ، أما من كان يقابلهم بالاستنكار فكانوا يبادرون بالقضاء عليه دون تفكر ولا تردد .

وقد جمع « مظفر الدين ابن عليشير » جماعة ، وأغار عليهم ، ونشب قتال عظيم بين الفريقين ، فوَقعت الهزيمة على مظفر الدين واستولوا على علمه

(١) فريب : خداع ، وفي الأصل : قربت ، وهو تصحيف .

وطبائمه ، فتوجه مظفر الدين إلى مطية وأعد جيشا مرة أخرى ، وجمع عددا كبيرا من الأكراد والكرمانيين^(١) . ودفع بهم لمحاربتهم ، ف وقعت الهزيمة عليه ثانية .

فلما تحقق لهم النصر مرتين ، تبحروا واجتروا وأرسلوا من يغير على نواحي « سيواس » ، فجمع أهل سيواس جمعا وانطلقوا لصدّهم ، فهزموا جند سيواس أيضا ، وقضوا على « أكديشباشي » سيواس وغيره من الأكابر ، وحصلوا من تلك المعركة على الكثير من الأمتعة فظهر عليهم الرّوق ونمت لهم التّعمة

ثم إنهم انطلقوا صوب «توقات» و«أماسية» ، فمن كان يسعى لاعتراضهم عاد مخذولا ، ففسد دماغ جهالتهم دفعة وشابِعهم «الترکمان» من أهل الولايات كلها ، وما وصلوا إلى أماسية إلا وكانت شعلة استعلائهم قد أخذت في الارتفاع .
و حين أبلغ السلطان ، لجأ - على سبيل الاحتياط - إلى جزيرة «قباد آباد» ، وأرسل «حاجي أرمغانشاه» - قائد جند أماسية - إلى تلك الحدود ، فلما بلغ ٢٣٠ أماسية أخذ «بابا» في الحال مع / من كان معه من المعتقدين من الصّومعة وشنقه ودلاه من البرج ، وعزم بمن معه من الجند على قتال لمن تجمع منهم حول «أماسية» حيث أخذوا ينتظرون قدوم «بابا»^(٢) ، ف جرى بينهم الكثير من

(١) كرميان : كذا في الأصل ، وهو نسبة إلى كريم الدين عليشير (ت ٦٦٣) ، أبي مظفر الدين المذكور ، وكان يطلق عليه «كرميان خان» وكان سلاجقة الروم قد عهدوا إليهم بحكم منطقة كوتاهية ونواحها . وظلوا يتناوبون حكمها حتى عصر السلطان مراد الثاني العثماني سنة ٨٣٢ انظر : محمد جواد مشكور ، مقدمه بر اخبار سلاجقة روم) ، صد وشصت وينج - شش .

(٢) إضافة من أ . ع . ٥٠٢ .

النزاع والقتال ، وفي النهاية قتلوا «أرمغانشاه» فنال بذلك الشهادة . وكثيرا ما قالوا لأولئك المدبرين إن من تقتدونه قد صلب ، لكن ذلك لم يجد شيئا وإنما كانوا يقولون «بابا» رسول الله ، ويتهافتون في مقابل السيّف والسنان كالقراش في النار والأوز في التيار^(١) .

وأخذ السلطان يرسل من «قباد أباد» - بتتابع الرسل المسرعين - طالبا العساكر التي كانت قد ذهبت نحو «أرزن الروم» لحراسة الثغور ، فجاء العساكر مسرعين ، ووزعت معدّات القتال على الجيش ، وبلغوا «قيصرية» في يوم وليلة . وكان أولئك المخاذيل قد اجتمعوا في صحراء «ماليه» من ولاية «قيرشهر» ، وتقدّم «بهرامشاه» الجاندار ، «وابن الكرجي» و «فردخلاه» زعيم الفرنجية في المقدمة ، بينما تبعهم الأمراء الكبار بجيش كثيف . وفجأة جاء الخبر بأن الخوارج يستعدون للقاء القتال من الغداة . فأرسل للأمراء الطلائع بأن لا يتعقبوا الخوارج إن لم يظهروا ، وألا يتحركوا بل عليهم بالتوقف .

وفي اليوم التالي لبس الجند لأمة الحرب ، وأخذوا ينتظرون بقية الجيش الجرار . وفجأة برز الخوارج من أحد التلال واتجهوا صوب الجند وقد شرعوا سيوفهم وتركوا عنان خيولهم^(٢) ، وكان الفرنجية في الصف الأول ، فنبتوا ولم تؤثر فيهم سيوف الخوارج أو سهامهم ، فارتدوا على أديبارهم ثم تمهلوا لحظة وعادوا الهجوم ،

وهنا بادرت أفواج جند السلطان بعلاج أدمغتهم الفاسدة بالرمح الثقيل

(١) كذا ، والعبارة مدونة في الأصل بالعربية .

(٢) قارن أ . ع ، ٥٠٣ .

والخنجر القاطع ، وبهجمة نصيد الأرواح أطاحوا بأربعة آلاف رجل من الخوارج ٢٣١ ، فلجأ بعض أولئك المدبرين إلى الأحمال والأطفال والعيال / ، [فأقاموا سائرا من الأمتعة ، كي يُطلقوا من ورائه بالسهم^(١) ، وأخذوا بما معهم من أقواس شديدة يلقون الرجل في الشجرة بالسهم ، فأحاط بهم الجند من كل ناحية ، ورفعوا الحجب والسواتر من أمام أولئك الكفرة^(٢) ، فشتوا شملهم وبددوا جمعهم ثم أعملوا فيهم السيوف إعمالا ، وأجروا الذماء أنهارا في الصحراء من أتباع الشيطان أولئك ولم يبقوا على كبير أو يحابوا شاباً .

وحين وصل الجيش الكبير ، كان أمراء الطلائع قد فرغوا من الأمر برمته ، ولم يبقوا على أحد حياً إلا الأطفال ذوي الستين أو الثلاث . وسيروا في الحال المرسل إلى حضرة السلطنة ، وقسموا نساء الخوارج وأطفالهم وأمتعتهم فيما بينهم بعد إفراز خمس الخاص ، وعادت العساكر - وفقاً للحكم - إلى الأوطان ، بينما لحق الأمراء بحضرة السلطنة .



(١) العبارة لـ أ . ع ، ٥٠٣ ، وعبارة الأصل مضطربة للغاية .

(٢) قارن أ . ع ، أيضا ٥٠٣ .

ذكر اهتمام السلطان بانتزاع ملك «ميفارقين» من قبضة تملك «الملك الغازي» بسبب نشر مظلة الفتح

لما دانت البلاد والممالك - التي كان يقصدها ويتمناها السلطان علاء الدين - لغياث الدين ، وامتنل أصعب الملوك قيادا لحكمه حملته نخوة الاستلاء على أن ينشر الرؤية المنصورة ، تشبهاً بأعمامه الكرام الذين كانوا سلاطين العصر وقادة الدهر^(١) .

ولأن سلاطين الروم قد اصططحوا على أنهم طالما لم يصبحوا مالكين لملك ميفارقين ولم يغدوا قاهرين للطغاة المردة في تلك الديار ، فلا بد لمظلتهم أن تبقى منغلقة أبداً . ومن ثم دعا العساكر إلى قيصرية المحروسة ، واستجد بصاحب «حلب» وملوك «الموصل» و«ماردين» و«الجزيرة» .

وكان الملك الغازي قد علم بالأمر قبل ذلك فنهض لتداركه بما له من بصيرة ناقية ، فدعا إليه الخوارزميين الذين خلصوا إلى «بغداد» بعد معركة «رأس العين» ٢٣٢ ولاذوا بحمي «المستنصر بالله» / ، وكان زعيمهم ابن أخت السلطان جلال الدين وكان قد انضم إليهم قادما من «شيراز» بقوات شرفية ، كما استدرج الغازي أترك الكرمانية^(٢) بالمال والآمال إلى قيد طاعته . وأتم الاحتياط للخندق والسور والمجانيق والعرادات ، واستعد للقتال .

وحين وصلت عساكر الروم إلى نخوم «آمد» وحدودها وانضم إليهم جند الشام بقيادة «الملك المعظم» ، توجهوا صوب «ميفارقين» تنفيذا للحكم . فلما

(١) إضافة من أ . ع ٥٠٥ .

(٢) انظر فيما سبق ، ص ٢٧٣ هامش ١ .

بلغوها نزلوا حول المدينة وكانت المناوشات تقع بين الطرفين كل يوم . وهطلت أمطار غزيرة ، فأغرق السيل خيام جند الروم والشام ، وأخذوا يتساقطون في الأوحال .

وذات يوم أعدَّ الملك الغازي الصفوف ، وعزم على الحرب ، وركب عساكر الروم ، وأبلغ عساكر الشام ، فألبسوا سلاح الحرب جميعا ، وجاءوا إلى المعركة ، وانضموا إلى عساكر السلطان^(١) ، كان الخوارزميون في الجهة اليمنى فأزاحوا الجبهة اليسرى من عساكر الروم - وكانت من ولاية داتشمند - وألجأهم إلى الخيام . وسبب الصدمة التي ألحقها جند الموصل وملطية - وكانوا يمثلون يمينة جيش السلطان - تراجعت ميمنتهم من الأتراك والكرميانية حتى حاقت الخندق ، فجرت الدماء سيولا بدل الماء .

وفي تلك الأثناء انطلق من قلب جيش الغازي صوب الروميين شخص بفرسه ومعه سلاح ثقيل وبمسك بيده رمحا مستقيما^(٢) ، فبرز له رجل يقال له «دمرتاش» وهو غلام «ظهير الدين الترحمان» ، وأطاح به من فوق الحصان بضربة واحدة . وفي التوأسرع فارس من جيش الغازي وأعان ذلك الشخص على ركوب الحصان ، وبقي هو واقفا ، فأجلسه «دمرتاش» على كفل الحصان ، وأثنى به إلى «الملك المعظم» و«چاولي» في قلب الجيش ، فأراد الملك المعظم أن يتسلمه^(٣) / ٢٣٣ ، قال «مبارز الدين» إنه فداء للملك . وفي الحال أعطاه الملك المعظم تشريفة

(١) إضافة من أ . ع ، ٥٠٦ .

(٢) نيزه خطي : رمح خطي ، سمي بذلك لشباهته بالخط الممتد في استقامته (برهان فامع) .

(٣) قارن أ . ع ، ٥٠٧ .

وسمح له بالركوب ، ثم أجلسه إلى جانبهِ ، وسأله عن أحواله بحرارة ومودة^(١) ،
وسمح له بالانصراف نحو معسكر الملك الغازي .

وما إن بلغ معسكر الغازي راكباً حتى عادت جند الخوارزمية إلى الخيام ،
زهذأت نار الحرب . وبعد فترة من الوقت جاء القاضي وعدد من الأكابر من
قبل الملك الغازي . وفي تلك الأثناء حين استفسر من الملك المعظم عن أمر
الفرس الذي سقط على الأرض ، والأسير الذي وقع بيد «دمرداش» ، تبين أن
من سقط على الأرض كان هو الملك الغازي ، ومن أسر كان «أستاذ الدار»^(٢)
عنده^(٣) .

وكان فحوى الرسالة أن الملك يبعث السلام للجميع ، ويقول : قد كانت
حلقة الإخلاص لحضرة السلطنة في أذن روعي على الدوام . وقد حمل أخي
[المرحوم]^(٤) «مظفر الدين الأشرف» غاشية السلطان «علاء الدين» على كتفه
صورة ومعنى ، وأنا أحسب نفسي في هذه البقعة مملوكاً لتلك العتية [فإن كان
غرض السلطان منصرفاً إلى أن ينتزع مني هذه المدينة فلا بد أنه سيعطيها يوماً
لشخص آخر ، وأنا على أتم استعداد للقيام بالخدمة التي يتوقع السلطان أن يؤديها
ذلك الشخص الآخر]^(٥) ، حقاً ما أشد ما تألمت للقلوب وتحسرت الأفتدة

(١) في الأصل وكرم ناز رسيد : ؟! وهي تصحيف : وكرم باز برسيد : سأل عن
الأحوال بحرارة . قارن أ . ع . ٥٠٧ .

(٢) كانت المهام الموكولة إلى «أستاذ الدار» هي : «التحدث في أمر بيوت السلطان كلها
من المطابخ والشراب خائاه والحاشية والعلماء» (صبح الأعشى ٤ : ٢٠) .

(٣) قارن أ . ع . ٥٠٨ .

(٤) إضافة من أ . ع . أيضاً .

(٥) إضافة من أ . ع . أيضاً .

على الغرض الذي من أجله نشرت المظلة المنصورة ، [فلن يرضى مخلوق عن ذلك] ، وإنما هي سبّة أمد الذّهر . إنني استحلقتكم بالله أن تعدلوا عن هذه الفكرة ، وألا تدهموا بيت فقير بوجه مموّء واصطلاح خاطئ ، وإلا فإنني سوف أفدي البيت القديم بروحي .

وفي تلك الأثناء جيء إلى السلطان الأعظم والملك المعظم وسائر قادة الأمم الذين كانوا قد قدموا لمحاصرة «مبا فارقين» بالأوامر المطاعة من قبل دار الخلافة ، بأن ينتهوا عن المحاربة والمحصرة ، ولهذا السبب مال «الملك المعظم» إلى إصلاح حال الملك الغازي ، وحمل الأمراء على وقف القتال في هذا العام .

ولما كان الأمراء قد أصابهم الملل بسبب التساقط المستمرّ للأمطار ، رضوا بمصالحة القاضي ، فجعلهم القاضي يقسمون على ما يوافق رأيهم وينتهم ، ٢٣٤ ودخل رسل الملك المعظم وأمراء السلطان المدينة / ، فجعلوا الملك الغازي يقسم بدوره .

وفي اليوم التالي ارتحلت الجيوش ، وجاءت إلى «أمد» . وهناك أقيمت حفلة ملكية على شرف «الملك المعظم» . ثم إنهم افترقوا من الغداة ، حيث أتجه هو إلى «الشام» ، بينما قدموا هم إلى «ملطية» .



ذكر حدوث الفسور في بلاد الروم

كانت فاشحة الوهن ومقدمة الفسور أن الشلل تسرب إلى مزاج جرماغون نوين^(١) ، فوصل من حضرة [الخان الأعظم] - بعد فترة من الوقت - أمر بإسناد قيادة الجيش وزعامته إلى «بايجو قرشي» . وكان يريد أن يحدث تجديدًا في الدولة القاهرة ، لكي يروج سوقه ويعلو أمره ويزدهر . فاختر ثلاثين ألف فارس تترى من القادة المشهورين ، وانطلق بهم صوب «أرزن الروم» .

وبمجرد وصولهم شرعت المجانيق والعرادات في العمل على جوانب السور ، وتتابعت حرب الحجارة ليل نهار كأنها القضاء المبرم . فأخذ «سنان الدين باقوت» قائد الجيش و«أستكوس» قائد قوة الفرخجة في الخروج للقتال بأعداد كبيرة من الجنود ، وكانوا يبذلون الكثير من الجسارة والبأس . ولو لم يكن «شرف الدؤيني»^(٢) - وكان شحنة المدينة - قد فعل ما فعل من غدر ودونية لكان من الممكن أن ينصرف جيش المغول عن المدينة بسبب هجوم الشتاء ، ولحظي بضعة آلاف من الأميين بالنجاة من ضرب سيوفهم ، لكن «الدؤيني» الدون - بسبب ما كان يكنه من حقد وضغينة لقائد الجيش - أرسل خفية رسالة إلى «بايجو» : إذا أعطيت الأمان على حياتي وحياة أتباعي فإنني أرفع المحاربين في البرج الذي وكّلت إلي حراسته ، لكي يهبطوا ويكسروا أقفال البوابة بالعمود الحديدي .

(١) جرماغون نوين : أحد كبار قادة المغول . وكان «أوكتاي قآن» - إمبراطور المغول - قد كلفه بتعقب السلطان جلال الدين خوارزمشاه فلما قُتل السلطان ليث بالشطقة وشنّ بضعة غارات على البلاد الهامرية ، وتمّ عزله عن قيادة المغول سنة ٦٣٩ . بعد أن أصيب بالشلل . (انظر: عباس إقبال: تاريخ مغول، ص ١٤١ وما بعدها).

(٢) في الأصل دؤني . انظر أ . ع . ٥١٤ .

فكتب «بايجو» مكتوباً / وفقاً للمتمس الدويني ، وفي الليلة التي وجد فيها ..
 الفرصة رفع مائتي محارب ثأم السلاح إلى البرج ، فانطلقوا نحو البوابة وكسروا
 الباب ، ودخل الجيش المدينة وتم إخبار الأمير سنان الدين وأستكوس ، فتقاطروا
 مع الجند على ذلك الباب لسده ، وأخذوا يعملون سيوفهم التي ظلت تقطر دماً
 حتى الصباح .

وعند الفجر كانت المدينة قد امتلأت بالمغول ، وحل البلاء العام ، وبقيت
 النسوة الطاهرات من حرم الأم أسرى في يد كل غريب ، وتعرغ الأطفال
 الأعزّة في تراب المهانة ، ولم يبق لأحد أبداً مجال للهروب أو وسيلة يمسك بها ،
 وكسفت الشمس من الحرارة المنبعثة من نار السيف ، وخسفت مرآة القمر من
 الآهات الطالبة للتجدة .

فلما فرغ الجيش من التهب والغارة ، شرعوا في أخذ الأسرى ، فأخرجوا
 النساء والزجال والكبار والصغار من المدينة ، وقسموهم فيما بينهم ، وأبقوا على
 من كان يصلح للعمل حياً ، ثم انهالوا على الباقين فجعلوهم طعمة للسيوف
 ومضغة للحتوف .

وأخرجوا الأمير «سنان الدين ياقوت» وابنه مقيدين عاربي الرأس ، وكوموا ما
 يملكه من جواهر وأحجار كريمة ومقتنيات ذهبية في الميدان . وقال له «بايجو» :
 ما بالك لم تتخذ جنداً وعندك كل هذا المال ، فما الفضّة البيضاء إلا لليوم
 الأسود . فأجاب : إذا كان رزقك يسعى إليك ، فكيف يتسنى لي التصرف فيه .

فأمر بأن يقتلوا ابنه أمام عينيه ، فقتلوه ، ثم استداروا إليه . وسلكوا طريق
 «مغان» بكثر هائل [من الغنائم] .

وفي ذلك الحين لحقت جند السلطان «بأرزنجان» فلما سمعوا أن عساكر
الغول فتحوا «أرزوم» ، ولم يدعوا في تلك الديار دياراً ، بادروا بإنهاء هذا الخير
٢٣٦ الفاجع لمسامع الحضرة السلطانية ، فاستولى الاضطراب على خاطر / العاهل .
وأمر بأن تعود العساكر إلى أوطانها ، وأن يحضر الأمراء بأسرهم إلى الحضرة ،
لكي ينشغلوا بتدارك الأمر متفقين .



ذكر محاربة «السلطان غياث الدين»

لجيش المغول في «كوسه داغ»

كانت خلاصة فكر أركان الدولة في حضرة السلطنة أن يوجهوا الدعوة للملك الذيار ، حيث يعثون إلى «الملك الغازي» برسول ، ويدون الاعتذار عن مهاجمتهم له «ميفارقين» ، وأن يمنحوه دون إبطاء - ويتوقيع السلطان «أخلاق» - وكانت ملكاً لأخيه [الأشرف] . وأن يرسلوا الصاحب «شمس الدين الإصفهاني» مع خزانة إلى «الشام» لطلب نجدة من العساكر . وأن يعثوا بخزانة أخرى إلى «السيبي»^(١) ، لكي يجيش جيشاً من الفرخ بخلاف الجيش المعهود .

ووفقاً لهذه الفكرة بعثوا إلى «الملك الغازي» بعشرة آلاف دينار من السكة العلائية ، ومائة ألف درهم ، ومنتشور بملكية «أخلاق» ، كما أرسلوا الصاحب «شمس الدين» بمائة ألف دينار وآلاف الدراهم ، وبخزانة أخرى أضعاف هذه إلى «السيبي» . وكانت الرسالة المرسلة مع الرسل جميعاً تقول : إنه لو حدث في هذه القضية إهمال وخرج الأمر من اليد ، والعباد بالله ، لن يفيد العصف على الشفة وتقلب اليد . ومن المتيقن أن النكبة إن حلت بدولتنا فسوف يترج بكم في حلفه الهوان والصغار .

وحين طالع «الملك الغازي» منتشور ملكية «أخلاق» وأودعوا الأموال بخزانتة شغل بتوزيع المال وجمع الرجال وهو يقول : سمعنا وطاعة . وما إن وصل

(١) نسبة إلى سيبس ، ولعل المؤلف يريد به «ليقون تكور» وكان السلطان عز الدين كيكابوس قد أقره على ملك «سيبي» ، انظر ما سلف ص ٧٩ .

الصاحب شمس الدين إلى «الشام» حتى جعل فقراء الأبطال في تلك البلاد
٢ يتسّمون رائحة الاستغناء ، ورعى صاحب «سيس» تأسيس قواعد الولاء / .
ووصلت الرّسل إلى حضرة السلطنة .

وما حلّ أول الرّبيع إلا وتجمّع للسلطان سبعون ألفاً فارس من القدماء
والمرنزة ترافقهم - وفقاً لأمر السلطان - النساء والأطفال والأمم ، وبلغوا سيواس ،
وتوقّف السلطان زمناً انتظاراً لانضمام عساكر الأطراف ووصول «الملك الغازي»
و«الصاحب شمس الدين» وجيش «سيس» [وكان يقضي وقته في لعب الكرة
والصّيد وشرب الخمر^(١)] .

ووصل «ناصر الدين الفارسي» من قبل الشام مع ألفي فارس تنفيذاً لما كان
قد استقرّ عليه الرّأي من أن يلازموا الخدمة السلطانية في كلّ عام وقت الحرب .
فلمّا طال الانتظار عن الحدّ ، وتواتر وصول الأخبار بأنّ «باجو» قد عقد العزم
على الحرب يصاحبه جيش كالتّمعل والجراد من قوآت غير نظامية من «خراسان»
و«العراق» و«فارس» و«كرمان» .

واتفق من كان من أركان السلطنة بصيراً بتجارب الخطوب وخبيراً بعواقب
الأمر على أنّه ينبغي التوقّف في «سيواس» بغية انتظار المدد ، لأن الارتكاز عليها
لمقابلة خمسين ألف فارس هو أقرب إلى الصّواب .

أما الشباب الغمّر^(٢) الذين لم يبيض لهم طيلة عمرهم أن يشهدوا القتال
ومصارع الرّجال ، فقد أخذوا يمانعون في ذلك ، وصاح «نظام الدين سهراب

(١) إضافة من أ . ع . ٥٢٠ .

(٢) كذا في الأصل : غمر ، كلمة عربية : «ورجل غمر : لم يجرب الأمور» (المعجم
الوسيط) .

ابن مظفر الدين ، و «شبلان» ، و «غريب وثاقباشي»^(١) - «عليهم بما يستحقون» : إلى متى التماس العلة حياً في الحياة بينما أهل «أرزنجان» و «أرزروم» يتعرضون للتلف ويصبحون علفاً لسيوف المغول ؟ كان من الواجب علينا أن نتقدم حتى نبلغ «تبريز» و «نخجوان» ، وكان من الضروري أن يجري القتال هناك ، أما الآن فلا يُسمح بالتقدم لمرحلة واحدة بعد «سيواس» ، بسبب استيلاء الخوف والرعب .

٢٣٨ فاعتزّ السلطان بذلك المخطط ، وأمر بالمسير في اليوم التالي / فتدفق سيل من ثمانين ألفاً من المحاربين ، وسلكوا طريق «كوسه داغ» ، التي أصابت الأفتدة بألف لهب من النار^(٢) . فلما بلغوها وجدوا الكثير من المروح والعديد من الأنهار والمواضع الحصينة ، بحيث لا يكون لأي جيش غريب طريقاً من أية ناحية إلا من خلال المر . فخطوا رحالهم هناك . وظلّوا كلّ يوم ينتظرون وصول المدد .

وفجأة جاءهم الخبير بأن «بابجو» قد وصل بأربعين ألف فارس إلى صحراء «أقشهر أرزنجان» . فلما سمع أولئك الشباب الجهلة - الذين كانوا أخصّ خواصّ السلطان - هذا الخبر^(٣) ، استبدّ بهم الفرح والسرور لفرط جهلهم وحمافتهم ، وقالوا ما أحسنه من مغنم تحصّله من المغل .

قال «الصاحب مذهب الدين» و «ظهير الدولة ولد كرجي» لا ينبغي التشوش بالأراجيف ، ولا يصح إثارة الاضطراب في الجيش بغير فائدة . إنما نحن في هذا

(١) في الأصل : وثاقباشي ، والتصحيح من أ . ع ، ٥٢١ .

(٢) الجملة توضيح من المؤلف لكلمة «داغ» الفارسية ومعناها ملتهب .

(٣) قرآن أ . ع ، ٥٢٢ .

الموقع بمنجاة من غارات العدو ، وهذا في حد ذاته أصل عظيم معتبر . كما وصل الخبر بأن «تكور» يتقدم للانضمام إلينا بثلاثة آلاف مقاتل من الفرغ ، وهذا بدوره مدد كبير .

فشرح «ابن مظفر الدين» في الهذيان قائلا إن الخائف مخيف . ولو أنني أعطيت ألف عنان من الفرغ ، وكان الله عز وجل معهم - فيوسعي حينذاك أن أنقض على المغل وأنال الظفر . فأجاب «ظهير الدولة» : قد بقي أمر الملك ، في مثل هذه الحالة ، معلقا بشعرة . ولا ينبغي لمثل هذا اللفظ - الذي تؤذي والحة نهافته [وقدره]^(١) مشام الناس جميعا - أن يقال في حضرة السلطنة بخاصة ، فما هو إلا قول يفضي إلى خراب «الشام» و «الروم» وتلزم الكفارة عنه بالصدقة . والباري - تعالى - يقول : «وشاورهم في الأمر»^(٢) والمشاورة مقدمة على المساورة^(٣) . وليس من شك أنني خائف ، باعتبار أنني أخاف الله - تعالى ونقدس .

وهنا أطلق ولد مظفر الدين - لفرط سورة الخمر - لسانه بالسب والفحش ٢٣٩ / فغاب الصاحب في ذلك الباب ، فأجابه قائلا : إنك لا تستطيع أن تعيش من عمل آخر سوى الحساب والكتاب . [فلما سمع كبار رجال الدولة هذا النوع من الجسارة في حضرة السلطان من «ابن مظفر الدين» ، ولم ينهه السلطان عنها]^(٤) خرجوا من عنده مشتتي الفكر حيارى ، وشرعوا في البكاء والنواح

(١) إضافة من أ . ع ، ٥٢٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٣) كذا في الأصل ، كلمة عربية : ساوره (مساورة) : واثبه ، وأخذ برأسه في العراك ونحوه .

(٤) إضافة من أ . ع ٢٣٩ .

كان اليوم التالي هو الجمعة السادس من المحرم سنة ٦٤١ ، فأمره ولد مظفر الدين « الجيش بالركوب ، وارتفعت أصوات الطبول والدفوف . ورغم أن الأمراء كانوا غاضبين لما حدث بالأمس ، لكنهم ذهبوا إلى الدهليز ، وأخذوا في الممانعة ، فعاد « ولد مظفر الدين » ثانية إلى السفه والعتة ، وأطلق لسانه بالشتم والذم .

وسعى « ولد الكرجي » و « ولي الدين پروانه » و « ناصح الدين الفارسي » - بسبب ما استولى عليهم من تطر وتخير - إلى حتوفهم مع ثلاثة آلاف فارس من الفرغ والروم ، فزحفوا نازلين في تلك الممرات التي لا قبل للأبطال الجبلية بالسير على وهادها وبقاعها . فلما نظر « بابجوه » ورأى أنهم يهبطون - دون تبصر - من فوق ذلك الموضع الحصين ، التفت إلى أمراء جيشه وقال : هؤلاء يتأذى منهم إلا الفرار ، إنني أرى رأساً تحت السيف . وينبغي اليوم أن نصبر حتى يدخلوا في ممر صعب

فلما هبطت المقدمة بأكملها ، وسدت المداخل والمخارج بسبب ازدحام العساكر ، أسرع « بابجوه » صوبهم من المكان الذي كان رابضاً فيه ، وفي الهجمة الأولى قاتل جيش الروم قتالاً مريراً ، حتى تعبت الجنود ، وارتد جيش المغل . فظنوا أنهم ربما ولوا الأدبار . فأرسلوا إلى السلطان يخبر مفاده أن العدو هزم ، وضربوا طبول البشارة .

وفي هذه الأثناء رجع « بابجوه » وأمر بأن يسطر الجيش بالسهم ، فأبادوا هذا ٢٤٠ الجانب من الجيش . أما ولد « شلوه »^(١) فقد نكس أعلامه / بسبب ما استبد به

(١) كذا في أ . ع ٥٢٥ ، شلوه ، في الأصل : سلوه .

من الروح ، ولأذ بالفرار . بينما استنقذ «ناصر الدين الفارسي» نفسه مع عدة أشخاص من المعركة ، وجاء عاري الرأس إلى حضرة السلطان ، فرفع حجاب الهيبة والوقار ، وقال بمواجهة السلطان كلاما غليظا ، حيث قال : هل يمارس أحد سلطة الحكم بمثل هذا الرأي والتدبير ، وبمثل أولئك القراء الذين المدابير ، ويذهب لمقاتلة العدو ، ويعرض الملك والملة للتبديد والضياع ، ويهيل التراب على رأس الإسلاميين وسائر طوائف الأدميين؟! ثم انطلق من ساعته مع أهله سالكا طريق «حلب» .

وحين رأى السلطان أن قضية الهزيمة قد انعكست ، ونال الأمراء والجند درجة الشهادة ، وضع عباءته على وجهه وشرع في البكاء ، وظل راكبا حصانه لا يتحرك حتى صلاة العشاء حتى تم تسريح حرمه ومعظم الخزانة الشريفة إلى «نوقات» .

وجاء «جاولي چاشني گير» إلى الحضرة فأرأ من المعركة [وأخذ يسرد على مسامع السلطان تقريرا عن حالة القوضى وفقدان الانضباط ، وشؤم تعجل ابن مظفر الدين وارتياح ابن شلوه] (١) ، وقال السلطان : ما الصواب في رأيك يا أخي (٢) ؟ أجاب : قد تجاوز الأمر الشفة الجافة والعين الدامعة ، إنك لم تكن تلقي بالا إلى كلام المحالين وقت التدبير فما الذي بقي في هذه الساعة من تدبير؟ قال السلطان : قد عهدت إليك بزمام الملك ، فأفعل ما تعرفه وتقدر عليه دون إبطاء أو توان .

(١) إضافة من أ . ع ٥٢٦ .

(٢) في الأصل : ابجي ؟ ، ولا معنى لها ولعلها تصحيف لبني ، وهي كلمة تركية معناها الأخ الأصغر .

ودخل السلطان الخيمة ، ثم لم يلبث أن انصرف إلى [توقات] (١) عن طريق «لابد خانة» ، وفي الطريق قام «فخر الدين اربيلان دغمش» و «شمس الدين خاص اغزه» و «تكري چاشني گيره» بتبديل ملابس السلطان على سبيل الاحتياط ، وأطلقوا العنان لخيولهم فلم يتوقفوا حتى بلغوا «توقات چاي» .

ولما انصرف السلطان ، ظلت فرقة من الجيش واقفة وهي تمسك أعنة خيولها حتى مضى من الليل ثلثاء . فلما ارتقى المغل الجبل ورأوا العساكر تقف بكل مكان ، صاحوا ثم اشعلوا النيران . ولم يكن بوسعهم اقتحام معسكر السلطان كما لم يكن أمامهم مجال للعودة إلى ثكناتهم .

فلما طال التوقف بالطليعة ، ولم تر مددا يأتيها من أي مكان ، اتجهت صوب المعسكر ، فوجدت الأمتعة في مكان ، والرفاق والأصحاب قد ذهبوا ، فما لبث أفرادها أن ولوا الأدبار بدورهم .

عند الفجر حين أنعم المغل النظر في معسكر السلطان ، ورأوا الأحمال والأمتعة لا تزال مكانها . ظنوا أن الجيش ربما يكون قد كمن لهم ، فأخذوا يظفون حول الخيام مدة يومين ، فلما تحقق لديهم أن الجيش قد ولى الأدبار دخلوا المعسكر ، وحازوا من الأموال مالا يدركه الحصر ، ثم توجهوا صوب «سيواس» .

كان الإمام الرباني «نجم قير شهري» هو قاضي «سيواس» ، بيد أنه كان في «خوارزم» عند استيلاء المغل عليها ونكبة السلطان محمد (٢) . وكان قد مثل

(١) كلمة ساقطة من الأصل ، انظر أ . ع ، أيضا .

(٢) يراد به السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ، وانهزامه أمام المغول ، وضياح ملكه .

بين يدي [الخان الأعظم] حينذاك ، فمنحه مرسوما ملكيا وعملة تذكارية .
فخف القاضي لاستقبال المغل مع الرسوم والهدايا والتقدمات ، فتعرف عليه
«بايجو» وحين عرض الأمر الملكي والعملة قبلهما «بايجو» ووضعهما على رأسه ،
ثم وهبه المدينة .

وقد تركوا بوابة «أرزنجان» وحدها مفتوحة ، وأغلقوا باقي البوابات ، حتى
دخل بعض الجند المدينة فأغاروا مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع أغلقوا ذلك
الباب بدوره ، ولم يعودوا يسببون قلقا أو إزعاجا . ثم إنهم انطلقوا إلى «قيصرية» .



ذكر خراب «قيصريّة» وهلاك المحصورين بها

وعندما سمعت والدة السلطان غياث الدين ذلك غادرت في التو واللحظة «قيصرية» والتجأت إلى «سيس»^(١). ولما هرب ملك الزهاد «صمصام الدين قيماز» الجامة دار^(٢)، و«فخر الدين اياز الأعرج» من المعركة انتهى بهما المطاف إلى هناك^(٣)، وبذلا جهدا بليغا في ترتيب معدات الحصار والدفاع وإحكام الأبراج والأبدان. فلما وصل جيش المغل شمل كل ما وجدته خارج السور ٢٤٢ بالنهب والحرق والإغراق.

وفي اليوم التالي طاف «بايجو» راكبا مع أمراء جيشه حول المدينة، ونصب ثلاثة مجانيق على برج بوابة «سيواس» - وهو الذي كان اعتماد أهل المدينة كله على حصانته - وألزموا الأسرى وأولئك الذين يلبسون الصوف^(٤) بسحب المنجنيق، فتواصل القصف خمسة عشر يوما على التوالي، وظهرت في البرج ثغرات فاحشة.

وعزم جيش المغول على الرجوع لوفرة ما غنموا، على أن يُرجموا تنفيذ المهمة إلى العام القابل، لكن ولد «حازوك» - وكان «أكدشباسي» المدينة - أرسل في الليل رسولا إلى «بايجو» طالبا الأمان، فلما تم له ذلك خرج - في

(١) قارن أ. ع ٥٢٨.

(٢) الجامة دار: من يتولى أمر ثياب السلطان.

(٣) يعني إلى قيصرية.

(٤) في الأصل: جولقيان: وهم الفقراء والصوفية الجوالون، ويبدو أنهم كانوا يميزون بملابسهم المصنوعة من الصوف والجوت، ويطلق على هذا النوع من الملابس اسم «جولنج» أو «جولق». راجع «برهان قاطع».

الليل أيضا - من فتحة المجري ، وذهب إلى معسكر المغل ، ووصف أحوال
ضعف المدينة وقوتها بالتفصيل .

فلما علم الأمراء بالأمر ورأوا أن الشخص الذي يسبق عليه « بايجو » ولايته
يحظى بالعناية البالغة ، انضم إليه « أياز الأعرج » سوماشي المدينة - ومن ثم لم يبق
بها إلا « صمصام الدين » . وهنا رجع « بايجو » عن قرار الرجوع . وذات يوم أمر بأن
يلبس الجيش كله لأمة الحرب ، وأن توضع السلالم على ذلك البرج الذي
كانت قد فتحت فيه ثغرات يقصف المنجنيق^(١) . فصعدوا على السلالم ، وأذاقوا
كل من رأوه شربة السيف ، ثم نزلوا وكسروا قفل البوابة .

فدخل الجيش بأسره المدينة ، وأمسكوا بأمير العارض وكل أفراد الجيش ،
وحملوهم إلى صحراء المشهد . وبعد النهب والقتل أضرموا النار في سائر البيوت .
فلما فرغوا من المدينة وأهلها ، غادروها إلى خارجها ، وفي صحراء المشهد
أجهزوا على الأمري الذين كانوا قد أمسكوا بهم من قبل ، وقسموا الأطفال
٢٤٣ والعيال فيما بينهم / ثم سلكوا طريق العودة ، وكانوا يقتلون في الطريق كل من
كان يتتابه التعب وتعبه الحيلة على مواصلة السير .



(١) تارن أ . ع ٥٢٩ .

ذكر توجهه صاحب «مهدب الدين» إلى «بايجو» وإقرار الصلح

لما مني الجيش بالهزيمة ، انتهى المطاف بالصاحب «مهدب الدين» إلى «أماسية» فسمع أن جيش المغل قد أخضع قيصرية عن طريق الحصار ، ثم رجع^(١) فطلب «فخر الدين» قاضي «أماسية» ، وقال له : طالما أن أمر السلطنة قد وصل إلى هذه المنزلة الساقطة بسبب حداثة عهد السلطان وجهله ، وأن بحر الفتنة - الذي كان يموج ويتلاطم - قد هدأ ؛ فإنه لو حدث إهمال في تدارك الأمر ، لكان ذلك ضرباً من الكفر . والرأي عندي أن الطريق مملوء بالسهم والسيوف . إلا أنه يتعين علينا أن نتجنب التفكير في العواقب ، بل ننطلق في إثر المغل ، ونأخذ في طرق باب الصلح والهدنة .

فاستحسن القاضي ذلك الرأي ، وأثنى علي صاحب نداء جميلاً . وبادر الإثنان - على السوية - بإعداد الهدايا والتقدمات المتنوعة ثم وضعوا القدم - بفضل الله في طريق الخوف والرجاء - وانطلقا . وبعثا قبلهما برسل إلى القائد «بايجو» ، فأعرب هو وغيره من أمراء الجيش عن دهشتهم لتلك البسالة^(٢) والجرأة .

ثم إنَّ صاحب والقاضي لحقوا ببايجو في حدود «أرزن الروم» ، وقدموا الخدمات ، وأخرجوا اليد البيضاء في استعطافه واستمالته ، فشملهما «بايجو» بالعطف واللفظ وأخذوا يتحركان مع جيش المغول كلما تحرك مرحلة في أثر مرحلة ، فلما بلغوا «مغان» ، وهي معسكر «جرماغون» ، انطلق «بايجو» للمثول

(١) فلان أ . ع ، ٥٣١ .

(٢) في الأصل : سألت ، راجع أ . ع ٥٣٢ .

بين يديه ، واستدعى الصحاب مهذب الدين والقاضي فخر الدين ، وسألتهما : ما الذي دعاكما إلى الحضور ؟ أجاب الصحاب قائلاً ، ليجعل الله - تعالى - الإيلخان الأعظم خالداً أبدي الزمان ، وليعلم القائد أن الله إن كان قد أعلن في هذه الكرة دولتكم ، فظفرت على / سلطان الإسلام ، فلا ينبغي أن يكون ذلك مدعاة للغرور ، فما قتل في الحرب - كما هو معلوم لديكم - أكثر من ثلاثة آلاف فارس . ومع هذا كله هلك من جند المغل عدد كبير . وفي أطراف بلاد الروم مائة ألف مثل أولئك الفرسان بكامل سلاحهم وعدتهم . على أن ملك الروم لا يتعقد له نظام إلا بسلاطين سلجوق ، ولا يطمئن للرعايا بال إلا بالانقياد لهم . فلو أن القائد راعى مصلحة الإيلخان فلا سبيل إلا أن يشفع مصالحة السلطان بالقبول . لأن العظماء الذين مضوا وتركوا لكم الملك قد قالوا : ينبغي طلب الرضا ممن يقرع باب الصلح ويدخل من باب العجز والاضطرار . لقد تم عرض ما من شأنه أن يؤدي إلى فراغ بال القائد ، وراحة الملك والرعية أما إن كان يقع للقائد رأي غير هذا ، فليأمر به .

فلما سمع «باهجوه» المفاوضات إشار إلى امرأة من نساء «جرماغون» كانت تتولى أمر إفهامه الكلام لكي تصيح بما تضمنته في أذن جرماغون ، فلما أصغى إليها ، ويحكم أنه كان كثيراً ما سمع عن العادات الكريمة للسلطان المرحوم علاء الدين [وكان ينهي عليه ، ولا يفتأ يقول : ليث أن علاقة تبعية تنشأ بين السلطان والخان الأعظم لكي تبقى ولايته سالمة من معرة الجيش ومضرته ، فمن الخسارة أن تخرب مثل تلك المملكة والسلطنة التي قد زينت بالعدل والإنصاف بصدمة صولة المغل ، وأن تصاب قواعد السلطنة بالوهن] (١) . ومن ثم أوما وأشار

(١) إضافة من أ.ع. ٥٣٤ .

- انطلاقاً من هذه الرغبة الصادقة - إلى أنه يقبل الصلح .

فبدأ «بايجو» - بمشورة «جرماغون» - في وضع أساس التبعية وقال : ما المقدار الذي يتقرر وصوله كل عام من ملك الروم إلى الإبلخان وقادة الجيش ؟ فخرج الصاحب من الاجتماع وتشاور مع القاضي ، ثم سجل بقلمه مقادير مفصلة من الذهب والخيول والبغال والأفراس والأبقار والأغنام ، وأرسل بيانا بها إلى خدمة القائد ، وبين أن كل سنة يأتي المبعوثون إلى ملك الروم لطلب هذا المقدار ، وبعد أن نسلمه إليهم يتون به إلى هنا .

٢٤٥ فرضي «بايجو» ببعضه / وعدّ البعض الآخر قليلا ، فزاد [الصاحب] (٢)

شيئا على كل ما كان موجودا ، الأمر الذي رضي به «بايجو» . ثم إنه استدعي الصاحب ، وشره بإتمام مرامه . فأخذ الصاحب بتلايب «بايجو» تأكيدا للعهد والميثاق ، وتم لإرساء بنيان الصلح بموافقة أمراء الجيش بأسرهم .

ثم إن الصاحب عاد إلى حضرة السلطنة بصحبة الصدر الكبير «فخر الدين البخاري» ، حيث شغل بسد الثلمة وترميم الثغرة .



(١) إضافة من أ . ع ، ٥٣٦ .

ذكر عودة الصّاحب شمس الدين من [ناحية]

الشّام إلى حضرة السلطان

حين ذهب الصّاحب «شمس الدين» إلى «حلب» لطلب الجند ، جمع طوائف من الأجناد لم يكن عددهم ليدخل في حيز التعداد والحصر ودفع لهم جميعاً أرزاق ستة أشهر مقدماً . وأخذ يتحين الفرصة للرحيل اليوم وغداً . وفجأة سمعوا خبر انكسار الجيش وانهزام السلطان وتفرق الجموع ، ففترت النيات رغماً عنها ، وانكسرت القلوب بسبب ردّ صحاح الدراهم والدنانير ، وقد استرد بعضها بطريق التساهل ، وحين سمع جماعة بالأمر تفرقوا في أرجاء العالم يركضون متعجلين والذهب في أكياسهم (١) .

وجاء أكابر بلاد الروم وأعيانهم من قيصرية وملطية وسائر الأصقاع عن طريق «سيس» إلى «حلب» فمدّ أرامنة «سيس» - أباد الله حالهم وأقنى رجالهم - يد الغدر والغارة إلى اللاجئين المسلمين ، وقبضوا على والدة السلطان ثم سلموها بعد ذلك إلى المغل ، وأخذ يسبون النبي عليه السلام . [ولحق المسلمون - بكلّ وسيلة كانت - بحلب وما جاورها] (٢) فنشأ للروميين هناك تجمع كبير .

ووصل الخير بأن السلطان قد لحق بقونية سالماً من معركة «كوسه داغ» ، وأن جيش المغل توجه إلى «مغان» ، / وأن الصّاحب «مهذب الدين» انطلق في إثره بهدف افتتاح أبواب المصالحة . وأن الخلائق خرجوا من المسارب والمهارب . ومن هنا صمم الصّاحب «شمس الدين» وسائر أكابر الروم على الرجوع ، ولكنه

(١) هذه عبارة الأوامر العلائية ، ص ٥٣٦ ، وهي أكثر وضوحاً من عبارة الأصل .

(٢) إضافة من أ.ع ، ص ٥٣٦ .

كان خائفًا^(١) بسبب ما جرى منه من تباطؤ في اصطحاب الجند، وسعاية الحساد الذين كانوا قد وجدوا مجالاً في ذلك الوقت للظعن فيه^(٢)، فضلاً عن الأكراد والأتراك الذين كانوا موجودين على الطريق. ومن ثم كان يفكر في دعوة الملك «مسعود» صاحب «آمد»؛ فجاء في صحبته إلى «ملطية».

فاستبشر «جاولي چاشني كبير» بقدوم الصاحب، وحال بينه وبين صحبة الملك «مسعود» - لما كان يلازمه من نحس وإدبار. فأرسل إليه الصاحب - شاء أم أبى^(٣) حسام [الدين] چوبان الملطي فقال له: في وقتنا هذا ظهر الفتور في المملكة، وليس من المؤكد ما الذي سيطر بوجهه من وراء ستار الغيب، والمصلحة هي أن يعود الملك. ومتى وصل الصاحب لخدمة السلطان، وخاطبه في الأمر فإن الأمر يصدر من حضرة السلطنة باستدعاء الملك، ويتحدد الإقطاع.

فلما سمع الملك «مسعود» هذه الرسالة، أطال لسانه بالعتاب، وعاد إلى الشام - وهو نادم سادم^(٤) - عن طريق «آبلستان». وتوجه الصاحب لخدمة الأعتاب السلطانية، وكان قد أرسل «چاشني كبير» قبله، فأخبر بقدوم الصاحب، وبأدب يذكر خوفه وهيبته، وأنه يلتمس التعطف.

فلما بلغ الصاحب «منزل أبروق» دفعوا إليه بمنشور الوزارة وأمر باستعمالته على أكمل وجه. فقال بعد المطالعة: رغم أن هذا يدل على غاية التلطف والتكريم من جانب السلطان، فإن صدور أمر بعزل الصاحب «مهذب الدين» في

(١) إضافة من أ.ع.، ص ٥٣٧.

(٢) قارن أ.ع.، أيضا.

(٣) في الأصل: شام أبي، وفي أ.ع.، ٥٣٧: شام أم أبي.

(٤) سادم، كلمة عربية: سدم فلان: أصابه هم أو غيظ مع حزن (المعجم الوسيط).

الوقت الذي ألقى بنفسه في خضم البلاء والعناء من أجل مصالح المسلمين أمر ليس صائبًا .

٢٤٧ فلما لحق بالحضرة تم تفويض الحلّ والعقد له في الأمور كلها / ، غير أنه لم يشرع - بأي وجه من الوجوه - في مباشرة الأمور المتعلقة بوظائف الوزارة .

ذكر عودة الصّاحب مهذب الدين

من خدمة «بايجو نوين»

في هذه الأثناء قدم أصحاب البشارات بما ينبيء عن وصول الصّاحب وحصول المآرب . فلحق في أعقابهم بخدمة العتبة السلطانية ، وحكى ما حدث من أحداث وإيجاب . وكان السلطان يأمر كل لحظة بتشريفة جديدة وبثني ثناء لا مزيد عليه . وبعد ذلك جاوز شأن الصّاحب قُلة شواحق الكمال وذروة الجلال . وأرسل إليه هو والصّاحب شمس الدين في يوم واحد من حضرة السلطنة دواة الوزارة وسيف النياحة الذهبي ، وأمر له بإقتاعات وفيرة . فلم يقبل الصّاحب مهذب الدين إلا أربعين ألف درهم ، ولم يأخذ لنفسه أكثر من ذلك .



ذكر توجه الصّاحب الإصبهاني لخدمة

صاين خان من بحر الخزر

حين استرد السلطان غياث الدين زمام التدبير بهذين الشيخين القرينين العبقريين ، تراءى لهما أن ترسل الرسل إلى خدمة [الخان]^(١) الذي استولى على صحراء القفجاق بالسيف البتار ، لكي تتم إشادة وإعلاء بنيان السلطنة - الذي أصابه الخلل بسبب سوء تدبير المدابير - بتعاون بناء من جانب أولئك الملوك الفاتحين .

فعرضوا هذه الفكرة الثاقبة على الآراء العالية لحضرة السلطنة^(٢) ، وبعد التناء والاستحسان وقعت قرعة الاختيار على واحد من هذين الرجلين الكبيرين الشهيرين . لكن السلطان قال : لما كان الصّاحب «مهدّب الدين» لم ينفذ إلى الآن عن كاهله غبار السفر ، فإن على النائب «شمس الدين» أن يتصدى لأداء المهمة / ، فوضع النائب رأسه على الأرض في الحال ، وامتلأ أمر السلطان . ٢٤٨

فأصدر السلطان أمرا لأمناء الخزانة ، لكي يتركوا يد النائب «شمس الدين» مطلقة في كل ما يريد . واختار هو بدوره من التحف والطرف والجواهر والنفائس كل ما رآه لائقا ، واتجه نحو الطريق بملازمة «فخر الدين» قاضي «أماسيه» ، و «مجد الدين محمد الترجمان» . فلما وصل إلى الحضرة ، وعرض الهدايا

(١) يياض في الأصل : ولعله يعني به «باتون جوجي بن جنكيز خان» ، وكان قد أنشأ دولة كبيرة باسم «ألتون اردو» أي القبيلة الذهبية سيطرت على منطقة واسعة من شمال آسيا امتدت حتى وادي الفولجا وشملت «كييف» . ومن ثم أصبحت حدود تلك الدولة تجاور حدود سلاجقة الروم .

(٢) قارن أ . ع ، ٥٤١ .

والتقدمات حظيت على الفور بالقبول ، وتم تقسيمها في الحال على الخوامين والأمرء الملكيين . وقد تفضل قبالغ في إكرامهم ، فصاروا موضع حسد الناس وغبطتهم ، ومنح السلطان جعبة سهام ، وقربانا وسيفا ، وقلنسوة مرصعة ، وأمرأ ملكيا ، وجعله نائباً من قبله في البلاد ، وحرر بذلك كله أمرا ملكيا ، ووهب الملازمين تشريفة خاصة ، ونذب «سانقسون قرجي» لرد الزيارة .

ثم إنهم ودعوا الخدمة ، وانطلقوا إلى بلاد الروم من طريق «شماخي» و«شروان» . فزادت سعادة السلطان بوصولهم . ولما كان الصّاحب «مهدب الدين» قد انتقل إلى جوار الحق - تعالى - أرسل للنائب «شمس الدين» قبل وصوله إلى الحضرة بمنشور الوزارة مضافا إلى إمارة «قيرشهر» ، وهو أمر لم يتحقق لأي وزير من وزراء الروم ، وتعجل النائب في إدراك شرف المشول . وتوجه الصّاحب في صحبة الرسل [إلى خدمة السلطان] (١) ، وكان كلما وصل إلى مدينة ومر بها أقام أهلها الأفراح ، ونصبوا الزينات .

وقد مثل بين يدي السلطان في قرية «قرليوك» من أعمال «آقشهر» قونية ، فعرض القضايا التي كانت قد جرت في الذهاب والإياب الواحدة نلو الأخرى ، ولدى استماع السلطان لأداء الرسالة / ، وحسن القيام ، وتيسير المرام [تضاعف ٢٤٩ ما كان لديه من ثقة في كمال حصافة الصّاحب «شمس الدين» وفرط فصاحته ووفرة دهائه] (٢) . وأعطاه سيفا ذا غمد ذهبي ، وقال : كل من يتجاوز حكمة يشقه بذلك السيف نصفين ، ولا شيء عليه [ثم إن الصّاحب وسائر الزعماء ورجال الدولة والأكابر] (٣) جاءوا في حشد ضخم مع الرسل إلى قونية ، فردوا من هناك بتكريم وصلات لاحصر لها .

(١) إضافة من أ . ع ، ٥٤٣ .

(٢) هذه عبارة الأوامر العائلية ص ٥٤٣ - ٥٤٤ ، أما عبارة الأصل ، فقد ضربت عنها صفحا لراكبتها .

(٣) إضافة من أ . ع ، ٥٤٤ .

ذكر توجه الصّاحب شمس الدين والأمراء

وإغراء العساكر لغزو «سيس»

حين انتشر في كل البلاد خير اجتماع العساكر للتوجه إلى ولاية الكافر، أخذ الخاص والعام يتسابقون في ذلك الأمر واجتمعوا بنية الغزاة في «قونية» المحروسة ، ولحقوا «بأراكلية» بقلب قويّ وعزم صادق . وهناك تخففوا من الأثقال . وأحاطوا فجأة كالبحر الأخضر بسور طرسوس ، ونصبوا المنجنيق .

وأخذ الأمراء الكبار يشنون الهجمات بجنود جرّارة في أطلال الأرمن ودمنها، وكل ما كانوا يعشرون عليه إمّا يحتفظون به لأنفسهم أو يرسلوه إلى البلاد . وأحرقوا الأشجار والمزارع ، ولم يميزوا الإبقاء على شئ بأي وجه من الوجوه ، وأحدثوا بضرّب المنجنيق ثغرات واسعة في الإيوان والقصر وأسوار الدور والقصور في «طرسوس» ، ولو أنهم ظلوا على جهادهم يوماً واحداً آخر، لكان قد تحقق لهم الظفر .

لكن الحسد المتأصل لديهم حملهم على الخذلان ، فكانوا يقولون : نستولي نحن على الولاية ، ويكون الاسم للصاحب «شمس الدين» [فأخذوا في إبداء المماطلة والتراخي] ^(١) ، وفجأة فتحت السماء بالأعزل ^(٢) ، والطّاب من السحاب ، وأخذت تمطر ليل نهار حتى تعذّر على الجيش بأسره التردد إلى الخيام .

(١) إضافة من أ. ع ، ص ٥٤٦ .

(٢) في الأصل : عزالي ، وأعله يريد به الأعزل (كلمة عربية) : وهو ما لا مطر فيه من السحاب .

كما وصل الأمر من الأعتاب السلطانية إلى الصاحب : أن تعال إلينا ، فما حدث إنما كان بسبب المياه التي تجمعت بفعل المطر . قال الصاحب [للأمراء] ٢٥٠ لا يجوز ترك الأمر مبتورا ، وأرى أن نتصالحوا مع هذا الكلب العقور ، ولنزموه بأداء الخراج ، وأرسل ليلا إلى «تكور» في السر يزعم أن الأمراء لا علم لهم بشيء ، وقال له : كنت دائما أرعى جانبك ، وحلت بين السلطان وبين دخول بلادك بضع مرات ، وكنت أدافع عنك هذه المرة أيضا . ولكن لأن البحر كان مائجا ورياح السخط عاصفة بسبب أنكم ارتكبتم كل رذيلة وسوء خلق وقت انكسار الجيش في «كوسه داغ» ، وما تركتم مجالاً لعذر ، فقد اضطرت لتجريد الحملة ، والأمر هين عندي لأنني لو أردت لاستخلصت [المدينة] في ساعة واحدة .

أليس من الأفضل لتكور أن يتقدم بقدم الاستغفار ، ويقرع باب الصلح ، ويرسل الأحمال إلى الخزانة ، لكي أتوسط وأزيل غبار الوحشة من البسین ؟

فلما سمع «تكور» هذه الرسالة دبت فيه الروح ، وأجاب ، ثم أرسل رسولا إلى الأمراء بطلب الأمان ، وسلم قلعة «براکتاراه» مع بضعة قلاع أخرى لمالك السلطان ، وسير خراج الماضي والمستقبل مع الهدايا .

وارتحل الأمراء والعساكر ، فبلغوا «أراكلية» بألف حيلة [وبعد عناء شديد] وقيت الأمتعة والأحمال في الأوحال . فلما لحقوا بخدمة الأعتاب السلطانية ، كانت قد مضت سبعة أيام على انتقال السلطان إلى رياض الآخرة ، فانهمكوا في العزاء والبكاء . وبعد ثلاثة أيام جرت المشاورة بينهم .



ذكر جلوس السلطان عز الدين كيكائوس على سرير السلطنة

فكر الصاحب «شمس الدين محمد» مع رفاقه الأربعة : «جلال الدين قراطاي» ، و«خاص أغز» ، و«أسد الدين روزبه» أمير الجامدارية ، و«فخر الدين بكر پروانه» : أي الأمراء الثلاثة يجلسونه على عرش السلطنة : عز الدين كيكائوس ، أم ركن الدين قلعج أرسلان ، أم علاء الدين كيقباد ؟

فوجدوا عز الدين كيكائوس قد امتاز على أخويه الآخرين بحسن الطلعة وجمال الأبهة وعلو مرتبة السن ، فقصروا الكلام ، ومدوا الأيمان للمبايعة ، وحلفوا بالأيمان الغلاظ على متابعة حكمه ، وحملوهم من قلعة «برغلو» إلى «التونناش» من أعمال «أقشهر قونية» ، ووضعوا كرسيين ملكيين على يمين العرش ويساره ، فجعلوا مكان ركن الدين قلعج أرسلان على اليد اليمنى ، وعلاء الدين كيقباد على اليد اليسرى . واتخذ الصاحب شمس الدين ، وخاص أغز مكانين عن يمين السلطان ويساره ، وأجلسوه على عرش القيادة ، ونشروا الدينار .

ثم إنهم اتجهوا إلى «قونية» ، وهناك أجلسوا السلطان مكان أبائه الكرام ، واستقر الرأي على أن تكون الوزارة للصاحب «شمس الدين» ، والنيابة «لقراطاي» وملك الأمراء «لخاص أغز» ، والأتابكية «لأسد الدين روزبه» ، والحجابه^(١) «لأبي بكر العطار» . وسطر «شمس الدين محمود الطغرثاي» المعروف ببابا منشورا باسم كل منهم ، فحصلت له بتلك الكتابة نعمة وفيرة ، فنقده «شمس الدين خاص أغز» مبلغا قدره خمسين ألف درهم .

(١) پروانكي : تعادل منصب الحجابه ، ومفردها «پروانه» ، انظر فيما سبق ص ٥٤

وبعد إحكام قواعد الملك والدولة نهضوا جميعاً بتسيير أحكام الملك ، وكانوا يتداركون أمور الجمهور بالاتفاق فيما بينهم ، ولكن بسبب المصاهرة التي حدثت حين زوج «خاص أغز» كريمةته «لمبارز الدين بيرم» ، ابن أخت «أسد الدين روزبه» /وما كان بين الخاص وروزبه من اتفاق كلي ، فقد كثر رجوع معظم الناس إليهما في جلائل الأمور ، ولم يكن هناك من أمر يرمره الصاحب ورواياته مالم يكونا راضيين عنه .

فاندلعت نار الحسد في باطن «نصرت» أمير العدل ، وأبى بكر پروانه . ومع أن الصاحب لم يكن يلقي إلى ذلك بالا ويشغل أوقاته [بعد الفراغ] من الديوان بمطالعة الكتب ومجالسة العلماء والزهاد ، وكان يريد أن يدفع استبدادهما واستقلالهما بالأمر على أحسن وجه ، وألا يجعل عرضهم مضغرة لكل شامت وحاسد من أجل تحصيل ما فسد من أغراض ، لكن «نصرت» أمير العدل بما اشتمل عليه من غيث النفس وفساد الاعتقاد ، كان يختلق للصاحب كل لحظة حديثاً مزعجاً وخبثاً مهيجاً من قبل «خاص اغز» و «روزبه» ، ويشفع ذلك كله [بالأيمان الكاذبة]^(١) ويلفه في نفس اليوم إلى مسامع الصاحب .

إلى أن وصل الأمر بالصاحب وما له من طبع ألوف - بمرور الأيام - فأظهر نفوراً من^(٢) خائفاً متوهماً ، وهو ما رضي أن يعيش في تلك البلاد إلا سالماً آمناً ، ومن ثم عزم على المسير للعمل في خدمة السلطان «ركن الدين قلع أرسلان»

(١) سقط من الأصل ، انظر أ . ع ، ص ٥٥١ .

(٢) كذا في الأصل وفي أ . ع ، أيضاً ، ولم يكن ركن الدين قلع أرسلان قد أصبح في تلك الفترة سلطاناً ، وإنما صدر أمر الخان المغولي بعد ذلك بأن يتولى السلطنة مع أخيه عز الدين كيكابوس مشاركة ، انظر فيما يلي ص ٣٢٠ .

- الذي كان قد فُوض في عهد أبيه في التوجه إلى حضرة [الخان الأعظم القبچاق]^(١) فأعدَّ عدة السفر .

و ذات يوم تسلل «نصرت» أمير العدل - مع بهرواته إلى بيت الصاحب ، وقالوا : قد اتضح للمقاتلين في ربوع البلاد - كالنهَار الساطع المبين - أن السلطان «غياث الدين» قد فوض - في أوقات حياته وسكرات مماته وصاية الأولاد وكفاية الرعايا والبلاد لرأي الصاحب الثاقب ، ولما كان الصاحب قد أزمع على الرحيل الآن/ فإنه إنما يعطل بذلك مسند الوزارة - الذي هو بمحياة الرائع ٢٥٣ كالسماء الرابعة التي تتيح للشمس أن تتجلى وتظهر - فتبقى بذلك مصالح الخلق مهمة ، ومخل النكبة بالملك والدولة ، فيظهر بذلك اختلاف الكلمة وافتراق الجماعة ويكون ذلك بسبب إهمال الصاحب . فإن كان الذي يحمله على ذلك تغرد «الخاص أغزه» و «روزبه» فإن من اليسير علينا دفع ذلك إن تلقينا إذناً من حضرة الوزارة .

فرضي الصاحب بعزل الخاص وروزبه واعتقالهما ، ووكل ذلك التتكيل لبهرواته وأمير العدل . فقالوا : ينبغي ألا يعدل عن ما نراه صوابا ، إذ لا بد لنا أن ندعوهما إلى قصر الصاحب للعيادة ، ونقيدهما في الخلوة ، ونبعث بهما إلى حيث يأمر الصاحب . فرضي الصاحب بذلك كله .



(١) بياض في الأصل ، وهذه زيادة يقتضيها السياق ، راجع فيما سبق ، ص ٦١ .

ذكر احتيال پروانه وأمير العدل و اغتيال الخاص أغز وروزبه في قصر الصاحب

حين انصرف «أبو بكر پروانه» وأمير العدل من عند الصاحب ، شرعا في دعوة قادة السفلة في «آقشهر» و «آبكرم» - وكانوا على الدوام يزحفون هاربين في شقوق ما للحدائق من أسوار ، خشية قادة الشرطة بالمدينتين ، فأتاهم بالقسم المغلظ ، بل وعداهم بالإقطاعات والتشريفات ، وأخذاهم فأحفياهم بالليل في غرف الخدم التي كانت تحيط بساحة قصر الصاحب ، بطريقة لم يطلع عليها مخلوق ، وجرى الاتفاق على أنه متى جاء الأميران لخدمة الصاحب ، وتحققت الخلوة ، نطق «نصرت» بكلمة «قوزي»^(١) ، فيشب السفلة الأنجاس خارجين من المكامن ، ويقضون على الأميرين .

فلما اكتمل ذلك التندليس والتلبيس ، كان الصاحب قد تمارض قبل ذلك ببضعة أيام ، واستلقى على الفراش ، وذات يوم في الصباح الباكر ذهب ٢٥٤ «نصرت» إلى خدمة «الخاص» أغز / ، وقال له : منذ بضعة أيام والوزير ملازم للفراش ، ويشتد به المرض كل يوم ، وقد اهتم الأكابر بالسؤال عنه وعبادته ، فلو أنك تفضلت بتكيد شيء من المشقة في الذهاب إليه اليوم ، فلعله إن كان عنده أمر أو وصية فيعرضها^(٢) عليك ، وهو مالا يخلو من فائدة .

قال «الخاص» أغز : رأيت الليلة أحلاما ساءتني ، فأنا بسببها متوتر مضطرب ، كما أن حساب الرزق على أساس التنجيم والأحلام أمر مذموم . ولكن لارجع (١) كذا في الأصل ، وفي أ. ع. ٥٥٤ : قورى نام ايريق او بود: يعني «قورى» اسم ايريقه .

(٢) كذا في أ. ع. ٥٥٤ ، وفي الأصل : عرض داريد : تعرضها أنت .

العيادة إلى الغد ، ولنرفع اليوم كؤوس الشراب [برغم دورة الفلك الجائر]^(١)
قدفع «نصرت» كلّ نعلّة ، وحمله على أن يرسل إلى «أسد الدين روزبه»
فيستدعيه إليه ، وانطلق كلاهما بالحواشي والحشم .

فلما اقتربا استيق «نصرت» زاعما أنه سيعلن عن [مقدمهما]^(٢) ودخل
الحجرات ، وزاد السفّاكين ترغيبا ، وشجّعهم ، ثم عاد ووقف على الباب مرحبا .
وبخداعه لم يسمح لكلّ واحد منهما إلا أن يحمل معه جرموقا^(٣) عند دخولهما
على الصّاحب .

فلما دخل الأميران كلاهما ، أحكم نصرت إغلاق الباب ، وانطلق أمامهما
إلى خدمة الصّاحب في الحمام ، فلما دخلا شرعا بعد السلام والتحيّة في
السؤال وإبداء التعاطف ، وهنا نطق «نصرت» - وفقا للاتفاق المسبق - بكلمة
«قوزي» ، فوثبوا جميعا من المكامن والغابيع إلى الباب ، ووقفوا أمام الصّاحب
بالحرية والسيف البتار ، وأخذوا في ضرب «الخاصّ أغز» وأمير الجامدار . وكان
أغز يصيح : يا مولاي الصّاحب ، هذا الصّنيع ليس من باب الوفاء والمروءة ، ولا
يُنْتَظَرُ صدوره منكم ، وكان كلما صاح تلقى المزيد من الضربات .

٢٥٥ فلما أراقوا دم هذين الكبيرين اللببيين / فصلوا الرأس عن الجسد ،
وعلقوهما من فوق الجوسق الخشبي الذي كان قد تمّ تركيبه للزينة على بوابة
«السلطان» ، فلما رأى المتعلقون بهما والحشم ذلك ، قرّوا ، وتسللوا إلى
الأركان الخفية ، وانطفأ كل ما كان لأغز وروزبه من صولة وصلابة وسهّم

(١) كذا في أ.ع ، ٥٥٤ ، وفي الأصل : بخادم ، (أي إلى الخادم) ، ولا معنى له .

(٢) إضافة من أ.ع ٥٥٥ .

(٣) انظر فيما سبق ص ١٣٧ هامش ٢ .

حَسْمٌ^(١) في أقلّ من ساعة واحدة ، وأمّحت كلمة وجودهم من صحائف
الزّمان ، (بيت)

فَكَانَتْ لَوْعَةً تَمَّ اسْتَقْرَتْ كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَار

كان «شمس الدين الخاص» أغرّه غلاما رومي الأصل ، غير أنّه كان ذا
فضل وافر وعبرة باهرة وخطّ كسمط الجواهر ، إن فاض عطاؤه ما كان يقيم
للسحاب وزنا ، بل كان يعدّ حاتم [الطائي] بخيلا . قد أنشأ رسالة في مناظرة
الصبح والخمر ، ويمكن الاستدلال على فضله بتلك [الرسالة] والفصل .

أمّا روزبه ، فمع أنّه لم يكن متأدّبا ، إلا أنّه كان فريدا في كفاءته وخبرته
وعفته وديانته .

أجل ؛ ثم إنّ «نصرت» أطلق السّفلة والأوباش على دورهم ، وأسلمها لريح
الغارة ؛ وركب الصّاحب ، وأجلس السلطان ، وطاف حول الخندق بالمظلة
والرّاية ، ونزل الدّيوان ، وأرسل النّاس في طلب أقارب القتيلين ومن يتعلّقون بهما ،
فحبس بعضهم ثم قُتل ، بينما أمر الصّاحب بإطلاق بعضهم . وعند صلاة
العشاء لم يبق في دورهم وديارهم ديار .



(١) قارن أ . ع . ٥٥٥ .

ذكر استدعاء الصّاحب «لشرف الدين محمود الأرزنجاني» ،

وسبب تبدل العداة بالصداقة

حين وقف «الصّاحب شمس الدين» من تلك المكيدة - بمقتضى
النصيحة القائلة : «اللييب من / وعظ بغيره» - على خبث عقيدة «أبي بكر
پرواته» و «نصرت المجنون» ، ولأن الصّاحب لم تكن له صلة قرابة بأحد لا يزوجة
أو ابن أو قريب ، فقد جعله ذلك كله يشعر بخوف دائم من غدرهما ومكرهما
في «قونية» .

٢٥٦

وذات يوم أسرّ بالأمر «لشمس الدين بابا الطفرائي» ، وأخذ يبحث معه عن
وسيلة ينير بها - بمصقل تجربته - مرآة فكره التي أصابها الصدأ . أجاب
«الطفرائي» : فليأمر الصّاحب الأعظم - إن شاء - بإرسال أمر من جناب الوزارة
لاستدعاء «شرف الدين محمود» - قائدة قوة أرزنجان - كما يستصدر باسمه
منشورا بتولي منصب ملك أمراء الروم ، ويبعث بذلك كله إليه . وحين يتم
حضوره إلى الأعتاب ، وتتوالى أنواع الاصطناع من حضرة الوزير ، يتمين عند
ذاك الشكوى من «پرواته» وأمير العدل ، أحيانا بالتعريض وأحيانا أخرى بالكتابة ،
ويترقب الصّاحب ماذا يكون جوابه في هذا الصدد ، فإن وقع الجواب مطابقاً
لمصلحة ممالك الصّاحب ولإرادتهم ، فيجوز عندئذ مصارحته بالأمر ، وبهذه
الوسيلة يمكن العثور على مخرج ومخلص عن طريقه .

فبدا هذا الرأى موافقاً للصّاحب ، وفي الحال كتب أمراً متضمنًا الألفاظ
متجاوزا الأوصاف ، وأرسله إليه خفية على يد «سابق أولاجي» . وما إن طالع
[شرف الدين] رسالة الصّاحب حتى التمعت أسارير مسرته ، وولى وجهه بجمع

وحين سمع الصّاحب وسائر الأركان خبر قدومه ، رأوا من الواجب المبادرة باستقباله ، وجعله الصّاحب بأصناف الألفاظ سغباً^(١) لإحسانه ومملوكاً مدعياً له .

فلمّا مضت مدة على هذا الحال ، جرى على لسان الصّاحب ذات يوم في أثناء التنزّة قوله : إن من رأينا / أن يتحرّك موكب السلطنة إلى «سيواس» ، ويرواها وأمير العدل لا يرضيان بذلك ، ولا يريدان مفارقة مدينتهما ومواطنيهما ومعظمهم أقاربهم وأتباعهم^(٢) . وذلك أمر يستوجب اتفعال الخاطر انفعالا تاماً بمؤامرتهما التي أهلكا بها الأميرين . فلم تعد لي ثقة بأفعال هذه الجماعة وأقوالها وباطنها ، وعالم السرّ والعلانية شاهد على أن رضائي لم يكن مقرونا بإزاحة دم^(٣) هذين الشّهيدين ، لأنني كنت قد وقعت بينهم « كالثعرة البيضاء في اللّمة السوداء»^(٤) ، وظللت محروماً من إسعاد المحير وإعجاب المشير ، ولقد غلت مراحل فتنهم وإحنتهم ، وما تابعت مرادهم ، إلا لفرط الاضطرار ، واستسلمت لسوء الذّكر في الدّارين ، وحُرمت من مصاحبة الأمراء الذين كانوا قد نشأوا ونما منذ عهد الطفولة في حجر تربيتنا ، وكانوا يرون الدّنيا بعيوننا نحن ، وما ذلك إلا بسبب حبت هذين المشؤومين ووشائيهما .

وفي أثناء الكلام جرت قطرات العبرات على وجنتيه الكرّيمتين ، فأخذت

(١) في الأصل : سغبة ، كلمة عربية ، والسّغب : الجوع .

(٢) إضافة من أ. ع ٥٥٩ .

(٣) ريختن خون ، وفي الأصل : بهتن خون ، ولا معنى له . قارن أ. ع . ٥٦٠ .

(٤) كذا في الأصل بالعربية .

الأمير «شرف الدين» رقةً لسلامة نفس الصاحب وصدق نفسه ، وأجاب قائلاً :
 إذا كان الصاحب الأعظم قد حزم أمره على أن ينطلق موكب السلطنة إلى
 «فيسرية» و «سيواس» فمن ذا الذي يجرو على أن يضغ يد الرد على صدر مراد
 عماليك حضرته . ولكن كان مولاي قد ظل متوقفاً في المسير إلى الآن ، فما ذلك
 إلا بسبب غيبيتي . أما بعد أن أمسكت يد الاعتصام مني بالعروة الوثقى لسرج
 الصاحب الأعظم المبارك ، وتشبثت بها ، فإن كل ما يأمر به ويراها يشمر هذا
 المملوك عن ساعد الحد لتنفيذه وتحقيقه بالقلب والروح .

و حين سمع الصاحب هذه الكلمات من «شرف الدين» سكن قلبه الجامح
 ٢٥٨ وهذا / ثم أعلن أمراً بالطغراء^(١) بتلك القضية ، وزاد تمكته . وقال : لا شك
 أن الشمس^(٢) حين تصل إلى الشرف يظهر وبال الخصم متقلبا .

و ذات يوم حين تصادف أن خلا الثلاثة ببعض تشارورا في كيفية البدء في
 إعادة هذين الشريين الخبيثين . قال «شرف الدين» : لن يتحقق ذلك ما دام
 كلاهما موجوداً في هذه المدينة . قال الصاحب : إن كل همتنا منصرفة - وفقاً
 لقرار السلطان «غيث الدين» - إلى تسيير الملك «ركن الدين» إلى خدمة الخان
 الأعظم^(٣) ، ولقد كنا قبل هذا قد تصدنا لتلك المهمة فلنجعل «نصرت» أمير
 العدل ملازماً له في خدمة ركابه ، ومتى وقعت الفرقة بينهما على هذه الصورة ،
 فربما يلوح وجه ما نسعى إليه . فقال الإثنان : نعم الرأي .

وفي اليوم التالي حضروا إلى الديوان ، فساق الصاحب الكلام إلى أن قال :

(١) انظر فيما سبق ص ١ هامش ١ .

(٢) في الأصل : تمس وهو تصحيف .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، لا وجود لها بالأصل ، ومكانها يبايض أيضاً في أ . ع .

بتعيين إيفاد الملك «ركن الدين» بأسرع ما يمكن ، حتى لا تتلف المهّمات التي جرى إعدادها منذ مدّة طويلة . وكل من يقع اختياركم عليه من بين الحاضرين يسير في خدمته . قال : كل من يشير إليه الصّاحب ينهض بهذه المهمة . قال الطغرائي : [لا أحد يليق بملابسة هذه المهمة الدقيقة أفضل من أمير العدل]^(١) . قال پروانه : ليس هناك من يفضله ، ومن ثمّ ألزم أمير العدل والتّزم .

وبعد بضعة أيام انطلق في خدمة الملك ركن الدين - نافذ الأمر - نحو «سيواس» . فلما أصبح ووصولهم إلى «سيواس» أمرا معلوما ، سلك الصّاحب «وشرف الدين» و«الطغرائي» - أثناء التنزّه في خدمة السلطان في أحد الأيام - طريق «آقسرا» . وأرسلوا رسولا إلى «قراطاي» لكي يؤمّن البيوتات والخزائن ، ثم يحملها ويلحق بحضرة السلطنة بسرعة . فلما رأى «پروانه» هذا الأمر أصابه الذّهول وصرخ قائلا : / لماذا تغادرون فجأة على هذا النحو دون سبب واضح ، ودون مشورة ؟ وغلبته الأوهام بحكم المثل القائيل «الخائن خائف» [وتصور أن يكيدوا له كيدا في الطريق ويتأمرون عليه]^(٢) ، فطلب الإذن بالعودة ، وأعدّ عدّة السّفر لكي يعود أدراجه .

فلما جاء إلى المدينة دعى إليه «الأخيان»^(٣) والشّباب ، واستغاث بهم :

(١) هذه عبارة أ . ع ، ٥٦٢ ، وعبارة الأصل فيها من التصرف ما يخرجها عن تتابع السياق .

(٢) إضافة من أ . ع ، ٥٦٢ .

(٣) كذا في الأصل : أخيان ، مفردا أخي . وهو الشخص الذي يتنرج في سلك «الفتيان» وقد جمعها ابن بطوطة في رحلته : أخية ، وقال : «واحد الأخية أخي على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم إلى نفسه . وهم بجميع بلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقية . إلخ» (رحلة ابن بطوطة ، طبع مصر ، ص ١٨١) .

فأجابوا قائلين : إن الصَّاحِبَ حاكم المَلِكِ وكافلِ مصلِحِ السُّلطانِ «عز الدين»
 بوصيةِ السُّلطانِ «غيث الدين» ، والسُّلطانِ - وهو مالك المَلِكِ - في يده . ولن
 نستطيع أن نعلنِ المصيانِ للسُّلطانِ ونُظهِرَ كفرانِ التَّعَمَّةِ^(١) بسببِ ما نُؤيِّدُ بينكما
 من غبار . وفي تلك الأثناء أُرسلَ «شمس الدين يوتاش» لقيادةِ قوَّةٍ «قونية» ،
 فخَفَّ «الأعيان» والأعيان جميعاً لاستقباله .

فلما عاين «پروانه» كساد سوقه ، حاول أن يحمل ابنه على التوجُّه إلى
 «سيس» ، فلم يسمع كلامه ، وأعرض عنه كلَّ ذويه . فأخذ هو وابنه يبحثان -
 نادمين سادمين - عن ملجأ في المزارع ، لأن «يوتاش» كان قد سدَّ كلَّ الطَّرِيقِ ،
 وأقام عليها الحُرَّاسَ .

وحين وصل الصَّاحِبُ إلى «سيواس» أمر بأن ينال أمير العدل جزاء خيشه
 ومكائده فهو الذي فكَّرَ في إهلاك الأُميرين الشَّهيدين ، وأرسله مخذولاً مكبلاً
 إلى قلعة «هاويك» ، ثم أوفد من قبله أحد كُفَّاءِ الدِيوانِ - وكان موصوفاً
 بالصَّرامة - لتدارك أمر «پروانه» وابنه في قونية . فلما بلغها من ناحية «برزك»
 أمسك - لكفَّاءته - بيروانه وابنه ، وأرسله إلى قلعة «دارنده» . بينما حمل ابنه
 إلي «كاخته» . فانطقت بهذه الوسيلة جمرات الفتن من عراض البلاد ،
 وقضيت المهجمات وفق مقتضى خواطر [أنصار الصَّاحِبِ] ، واتفق الصَّاحِبُ
 و«شرف الدين» سوا كالماء والراح ، وصرف المَلِكُ «ركن الدين» إلى خدمة
 [الخان الأعظم]^(٢) وفق العادة والسنة المملوكية . وجعل في خدمته القاضي
 «كمال الدين الختتي» و«عز الدين محمد شاه» - وكان في ذلك الوقت
 مشرف الممالك - و«بهاء الدين يوسف بن نوح الأرزنجاني» .

غير أن الهبة والمصافاة بين الصَّاحِبِ و«شرف الدين» قد انتهت إلى عداة
 ومجافاة ، وتبدل الأُنس بالوحشة .

(١) قارن أ . ع . ٥٦٣ .

(٢) سقط من الأصل ، ويأخر في أ . ع . ٥٦٤ .

ذكر التوتّر الذي وقع بين الصّاحب الإصفهاني

وشرف الدين الأرزنجاني

كان السبب في ذلك أن المتعاقلين^(١) من أهل الفضول تكلموا - رغبة في ترويح سوقهم - عن تزويج الصّاحب بوالدة السلطان . وسارعوا - في الترويح واللحظة - بنقل الأمر من مجرد الفكر إلى حيّز العمل ، فتمّت مراسم النكاح ونثر السكر دون أن يكون «لشرف الدين» أدنى علم بذلك . فأثف «شرف الدين» وبغية أمراء الرّوم من هذا الأمر ، ولعلّت آثار تلك الأنفة على جباه الحميّة عندهم . وقتل «شرف الدين» أسباب العتاب مع الصّاحب في ذلك الباب وعدّ المؤاخذه عن ذلك أمراً لازماً . ولم يشأ أن يقبل أيّاً من الأعذار التي كان بيدها الصّاحب .

إلى أن تناهى إلى سمع الصّاحب ذات يوم أن «شرف الدين» قد غضب على حفيد ملك «أخلاط» - وكان والحالة هذه منخرطاً في زمرة أمراءه - وأنّه أجرى عليه حكم الإعدام . فبدا الانفعال على الصّاحب بذلك المقال ، ووجه لشرف الدين توبيخاً كاملاً على أنّه يادر بهدم وجود إنسان ، وما هو إلا بنيان الله ، سيما وأنّه ابن ملك من الملوك «وأنّه إنّما أصبح خادماً لك بسبب ما جرى عليه من جور دورة الفلك . وإن الرضا بذلك إنّما يعد عن التديانة والمروءة» .

فتوجّس «شرف الدين» خيفة من ذلك . وذات يوم بينما هو في أثناء الترتة سلك بدوره طريق «أرزنجان» ، وحرصاً من الصّاحب على ألا يتفاقم العداء أوفد «تاج الدين سيمجوري» مع «نظام الدين أستاذ الدار» إلى «شرف الدين» . فلما لحقاً به أجاب «شرف الدين» - لقرط تنمّره - بإجابات يعدّها ذوو العقول من

(١) كذا في الأصل . متعاقلان ، كلمة عربية ، وتعاقل : أرى من نفسه ذلك وليس به .

باب خرافات أرباب السفاهة والحماقة^(١) . مجمل القول أنه تمّ الاتفاق معه في حضور «نجيم الدين» قاضي «سيواس» وغيرهم من الأكابر على أن يتلقى ثلاثمائة ألف درهم من أموال الخاص إضافة إلى قيادته لجند «أرزنجان» و «نكيسار»^(٢) . وذلك لكي يقيم على حدود البلاد ويراقب الصادرات والواردات . وتعاهدوا جميعا على ذلك كله ، وحطّموا قارورة الخلاف . ثم ولّوا وجوههم شطر أعتاب السلطان . لكنهم ما إن رجعوا حتى كان «شرف الدين» قد سلك طريق العصيان والتمرّد ، وحشد الجند ، وجاء إلى «نكيسار» .

فلما علم الصّاحب بنقضه [للعهد] أرسل «شمس الدين يوناش» بجيش كبير لمحاربه ، فألحق به الهزيمة في «خروقي» من أعمال نكيسار ، ففرّ إلى قلعة «كساخ» ، وتحصّن بها فأرسل الصّاحب كلّ قادة الجند لمحاصرته . وتمكّنوا بالمكر والخداع من أن يجعلوا أهل القلعة يتوجّسون خيفة منه . فلما أصبح معلوما «لشرف الدين» ما كان من اتفاق كلمة الأمة ، أرسل رسالة إلى الأمراء الذين جاءوا في طلبه ، وطلب الأمان ، ووسّطهم لكي يلتمسوا الأمان لحياته من الصّاحب ، الذي كتبوا إليه كتابا بهذا المعنى . فأصدر الصّاحب صحيفة الملتمس جوابا لذلك الملتمس ، ففرّه ذلك ، ونزل من القلعة وسار مع الأمراء .

٢٦٢ فلما / وصلوا إلى «چينوق» لحق بهم رسول مسرع من قبل الصّاحب ، وطلب منهم أن يفصلوا رأس شرف الدين عن جسده ، ثم يرسلوا بها إلينا . فسلمه الأمراء إلى الرّسول فقتله وأبلغه درجة الشهادة ، وفصل رأسه عن جسده ، ووضعه في كيس ، وعلّقه في مسمار بمنزل كان قد نزل به بقرية «چينوق» .

(١) قارن أ . ع ، ٥٦٦ .

(٢) أيضا ، ٥٦٦ - ٥٦٧ .

وبعد مدة تصادف أن قُتل الصَّاحِب فبلغ درجة الشَّهادة في «قونية» ، فأرسلت رأسه إلى «سيواس» ، فعلق بنفس المسمار بذلك البيت .

أجل : ولما فرغ بال الصَّاحِب من تشويش «شرف الدين» أرسل أمرا بأن يتم حنق «پروانه» في قلعة «دارنده» وابنه في «كاخته» بوتر القوس . فأصبح الصَّاحِب منذ ذلك الحين مرفه البال كليَّة من الخصوم .



ذكر استقلال الصّاحب شمس الدين في مسند الجلال

حين التقت مواكب هية الصّاحب في مدارج التوفيق بالسّعادات السّماوية ،
وأمسك بالبلاد بكفّ ضبطه وتدييره ، عمد إلى تقسيم أوقاته وتوزيعها ، وترتيب
لذاته الجسمانية والرّوحانية .

كان إذا حلّ الثّلاث الأخير من اللّيل جلس على مسند الوزارة^(١) ، ثم يبدأ
الحفّاظ في القراءة بالتّناوب فيتمّون جزءاً من الأجزاء الثّلاثين بالأحان تنعش
الأرواح وأصوات تزيّل الغمّ والحزن . فإذا ما أذن المؤذّن : قد قامت الصلاة ، أداها
الأصاغر والأكابر في القصر جماعة . فإذا ما أداها حتى أداها على سبيل الوجوب
كان قابضُ الدّيوان يأتي إليه بالمنشورات والأوامر التي كانت قد كتبت بالأمس ،
فيطالعها ويصلحها ثم يوقّعها . ثم يأذن للأمرء بالدخول للسلام .

يضع من ثمّ القلنسوة على رأسه ، ويلبس أحياناً عباءة صوفيّة مخيطة
الذهب قد بثّت على أرجائها حبات من نفائس الأنواب العنابيّة والفطنيّة والنسيج ،
فيتلفّع بها^(٢) ثم يركب / ويشرع في التنزّه ، ومتى عاد مدّ الخوان السلطاني ،
ثم أقيم ديوان على أفضل ما يكون من الأبهة والجلال . فيجلس المترجمون
والمنشؤون عن اليسار واليمين ، كلّ على قدر مرتبته ، ويتكلم الصّاحب وحده في
ركن من أركان العرش ، ويجلس «قراطاي» و «شمس الدين بابا» على
ركبتيهما من بعيد في خدمته ، ويقف أمير السيف الذّهبي على الصّفّة وقد علّق

(١) قارن أ . ع ٥٧٠ .

(٢) هذه عبارة أ . ع ، ٥٧٢ ، وعبارة الأصل : وأحياناً يضع على رأسه فضية مخيطة
بالذهب .

سيفه في حمائله ، فيفصلون في دعاوى [المظلومين] (١) .

وحين بهمّ الصّاحب بمغادرة الدّيوان إلى مقر إقامته يمدّ الخوان السلطاني ، ثم ينتشرون بعد رفعه . وينال الصّاحب قسطا من الراحة ثم يعود متبخترا إلى الصّفة ، فيطلب مولانا «تاج الدين التبريزي» ، ويحثان سويا في أنواع العلوم ، ويؤدون صلاة الظهر في جماعة ، ثم يدخل «ولي الدين الخطاط التبريزي» ، فيأخذون في تجويد الخطّ حتى صلاة العصر .

وبعد صلاة العصر كان يمضي إلى الميدان ، حيث يتنزّه حتى تصفرّ الشمس ، ثم يعود إلى بيته . وبعد أن يصلي العشاء ينعقد الحفل ، وينشغلون حتى منتصف الليل بسماع قصائد الفضلاء - الذين أتوا للالتجاج من مختلف البقاع - بالفارسية ، والعربية ، والخطب ، والرّسائل . ويجري البحث في أنواع العلوم سيّما التواريخ .

عاش على هذه الوبيرة سنتين وفجأة فرقت عين اللامة سلك تلك الرّاحة وبدّتها .

وجاء الخبر بأن رجلا يدعى «تركلي أحمد» قد خرج في ناحية «الأوج» ، وأنه ينتسب إلى السلطان «علاء الدين» ويزعم أنه ابنه ، فدفع الصّاحب بالجنّدة وقادة الجند لدفع ذلك الخارجي ، فلما التحم الجيشان ، وتحقّق لدى الأمراء ما يتمنّع به الخارجي من قوة وشوكة ، عمدوا إلى إيقاف القتال لعللا ومماطلة ، وأرسلوا رسولا مسرعا إلى الصّاحب طالبين المدد ، فأرسل الصّاحب المفاردة والمرزقة في صحبة «خطير الدين» أمير العدل . وكان قد سبق للصّاحب أن رفع

(١) إضافة من أ . ع ، ٥٧٢ .

الخزائن والأموال للبلاد الخاني في صحبة «أبي بكر الجويني» أمير العارض^(١) ،
فخلا بذلك قصره - وفقا للحكم السَمَاوي - من الحماة والحراس .

وفي هذا الوقت نفسه وصل الخبر بأن الملك «ركن الدين» قد عاد من
خدمة [الخان الأعظم] ، وأنه منحه السلطنة . وأن الأمراء الملازمين لموكبه قد
خامرتهم فكرة التآمر على الصّاحب ، وأن أحكاما صدرت بالتنفيذ في هذا الصّدّد .
وأن «صارم الدين إيسارو» [الخازن] و «فخر الدين سيواستوس» [غلام والدة
السلطان غياث الدين]^(٢) سيلحقان بهم ومعهما مرسوم بالقبض على الصّاحب .

وأرسل جلال الدين قراطاي وابن الطوسي إلى الصّاحب : حتى ولو وصل
مثل هذا الحكم فإننا نعدّ سيدنا الصّاحب حاكما وقُدوة لنا . إلا أنه ينبغي عليه أن
يتفصّل من الآن فصاعدا بترك التبوّش^(٣) ، ويأتي إلى الدّيوان بغلام أو غلامين
أحدهما «دواندار»^(٤) والآخر «سرموزه دار»^(٥) .

فقرّ الاطمئنان من قلب الصّاحب وزايله الهدوء بسبب تلك الرّسالة ، وأيقن
في قرارة نفسه أن الحساد والأضداد يسمون للقبض عليه وإهلاكه . فليس تشريفه
«صاين خان» ، ونصب بضعة غلمان كان يمتلكهم على الباب والسور . وأرسل

(١) قارن أ . ع ، ٥٨٤ .

(٢) إضافة من أ . ع . أيضا .

(٣) في الأصل : حواشي ، وفي أ . ع ٥٨٤ : يواشي ، كلمة عربية ، والتبوّش يعني
الإكثار من الاختلاط بالناس .

(٤) كذا في الأصل دواندار ، ومعناه حامل الدواة ، منشق . كاتب .

(٥) كذا في الأصل : سرموزه دار : وهو من يلبس الجرموق ويسمح له بأن يحمل
خنجرًا فوق رقبة حذائه . (برهان قاطع) . وانظر أيضا فيما سبق ص ١٣٧ هامش ٢ .

«فراطاي» «تاج الدين سيمجوري» - وكان من ثقافة الثواب عنده - خفية إلى
الصاحب بأن يلقي بنفسه - بكل طريقة ممكنة - إلى إحدى المزارع ، ومن
هناك يلحق بجيشه الذي كان قد أرسل به إلى «الأوج» .

٢٦٥ / فتصور الصاحب تلك النصيحة مشوبة بالغرض والحيلة ، ولم يبرح البيت .

وفي اليوم التالي أمر به «ولد الطوسي» إخوان^(١) «قونية» بأن يقتحموا بيت
الصاحب ومعهم السلاح وكتيبة من المفاردة وغللمان الحرس السلطاني ، وأن
يلازموا الصاحب ويحضره برسم التوكيل .

فلما وصل الرّسل من قبل الخان الأعظم ، وأتوا بالأوامر الخاصة بقيد
الصاحب وقتله ، استدعي الصاحب للذهاب إلى قصر السلطنة ليلسمع حكم
الخان^(٢) فأبى ، وانتهى به الأمر إلى الركوب مضطرا . فلما وصل إلى باب
القصر أمر بفتح سلسلة كانت مغلقة لتعترض الداخلين بخيولهم ، فرفضوا فحى
ظهره ومرّ . فلما وصل إلى الدهليز ألزمه «سيف الدين قيبه» أمير العدل في تلك
الأيام ليدخول البيت الذي كان على الناحية اليسرى ، ولما دخل أرسل «ولد
الطوسي» الكتاب والحساب إلى قصره ، لنقل كل ما كان له إلى قصر السلطنة .

وفي تلك الليلة نفسها أعدموا الصاحب في القلعة بدار الخازن . وكان قد
سأل أمير دار العدل في الطريق : إلى أين نحن ذاهبون؟ أجاب : إلى حيث أرسل
الصاحب الآخرين ، وحيث سيرسلنا نحن مستقبلا . فوضع الصاحب قلبه على

(١) كنا في الأصل : إخوان ، وهو جمع اختاره المؤلف هذه المرة للكلمة «أخي» على

خلاف عاداته انظر فيما سبق ص ٣١٢ هامش ٣ .

(٢) إضافة من أ . ع . ٥٨٥ .

الموت وقدمه في الطريق ، وعلا في تلك الدَّار للتَّبتل والانتِطاق ، وأخذ يستدرك
ما فات من العبادات والدَّعوات ، وهيَّهات^(١) ، وأنشأ الأبيات التالية في تلك
الأيام : (شعر)

- حين عبرت الشَّمس من أحد نصفي برج السرطان ،

نظرت بكليتها نحو المَريخ فوجدته في التَّربيع

- أرسل الثَّور متاعه إلى الأَسد^(٢)

ثم ارتحل نحو زحل رغبة في الانتقام

- اصار المَريخ مطوقاً بحلقة في المقرَّب .

فتسامر القمر بما حدث مع الأفلاك

- وألقى المشتري بنظرة قاسية على الزُّهرة ،

فعمرت على النار المحرقة كالسهم .

- زابل التفاضل عقلي من تلك الرؤية المضطربة ،

وأقر الإدهار في رأسي بتلك الحركة المنعكسة

- لم يجبل أبداً بخاطري أن يكون

يوسع سيارت القللك أن تخاطر على هذا النحو

- لكن حين حُمَّ القضاء انتكست السعادة ،

وهو أمر لا يمكن دفعه بسيف أو بدرع

(١) فارن أ . ع ٥٨٦ .

(٢) في الأصل تازوبنه نور ، وهو تحريف : باروبنه نور ، انظر أ . ع . ٥٨٦ .

- كلّ سهم انطلق من قبضة القدر ،
 كيف يتسنى - بالتدبير - منه الحذر
 - انظر عدل الفلك وإنصافه ، أي فتن آثار ظلما
 وأي شر - في أقلّ مدّة - صنع .
 - أسلم متاعى للغارة ، وأحال قلبي
 على كبدي ليسدّ رمقه من القوت .
 - أسال عروق الياقوت - نفتنا - من عيني ،
 وجعل وجنتي كأسين من الذهب
 - هذان خلخالان بقدمي هما نتاج لسعيه
 وما تبقى من البدن أحكمه بأقلّ قيد
 - ننبه أيها القلب الحائر ، ما بكاؤك من الفلك ؟
 وإلى متى تطعن على هذه الشمس وهذا القمر ؟
 - ما كانت إلا غفلتك أنت ، والسّيئات الكثيرة
 التي حين جاوزت الحد أتر فيك الذنب ،
 - وما يصنع الفلك ؟ ومن النجم ؟ وما الشمس ؟
 إنما كان أمر الله ، أحاله للقدر .
 - حين أخرج الفلك من أذى البلاء صنفا آخر ،
 صوّب على أهل الفضل مائة سهم من العناء .

ثم إنهم سمحوا لأقارب المقتولين^(١) بأن يعذبوه ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع فصلوا رأسه - الذي كان مستودع اللطائف السُّبحانية^(٢) - فالتصت روحه الطاهرة بسكان القدس .

فلما حمل الرسل رأسه إلى السلطان «ركن الدين» في «سيواس» حلَّ الخراب والخسران بأمراء الرُّوم القدماء «كطرنطاي» و«سراج الدين ابن بجه» ، و«تركري» و«شجاع الدين ابن القزويني» و«بيجار» ، الذين كانوا قد أجابوا دعوة الصَّاحب .

وبعث القاضي جمال الدين الختني^(٣) برسالة إلى «قونية» عند السلطان «عز الدين» مضمونها أن الخان قد تفضَّل علينا بسلطنة البلاد ، وأنه أرسل في ذلك الباب أمرا امبراطوريا ناطقا ، كما سير معنا ألفي فارس مغولي لتأديب المعارضين ، فإن انقدتم للحكم وعددتم «ركن الدين» سلطانا ، فعليكم بمقابلة [رسولنا] . فلما بلغ القاضي «جمال الدين» «قونية» ، وكان رجلا أهلا للمهمة سهَّل الأمر ، فسمعوا الأمر الخاني الذي أتى به معه ، وقرروا له قضاء قونية ، وعينوا نائباً له ، وأصبح ملكه نافذا في الممالك كلها .

(١) يعني من أمر الصَّاحب بقتلهم ، كشمس الدين خاهر أغز ، وأسد الدين روزبه ، وغيرهما .

(٢) كذا في أ . ع ٥٨٧ ، وفي الأصل : مسيحياني .

(٣) «من فحول أئمة تركستان ، كان يحظى بالتكريم والاحترام في دولة السلطنة ، وقد غمَلَ أسقارا شاقفة في خدمة السلطان ركن الدين ، وكان له سند من جانب عماد الدين الختني وزير الخان ، لما كان بينهما من قرابة ... إلخ» (أ . ع ٥٨٨) .

وأجمعوا على أن يكون الإخوة الثلاثة سلاطين ، وألا يُقدّم «ركن الدين» / الأصغر على «عزّ الدين» ، وأن تكون السكّة وكذلك الخطبة باسم الثلاثة جمعياً .

وحين رجع القاضي جمال الدين [من خدمة السلطان عزّ الدين] ^(١) وقال إن «قراطاي» وسائر الأمراء لا يعترفون بركن الدين سلطاناً ، وأن رأيهم قد اجتمع على أن يكون الإخوة الثلاثة سلاطين ويجلسون على عرش واحد ، وأن يردّوا المغول الذين أتوا بهم ، وافق أمراء «ركن الدين» على تسريح المغول ، وردّوا قوّاتهم ردّاً جميلاً ، ثم عزموا على التوجّه إلى «قبصرية» . ولأنهم كانوا قد سَمِعُوا تحكّمات «بهاء الدين الأرنجاني» فقد بادروا إلى عزله ، ووضعوا [دواءً] ^(٢) الوزارة لدى «نظام الدين خورشيد» ، وأعطوا «إمارة الأمراء» ^(٣) «لولد بجه» ، و «ملطية» «لطرطاي» و «سيواس» «لتركري» .

ثم إنهم جاءوا بحشد كبير إلى «قبصرية» ، وأرسلوا أمراً بعزل «القاضي عزّ الدين الرّازي» - الذي أصبح فيما بعد «الإصبهاني الوزير» ، فامتثل الأمير «جلال الدين» ذلك الأمر ، وبعث به إلى بيته .

فلما لحق السلطان «ركن الدين» بأفسراء ، رجع الأمراء عما كانوا قد اتفقوا عليه مع «القاضي الختني» ، ولم يرضخوا لأن تكون السلطنة شركة ، و«مخركوا» من «قونية» في خدمة ركاب السلطنة . فلما وصلوا إلى «كاروانسرائي سلطان» كان قد تحصّل لهم عشرة آلاف رجل ، ونما ذلك إلى علم أمراء ركن الدين ،

(١) إضافة من أ . ع ٥٨٩ .

(٢) أيضاً ، ٥٩٠ .

(٣) في الأصل : بكلمة تركية تعني أمير الأمراء .

فانطلقوا بسبب النخوة والغرور ، حتى بلغوا «خان السلطان قلعج ارسلان»^(١) .
[وكانوا يستحقرون السلطان عز الدين وجنده وأمراء]^(٢) .

وفي صباح ذات يوم ركب جند السلطانيين ، وغرقوا حتى آذانهم في
السلاح ، كان أمير المقدمة من هذا الجانب «ارسلان دغمش» بينما كان أمير
٢٦٩ الجاندارية «نور الدين يعقوب» ، ومن جانب ركن / الدين «طرمتاي» و
«تركري» . فلما اقترب الجيشان ، اصطفوا صغوفاً [مقابلته]^(٣) ، وشرعوا
ينتظرون أن يتردد الرسل بين الأخوين ، ويقرران الصلح .

وفجأة شنّ بضعة جنود من عساكر «طرمتاي» هجوماً ، فدفعتهم العساكر
العزّ دينية ، فلما رأهم بقية جند «طرمتاي» ولوا الأدبار ، ونفى «طرمتاي»
وحيداً ، فلا حرم أن ألقى القبض عليه . وحمل «تركري» - وكان في
المسيرة - فقبض عليه هو الآخر . فصعد السلطان «ركن الدين» بالمظلة والراية
على مرتفع . وما إن وقع نظر «ارسلان دغمش» عليه حتى انطلق بحصانه صوب
ذلك المرتفع ، فالتقى بالقاضي الختني ، فأمر بقتله وإبلاغه درجة الشهادة ، ثم
مضى . وحين وصل إلى خدمة السلطان ، نزل وقبّل الأرض ، ويحكم أنه كان
أمير الاصطبل أمسك بعنان السلطان وسار به بين الجند إلى السلطان «عزّ الدين» .

فقام السلطان و«قراطاي» وسائر الأمراء باستقباله ، فلما التقيا احتضنه
السلطان وبكى بكاء حاراً لفرط رفته ، وأمسك بيده وانطلق بأخيه وهما يتحدثان
إلى الخيمة الملكية ، وأحضر الخوان ، وضربوا عن الماضي صفحاً ، ولم يقتلوا

(١) بياض في الأصل ، والتصحيح من أ . ع ٥٩١ .

(٢) إضافة من أ . ع ، أيضا .

(٣) أيضا ، ٥٩٢ .

أحدًا من الجند ، وإنما كانوا يجردونهم من السلاح والعتاد . وقبضوا على الأمراء
المجرمين في «كاروانسرائي سلطان» ، وفي اليوم التالي توجهوا إلى «قونية» .



ذكر الأمير جلال الدين قراطاي وأيام نفاذ حكمه

رغم أن الأمير «جلال الدين قراطاي» كان غلاماً من أصل رومى ، لكنه
 ٢٧٠ كان متصفاً بكرائم الأوصاف : سيداً وحضوراً^(١) ، وكان مع قيام الليل /
 وصيام الدهر يمتنع عن أكل اللحوم والتلذذ بالمنكوح والمطعم . كان ذا حلم تام
 كدين الإسلام ، وشفقة عامة تشمل الخاص والعام .

حين رجع من حرب «آق سرا» ، وكان مسند الوزارة عاطلاً من جلال وزير
 عالم عامل ، كلف وألزم بالوزارة الإمام المعظم «نجم الدين النخجوانى» فالتزم
 بالوفاء بما طلب منه ، لكن بشرط ألا يزيد راتب «الجامكية»^(٢) المخصص له من
 بيت المال عن درهمين في اليوم الواحد ، وأن يقاس عليه في سداد رواتب
 «الجامكية» للأمرء وسائر الأركان . ولأن [رجال الروم]^(٣) لم يعد يوسعهم
 مقاومة الخصوم ، [فلا يصح أن تتعرض أموال بيت مال المسلمين للتلف
 والسرف بغير استحقاق ، ولتوضع الأموال لتهيئة أسباب استرضاء جيش المغول
 الذى أربط به استبقاء المال: والدولة]^(٤) .

فشعر الأمرء بغصّة لهذا القول الذى كان له تأثير كضرب السهام . فشمر
 الأمير «جلال الدين» عن ساعد الجد^(٥) وأرضاه بأربعين ألف درهم - وكان
 (١) كذا في أ . ع ٥٩٣ ، وفي الأصل : سندا وحضوراً .

(٢) جامكى : «ما يعطى للملازم والمخادم والفلام من مال كشمع عن ثوبه» (برهان
 قاطع) .

(٣) إضافة من أ . ع ٥٩٥ .

(٤) هذه ترجمة عبارة أ . ع ، أيضاً ، وترجمة عبارة الأصل : «حتى يكافأوا بالمال» ،
 وهى عبارة لا تفي بالمعنى كله كما هو واضح .

(٥) يعنى للتوسط بين الوزير والأمرء الثائرين . انظر تفصيل ذلك فى أ . ع ، ٥٩٥ .

يمثل «جامكيّة» أَعفَ الوزراء وهو «مَهذب الدين» ، وأن يكتفي سائر الأمراء - كلّ على حدة - بتصف ذلك المبلغ . فحضر الإمام «نجم الدين» إلى الديوان ، وشرع في تمشية أمور الوزارة . وابتعث - بموافقة الأمير جلال الدين - «يوناش بكلكريكي»^(١) و «أرسلان دغمش» لدفع المعارض الذي كان قد خرج بطرف «الأوج» .

فلما وصلوا إلى الأوج ، وأوقعوا بد «أبوز ملك الخارجي» ما يستحقّه من عقاب ، ثم عادوا وصل جماعة من الرّمل قادمين من خدمة «صاين خان» لتقصّي الحقائق حول الصّاحب شمس الدين [الإصفهاني] والاعتراض على قتله .

ونظرا لما كان يتمتّع به «شمس الدين الطغراني» من بلاغة في البيان وعدوية في القول ، تمّ اختياره للتوجّه لخدمة «صاين خان» مع أموال وافرة لدفع الاعتراضات وجواب التساؤلات .

٢٧١ وحين باشر القاضي «نجم الدين» / الوزارة فترة من الوقت ورأى أنّ الأمور لا تسير على النحو الواجب ، ترك الوزارة ، وانطلق صوب «حلب» ، وصمّم «الصّاحب الطغراني» على الارتحال ، وعمد الأمير «رشيد الدين الجويني» و «شجاع الدين رئيس البحرة» و «نجيب الدين المستوفي» و «خطير الدين السجاسي» - وكانوا أتباع الصّاحب الإصفهاني - فدفعوا «بيهاء الدين الأرزنجاني» و «صارم الدين اليسارو» - وكانا قد باشرا قتل الصّاحب - إلى بلاط المغول

(١) وبكلكريك يعني أمير الأمراء ، راجع فيما سبق ص ٣٢٤ ، هامش ٣ .

مقيدين بالدوشاخه^(١) بمقتضى الأمر المغولي ، وهناك انكشف أمرهما .

ثم إنه تم إسناد الوزارة «لشمس الدين الطغرثاي» ، والنيابة «لشجاع الدين رئيس البحر» ، والاستيلاء «لنجيب الدين دليخان» ، وإمارة العارض «لرشيد الدين الجويني» ، وقيادة حرس «حرمولو» «لخطير الدين زكريا» ، وجرى الحصول على أوامر مغولية بذلك ورجعوا من ثم وقد تحققت مراداتهم .

وفي نفس اليوم الذي مثلوا فيه أمام السلطان جاءوا معهم بالخلعة التي كان الخان الأعظم قد حملها لهم إلى كبل من السلطان و«جلال الدين قراطاي» فألبسوهما الخلعين ، وأسمعهما الأوامر المغولية المتعلقة بهما ، فقرئت بالقبول والإذعان . وبادر «نظام الدين خورشيد» - وكان نائباً - إلى تقييل الأرض على منصب «الحجوية»^(٢) ، وباشر كل شخص منهم عمله .

ونظراً لأن ملك الأمراء «شمس الدين يوتاش بكلكريكي» وسائر أمراء الروم القدماء لم يشهدوا إلا ما يمارسه الآخرون من تحكّم ، فإنهم أبدوا نفورهم من جلب الأوامر المغولية بتنصيبهم ، وبدأ ملك الأمراء حرباً في قاعة العرش مع رئيس البحر في حضور السلطان ، وباشر طعن سنان اللسان ، كما أبدى اعتراضات بالغة على الصاحب الطغرثاي ؛ ولما كانت هذه المشاجرة متفحفة مع

(١) «دوشاخه» كلمة فارسية معناها : ذات الفرعين ، وهي آلة من آلات التعذيب ونقلت نفس الاسم . انظر : ابن الفوطي ، كمال الدين عبدالرازق البغدادي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، طبع بغداد ١٩٣٢ م ، ص ٣٤٩ ، هامش ١ ، محمد السعيد جمال الدين : علاء الدين عطا ملك الجويني - حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية ، طبع مصر ١٩٨٢ ، ص ٤٠ .

(٢) انظر فيما سبق ، ص ٥٤ هامش ١ .

ميول «قراطاي» و «أرسلان دغمش» و «نظام الدين خورشيد» فقد لزموا الصمت والسكوت .

٢٧٢ ووجم أصحاب / «الصاحب الطغرائي» وأصابهم التبلد ، وانصرف كل منهم منفرداً إلى بيته ، فانطلق شجاع إلى «سينوب» ، ورشيد الدين إلى «ملطية» ، وخطرير الدين إلى «حرملو» بينما بقي الصاحب والمستوفي^(١) وحدهما . وكان بينهما من قديم انبساط ومودة ، وكانا يفرطان في المزاح ، وذات ليلة في أثناء المعامرة^(٢) صدر عن الصاحب لفظ تضايق منه «نجيب الدين» أشد المضايقة ، ودارت بينهما محاصمة وعريضة فاحشة ، انتهت إلى الخصام وبلغت حدّاً جعل «نجيب الدين» يذهب عند «قراطاي» وديج فصولاً في القدح فيه ، وأفشى أوجه الغدر التي كان قد مارسها لهدم قواعد السلطنة .

فعمد اجتماع بدار الحكم في اليوم التالي ، وادعى عليه على ملاء من الناس كل ذلك حرفاً بحرف ، وأبنته بالحجج والبراهين ، فلم يحر جواباً ، وألزم . حتى إن الأمير «جلال الدين» أوصل خطاب السباب له إلى قاف وطا^(٣) ووقع دواء الوزارة ليضربه بها ، فمنعه الأمراء الآخرون من ذلك . وانتهى ذلك الاجتماع بهذا الخصام . وأخذ أمر الصاحب «الطغرائي» في التراجع .

وتصادف في تلك الأيام أن وقع نزاع بين «معين الدين سليمان ابن الصاحب مهذب الدين» و «طرمتاي» حول قيادة جند «أرزنجان» ، وقد حمل

(١) يعني به نجيب الدين دليختي .

(٢) في الأصل : المناقرة .

(٣) كذا في الأصل ، وفي القاموس المحيط : «قط السعر .. غلا» ، ولعله يريد به الغدر في السباب .

الائتان القضية إلى «بايجو نوين» ، وكان «بايجو» يميل كلية إلى جانب «معين الدين» بسبب ما كان بينه وبين الصّاحب مهذب الدين من صداقة . فانتهز الصّاحب «الطغرائي» صلة قرابته له ، وبأنه كان ربيباً لأبيه مهذب الدين ، وقد كبر في حجره ، ولأذ به من كيد «نجيب الدين المستوفي» . وكتب بخطه رسائل مترجمة مطوّلة في قضايا مختلفة والمعلومات التي ترد مع خصوم حضرة السلطنة إلى «بايجو» ، وما يقول فيها وكيف يجب عنها^(١) ، وأعطاهها للرّسل . فابّلع أحد الغلمان ذلك الأمر «لصمصام الدين قيماز» أمير العارض / ، فنصب «صمصام الدين» أناساً على المراصد لكي يأتوا بالرسائل ، وحملها إلى الأمير جمال الدين .

٢٧٣

ولمّا لم يكن في الديوان أحد يترجم الرّموز ويحلّها ، فقد تمّ استدعاء الإمام «زين الدين» ولد تاج الدين الوزير - وهو من زهاد العلماء - بسبب ما كان بينه وبين «صمصام الدين» من تحالف ، وأسّموه الرّسائل ، فحلّها ، ونقلها بعبارة واضحة . فلمّا وقف الأمير «جلال الدين» على فحواها ، توجه إلى حضرة السلطنة ، واستدعى الأمراء ، وجيء بالصّاحب «الطغرائي» ، وتمّ إبراز الرسائل المترجمة والمحلولة - وكان بعضهما بخطّ «زين الدين» وبعضها بخطّه هو . فلما رأى الخطّ وقع في الخطّ ، وشرع الأمير «جمال الدين» في توجيه السّباب من جديد . وأشار إلى أمير العدل لكي يتحفّظ عليه بأحد البيوت بقصر السلطنة ، وأرسلوه من هناك بعد ثلاثة أيّام أو أربعة إلى «أنطاكية» حيث سجنوه .

وفجأة اختفي من ساحة الديوان والحضرة «أثير الدين» الملقّب بالمتّجم ، والذي كان من بين أتباع الصّاحب «الطغرائي» ولم يكن له نظير في الدّهاء

(١) قارن أ . ع ٥٩٩ .

والمكر . ولما كان لأركان الديوان اطلاع تام على ما في جبلته من تخايل وكانوا يخشون أن تصدر عنه فتنة كبيرة، فقد طُيروا الأوامر إلى كل ناحية بالقبض عليه، وبحثوا كثيراً . لكنهم ما وجدوا شيئاً . ثم إنه شوهد بعد مدة عند «بايجو نوين» ، وكان قد أعطى مالاً للحمالين العاملين في خدمة بعض رسل المغول حتى أوصولوه في صناديق الأحمال إلى حدود «آران» ، فلما لحق «ببايجو» أبلغه بالأحوال على نحو ما أراد هو ووفق ما تقتضيه مصلحته ، وقيل أن يتحمل أموالاً كثيرة ، وبالغ في البذل^(١) حتى أرسل «بايجو» «علاء الدين علي بك» و«جمال الدين درزي الساجي» لحضرة السلطنة لاستخلائه^(٢) ، ووفقاً لحكم ٢٧٤ «بايجو» أطلقوا سراحه من حبس «أنطاكية» ، وأتوا به إلى «قونية» / ، وبعد مدة بعث في صحبة الرسولين إلى «بايجو» ، ولم يلبث أن لحق به في الطريق «رشيد الدين» أمير العارض . وسوف نذكر ما آل إليه حاله فيما بعد .



(١) قارن أ . ع . ٦٠١ .

(٢) يعني لإطلاق سراح صاحب الطفرائي من السجن .

ذكر وزارة القاضي عز الدين محمد الشهيد الرازي رحمه الله

كان الصّاحِبُ القاضي «عزّ الدين محمد الرازي» لما عُرِفَ به من علوِّ الهِمّةِ وفرطِ الفصاحةِ وكمالِ الديانةِ ، يُلحظُ في نظرِ السلاطينِ وخلفاءِ العهدِ بعينِ الرأفةِ وبحظيِّ بكلِّ احترامٍ . كان كفوًّا للأُمورِ العظامِ وتداركِ المهامِّ الجسامِ وإتارةِ حدودِ الإسلامِ . ولم يكن هناك من أحدٍ سواه تُسندُ إليه الوساطةُ والسفارةُ إلى دارِ السّلامِ . كانت القسنةُ في محكمةِ قضاائه ومجلسِ حكمه في أمانٍ من تعرّضِ جاذبةِ القش^(١) ، وذوائبِ الحسانِ من أرضِ الخطأِ ساكنةٍ بمنأى عن تشويشِ ريحِ الصياحِ بسببِ يمنِ رأيه الصّائبِ . كان في السّخاءِ والكرمِ بحرٍ خضمٍّ ، وفي القلبِ والفكرِ كله لامٍ ونعم :

إن الألي طلبوا مداه تأخروا
عن غايةِ النّياقِ رهاناً

فلما صدرت عن الصّاحِبِ «الطغرثي» تلك البوادير^(٢) ، وتغير عليه خاطرُ جلالِ الدّين «قراطاي» وسائرِ الأُمراءِ ، لم يكن يستحقُّ مسندَ الوزارةِ أحدٌ في البلادِ كلّها سوى القاضي «عزّ الدين» ، وبدا للأُميرِ «جلال الدين» وكبارِ رجالِ السلطنةِ بعامةٍ أن يجلسه على مكانةِ الحكمِ والمنزلةِ أمرٌ لازمٌ ، إذ

فلم تُكُ تصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها

وبالاتفاقِ والاختيارِ ، بعد التشاورِ والاختبارِ وضعوا زمامَ المرامِ الخاصِّ والعامِّ في كَفِّ كفايته ، وكان هو يسيرُ في تمشيةِ تلكِ المهمّةِ على سبيلِ / الوجوبِ ووفقِ مقتضىِ الرأْيِ المرضيِّ الحسنِ .

(١) قارن أ . ع ٦٠٢ .

(٢) كلنا في أ . ع ٦٠٣ ، وفي الأصل : نوادر .

وفي أثناء نفاذ أحكام وزارته كان الرّسل يصلون تبعاً من قبل [صاين خان] لاستدعاء السلطان [عزّ الدين كيكائوس] ^(١) للحضور ، وكان الصاحب «عزّ الدين» بقدّم الأعذار المقبولة ، لكن تلك الأعذار لم تكن تنال القبول عند [صاين خان] . فاضطرّ الصاحب القاضي «عزّ الدين» والأمير «جلال الدين قراطاي» الأتابك ، و«شمس الدين بوتاش» أمير الأمراء ، و«فخر الدين أرسلان دغمش» أمير الإسطنبول و«نظام الدين خورشيد» الصّدر الأعظم إلى أن يركبوا في خدمة السلاطين الثلاثة [السلطان عزّ الدين كيكائوس وركن الدين قلج أرسلان وعلاء الدين كيقباد] ^(٢) متجهين جميعاً صوب «قيصرية» . وطلبوا أمراء أطراف البلاد لتلافي هذا الأمر .

فلما بلغوا «آق سرا» وجد «سيف الدين تركري» - وكان من أكابر الأمراء ومن أبناء مماليك السلطنة ، ويغلب على مزاجه الظلم والجور وكثرة المزاح - وجد لنفسه مجالاً للمباشرة في خدمة السلطنة في منطقة صيد «اكنجوك» ، فأغرى السلطان وجراً - بعد أن كان ملتزماً بسلوك جادة الدين والرّشاد خوفاً من «قراطاي» - على شرب العقار ولعب القمار وهتك الحرم والأسرار . وكان يقول - عملاً على رواج سوقه - كلمات تتفق مع هوى السلطان . ولكي يكسر ما لحرمه الأمراء من صلابة حمل السلطان على أن يدعو إليه أرادل الغلمان ، فأعطى كلاً منهم المناصب والإمارات .

وفي هذه الأثناء وصل «شمس الدين ألتونيه» ^(٣) إلى حضرة السلطنة ، فرأى

(١) يياض في الأصل ، والإضافة من أ . ع ، ٦٠٤ .

(٢) إضافة من أ . ع . أيضاً .

(٣) قائد جيش آمد ، وكان من غلمان الخاص عند السلطان علاء الدين كيقباد الأوّل .

انظر أ . ع ٦٠٥ . وانظر ما سلف ، ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٩٩ - ٢٠٢ .

الأمر مشعته كذوائب الأحبة ، وشاهد - مستدركا - عيباً فاحشاً في بذل أموال الخزانة في الأرزاق والجامكيات للمترجمين والمنشئين . حتى إنه وجّه عتاباً عنيفاً «لقرطاي» والأمراء / الآخرين ، وقال : لم يكن لدى السلطان «علاء الدين» - مع ما كان يتمتع به من عظمة وعزة - إلا إثنان من المترجمين وأربعة من المنشئين ، فلا يليق بكم استخدام كلِّ هذا العدد ممن يتقاضون الرواتب وأنتم بهذه الذلّة والقلة والعوز وسداد الخراج^(١) ، وسوف يتوفّر من تقليل أعدادهم ما يُستطاع به تهيئة أسباب سفر السلطان في هذه الوجهة . ومتى قلّل السلطان من السرف في العيش ، وتجنّب الحرقاء الجهلاء حظي في نظر [الخان الكبير]^(٢) - الذي يتوجّه إلى خدمته بالمزيد من الأبهة والعظمة .

ومنى هببتم بأعداد المنشئين والمترجمين من مرتبة العشرات إلى الأحاد وخلص لكم التصرف الكامل في رواتب وجامكيات الخاصّ والعام ، امتلأت بيوت الخزائن .

لكنّ السلطان لم يتراجع عن امتطاء صهوات النزو والشباب وملازمة آلات الطرب والشراب ، وظلّ على طريقته في إعلاء مراتب الأراذل والأوغاد - الرائج منهم والناد .

ولشدّ ما أوغرت نصائح «شمس الدين ألتونبه» صدر «تركري» ، فثارت في جسده بحار الحسد لما كان بينهما من تضادّ في سفاهة هذا ونباهة ذلك . وحمل رجلاً على أن يذيقه السمّ الذعاف في الفقاع ، فأورده بذلك حتفه وأوصله إلى منازل الرضوان بعد ثلاثة أيام .

(١) خراج كزاري : كذا في أ . ع ، ٦٠٦ . وفي الأصل خراج ، وهي تصحيف .

(٢) في الأصل : السلطان ، ويريد المؤلف به : الخان الكبير .

نرجع إلى ما كنا فيه ؛ وعقد السلطان النية على التوجه إلى الخدمة ، فترك
 أخويه [ركن الدين قلعج أرسلان وعلاء الدين كيقيباد] مع الأمراء في «قيصرية» ،
 وعزم على الانطلاق إلى «سيواس» . وكان «تركري» لفرط جهله وغبائه قد
 جعل العالم كله عدواً له ، حتى أرغم الأمراء السلطان على أن يعثه بعد التتكيل
 والتدليل إلى قلعة «منداس» ، وهناك قضوا عليه .

٢٧٧ وفي اغمار تلك الأحداث وصل الخبر بأن «قراطاي» قد انتقل إلى جوار
 الحق - تعالى - في «قيصرية» . فاضطرب السلطان أشد الاضطراب ، ورأى
 أسوأ الملك والبلاد بلا ضابط أو رابط ، فقدم الأعداء لرسل المغول ،
 وسرحهم ، ورجع بنفسه إلى «قيصرية» . [فخرج السلطانان ركن الدين قلعج
 أرسلان وعلاء الدين كيقيباد من «قيصرية» إلى منطقة «كدوك» لاستقباله ومعهم
 الأمراء الكبار^(١) ، وتشاور أمراء الطرفين في كيفية الاعتذار عن رجوع السلطان
 عن التوجه إلى حضرة [الخان] واستقرت الآراء على أن يوجه السلطان علاء
 الدين لكي يقدم العذر من قبل أخيه . وصرف معه كل من الأمير «سيف الدين
 طرمطاي» و «شجاع الدين عبدالرحمن» النائب و «خواجه مصلح لالا» ، و «نور
 الدين عبدالله القابض» ومعهم مالا حصر له من الأمتعة والتحف لحضرة
 [الخان] . فانضم إليهم في الطريق والده السلطان غياث الدين ، والصاحب
 «الطغرائي» و «رشيد الدين» أمير العارض [وأولئك الذين كانوا قد فضلوا الفقر
 والتشرد حباً في الطغرائي]^(٢) وانخرطوا في سلك أتباع السلطان «علاء الدين» .
 وكانوا إذا وصلوا مكاناً يقرّون بأنه سلطان البلاد ، وظهر في الطريق - لهذا
 السبب - اشتقاق وافتراق بين الصاحب «الطغرائي» و «شجاع الدين النائب» .
 وسترده تمة الكلام فيه فيما بعد .

(١) إضافة من أ . ع ، ٦٠٧ .

ذكر سبب الخلاف بين السلطان عز الدين وركن الدين والحرب التي وقعت بينهما في المرة الثانية وانهما ركن الدين

حين أرسل السلطان «عز الدين» أخاه إلى خدمة [الخان] عزم على التوجه بنفسه مع «ركن الدين» قلع أرسلان» إلى قونية ، وشغل باللهو والمرح وب عشرة أموال الخزانة ، وظهر للقائم في خدمته قربة واختصاص تام . فلم يسع أمراء الدولة هذه الطريقة المخارقة لعادات المسلمين ، وظهر في موارد صفاتهم كدر فاحش . ٢٧٨
وتدخل أحوال السلطان ممن هم على المذهب الرومي [وكان أركان الدولة يأنفون منهم دائما بسبب مخالفة الدين] (١) في أحوال السلطنة ، وسلكوا طريق المضايقة مع السلطان - الذي كان يجلس دائما على العرش مع أخيه وفقا لما قرره الأمير «جلال الدين» والأمراء بأسرهم - وشرعوا في المخالفة ، وقالوا كلمات لا تليق .

كان السلطان «ركن الدين» جالسا ذات يوم في الخلوة ، مطأطأ الرأس ، قد جرت على صحن خده ذي اللون الياقوتي لآلئ طرية جزعا مما يشهده في الدنيا ، وذلك وفقا للقانون القائل : «ولكن نفيض الكأس عند امتلائها» ، وفجأة دخل عليه «كمال الدين» الملقب بقائد المهمات ، وكان قد مارس أسفار «تركستان» في خدمته ، وأثبت [لنفسه عنده] حقوقا وفيرة . فرأى السلطان مضطربا باكيا ومن الدهر شاكيا ، فسأل : ما سبب البكاء وتغيير البشرة الجليلة ، لو تفضلتم بإبلاغ المملوك بطرف من الأمر لعمل على تدارك ذلك بقدر الإمكان . فأجاب السلطان عن سؤال كمال الدين بهذا الدوبيت :

(١) إضافة من أ . ع ٦٠٩ .

قد عرّانا العالم من لباس المعادة

وجعلنا حيرى من دورة الزّمان

ما من ليلة قد مرّت إلا ورأيتي مخزوناً

ما من صباح ضحكك إلا ورأني باكياً

قال كمال : مرّت بخاطر المملوك حكاية يريد أن يعرضها بشرط أن لا يطلع عليها ثالث ، وأن يعيل ملك العالم إلى تنفيذها . قال السلطان : يجب أن تُهيّأ ليّنا . قال كمال : لو تفضّل السلطان وأرسل على يد المملوك رسالة رقيقة في هذا الصّدّد إلى نصرته الدين ولد سنان الدين / قيسماز حاكم «دولو» وكان دائماً وفيّاً للملك محبّاً لسعادته ، ويبادر فيبعث معي برسالة إلى «صمصام الدين» أمير العارض - وهو في هذه الآونة حاكم «قيصرية» ، وهبط من أوج العزة إلى حضيض الذلّة منذ انتزعت منه « نكيدة» وأعطيت لغلام نكرة ، وقد أصبح حائر الفكر متقوقماً على نفسه بسبب السلطان «عزّ الدين» وأخواله - وذلك حتى برّد بأسرع ما يمكن على الحضرة ، ففي ذلك تكون المصلحة .

وتنفينا لفكرة «كمال» كتب السلطان بضعة أسطر مشتملة على شطر من قصة ما به من غصّة إلى صمصام الدين ، وسلّمها إلى كمال . الذي ما لبث أن عاد بعد ستة أيام ، وكان الجواب هو أن يلقي السلطان - بكل وسيلة ممكنة - بنفسه إلى «قيصرية» ، وبعد ذلك ينزل المماليك ما في وسعهم بقدر الإمكان .

قال السلطان «لكمال» : على أي وجه يتيسّر لنا الخروج من «قونية» ، وهي ورطة البلاء وغمرة العناء . أجاب «كمال» بأنه يتعين إبلاغ عدد من الغلمان - الذين يوثق بهم - بهذا الأمر ، لكي يعدّوا خيولاً خاصة خارج المدينة

بموضع محدّد ، ويرتدي السلطان ثوباً خلقاً مما يليسه غلمان الحوائج
 خانه^(١) ، وأتي أنا بمشنة كبيرة ذات قاعدة (واسعة) تعادل إناء عادلياً ، وذلك
 باعتبار (أني أذهب كل يوم إلى السوق لجلب الحوائج)^(٢) ، وأضعها على رأس
 السلطان ، بحيث يبقى وجه السلطان المبارك محتجباً عن أعين الناس في قاعدة
 المشنة ، ثم أتقدم أنا ، ويلزم السلطان أن يقتفي خطواتي ، ولا يتلقّت في الطريق
 بمنة أو يسرة ، فإذا وصلنا هناك ، ركبنا وتوكلنا على حول الله - تعالى -
 ونظّل طول الليل نسير المراكب ونسامر الكواكب ، فإذا ما تجاوزنا عند الفجر
 ٢٨٠ مفاوز / «أقسرا» ، ووصلنا بالطالع المسعود إلى «خان خواجه مسعود» ، تلتقط
 الدواب أنفاسها لحظة ، ومن ثمّ نجتاز «بروكوب» ، فنبلغ «دولو» .

فوافق السلطان على هذا الرأي ، وتم تنفيذ ذلك كله . وحين وصلوا إلى
 دولو ، أبلغ الرّسل المسرعون «نصرة الدين» ، فتقدّم للاستقبال ، وترجّل ، وقبل
 الأرض ، وتشرف بتقبيل اليد . وسير في الحال رسالة إلى «صمصام الدين
 قيماز» . فأمر الأمير «صمصام الدين» الحند بالركوب ، وتوجّه إلى طريق دولو .
 والتحق في الطريق بكوكبة السلطان والأمير «نصرة الدين» ، وترجّل ، ووضع
 وجهه على الأرض أمام الملك ، وأدخل السلطان بكل جلال وأبهة المدينة ،
 وأجلسه على العرش ، وأرسل الرّسل إلى أطراف الممالك ، فدعا واستمال ،
 واجتمع له في أقلّ زمن حشد كبير «بقيصرية» .

(١) ومعناها بيت الحوائج ، «منها يصرف اللحم الرائب للمطبخ السلطاني والدور
 السلطانية ، ورواتب الأمراء والماليك السلطانية وسائر الجند وأتباعهم ، وغيرهم من
 أرباب الرواتب ، ... وكذا توابل الطعام .. والزيت والوقود والحبوب ... إلخ» (صحيح
 الأعشى ٤ : ١٢) .

(٢) إضافة من أ . ح ، ٦١١ .

فلما علم السلطان «عز الدين» بالأمر ، سير «يوتاش بكلكريكي» في إثره لردّه ، فأدرك السلطان بقيصرية ، وبعد تقبيل اليد شرع في التّصيحة ، فتطير السلطان بذلك ، وتحرك من مكانه للفنك به ، فمنعه الأمير «صمصام الدين» . ثم إنهم قيّدوا يوتاش ، وحملوه إلى مغارة «اكسود» من مضافات «دوكو» ثم أعادوه إلى قيصريّة بعد بضعة أيام ، وأحلقوه على الولاء للسلطان ركن الدين .

ثم إنهم أرسلوا الرّسل لطلب «فلك الدين خليل» سوباشي «أبلستان» ، وحسام الدين بيجار ، فقالا سمعاً وطاعة وبادروا للتوجه إلى الخدمة وانخرط الأمرء المشهورون في عداد أجناد السلطان ، وتأهبوا للهجوم المفاجئ بأجمعهم على «قونية» . ولو أنهم فعلوا ذلك لتحقق لهم ما يريدون . ٢٨١

ولما استمع السلطان عزّ الدين خبر اعتقال «بكلركيكي» وإيلائه بولاء السلطان ركن الدين أخذ منه الضيق والحزن لذلك كلّ مأخذ . وفي تلك الأثناء تقدّم «فلك الدين خليل» و «بيجار» مع فوج من جندهما إلى «خان علائي» - وتقع على بعد مرحلة واحدة من أقسرا- فأبدي من كان هناك من قوافل الدّيار مقاومة ، وأضرموا النّار في الباب وأحرقوه ، وقتلوا طائفة من النّاس ، وأخذوا أموال بعضهم ثم أطلقوا سراحهم .

وفجأة جاء الأمير «معين الدين سليمان» و«خطير الدين» - وكانا بطرف «قيصريّة» - إلى «قونية» بطريق السفارة . فتفتحت بمجيئهما ورود المسرة في قلب السلطان وقلوب الأكابر ، وأمر الصّاحب عزّ الدين بأن يسكب ذهب الخزائن ، لكي يتخذوا به جنداً ، فلحقوا بولاية «طلوز أعجاج» عن طريق «قيرشهر» لمحاربة ركن الدين . وأرسلوا كلاً من الشيخ الكبير «صدر الدين ابن اسحاق» مع «هتّم الدّين شادبهر» ناظر الملك عند أخي السلطان لإلزامه

بالحجة، إذ عليه أن يقتصر في الوقت الحاضر على «سيواس» و«مطبية» و
 «خرنبر» ، وأن يبدد غبار الخصام ويرجع . فاستقل «صمصام الدين» و«نصرة
 الدين» و«فلك الدين» و«بيجار» ذلك القدر ، وأرسلوا «جلال الدين حبيب»
 قاضي «قيصرية» للرد ، وطلبوا إضافة قيصرية وقيرشهر . وكان هذا يجري في
 دهليز السلطان بصحراء «أحمد حصار» .

فصرخ «علي بهادر» ، و«جمال الدين الخراساني» والأمرء الآخرون
 متبرمين : لماذا تتوسلون وتتذللون إليهم على هذا النحو فيحملوا ذلك على أنه
 عجز واضطرار منكم ؟ / فإن رضي السلطان عز الدين بذلك وقبله ، فهو المراد ،
 ٢٨٢ والألئ يكون هناك خطاب إلا بلسان السنان . فلم يلتفت أعوان السلطنة لذلك
 المقال ، بل [حملوا السلطان]^(١) على أن يتنازل عن «قيصرية» و«قيرشهر» ،
 وأرسلوا القاضي حبيب بخبر حصول الرضا ، وظلوا ينتظرون ماذا سيكون الرد .

وفجأة ظهر جيش السلطان ركن الدين ، ورغم أن بعض جنود السلطان عز
 الدين كانوا قد ذهبوا إلى الخيام (وخلعوا سلاحهم انتظاراً لهيئام الدين ناظر
 الملك، وأنزلوا السروج من فوق ظهور خيولهم ، فقد انتفضوا ولبسوا
 السلاح)^(٢) ، واقتتل الجيشان كأنهما أسد ونمر .

وحمل «نصرة الدين ولد قيماز» و«فلك الدين خليل» مرة أو اثنتين ، فثبت
 جند السلطان . وفي المرة الثالثة حمل هؤلاء الجند وانشغلوا بالقتال ، وشن
 «علي بهادر» - وكان في الميسرة - حملة عليهم فقوض صفوفهم ، وأوقع بهم
 هزيمة منكرة . وفي تلك الأثناء انزلق حصان «نصرة الدين» ، فقبضوا عليه ،

(١) إضافة من أ . ع ٦١٤ .

(٢) إضافة من أ . ع ٦١٤ .

بينما وليّ «فلك الدين خليل» الأدهار منهزماً ، أما «صمصام الدين» فقد عشر عليه « ولد قريش » ، فأصابه بجرح ، وأتى به إلى خدمة السلطان ، فقضى أحوال السلطان عليه هو و«نصرة الدين» في الحال .

واتجه السلطان ركن الدين إلى «دولو» معترماً للأحقاق «بسيس» ، فأمسك به التركمان في أول مرحلة من مراحل الطريق ، وأبلغوا السلطنة بذلك . فذهب «أرسلان دغمش» إلى هناك ، وهذا خواطره بالمواثيق والأيمان ، وأتى به إلى قيصرية . فخفّ السلطان عز الدين لاستقباله ، فلما اقتربا تعانقا ، وبكى ركن الدين وقال : ما كانت هذه الواقعة إلا بسبب سواد رأى «نصرت» و«صمصام» ، وقد جدا جزاء الكفران ، ويجب على أخي العزيز ألا يشوش خاطره / الشريف . ٢٨٣

وعلى هذا النحو سارا وهما يتحدثان متوجّهين إلى جوسق «كيخسروية» . ومنح السلطان ركن الدين خلعة ثمينة وحصانا أحكم قيده وذهباً كثيراً ، وخيرته بين الإقامة في «برغلو» و«أماسية» ، فاختار السلطان «أماسية» ، فحملوه إليها مزوداً بحشد وزاد ، فلبث هناك مدة ، وصار يتأذى من سوء الجو هناك ، فأرسل إلى السلطان حتى نقلوه من «أماسية» إلى «برغلو» ، وهبأوا له أسباب الراحة والرّفاحية .



ذكر سبب توغل «بايجو» في بلاد الروم للمرة الثانية والحوادث التي حدثت في تلك الأيام

حين جلس الصاحب القاضي عز الدين على دست الوزارة وأمسك بمقاليد أحكام المملكة بغيضة الاستقلال ، ورأى رسل القائد المغولي «بايجو» وغيره من القادة يترددون على الدوام إلى بلاد الروم ، وأن خزائنه لا حصر لها يجرى صرفها للإتفاق عليهم ، رأى الصاحب هو و «قراطاي» وسائر الأمراء أن يتم عرض هذا المعنى على حضرة [منكوخان]^(١) ، لكي يصدر من قبله مرسوم ملكي لمنع تسلطات «بايجو» وتهوره^(٢) .

وتم لهم اختيار الصاحب فخر الدين علي - وكان في ذلك الوقت مسموع الكلمة والحكم في البلاد ، وهو حينذاك أمير العدل - لإبلاغ هذه الرسالة ، ودفموا له من الخزانة مائة ألف درهم - بخلاف التحف - كتنفقة للطريق . فلما وصل إلى تلك الأعتاب ، وعرض المطالب ، وبين أن السلطان معهم على قلب رجل واحد ، أبدى الخان تعاطفه ، وأصدر مرسوماً وسكته بمنع رسل «بايجو» نوبين» وسائر الأمراء من التردد على سلطنة الروم ، وحال دون إتمام التعداد ٢٨٤ السكاني / الذي كان قد عهد بإيجازه إلى «شمس الدين القزويني» وأعاد الرسول في صحبة وفد من المبعوثين وكبار رجال البلاط الخاني .

فلما وصلوا إلى «بايجو» ، وأسمعوه الحكم ، التفت إلى فخر الدين علي وقال : أكان ينبغي بعد ذلك كله أن توضع نفرة تحول بيني وبين الإشراف على

(١) زيادة من أ . ع ٦١٦ ، وفي الأصل بياض .

(٢) قارن أ . ع . أيضا .

بلاد الروم ، لكنّ حرمانني سيعود بالشؤم عليكم .

وأخذ مبعوثو «بايجو» بعد ذلك في التناقص^(١) وإن جاء بعضهم أحياناً فقلماً يجد عناية واهتماماً . وكان السلطان مشغولاً بالتعمّم وإجراء أحكام الشباب ، وتمكّن الصاحب القاضي «عز الدين» في مسند الحكم ، ونعمت البلاد بالاستقرار . وكان تردّد رسل دار الخلافة والموصل وماردين والروم والفرنج على حضرة السلطنة مزوّدين بالأحمال والتحف مستمراً . غير أن قلقاً هائلاً وهماً مقيماً كان يُنقل على خاطر أمراء الدولة من جهة هيمنة «الأغاجريين» الذين ظهروا في صحراء «مرعش» وأدغالها ، وكانوا يقطعون الطرق ويقتلون القوافل ، ويغيرون على بلاد الروم والشام والأرمن .

فعمز الصاحب القاضي «عز الدين» و«شمس الدين يوتاش» أمير الأمراء^(٢) على التوجّه مع العساكر والأمراء لدفع «الأغاجريين» ، وجاءوا إلى «قيصريّة» وكان «جلال الدين قراطاي» قد توفي في ذلك الحين . وكان «فخر الدين أرسلان دغمش» قد بقي مع السلطان في «أنطالية» و«قلعنده» ، أما الصاحب الأعظم «فخر الدين» أمير العدل فقد تمّ اختياره لاستقبال الموكب المعظم [للكوخان]^(٣) .

وفجأة وصل الخبر بأنّ القائد المغولي «بايجو» يزمع الهجوم بجيوش جرارة وبالكثير من الحواشي والمواشي والنسوة والأطفال ، وأنّ مقدّمته بلغت «أرزنجان» ، فلماً سمع بعض العساكر / الذين كانوا قد ذهبوا إلى نواحي «أبلستان» لدفع

(١) إضافة من أ . ع . ٦١٨ .

(٢) في الأصل : بكلمة بكري

(٣) بياض في الأصل . وأ . ع . ٦١٨ . والسياق يقتضيه .

«الأعاجيريين» بهذا الخبر ، جاءوا مسرعين إلى «قبصرية» ، وتوجّهت المظلة والجيش بغير إبطاء إلى العاصمة . وارتحل السلطان من «قلعده» إلى «قونية» ، وذهب الضيق والاضطراب بالسلطان كلّ مذهب بسبب قصد القائد «بايجو» .

وتشاور كبار رجال الدولة ، واتفقوا على أن يعيشوا «نظام الدين خورشيد» الحاجب لاستقبال [بايجو] ، فيقوم بتدارك الأمور ، ويطلع على نواياه وأغراضه ثم يرجع . فلما صرفوا «نظام الدين» عكف السلطان على حشد الأجناد وإعدادهم ، فاجتمع في أيام قلائل جند كثيرون من قبائل الأتراك والفرسان الحاذقين في صحاري قونية وهرارها . فلما شاهد السلطان احتشاد أنصاره قال :
قد أصبح عندنا بفضل الملك المتعال المال والرجال ، فلا بدّ لنا من العزم على القتال .

فأخذ الأعمار - الذين لم يسبق لهم من قبل أن تورطوا في غمار الحرب - يثيرون الفتن غفلة منهم وجهالة ، وشرعوا في إغراء السلطان على الحرب . وفي تلك الأثناء رجع «نظام الدين يزوانه» ، وأعلن أن ما في جبلة «بايجو» من محبة للسلطان لم يطرأ عليه نقصان . فإن كان الأمراء المحدثون يعتزمون الضرب والهرب ، فهم يعلمون [أن فرسان القائد بايجو لهم أسنة حادة من نهر الثأر]^(١) .
فينبغي أن تصرف نيّة السلطان وعزمه عن تعبئة الصفوف ونوجّحها إلى تسليّة الضيوف وامترضاء خواطر القائد «بايجو» وحمل الخواصّ غير المجرّبين على التزام جادة الصواب .

ثم إن نظام الدين عاد مرّة أخرى بالتحف والأموال والإعلان عن عزم

(١) إضافة من أ . ح ٦٢٠ .

السلطان لاستقبال بايجو ، وتعيين المواضع الحارة والباردة للجيش الجرار في البلاد
٢٨٦ / ، وطلب أن يصحبه ويلازمه الأمير «معين الدين سليمان» - ملك الحجاب -
وانطلقا سوياً .

غير أن غلمان الخاصّ أغروا السلطان بالمقابلة والعصيان ، حتى أمر بتجهيز
الجيش والاستعداد للقتال وفق رغبتهم ، ودعا «فخر الدين» و«أرسلان دغمش»
إلى خلوة ، وتلطّف معهما ، وسير العساكر تحت قيادتهما - مع أن الصّاحب
القاضي «عز الدين» كان هو الحاكم والمطاع ذا الأمر النافذ . بينما بقي السلطان
بنفسه مع عدد محدود من الخواصّ في «قونية» . وكانت ترسل عن طريق
الخواصّ رسائل تشتمل على خيب الأُمراء الكبار وفساد طويّتهم ، فلما تابعت
[تلك الرسائل] وأثّرت في قلب السلطان ، قال : عندما يحين موعد عودة الجند
من المعركة سينال هؤلاء الكهول الضّالون الفعلة جزاءهم . فلما سمع الأُمراء
الكبار هذا القول دبّ الفتور في عزائمهم .

ولما لحقوا «بخان علائي» كان جيش «المغل» قد عرف بتجمّع عساكر
الروم ووصل إلى «آفسرا» فقدم^(١) أركان الدولة «تركمان» الشحنة - وكان هو
الأخر من جملة اللقّام والعوام - للاستطلاع . فاصطدم هو ومن معه بكتيبة من
جند المغل ، كانت من الجنود الألف التابعين لـ «خواجه نوبن» ، فقصوا على
«تركمان» وسائر الأتراك .

وفي اليوم التالي تقابل الجيشان كما يتقابل القضاء والقدر ، وطارت رسل
السّهام نحو أعماق الخاصّ والعامّ لإبلاغ رسالة الموت ، وأخذت الأنظار تستقرّ في

(١) راجع أ . ع ٦٢١ .

الأبصار والأرواح تكمن في الأكباد بين أحداق كُعاة العسكر وأماقهم .
وأنصفت ذكور الصَّوارم بصفة النساء الحيض من كثرة إسالة الدماء وإراقة
الأمشاج . وصار معلوماً لدى الأرواح أوان الانفصال وزمان الانقطاع عن الأشباح .
وانشغلت نفوس الشهداء بتنفّس الصُّعداء لإدراك مقام السُّعداء .

ورغم أنّ الصَّاحب «عزّ الدين» كان يشكو من آلام في رجله وضعف في
جسده / ثبت في تلك المعركة المهلكة كجبلي «نهلان» و«حراء» ، وكان ٢٨٧
بصابر وهو يودّع الحياة وراحات هذه الدنيا . وكان ممسكا بحربة قصيرة حادة
وقلبه قد انصهر بنار الحرب ، فلماً وصل إليه «المغل» تصدّى لهم ، وأخذ يبصق
عليهم في أثناء القتال ، وفي النهاية نال درجة الشهادة ومرتبة السُّعادة .

ولما كان الأمراء الآخرون مكسوري المخاطر من جهة حضرة السلطنة فإنهم
لم يبلوا بلاء حسناً في الحرب ، ولم يُظهروا أمارات التضحية والغذاء ، وإنما عدّوا
الانهزام غنيمة ، ونسحوا بمثل ذلك الغدر والخِذلان حتى انتصر العدو ، وأصبح
جند السلطان نهياً للمصائب والبلايا .



ذكر جلاء السلطان عز الدين للمرة الأولى وخروج أخيه

ركن الدين من قلعة «برغلو» وجلسه على العرش

حين حلت تلك النكبة بجيش السلطان في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٦٥٤ ، وأبلغ السلطان بذلك البوار والخسران ، ظلّ طول الليل مضطرباً مشوّناً . وفي اليوم التالي ارتحل مع نساء الحرم وبعض الخواص «كحسام الدين آفتاش الشرايبسار»^(١) و «كندصطبل» وأخيه خارجاً من بوابة «بول أحمد» متوجّهاً صوب «أنطالية» ، وترك «قونية» مهملة معطلة ، كما ترك كلّ ما كان يملك هناك .

وقد ألقى «نظام الدين علي بن إيلتمش» - أستاذ الذكر - بنفسه في قونية بعد أن نما من المعركة ، وشغل بتأمين المدينة وتسكين غوغاء الأوباش وترتيب الطرق وتمهيدها . أمّا «أرسلان دغمش» فقد خلص مع بعض خواص السلطان من تلك الملحمة إلى «برغلو» ، ولحق بهم من كل ناحية كبار رجال الديوان / ٢٨٨ والبلاط السلطاني بحكم مناعة القلعة وحصانتها .

ولأنّ السلطان «عز الدين» كان قد أسلم نفسه كليّة للثام ، وكان يعتبره الملل ويستبدّ به الضيق من مباشرة أمور السلطنة : كوضع التوقيع ، والجلوس في الحفل ، والنظر في أحوال الرعية فقد شعر الخاصّ والعامّ بالسخط الشديد لذلك^(٢) . وأطلقوا «ركن الدين» من الحبس وأتوا به إلى «قونية» وأجلسوه على العرش .

(١) يعني رئيس الشرايبخانة .

(٢) قارن أ . ع ، ٦٢٣ .

وفي ذلك المحفل أعطى «شمس الدين قاضي جق» أمراً إلى السلطان لكي يتعاله ، فوضع توقيعه : «المنة لله» في حضور الجميع ، وأنصف بنفسه عدداً من المظلومين . وبعد يومين قبل «القاضي جق» يد السلطان لتوليته الوزارة ، وظلّ يباشر أعمال الوزارة شهراً ، ثم أصيب بمرض لحق فيه بجوار الحق - تعالى . فدعى الأمير «نظام الدين پروانه» لتقلد الوزارة بعده ، فلم يستجب ، وإنما قبل النيابة ، وأعطيت الحجابة «للأمير معين الدين سليمان» وقبل كلاهما يد السلطان في يوم واحد . وشغلوا بترتيب أسباب لقاء القائد «بايجو» ، وانطلقوا في طريقهم .

وحين لحق السلطان «عز الدين» بأنطالية ، غلبه العوز وسيطر عليه الفقر ، وذات يوم رأى في قصر «أنطالية» كوة مريمّة ، فأمرهم بفتحها ، فمتر على خزائن وصناديق مختومة بالرصاص مميّاة بالآلاف مؤلفة من الدراهم الفضية بالضرب العلامي ، وعشرة آلاف دينار من الذهب الأحمر ، وأمتعة أخرى من الورق والعود والأبنوس والصندل وما إلى ذلك . فوزع السلطان الخزانة على الحواشي والخدم ، ومن ثمّ تلقت روح السلطان عملاء الدين مسدداً بدعوات المضطّرين . ثم إنّ [السلطان عز الدين] اتجه من هناك إلى «لاديق» .

٢٨٩ وما لحق السلطان «ركن الدين» بالقائد «بايجو» / أرسل بايجو «بيسوناي» حفيده مع ألف فارس لإحضار السلطان عز الدين إلى «أنطالية» ، فلما لم يجد السلطان هناك ، وأشاروا إلى «لاديق» تزود بميرة^(١) ثم انطلق إلى لاديق فلما بلغها أرسل الرسل بأن السلطان مدعو من قبل أبيه ، والمصلحة هي أن يتفادى التباطؤ في القدوم . قال السلطان : ربما كان أخي قد سمع في حضرة أبيه أنه

(١) في الأصل : نرغو : إمدادات من اللحم والشراب .

كان للأمرء سيطرة كاملة على ملكي ودولتي ، وأن هذا العقوق ونكران ما للأبوة من حقوق ما كان إلا بسببهم هم . وحين أمثلُ بين يدي القائد سأقدم هذا العذر لعله يحظى بالقبول . ولقد كنت أتدبر أمر السَّفر [والانجاء للقاء الأب] ^(١) ، فلو أن أخي تقدمني في الطريق مرحلة أو اثنتين فإنني سأتحرك خلفه بما تم تجهيزه من عُدَّة ومتاع .

فرجع «بيسوتاي» ، واتجه السلطان مع الحاشية والأطفال نحو بلاد «لشكري» . وقد ندم «بيسوتاي» على رجوعه ، وتلقى عتاباً عنيفاً من «بايجو» . ولما تحقق لبايجو إعراض السلطان «عز الدين» ومخالفته ، رفع من شأن السلطان «ركن الدين» [على خلاف المعهود] ^(٢) .

وذات يوم كان السلطان «بايجو نوين» قد أعدَّ ضيافة كبرى ، فقام «نظام الدين خورشيد» النائب ونزع في تلك الضيافة عن حبة من الكمثرى قشرها بحد السكين ، وأعطاها لـ «خواجه نوين» - الذي كانت هزيمة الجيش على يديه - فشرع في تناولها ، واتفق أن داهمت آلام القولنج «خواجه نوين» وأسلم الروح ، فوسموا «نظام الدين» بتهمة القتل لأن حبة الكمثرى كانت مسمومة ، وعلفوه في «الدوشاخ» ، حتى لحق برحمة الحق - تعالى - بسبب ما لحقه من عناء ، وقبل وفاته خطَّ هذا الدويبت بطبعة المولد ^(٣) للطلائف على صحيفة الأيام :
(شعر)

منذ أن أحرزني الطالع المنقلب ،

(١) إضافة من أ . ع . ٦٢٥ .

(٢) في الأصل ، وأ . ع ٦٢٦ : لطلائف راى ، وينبغي أن تُقرأ : لطلائف راى .

أجرى اللذمع من عينيّ دما

وحين لحق المربّخ بزحل ، أمسك في الحال

بتلابيبي ، ونصبني على الأعواد

فلما طالّت مدة إقامة السلطان في «قزل ويران» ، واقترب الشتاء ، وأوشك «بايجو» على العودة ، ألزم السلطان بهدم شرفات سور قونية من خارجه وداخله ، وأغشى من الهدم سور القلعة لأنه يحيط بقبور السلاطين السابقين ، وتم تخريب الباقي . ثم سمح للسلطان عندئذ بالعودة إلى قونية ، وتوجّه هو بنفسه صوب «مغان» .

فلما تحقّق لدى السلطان عزّ الدين أن «بايجو نوبين» قد رجع ، غادر بلاد «لشكري» متوجّها إلى ملكه الموروث ، وتحرك السلطان «ركن الدين» من قونية بعزم المشول في حضرة الخان الأعظم ، فلما لحق بقيصرية ، أرسلوا «تاج الدين الأرزنجاني» المعروف بالفقيه و«ظهير الدين رسول» ، عقب السلطان ركن الدين لإعادته وإقناعه بالمشاركة في الملك ، كما سيروا في إثرهما «علي بهادر» . فأدرك كلاهما السلطان «ركن الدين» بقيصرية ، ولأنه كان قد حزم أمره فقد رفض العودة ، وأخذ يئدي الأعذار^(١) [ثم مضى في طريقه]^(٢) .

أما «علي بهادر» فحين وصل إلى «قيصرية» وجد أن السلطان كان قد غادرها قبل يوم واحد ، فقفّل راجعاً إلى «قونية» وقد حمل معه قطيعاً من الغنم وبعض بقايا خدم السلطان ركن الدين .

(١) كذا في أ . ع ٦٢٧ : تقرير مي كرد . وفي الأصل : تقرير نكرد : لم يقرّر ، وهو نصحيح بلا شك .

(٢) إضافة من أ . ع ، أيضاً .

ذكر عودة السلطان عز الدين

من ملك لشكري إلى الديار المحروسة

حين وجد السلطان عز الدين «الديار العريضة خالية من الأعادي ، اتجه ٢٩١ إلى / «قونية» ، فاستقبله أهل المدينة الذين كانوا يتحرّون ظهوره تحرى ليلة القدر ، وأدخلوه المدينة بكلّ أهبة وجلال ، ثم أجلسوه على العرش ثانية . ورغم أنه كان متصفاً بقلّة الأذى ورقة المشاعر ، فإنه - بإيحاء من «أغرلو الجامة دار» - أمر بأن توضع الأغلال في أعناق أعيان «نكيدة» ممن كانوا قد لبّوا دعوة السلطان لركن الدين . وكذلك ولد «سلجوقشاه» الذي كان قد تولّى قيادة عسكر «نكيدة» ، وأن يمثلّ بهم ، فيرطون^(١) ويوضعون على الإبل ويطاف بهم حول المدينة ، ثم لم يلبثوا أن قضوا عليهم جميعاً .

ولمّا نال السلطان «ركن الدين» شرف المشول في خدمة [الخان الأعظم]^(٢) ، وبدلوا في شأنه عطفاً ملكياً ، منح قراراً امبراطورياً بنفاذ حكمه في عامّة البلاد^(٣) ، وسُمح له بالانصراف . فلما لحق بأرزجان ، كان الشتاء قاسياً ، وقد سمع أن السلطان «عزّ الدين» أظهر العصيان ، وأنه سوف ينازعه في سلطنة البلاد ، فاضطر إلى الإقامة بأرزجان ، ونال الجهد من خدمه وحشمه في ذلك الوقت بسبب المجاعة والغلاء العام .

فلما حلّ موسم الربيع جمع «معين الدين هروانه» - وكان عماد دولته

(١) كلاً في أ . ع . ٦٢٨ . ستة ، وفي الأصل : تسعة : يجلسون .

(٢) بياض في الأصل : وفي أ . ع . ٦٢٦ .

(٣) قارن أ . ع . أيضاً .

ويده أمر البيوتات - نحو ألف فارس ، وتوجّه في صحبة «بايان» - وكان أمير ألف من المغل - صوب «توقات» لاستنقاذ الحاشية والأبناء وخليصهم . فحدث صدام بينه وبين «شاه ملك» في «كوه يلدوز» ، وبعد حرب طويلة هزم جيش «هروانه» ، وكاد ينكب في تلك المعركة ، لكن «نجم الدين فرخ» - وكان من خواص السلطان ركن الدين - أركبه وأبلغه «أرزنجان» مع بعض الجند الذين كانوا قد ولّوا الفرار متجهين إليها .

ولم يهدأ «هروانه» من فرط الحقد والغضب ، بل يمّم وجهه صوب البلاط الخاني ، وطلب تجدة من الجند ، فأطلقوا بصحبته «أليجاك» و «قدغان» مع عشرة آلاف فارس لقمع المعارضين والطفاعة . فلما بلغ جيش المغول «أرزنجان» ، اتجه بعد بضعة أيام لفتح البلاد ، وجاء إلى «نكيسار» ، فسلمت في اليوم نفسه ، وخرج أعيان المدينة بالهدايا ، وحملوا السلطان فأدخلوه المدينة في الليل بالشموع ، وأجلسوه على العرش . فأمر بأن تكون إمارة «نكيسار» لهروانه .

وقدموا من هناك إلى «توقات» ، ونظراً لأن القلعة كانت قد سلمت «ليوتاش بكربك» ، الذي واصل المقاومة ، فقد نصبوا الجناح ، ولما لم يجد ذلك شيئاً ورأوا أن الوقت ينقضي دون إنجاز المهام ، تركوا الأمر على حاله ، وأخذوا يترددون حوالي «كباب» و «زبله» و «باريمون» و «قاز أوا» ، حتى وصل الصاحب «شمس الدين الطغرثي» من خدمة [البلاط المعظم]^(١) . وانتهى ذلك النزاع بيمين كفاءته وتدبيره .

(١) كذا في أ . ع ، ٦٢٩ ، وفي الأصل بياض .

ذكر وفاة السلطان علاء الدين [كيقباد] في الطريق ، ورجوع الصاحب الطغراني بالأمر بتولي الوزارة بممالك الروم

وتقرير القضايا

نظراً لأن السلطان علاء الدين كيقباد كان من سلاطين السلاجقة الذين
قلما اجتمع لهم هذا الحسب والنسب^(١) ، إذ أنه من جهة أمه «داودي»^(٢) ،
ومن ناحية أبيه «سلجوقي» ، فقد توجه بأمر أخيه الأكبر السلطان عز الدين
للمشول في حضرة [الخان]^(٣) .

وبعد قطع المسارز وطى المراحل ، شغل ذات ليلة في بعض منازل الطريق
بالتسلية والمتعة مع أمراءه وحرفائه حتى انقضى من الليل نشاء ، فلما تفرقوا اتجه
إلى مخدعه . وفي الصباح حضر الأمراء على عادتهم إلى الأعتاب السلطانية ،
٢٩٣ فرأوا من السلطان / تأخراً على خلاف الميعود . فدخل «مصلح لالا» لكي يبلغ
السلطان بحضور الصاحب والأمراء . فلما دخل شاهدوا عليه تغيراً عظيماً بسبب
وفاة السلطان . ولم يعلم السبب الذي أدى إلى تلك الفجاءة بأي وجه من
الوجوه .

فلما لحقوا بخدمة «منكو خان» أمر بالتفحص عن سبب وفاة السلطان ،
وبالأساس يحابوا الخائن في هذا الصدد ، فلم يتأكد شيء .

وفي تلك الأثناء وصل الرّسل من قبل «بايجو» بأن السلطان «عز الدين» -
سلطان الروم - قد أظهر العصيان ، وأن جيشه التقى «ببايجو فرجي» في صحراء

(١) قارن أ . ع ٦٢٩ ، ٦٣٠ .

(٢) نسبة إلى جفري بيك داود ، أبي السلطان آلب أرسلان .

«رباط علاني» حوالي مدينة «آقسرا» ، وأن جنده قد هُزموا . فلما سمع «منكوخان» هذه الأخبار بادر دون إبطاء بمنح السلطان «ركن الدين» منفرداً سلطنة الرّوم ، كما منحه مرسوماً ملكياً وعملة رأس الأسد .

فلما وصل الصّاحب الطغرثائي إلى خدمة «منكوخان» ، وعرض ما حدث بالتفصيل ، استردّ «منكو» من ركن الدين المرسوم والعملة ، بموجب رأي بدا للطغرثائي ، ووضعهما في الخزانة ، وصرف الصّاحب الطغرثائي - بسرعة وبسجّل - إلى بلاد الرّوم لإحضار السلطان «عزّ الدين» ، فلما وصل إلى السلطان و «أليجاق» في إقليم «كاب» (من نواحي توقات)^(١) ، منحه السلطان «أيوحصار» بالإضافة إلى «قيرشهر» . وأرسل رسلاً متلاحقين - باتفاق بينه وبين السلطان و «أليجاق» - لدعوة السلطان «عزّ الدين» الذي خفّ إلى «آقسرا» ، ووجه «ناج الدّين» برواته إلى السلطان و «أليجاق» و «قدغان» متبشراً بقدمه . فأطلق السلطان ركن الدين «سيف الدين طرمطائي» رداً عليه .

وظلّ «أليجاق» - في تلك الأثناء ، ولمرات عديدة - يبيد رغبته في محاربة ٢٩٤ السلطان عزّ الدين / ، غير أن الصّاحب الطغرثائي كان يحول دون ذلك بأمر «منكو» فاع العالم .

ولما استمرّ توارد الرّسل وتواترهم استقرّ الأمر على أن يكون الملك مناصفة بين الأخوين - على السّوية - فما يكون غربي «آب سيواس» يصبح في حوزة نواب السلطان «عزّ الدين» ، وما يكون بالجهة الشرقية يجعل في قبضة تملك السلطان «ركن الدين» .

(١) إضافة من أ . ج . ٦٣١ .

ذكر توجه السلطانين لخدمة البلاط المعظم

حين تمهدت قاعدة الصلح ، اتجه السلطانان في إثر بعض إلى خدمة [الخان]^(١) ، فلما لحق السلطان «عز الدين» بها ، محت سيماها ولقاء ربنا [في صلاته] السيئات وشفت العثرات ، وأنعم عليه الخان أنواع بشتى الاصطناع ، ومنح العملة والمرسوم الملكي .

وبعد بضعة أيام حين جاء السلطان «ركن الدين» و«الصاحب الطغرائي» و«معين الدين برونه» إلى خدمة [الإيلخان]^(١) ، جدد رعايته القديمة له^(٢) . وتماثق السلطان عز الدين وركن الدين في البلاط المعظم ، وتكلما وتجادنا سوياً في تلك الحضرة بأمر الخان ، فشعرت خلائق العالم بالسعادة والسرور لإقرار السلم بين الأخوين ، وأقر الخان لهما حكم البلاط وفقاً لما كان قد اتفق عليه الصاحب الطغرائي و«أليجاك» و«برونه» من تقسيم الملك بينهما . وأمر بأن يتوجها إلى «تبريز» ، وأن يقوما بترتيب أسباب السفر وفتح بلاد الشام ومصر .

فلما جاء السلطانان إلى «تبريز» ، ولم تكن هناك أموال ، اقترضا من الخزانة العامرة أربعمائة «بالش»^(٣) ذهبي ، لتدبير أمرهما على النحو الواجب ، وأنجها من هناك في خدمة...^(٤) إلى حلب . ولما كان بال الخان قد فرغ من تلك

(١) بياض في الأصل وأ. ع. ٦٣٢ .

(٢) ضرب مؤلف الأصل صفحاً عن الإشارة إلى فقرة وردت هنا في الأوامر العلامية (٦٣٢) تتحدث عن أن الخلافة العباسية قد سقطت في هذه السنة نفسها في يد ممالك الدولة المغولية القاهرة ، وأن أمير المؤمنين المستعصم قد استشهد .

(٣) عملة ذهبية .

(٤) بياض في أ. ع. ٦٣٣ ، وفي الأصل أهمل المحقق الإشارة إلى وجود نقص في هذا الموضع .

٢٩٥ الناحية ، وتشرف القاضي محيي الدين بالمثل بين يدي [الخان] وهو يحمل معه التحف ومقاتيح دمشق [وطلب قائدا لحامية المدينة] ، ندب الخان «علاء الدين كازي» من البلاط لتلك المهمة . ولما أذعن ديار الشام وسلمت بسيف الفاع نصب الخان [كيميوقا نوين]^(١) ومعه خمسة آلاف فارس لحفظها وحمايتها ، بينما تئى هو عنان الفتح صوب «آذربايجان» ، واسترد الأمر الملكي والعملة من «عز الدين» ، وأعطاهما للسلطان «ركن الدين» وبالغ في استعلائته وسمح لهما بالعودة ، فأتجها في سعادة وحبور إلى ملكهما الموروث ، وجلسا على سرير السرور .

وفي تلك الأثناء توفي «الصاحب الطغرثي» فجعل السلطان عز الدين الوزارة بعده باسم «فخر الدين علي» النائب ، ومنحه الخلعة ودواة الحكم ومنصب الوزارة . وأرسل [الخان]^(٢) أمراً بإستاد وزارة السلطان «ركن الدين» باسم «بروانه» ، كما ندب ملك الأمراء والصدور «تاج الدين المعتز ابن القاضي محيي الدين الخوارزمي» لضبط أموال الخاص وحفظها .

وكادت القلوب المضطربة تستقر ، لكن أشرار اللئام والمفسدين من مرتكبي الآثام أدخلوا في روع «بروانه» ما حمل «أليجاق» على أن يكتب إلى خدمة [الإيلخان]^(٣) شكاوى من السلطان «عز الدين» لأنه قد مال إلى المصريين ، وأنه يرسل إليهم الرسل دائما من طريق البحر^(٤) ، فلو أن الخان سمح لثم استدراك

(١) كذا في أ . ع ، ٦٣٣ . وفي الأصل بوغا .

(٢) بياض في الأصل والأوامر العلائية ، ٦٣٣ .

(٣) بياض في الأصل والأوامر العلائية ، ٦٣٥ .

(٤) كذا في أ . ع ، ٦٣٥ : دريا ، وفي الأصل : ديار .

الأمر قبل أن يتحقق له التحالف مع المصريين . فصدر الأمر في هذا الصدد من الخان بأن يجري تأديبه وتوبيخه على النحو الواجب ، وقُضي الأمر بأن ينطلق السلطان ركن الدين مع قواته و «هروانه» صوب «قونية»^(١) .



(١) قارن أ . ع ٦٣٥ .

/ ذكر فرار السلطان عز الدين منهزماً نحو «فاسليوس»

حين رجع السلطان «عز الدين» من حضرة [الخان] ، واستراح مدة من
تعمل مشقة الأسفار ، استشار الصّاحب «فخر الدين» قائلاً : لئن كان قد حدث
اتصال مع السلطان ركن الدين - وهو أخي من صُلبي - [وتحوّل النزاع
والخلاف في ظاهر الأمر إلى مودة]^(١) إلا أن الانفعال قد استبدّ بي من جراء
احتياط «معين الدين پروانه» : فإذا عقدنا العزم على التوجّه مرةً أخرى إلى خدمة
[الخان] على سبيل الاحتياط ودفع كيد الأضداد لكان ذلك أمراً ينطوي على
منافع جمّة فاستصوب الصّاحب «فخر الدين» هذا الرأي ، وتمّ إعداد الهدايا
والتقدمات ، ثم إنهم تقدّموا في الطريق حتى وصلوا بدهليز السلطنة إلى مرحلة
«روزبه» فنصبوا الدهليز هناك ، وقد نهض السلطان بناءً على احتسار
[المتجمين]^(٢) .

ولما لحق السلطان «ركن الدين» و«پروانه» وجند المغل «بأفسرا» وعلم أن
قدومهم إنّما هو على وجه العداء ، أرسل الصّاحب «فخر الدين» لاستقبالهم ،
والاستعلام عن الحال وتدارك القضية ، واستعدّ للفرار منهزماً^(٣) ، وليث ينتظر ما
يحدث . فسمع أنّ الصّاحب «فخر الدين» حين لحق بهم أستدوا إليه الوزارة ،
وأنّ المغل مصممون على إبطال حشاشة السلطنة ، وأنهم قد اقتربوا . فعزم
[السلطان عز الدين] على التوجّه إلى «أنطالية» مع قومه وعياله .

وبعد يومين حين وصل جند المغل والسلطان «ركن الدين» استولوا على ما

(١) زيادة من أ . ع . ٦٣٦ .

(٢) إضافة من أ . ع . أيضا .

(٣) قارن أ . ع . أيضا .

تبقى من معدّات السلطنة وأسبابها لحساب الخان ، ووضعوا يدهم على كلّ ما كان موجوداً بالخزانة ، حتى سلّموه إلى «توكلك بخشي» و «بهاء الدين شاهنشاه» عندما قدما من خدمة الخان لطلبها . وعسكر «أليجاق» في ولاية آقشهر بقرية «قرايوك» ، بينما عسكر السلطان بقرية «ألتوتاش» .

٢٩٧

أ / وأخذ جند المغول يغيرون على كلّ ناحية ، وحشد «علي بهادر» حشداً كبيراً في «سفري حصار» ، وكان يريد أن يشنّ غارات ليلية على جند المغول ، فضلّ طريقه بالليل ، فالتقت به وحدة استطلاعية من جند المغل ، فأبلغت الجيش الكبير ، ونشبت حرب ضروس ، وانتهى الأمر بعلي بهادر إلى الفرار ، حيث خلس إلى ناحية «الأوج» .

واستبدّ اليأس بالسلطان «عزّ الدين» من صلاح الأمر ، فاستقلّ الزوارق التي كانت قد أعدّت سلفاً ، وذهب بأطفاله وعياله إلى «استبول» عند «فاسليوس» ، فبالغ ملك الروم في تعظيمه أشدّ المبالغة ، وكان يقضيان اليوم بأكمله في اللهو . ولحق «علي بهادر» بدوره بالسلطان في «استبول» قادماً من «الأوج» مع شردمة من أنصاره ، فأكرم فاسليوس وفادته ، وألحق هو الهزيمة بضع مرات بخصوم «فاسليوس» وأعدائه ، وأظهر ضروبا من الشجاعة ، ولذلك لبس الخلع القيّمة .

وذات ليلة قال بعض من لم يكن يوسع أدمغتهم الفاسدة تحمّل الاستقرار والهدوء - بينما كانوا في حضرة السلطان - أثناء تبادل الأنخاب : أما وقد حرم السلطان من ملكه القديم ، وقد اجتمع لحاشيته هنا من الأنصار حشد كبير بحمد الله ، فما الذي يحدث إن تمّ القضاء على «فاسليوس» في أثناء التنزّة ، فيعود ملك هذه البلاد على حضرة السلطان فأبلغ «كركديده»^(١) رئيس بيت

(١) «كركديده» : خال الأشكري « (العيني : عقد الجمعان ، ص ٣٢١ ، ٣٨٧) .

الشراب^(١) في السلطنة^(٢) ، بحكم «العرق دساس» ، الأمر إلى أسمع «فاسليوس» . فاحتال حتى دعا «بهادر أغرلو» أمير الاصطبل ، و «علي بهادر» إلى بيته ، ثم قيدهما ، وبعث بالموكّلين على باب السلطان ووالدته ، ثم زج بالسلطان وأقاربه الأقربين في إحدى القلاع ، وسمل عين أمير «الأحور» ، وقتل «علي بهادر» ، وكان / كل من يعتق الذين المسيحي من أتباع السلطان يحظى بالأمان ، بينما كان الباقون يعانون من النكال والعقال .

فألهم الله - تعالى - «صاين خان» أن يرسل جيشاً ضخماً لإنقاذ السلطان «عز الدين» ، وتصادف أن تجمّدت الأرض وظهر الجليد في [شتاء]^(٣) تلك السنة وجمّدت نهر «الدوناب» ، فتيسر بذلك عبور الجيش كلية ، وتم له إخراج السلطان من الحبس ، وتوجهوا لخدمة «بركة» ، فلما لحق السلطان بالخدمة ، بذل له «بركة» من الإكرام واللفظ أنواعاً شتى ، وأقطعة ولاية «سولخاد» و«سوتاق» .

غير أن أصحاب الأغراض أبلغوا والدة السلطان بأنه قد نكب في الطريق ، فاستولى عليها الجزع وألقت بنفسها من القلعة ، فهلكت .

ولمّا سمع السلطان بما حدث لأمه وبوقوع ابنته واخته أسيرتين بيد «فاسليوس» أصابه الاكتئاب ، غير أنه لبث ينتظر «الفرج بعد الشدة» . وسوف نسوق خاتمة القصة في موضعها .

(١) في الأصل : شرا بسالار .

(٢) «وكان علي دين عيسى عليه السلام» . (أ. ع. ، ٦٣٨) .

(٣) إضافة من أ. ع. ، ٦٣٩ .

ذكر تولي السلطان ركن الدين قلع أرسلان

الحكم وسيروته

كان السلطان الشهيد « ركن الدين » وحيد الدنيا وشامة الزمان في نشر الذهب وإشاعة البطولة . كانت لديه قوس وزنها ستين مثناً ^(١) ، وحرية تزن تسعة أمنان ، وكان يستنكف عن الخسة والرذالة جملةً ، ولأن أكثر البلاد قد صارت مملوكة له في أيام حكمه ، فقد كان يخطب بمنحها للناس كتباً شرعية ومواثيق سلطانية ومراسيم ديوانية ^(٢) .

مجمل القول أنه حين تمكن على العرش السلطاني في «قونية» ، وانصرف السلطان «عز الدين» نحو «استمبول» ، جمع «علي بهادر» و«أغرلو» أمير «الأخورة» جمعاً كبيراً من كل ناحية ، وجاءوا محاصرة «قونية» . فاستطاع «بروانه» بمساعدة بعض «المغل» من إلحاق الهزيمة والتكبة بهما في «كارواتسراي ألتونيه» ، وأذاق من أجابوا دعوته شرية العذاب والعقوبة ، وقيد جماعة المتميزين وأصحاب القلم - الذي كانوا يفصحون عن ولائهم للسلطان عز الدين / - كنجيب الدين المستوفي ، و«قوام الدين مشرف الملك» ، و«القاضي جلال الدين سفر يحصاري» قاضي العسكر ، و«سيف الدين خاص قبيه» ، و«كريم الدين عليشير» و«أستاذ الدار» ، وأرسلهم - مقيدين - إلى «أليجاق» فأبلغتهم جميعاً درجة الشهادة.

ولما قتلت هذه الطائفة بغير حق ، حوطب «أليجاق» في أحلامه بمنتهى

(١) المَن : وحدة الوزن تعادل ثلاثة كيلو جرامات تقريبا (فرهنگ فارسی عميد) .

(٢) قارن أ . ع ٦٤٢ .

الشدة والعنف من عالم الغيب ، حتى أنه صحا من الهول وشاهد آثار الأنوار -
رأى العين - على مضاجع أولئك المقتولين المغفور لهم ، وأخذ يهذي بدم
«بروانه» .

وما إن تم حسم حكاية «علي بهادر» ، حتى شرع «شاه ملك» في
العصيان ، وتحصن بقلعة «كداغره» ، وبعد الحصار أنزله السلطان بالأمان
والأيمان ، ثم دفع به الى أيدي المغل فقتلوه شهيدا . ثم اتجه إلى حضرة
«الإيلخان» ، وحصل على مرسوم ملكي بانتزاع «سينوب» من قبضة
«طرابزونى» - وكانت «سينوب» قد انتهت إليه بطريق السرقة ، ثم ظل السلطان
يحاصرها ستين ، ولأن كلمة «لا» لم تكن تجرى على لسان السلطان ركن
الدين إلا في الشهادة ، فقد تيسر فتح «سينوب» في الحال .



ذكر السبب في حادث هلاك

السلطان ركن الدين

قبل أن تدخل حصّة السلطان عزّ الدين من ملكه في تصرّف ديوان سلطنة «ركن الدين» ، أخذ «معين الدين پروانه» يستشير خواصّه في إضافة ذلك الشطر إلى هذا النصف ، فقال «ولد الخطير شرف مسعود» - وكان من آحاد منشئيه - متى تحققت هذه الأمنية منجني سيدي قيادة جند «نكيدة» ، فاستجاب «پروانه» لما تمسّته متفائلاً بذلك ، على أمل أن يثبت «شرف» عند عرضه [على الخان] ما اخترعوه من تهمة للسلطان عزّ الدين ، فراح وجاء عدّة مرات حتى نال «ألياق» الأذن من جانب الخان للتوجّه إلى «قونية» وقيد السلطان عزّ الدين .

ولما اختار السلطان «عزّ الدين» الغربة خوفاً من بأس الخان دون ذنب جناه ، ولجأ ثانية إلى «لشكري» ، تم إسناد قيادة جند «نكيدة» «لولد الخطير» وفاء بالوعد السابق ، فبلغت رتبته في ذلك الاجتباء من القرى إلى القرى ، ومن السّمك السّمك . فلما مضت عدّة سنوات على ذلك ، عجز وعاء وسعه وإناء قدرته عن تحمّل الجاه والثروة ، ولأن الرتبة كانت بغير موضع ، والدرجة خارج الاستحقاق والموقع ، مدّ رجله لأعلى من درجته ، وأخذ يصدر عنه من الأقوال والأفعال ما يناسب أصله ونسبه ، وأباه . فأعرب أعيان الأطراف عن استيائهم لإمارته ، وشرع من استعدهم عليه ومن جعلهم يشكون منه يرفعون القصص ويعرضون الغصص على الدوام .

وما من أمر كان يصدر من أعتاب السلطان بإزالة ذلك العدوان ، إلا وأعرض عن الانقياد له والإذعان ، وواصل المضيّ في طريق التفرّد والتّمرد .

ولم يكن السلطان يقول شيئاً مراعاة لخاطر «بروانه» ، وذات ليلة قال السلطان في خلوة مع ندمائه - وكانوا جميعاً أتباع بروانه : ينبغي تخيير «نكيدة» من شرف . [ويعهد بها إلى من يكون متحلياً بالشغفة والعدل والمروءة والهدب ٣٠١ على الرعية] ^(١) «وربما قال في وقت من الأوقات بتملك «سينوب» على سبيل التندامة ، وهو إنما يريد أن يمنح مدينة كلما أدى خدمة للسلطنة . لقد أمسك «بروانه» وأشياعه بأسنانهم في ملكنا القديم ، وهم يحتقروننا ^(٢) ، وتركوننا بغير نصيب من نصاب الملك ، ولو استمر الأمر على هذا النحو لن يبقى لنا في المملكة حكم . فجدد بنا أن نذهب إلى خدمة الخان ، ونعرض عليه استيلاء الظلمة وشمع المثال ^(٣) .

فقتل أولئك الجاحدون هذا المعنى بالتقوير والقطمير إلى «ابن الخطير» . ولما كان فتاناً غمّازاً ذا كيد عظيم فقد استأذن في السفر إلى أولاده ، وأجلس «بروانه» على النار ^(٤) ، فكانا يتجهان سوياً إلى الصحراء ويفكران حتى قرأتهما في النهاية على التآمر ضد السلطان بمساندة المغل .

وفي اليوم التالي أعد «بروانه» لقادة المغل وإمرائهم أموالاً جمّة ، وأرسلها بصحبة «شرف» ، وأرسل رسالة مضمونها أن السلطان استبدت به الرغبة في التحالف مع الشاميين والشروع في التمرد ، وكنت أنا أحول دون ذلك ، الأمر الذي جعله يعقد العزم على القضاء علينا ، ومنى فرغ من أمر قتلي سيجمع

(١) زيادة من أ . ع ، ٦٤٥ .

(٢) كذا في أ . ع ، ٦٤٥ ، وفي الأصل : «وهم يحتقرون الناس» ، وهو تصحيف لكلمة ما : نحن ، حيث أوردها : مردم : الناس .

(٣) كذا في أ . ع ، أيضاً ، وفي الأصل : مثال : يعني أمر ، وهو تصحيف بلا شك .

(٤) يعني آثاره على السلطان .

الجموع لاستئصال شأفتكم ، فإن بادرتم بتدارك الأمر قبل أن تنتقل الفكرة من حيز القوة إلى الفعل ، لكأنت في ذلك مصلحة عظيمة .

فأعرض معظم أمراء المغل عن ذلك وأحجموا عنه ، حتى حمل لا ينال بارغوجي ^(١) - وكانت بينه وبين « پروانه » صداقة - أمراء المغل على التحرك لتفحص الحال نحو « آق سرا » . كما اتجه إليها « پروانه » بعاكروه وعسكر « نكيدة » وأتباع « ولد حاجا » [الجمال] ^(٢) - وكان من سفلة و مجاهيل الترك المرتزقة / ٣٠٢ وانتشله پروانه من الحضيض فكان في ذلك كالزمان محباً للأتذال مريباً للجهال . ثم أرسلوا في طلب السلطان رسولاً إلى « قونية » لإخباره بأن أمر الخان قد صدر بشأ إحدى المهام الدقيقة ، وأنه لا بد من حضوره لسماع ذلك الحكم ، فاتجه السلطان من « قونية » إلى « آق سرا » ، ويوم لحق بهم كان تاج الدين معتز هو الذي أقام الضيافة ، فنجح السلطان فيها كؤوساً ثقيلة ، فلما آتت سورة الخمر وارتفع جلباب الحياء ، قتل أمراء المغل حبال العتاب مع السلطان ، وأغلظوا له في الخطاب فائلين : لأي سب نفصد قتل « پروانه » ، وما التقصير الذي فعله في خدمتك لكي يستأهل منك هذا التفكير المستهجن ؟

أجاب السلطان : لا علم عندي بما يقوله الأمراء ، وما جرت كلمة على لساننا أبداً في هذا الصدد لا في حالة الصحو ولا في حالة السكر . ولو قدم الأمراء استكشافاً شافياً ، لأصبح من المؤكد أن يخجل الناقل . فردّ الأمراء : طالما أنّ هذه الحكاية لم تتكرر ، ولم يبلغ الأمر هذا المبلغ ، فإنك لو سلمتنا تلك الفتنة الجافية الذين قاموا بالتحريض على هذا الغدر فإن عقابهم سيتم وفقاً لقانون

(١) كذا في أ . ع ، ٦٤٦ ، وفي الأصل : باناك .

(٢) أ . ع ، ٦٤٦ .

«الياسا»^(١) ، ولكانت نجاة السلطان أمراً ميسوراً ، أما إن أهملت فلن نبقى أرنذر . قال السلطان : سأفكر في هذ الأمر ، وأطرحه غدا على الأمراء . وبلغت تلك الجلسة نهايتها بذلك القول .

وفي يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى سنة ٦٦٤ فارق السلطان المدينة ؛ وكانت نوبة الضيافة على السلطان في ذلك اليوم ، فشغل بالصيد مع الأمراء ٣٠٣ وتناول وجبة معهم / ، وكان جند المغل قد غرقوا في السلاح ، وأحاطوا بالسلطان من بعيد . فلما دخل الخيمة دعا إليه المغول ، ووضع الخوان ثم رفع ، وقدم السقاء الخمر . فشعر السلطان بالملل من الزحام ، والحر في الخيمة التي جلسوا فيها ، فأعطى قميصه « للمجامه دار »^(٢) فأروه قد ربط حول خصره بضعة خنجر ، فاستلواها واحداً واحداً لمشاهدتها ، وبدأوا في توجيه العتاب إليه ، فقالوا : بالأمس اتفقنا على أن نسلعنا أصحاب سعاية « پروانه » ، لكنك لم تفعل ، فشرع في الاعتذار ، ولم يقبلوا عذره ، وفي أثناء الحوار دسوا السم في قدحه ، فلما تجرعه لم يلبث طويلاً حتى ظهر تغير كامل في مزاجه الكريم ، ولما غلب السم في أعماق العروق واستولى الاضطراب على الروح ، خرج للتبول ، وطلب حصاناً فركبه واتجه صوب المدينة ، فلهقوا به وأعادوه .

وبعد مدة خرج أمراء المغل مع « پروانه » ، وبقي ضياء وشرف ابنا الخطير مع عدد من المغل ، وأسدلوا باب الخيمة ، وخلعوا عنه عباءته وأخذوا في توجيه الركلات إلى مثل ذلك السلطان ، ولشدهما صاح واستغاث ، لكن لم يكن ثمت

(١) الياسا : قانون وضعه جنكيز خان ، التزم به المغول التزاماً كاملاً ، وجعلوه دستوراً مقدساً لهم .

(٢) يعني المستول عن الثياب السلطانية .

أثر لثرفة والرحمة ، وفي النهاية بعثوا بروحه إلى الجنان بوتر القوس .

فلما فرغوا من القضاء عليه ، توجه المغل لمعسكرهم الشنوي ، وجاء الأكابر بأسرع ما يمكن إلى « قونية » .

ذكر سلطنة غياث الدين

كيخسرو بن قلج أرسلان

حين وصل أركان الدولة إلى « قونية » المحروسة ، اجلسوا السلطان غياث الدين - وكان قد تيسم عن أبيه وهو ابن سنتين ونصف - على عرش السلطنة ، ثم أقسموا على الولاء له ونصرته . وباشر كل من الصاحب [فخر الدين علي] و« پروانه » مصالح الدولة متعاونين فيما بينهما بالكفالة والكفاية ، فنشأ السلطان وكبر في حجر تربيتهما ورعايتهما كالغصن على شاطئ الماء الزلال . وأخذ يزين المنشورات والأوامر زمناً بالتوقيع بقالب عشيبي ، فلما فارق مرحلة الطفولة إلى حدّ النضج ، ووضعت القدم في دائرة فهم الأشياء وحفظ الأسماء أتوا له بأستاذ لكي يشغل بالتعليم .



ذكر اعتزال الصاحب فخر الدين واعتقاله

بقلمة عثمان جوق

أرسل السلطان « عز الدين » من ديار الغربية رسالة تتضمن صورة الحال وقلة المال إلى الصاحب « فخر الدين » - الذي كان من قبل وزيراً لسلطنته . فظهرت الشفقة في باطن الصاحب على العادة السابقة ، وتداول في الأمر مع « پروانه » ، وأرسل إليه رسائل السلطان ، فأخذت « پروانه » رقة من مطالعة رسالة السلطان ، واحتفظ بالرسائل عنده بعد أن تصفحها .

وفي اليوم التالي اتفق للصاحب أن التقى « پروانه » فسأله على أي نمط ينبغي أن يكتب جواب السلطان عز الدين ، وهل يمكن إرسال شيء إليه أو لا ، وبخاصة في هذه الحالة التي أحاطت فيها العسرة بأيامه وأمسك العوز فيها بتلابيه . أجاب « پروانه » : « إن حال السلطان شبيه بحال السلطان « طغرل » ، وكان حين النزوح من جور الأمراء ، وأخذ يطوف مشرداً في أطراف البلاد بسببهم ، أرسل إلى ملك الأرمن هذا « الدوبيت » يستمحه فيه :

٣٠٥ / تكرم اليوم يا من أنت للكرم جناح

فلقد أصبح الموت حلالاً لنا من الفقر والعوز

سوف يتحسن حالي بالنجم غدا

ولن أتلقى الجوهر من كفك بتذلل

فلما طالع الأرمني هذا الدوبيت ، لم يدر قط ولو دورة واحدة حول المرءة ولم يرشح إناء سخائه ، وظل على بنخله وشحه ، فارجل السلطان هذا الدوبيت

من فرط الغضب :

أيها القلب ، لئن كنت واقفاً في هوى الأرمـن

فأكون امرأة لو لم أخل ساحتك من الحزن^(١)

ويا أيها الفلك ، إن لم أتخايل لأطرد

الثور من البيدر كنت أنا في البيدر^(٢)

وغدا اسم ملك الأرمـن من أجل ذلك البخل سمراً يسمر به الناس . وفي مثل هذه الأوقات تكون رعاية وليّ النعمة شرطاً لازماً من شروط المروءة . ولو كان قد بعث إليّ بكتاب في هذا الصدد، لكنت قد بذلت كل ما في ملكي .

وحين نال الصاحب الإذن من « پروانه » أرسل إلى السلطان رسالة جوايية مع بضعة أثواب ومشربة ذهبية وزنها خمسمائة مثقال وطرائف أخرى .

وبعد مدة بدأ الأضداد السعاية بين « پروانه » والصاحب ، وحسوا پروانه على حيسه وإذلاله وقبده والتشكيل به ، لكنه كان يخشى ويحتاط من ناحية الأمير ٣٠٦ « تاج الدين حسين » / ولد الصاحب ، وكان لا نظير له في قيادة الجند والطمع بالخنجر والافتتان بالحياة العسكرية والسخاء . فقال شرف « ولد الخطير » : أنا أكفيكم أمره فأدعوه إليّ وليمة في بيتي ، فإن عزم على الخروج منعه .

(١) كذا في أ . ع ، ٦٥٣ . ومجمع الفصحاء ، لرضا قلي خان ، طبع طهران ، ١٢٩٥ هـ . ١٠ : ٣٧ : خالي نكتم از تو حزن زن باشم . وفي الأصل : خالي نكتم زارزن ارزن باشم ، ولا معنى لها يعتد به .
(٢) يعني أنه إن لم يفعل يصبح عرضة لأن يدوس عليه الثور في البيدر كالغلال ونحوها .

وفي اليوم التالي ، ذهب الصّاحب وه « بروانه » والأمير تاج الدين « وولد الخطير » للزّهة في خدمة موكب السلطان ، فلما نزل السلطان بعد أن قام بجولته قال « الشرف » لتاج الدين إن في رأسي خماراً من شراب الأمس ، ولديّ صحن أو اثنان من حساء السّماق^(١) ، وهو ما لا يمكن علاج آلام من يعانى من أثر الخمر إلا به . فلو تجشم مولاي المشقة وتفضلّ معي لكي تتناوله سويّاً ، ونيادر بتبديد الخمار ، فلن يكون ذلك يبيد عما عودتم هذا المملوك عليه من تلتطف .

ولفرط ما كان عليه من سلامة قلب أجاب ولد الصّاحب دعوته ، وذهب إلى بيته ، ودخل معه من باب الملاطفة ، ثم شرعوا في المزاح والمطايبة . وبعد رفع المائدة أزمع ولد الصّاحب الخروج ، فكشف « الشرف » نقاب الحياء ، وقال : ليس مسموحاً لك من جانب الأمير « بروانه » بمبارحة هذا المكان . قال ولد الصّاحب : المروءة مع الإخوان والرّفاق تقتضيك ألا تفعل هذا . فلم يجد ذلك شيئاً ، ورضي مدعناً بالقضاء ، وهدأ . فسطر « ولد الخطير » في الحال على ورقة : « فضي الأمر » ، وبعث بها إلى الديوان عند « بروانه » فوراً .

وقام « بروانه » على الفور من مقدّمة الصّفّة حيث كان قد جلس مع الصّاحب وه أرسلان دغمش « وه طرمطاي » ، وجاء بحبب الصّفّة ، وأرسل الرسالة التي كان السلطان « عز الدين » قد بعث بها إلى الصّاحب على يد أحد الأكابر لكل من « أرسلان دغمش » وه « طرمطاي » وه « الصّاحب » ، وقال :

٣٠٧ كيف يمكن العيش مع من يفكر في المكر بمولاه والغدر به ويناصر معارضيه . /

(١) في الفارسية : تتماج : حساء السّماق ، والسّماق شجرة تستعمل أوراقها دباغاً ، وينورها تابلأ . (المعجم الوسيط) .

قال الصَّاحِبُ : عندما وصلتُ إليَّ هذه الرسالة أرسلتها إليك في الحال ، وذكرتُ ما كان من مشاقهات في الوقت المناسب ، فلا ذنب لي في هذه القضية ، وليكن بعد ذلك ما يأمر به الله ومولاي .

وجرى احتجاز الصَّاحِبِ في بيت من حجرات قصر السلطنة مدة من الزمن ، ومن ثم أُرسِل إلى بيت أمير العدل ، وصُرف « شمس الدين ولد صدرو » إلى أمراء المغل وقادتهم لإطلاعهم على هذه القضية ، وبعثوا معه بأموال كثيرة للتحفير من شأن « فخر الدين » الوزير وتعظيم وزره ، ومن أجل ذلك منح « ولد صدور » قيادة قوة « آمد » .

ولما سمع أمراء المغل قالوا : مهما كان الجرم الذي صدر عنه كبيراً فلا يجب الاستعجال في إبطال حشاشته والقضاء عليه طالما لم تُعرض القضية على حضرة [الإبلخان]^(١) ، وإنما كونوا قريبين منه ، ولا ترتكبوا أي خطأ ، وبالغوا في حراسته .

فلما عاد « ولد صدرو » ، أُرسِل الصَّاحِبُ إلى قلعة « عثمان جوق » ، وأُطلق سراح ابنه بكفالة « ولد الخطير » بشرط أن يلازم « پروانه » في السفر والحضر . وسوف يرد فيما بعد ما آل إليه حال كل منهما .



(١) بياض في الأصل وأ . ع . ٦٥٦ .

ذكر تبديل المناصب في ديوان سلطنة بلاد الروم

حين بعث بالصاحب « فخر الدين » إلى قلعة « عثمان جوق » ، أعطيت الوزارة « محمد الدين محمد بن الحسن » المستوفي الأرزنجاني ، الذي لم يكن له من ثاب في أنواع الفضائل في العالم الفاني ، وأسد الاستيفاء للمصدر المعظم ٣٠٨ « جلال الدين محمود المشرف » ، والإشراف « لظهير الدين متوح بن / عبد الرحمن » - وكان من أحفاد « أبي يوسف » ، والنظارة « لزين الدين أحمد الأرزنجاني » ، وكان كلٌ منهم يقوم بعمله على أحسن وجه ويقدر الإمكان . فلما نزل الصاحب « فخر الدين » من قلعة « عثمان جوق » ، وذهب إلى خدمة [الخان]^(١) وطُرحت الحكايات للمناقشة ، طلع الصاحب من تلك القرية نقي الساحة والعرض ، وأمر [الخان] بأن [يذهب]^(٢) إلى بيته ، وأن يتدخل في الأمور السلطانية والأشغال الديوانية .

غير أن الصاحب ظلّ فترة من الوقت مقيماً ببيته ملازماً لداره ، وسُغل بضبط الأملاك والعقارات وعمارة الأوقاف ، ولما انقضت مدة على العزل وتسلل السأم والملال إلى نفسه من تسلط الأراذل ، اتجه - أنفةً منه وإباءً - إلى ديوان « آباقا »^(٣) ، فأسندت إليه الوزارة من جديد ، وفوضت إلى ابنه قيادة

(١) بياض في الأصل وأ . ع ٦٥٧ .

(٢) إضافة من أ . ع ، أيضا .

(٣) آباقا : هو آباقا خان بن هولكو ، تولى حكم « الإيلخانيين » في إيران والعراق سنة ٦٦٣ ، وتوفي سنة ٦٨٠ . راجع الفصل القيم الذي كتب عنه عند أستاذنا الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد في كتابه : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين : أسرة هولكو خان . من منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ، الذوحة ١٩٨٧ م ، ص ٢٢ وما بعدها .

قسوات « لاديق » و« خوناس » و« قرا حصار دوله » وأعاد « آباقا » الأب وابنيه
إلى الروم قائمين مغتبطين .

فلما عاد إلى مباشرة الوزارة ، أسندت « الأنابكية »^(١) إلى الصدر مجد
الدين ، وكانوا جميعاً بلازمون الأمير المعظم يرقواخا^(٢) الذي كان قد جاء
لحكم مملكة الروم .



(١) لقب شرقي ، فالأنابك ، ومعناه الأمير الوالد ، انظر ما سلف ، ص ١٧٤ هامش ١ .
(٢) كذا في أ . ج ، ٦٥٨ ، وفي الأصل بياض .

ذكر بعض أوصاف الأتابك مجد الدين وخاتمة أمره

كان الصّدر المعظّم فريد العالم * مجد الدين محمد بن الحسن الأرزنجاني؛
نادرة الأيام في أنواع الفضائل والآداب والتبحّر في فنون الحساب . كان خطّه في
غاية الجودة وعبارته في غاية اللّطف والدّوق ، وكانت روايت مبرّاته في حق
الخاصّ والعام من أهل الإسلام - سيّما في شأن السّادات والأئمّة - متابعه
متواترة كشعاع الشمس وقطرات السّحاب ، وكان قد أمّ إماماً كافياً بقرض
الأشعار ونقدها وسبك الرّسائل عربيّها وعجميّها . وعند وفاته كان أبقظ عقلاً
وأسلم وعياً .

٣٠٩ كلّ من مرّ على بابهِ في أيّام حياته أو ألقى عليه سلاماً / حظي بإنعام منه في
حالة [الوصيّة]^(١) ، ودعا إليه وهو في التّرع الأخير الخدم والحشم فودّعهم
جميعاً بوجه بشوش ضاحك ، ثم ولى وجهه صوب دار القرار .

ومن بين رسائله رسالة قد كتبها في جواب ملك السّادة ، سالك سبيل
السّعادة ، مالك أزمّة العارفين ، حجّة الأولياء في العالمين ، شرف الملة والحقّ
والدين : الحسين العلوي الطباطبائي الشيرازي^(٢) ، أدام الله على كافة المسلمين
بركته ، [ونوردها]^(٣) لكي يُستدلّ على وفور بلاغته ، [وهذه هي]^(٤) :

أمّا الخطاب المبارك لمولانا ملك السّادات ، فلك السّعادات ، افتخار العترة

(١) إضافة من أ . ع ، ٦٥٩ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي أ . ع ٦٥٩ : الإصنهاني .

(٣) زيادة من أ . ع ، أيضا .

(٤) كذا في أ . ع ، ٦٦٠ وفي الأصل : وابان ايامك .

الظاهرة ، وليّ الكرامة الظاهرة ، ، علّم الهدى ، معلّم الورى ، شرف الملة
والدين ، حجّة الإسلام والمسلمين ، أبد الله فضله وأفضاله ، فكان يتيمة بحر
السعادة ، فغدا تميحة نحر الإرادة ، وحظيت آثار الأنامل^(١) الشريفة بالتعظيم
والتبجيل بزينة حدقة الفضل ونور حديقة القول والفعل على سبيل التيمّن
والتبرّك ، فوصل إلى مشامّ الرّوح من مطاويها وفحاويها نسيم الروض التّاسم ، لا
بل نفحات مكارم أخلاق أبي القاسم - عليه السّلام - ما كرّنت المواسم .

إن هو إلا زمن وليّ في سعود تلك السّعادة العظيمة وجهه صوب الأفول ،
وتعرضت غصون تلك النّعمة والتّعيم لوصمة الذبول ، فإذا به الآن قد طلع
ونفع^(٢) بحسن التفات المولوي ويمن نظره . كان هذا البيت من الحماسة يجول
بخاطري في اليقظة والمنام :

عسى الأناهم أن يرجعنَ قدماً كالذي كانوا

وكانت عين البصيرة برغم ذلك لخيال الجمال المبارك ناظرة ولسان
٣١٠ السّيرة / له مسامرة . وكان تكرار هذا البيت وإعادته يعدّ نوعاً من تسليّ الضمير
والخاطر :

وعدّنتي الأيام منك يوصلُ آه^(٣) لو كانت^(٤) تصدقُ الأحلامُ

إلا ووصل الآن الصّدر « صلاح الدين » أنجز الله وطره كما أحسن ستره ،
وأبلغ بخطر الحضور المبارك إلى هذه النّاحية ، فأنهى بشرى مباركة ، فنشأ في

(١) كذا في أ . ع ، ٦٦٠ وفي الأصل : وبان الهامك .

(٢) في الأصل : مانع ، والتنصيح من أ . ع ، ٦٦٠ .

(٣) كذا في أ . ع ، أيضا ، وفي الأصل : له .

(٤) في الأصل ، وأ . ع : كان .

الضمير : ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾^(١) ، والمأمول أن تُقرأ عمّا قريب عند
توال شرف الخدمة ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾^(٢) . وما ذلك على الله بعزيز .



(١) سورة يوسف : ١٠٠ .

(٢) أيضا .

ذكر تشرف الملكة المعظمة سلجوقى خاتون

ابنة السلطان ركن الدين بتزوج ابن الخان

وعصيان ولد الخطير

حين صدر الرأي العالمى والأمر النافذ بأن تدخل واحدة من بنات السلطان ركن الدين في حباله تزوج إمبراطور العالم ، وأن يجاوزوا بشاره الرأية السلجوقية بسبب ذلك الافتخار كوكب « العيوق » ، شرع السلطان غياث الدين كيخسرو وأمراء سلطنته في ترتيب جهاز الملكة ليل نهار ببال منشرح وآمال منفسحة ، وأنموها . وفوضوا أمر الإعداد للصدر « كمال الدين ابن الرّاحة » حتى أعد لكل شيء عدته في أيام قلائل .

ومضى الصّاحب وه پروانه « وه أمين الدين ميكائيل » نائب الحضرة سائرين على الأقدام في خدمة الهودج السلطاني ، وصرقوا السلطان « غياث الدين » وبصحبته الأنابك « مجدد الدين » و« جلال الدين المستوفي » وه طرمطاي بكلمكي « إلى قيصريّة » .

٣١١ وعند / الوداع أسره معين الدين پروانه « إلى « تاج الدين كيو » - قائد جده - وه سنان الدين ولد أرسلان دغمش « قائلاً : إني لا أتفرس آثار الخير - بأي وجه من الوجوه - في حركات أولاد الخطير الزنجاني وسكتاتهم ، ولا شك أنه ستصدر عنهم فتنة عظيمة وبلاء وبيل ، ولو لم تكن الفرصة سانحة لأداء هذه المهمة الدقيقة لكنك أمحو صدأ وجودهما من مرآة الوجود بمصفل (السيف) اليماني المصقول ، رغم أنني أنا الذي انشلتهما من الحضيض ، إلا أنه يجب أن تنتهزا سوباً الفرصة في آناء الليل وأطراف النهار ، وأن تلزما جانب الحيلة

والحذر فتعملا بكل وسيلة وحيلة على قتلها ، وتعدا المسارعة في إهراق دم الأخوين أمرا واجبا .

فالتزما أمام الأمير « پروانه » بإجبار هذه المهمة ، لكن التصوير كان في معمل القدر على خلاف تصوّرهما . ذلك أنه حين لحق موكب السلطنة « بقيصرية » توجه « شرف الدين ولد الخطير » مع جماعة من جند الرّوم وعكسر المغل نحو « أبليستان » لحراسة الثغور ، ونزل « بيكار باشي » ، وفجأة أغارت عليهم من أحد الممرات كتيبة من جند الشام وأخذوا معهم جانبا من قادة جند الرّوم مثل « روم راي » و « تركري » و « سيف الدين أبو بكر الجاسمدار » ، و « سيف الدين قراسنقر » ، ولما كان ولد الخطير وحراس المغل كثيرين ، فقد رجعوا ونزلوا « كاروانسراي قراطاي » على أن ينزلوا من الغد بصحراء قيصرية .

فجاء « تاج الدين كيو » و « سنان الدين » من هناك في الحال إلى قيصرية ، ٣١٢ وذهب عند « ولد پروانه » ، وأعادا على مسامعه ما كانا قد سمعاه من أبيه من حكم حين قاما بتوذيعة ، فأقسم الثلاثة متفقين على تنفيذ هذه المهمة بحيث إذا جاء الأخوان أمام ولد پروانه - على أن يكون حضورهما بالقصر السلطاني - فعليهم حينذاك ألا يتوانوا عن قتلها .

غير أن شخصا من ملازمي « ولد پروانه » أبلغ هذا السر لضييا [ولد الخطير] ، فسّر ضيا في الحال رسولا إلى أخيه ، وكشف عن القضية ، فأمر أتباعه بأن يلبسوا السلاح جميعا ، لكي يعملوا سهوفهم دون إبطاء في « تاج الدين كيو » صباح الغد بعد المعانقة .

وفي اليوم التالي ذهب ضيا لاستقبال أخيه ، وأعاد على مسامعه الحكايات ،

فاشتعلت نائرة غضبهما معا . وركب « ولد پروانه » في ذلك اليوم على اعتبار أن ولدي الخطير سيذهبان إلى خدمته - كما دتتهما - وعليهما غبار السفر^(١) . وتقدم « تاج الدين كيو » و« سنان الدين » مع عدد قليل ممن كان معهم من الرجال للاستقبال ، [فلما التقوا]^(٢) قال « الشرف » معاتباً « كيو » : ماذا كان يحدث من نقصان لو تقدم ولد مولانا لاستقبالنا ؟ قال « كيو » : إن كان لديه عذر فليتجاوز عنه ملك الأمراء ، ويتجه إليه حتى يشعر هو بالخجل . فتحقق لدى « الشرف » بهذا الجواب حديث المؤامرة .

وعند ذلك تقدم « ضيا » بزعم معانقة « تاج الدين كيو » - إذ أنه لم يكن قد رآه من مدة طويلة - واستلّ السيف خفية من غمده ، وشقّ به يد « كيو » اليمنى ، فامتشق « كيو » حسامه بيده اليسرى وأخذ يظعن كلّ من كان يصادفه ، ولما كانت الضربة التي وجهها إليه « ولد الخطير » قد أثرت فيه تأثيراً كبيراً فقد انكفأ على وجهه ، ففصلوا رأسه في الحال عن جسده ، وربطوها في مؤخرة سرج « ضيا » ، كما استشهد هناك أيضاً الأمير « سنان الدين » .

٣١٣ / وحين أصبح عصيان ولدي الخطير أمراً ظاهراً ، [واشتعلت نار الغدر والخيانة ، وتطير شر الشر]^(٣) نشأ الهرج في داخل المدينة وخارجها ، وانطلق « الشرف » بالأعلام وبمن كان معه من الجند إلى صحراء المشهد ، وتوقف هناك ، وأرسل إلى المدينة من يأتي إليه بالسلطان . وبعد كثير من التمتع والإباء اضطر الأتابك وه طرمطاي « والمستوفي إلى إركاب السلطان ، ثم جاءوا به إلى

(١) قارن أ . ع ، ٦٦٣ .

(٢) زيادة من أ . ع ، أيضا .

(٣) زيادة من أ . ع ، ٦٦٤ .

وفي اليوم التالي انطلقوا إلى « نكيدة » ، فلما بلغوها ، أرسل « الشرف »
 أخاه « ضيا » إلى بلاد الشام للإخبار بالحال وطلب التجدة بالرجال ، وألزم
 « الأنابك مجد الدين » و« جلال الدين المستوفي » و« سيف الدين طرمطاي »
 ليصرفوا إخوانهم وأبناءهم في صحبة « ضيا » . وتشكل في « نكيدة » لوجود
 السلطان جمع كبير وحشد هائل . وكانت الخيلاء والحماسة التي تملك
 « الشرف » تتزايد بمرور الأيام ، فأخذ يمارس التكبر الفاحش على أكابر الدولة ،
 ويكيد كل وقت بالأنابك [والمستوفي] (١) - فكانا حين يعلمان بالحال
 يرسلان الكثير من المال ، ويجعلان الخزانة وقاية ل نفسيهما .

وفي كل يوم كان يظهر رسل مزيفون من طريق الشام بأن « الفندقدار » (٢)
 سيصل في اليوم القلاني بجيش كثيف ، وأخذوا يضرّبون البشارات بهذه
 الأكاذيب ، وعاشوا زمناً بين هذه الحالة وتلك الحيلة .

(١) أ . ع ، ٦٦٥ .

(٢) يعني الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار ، من سلاطين المماليك بمصر
 والشام ، تولى الحكم من ٦٥٨ - ٦٧٦ .

ذكر وصول هودج الملكة وعودة الأمراء

وسكون فتنة أولاد الخطير

وحين لحق الصّاحب وه بروانه ، والنائب بخدمة [الخان]^(١) وحملوا العروس بكلّ عزّ وجلال من منصة الجلوة إلى حجلة الوصال ، وقوي ظهر سكان ديار الرّوم بتلك الصّلة ، حظي الصّاحب وه بروانه ، بمزيد من العطف واللفظ - يربو على المعهود - من جانب الحضرة الخانية ، وأضاف فريضة من ديار الأرمن إلى ممالك السلطان ، وتوجه الصّاحب وه بروانه ، صوب المملكة وهما في غاية السعادة والانسراح .

٣١٤ فلما بلغا حدود / « أرزن الروم » ، سمعا بخبر عصيان ولدي الخطير ، فمرضا صورة الحال في الحال على حضرة [الخان] ، فصدر الأمر النافذ بأن يتوجه ولد الخان الفاعح بنفسه وه تودون بهادر « وه توفو آغا » مع جيش جرّار إلى الرّوم لدفع فتنة ولدي الخطير .

كان « ولد الخطير » قد مضى في طريق الجنون كعادته القديمة ، فشرع في توزيع الولايات على أناس دون ومارقين فسقة ، وأزاح نقاب الحياء عن طالع الوفاء ، [وترك التحفظ والاحتشام كليّة]^(٢) ، لكنّه كان يحترز من قبل أركان الدولة ، ولذلك كان يتحصّن تارة في « نكيدة » وتارة في « دولو » ، ويبثّ الحيرة في من كان يتبعه من الناس مضطراً^(٣) .

(١) يباض في الأصل رأ . ع . ٦٦٦ .

(٢) أ . ع . ٦٦٧ ، وعبارة الأصل مضطربة للغاية .

(٣) قارن أ . ع . ٦٦٧ .

وفجأة أبلغه الجواسيس بأن « پروانه » قد وصل بجند لا حصر لها في خدمة ولد الخان ، واتخذ الحيطة لحفظ الجوانب وسدّ المهابز وحراسة المسارب . فلما سمع « ولد الخطير » هذا القول ارتجف واضطرب كما يرتجف ورق الصفصاف ، واسودّت الدنيا أمام عينيه خوفاً من جيش المغل . فجاء إلى دهليز السلطنة ، ودعا إليه الأمراء وقال : إنني لا أرى مصلحة ولا رأياً في تدارك سوء أفعالي إلا الفرار إلى بعض معاقلني ، انصرفوا أنتم في خدمة موكب السلطنة إلى « پروانه » . ثم ودّع الأمراء ، وسلك طريق قلعة « لولوه » مع بضعة نفر من جنده . فلما اقترب من القلعة أذن لأهله وودّعهم ، وصعد مع أحد الغلمان إلى القلعة ، فقيده محافظ القلعة في الحال ، وأبلغ الأمر للأعتاب السلطانية .

أجل ، حين ذهب شرف الدين إلى القلعة أركب أركان السلطنة السلطان ٣١٥ عند صلاة العشاء / وانطلقوا مسرعين ، فبلغوا « دولو » في منتصف الليل ، فأمضوا بقية الليل في الميدان ، وفي الصباح أشعل لهم « پروانه » - بظلمته الغراء - الشمعة المضئة للعالم ، فدبّت فيهم الحياة من السعادة . وكان السلطان قد خلد إلى النوم ، فلم يدعهم يوقظوه ، وقال : إنما نتحمّل نحن كل هذه المشقة من أجل راحة ذاته^(١) الشريفة . ووضع هو بدوره رأسه على الوسادة .

فلما ارتفع النهار قبّل « پروانه » يد السلطان ، وانطلقوا سوياً إلى خدمة أمراء المغل ، فلما التقى بهم السلطان ، أنشأ « پروانه » فصلاً في باب براءة السلطان من ذلك العصيان ، وجعلها مقبولة في مقاعد السّمح . وبادر أمراء المغل بتسليّة خاطر السلطان . ولما كشف « پروانه » عن أمر اعتقال « شرف » الخائن سرّوا بذلك سروراً بالغاً ، وبعثوا « بسيف الدين جالش » وكتيبة من فرسان المغل

(١) كذا في أ . ع ٦٦٨ : ذات ، وفي الأصل : دبر .

والمسلمين إلى القلعة لاستمالة محافظتها واستنزال « شرف » . فأتى « جالش » ،
 « بشرف الدين ولد الخطير » إلى أمراء المغل بغلّ الذلّ ، فأخذوه للتحقيق
 والسؤال ، وقتلوا « ولد قلاوز » أمير الصيد و« سنجر » الجامدار و« قيبة » الخادم
 وكان سبب الفتنة وهو الذي سلّم السلطان لولد الخطير ، وتمّ التحقيق مع الأمراء
 الآخرين الذين كانوا قد تبعوه مضطّرين ، وحددوا جرم كل واحد منهم بعد
 تفحص الأحوال .

وكان الصّاحب و« تداون بهادر » قد بقوا في الخدمة لدي واند الخان في
 أطراف أبلستان لحراسة الممرّات . فلما رجع ولد الخان وعزم على التوجه إلى
 البلاط الخاني ، وعاد « توقو » بدوره إلى البلاد ، أتوا « بولد الخطير » ، وجرّوه
 ٣١٦ للتحقيق / فأخذ لفرط دهشته وغاية حيرته يجيب عن الأسئلة إجابات متناقضة ،
 وفي نهاية الأمر نفذوا فيه حكم « الياسا»^(١) ، وبعثوا بيده ورجله ورأسه وسائر
 أعضائه ففرّقوها في مختلف الديار لكي يعتبر الجاحدون وكافرو النعمة وينزجر
 الخدم الغدّارون .

ثم إنهم توجهوا بعد ذلك للمشتى . وفي ذلك الشّناء ظل أمراء الروم
 ملازمين للمغل من الصّباح إلى المساء بسبب هذه القضايا ، وكانوا يقضون
 أوقافاً عميرة من الخوف واعتراض صروف^(٢) الأيام . فلما انتهت هذه الحكاية ،
 وانقشع عنهم عتاب التحقيق والطلب ، ورغب النّاس في الراحة والاستقرار ،
 ظهرت حالات عجيبة تجعل الولدان شبيهاً من حجاب القدر ، وتبدّل الاحترق

(١) نفذ فيه حكم « الياسا » يعني أنه قتل . و« الياسا » هو القانون الذي وضعه جنكيز
 خان للمغول ، راجع فيما سبق ، ص ٣٦٧ هامش ١ .

(٢) كلنا في أ . ع . ٦٦٩ : صرف ، وفي الأصل : رخته : لفرقة ، ولا معنى لها .

بالعُرس ، والتترّح بالفرح ، والمأتم بالارتياح ، والغمّ بالسرور . وتزلزلت المملكة
وتخلخلت قواعد السلطنة ، وأدت الحركة غير الصائبة التي أتى بها « فنقدار »
صاحب الشام إلى أن تصل آلاف الجرعات المسمومة الفتاكة لمذاق الخاصّ والعامّ
، ويفعل الله ما يشاء .



ذكر خروج الفندقدار من ناحية الشام

حين عمد من يزيّنون الدّنيا بقدره ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾^(١) فحملوا متاع ملك السيّارات من حانوت الحوت إلى منزل المحمّل ، ووضعوا صيت مقدم الربيع على لسان الموسن والبلبل الهزّار ، أخذت الأخبار تترى من ناحية « سيس » بأن جيشاً كبيراً يتّجه من جانب الشام إلى بلاد الرّوم ، فتمّ تدوين الأوامر من حضرة السلطنة إلى الأطراف ، لكي يتجمّع الجيش في ضواحي « قيصريّة » .

فتحرّك جند المغول وجيش السلطان برعاية وقيادة كل من « تودون نوبين » و« توقو آغا » و« معين الدين پروانه » من « قيصريّة » ، وسلكوا طريق « آبلستان » . فلما بلغوا جبل « هورون » قال أصحاب الأخبار إن جيش الشام سينزل غداً عند الصّباح في صحراء « آبلستان » . فاتخذ الجيشان الرّومي والمغلي احتياطهما . وانطلقوا - في اليوم التالي - للهجوم نازلين من الجبل .

فلما رأى « الفندقدار » آثار الغبار في الجوّ تحرّك على الفور ، وحين وصل إلى الصحراء رأى الجيش قد اصطفتّ صفوفاً ، وتواجه الجيشان . كانت طيور المغول رباعية الأجنحة قد انطلقت طائرة من جوف الأقواس « الشّدقية »^(٢) ، فضاقت الأرض من ثلاث جهات على الشاميين . وشن « تودون » و« توقو » هجمات متواصلة ، ومزّقوا الصفوف ، ولم يتركوا أثراً من آثار الشجاعة والبأس إلا فعلوه . ثم انتهى الأمر بانتصار جيش الإسلام ، وسقط توقو وتودون ، ووضع

(١) سورة الحديد : ١٧ .

(٢) كذا في الأصل ، ويبدو أنها نوع من الأقواس .

القائدان المغوليَّان ومن معهم من الأبطال رؤوسهم على سرير الموت . وكان ما لا بدَّ له أن يكون : ﴿ قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ (١)

ورلى « پروانه » الأديار منهزمًا بقلب كالشَّمع حين يذوب في النار ، ونزل « قيصريه » بعد يومين . وكان الصَّاحِب قد أركب السلطان ، وأخذًا يتجولان في صحراء المشهد وقد ركبتهما الأفكار والغصص . فإذا « پروانه » يصل فجأة مع بضعة نفر كانوا قد خرجوا - ذاهلين عن أنفسهم - من تلك الورطة سالمين . وساروا جميعاً من هناك مع الصَّاحِب والسلطان والأمير « پروانه » في الطريق إلى « نوقات » .

وعقب انصرافهم جاء جيش الشام إلى « قيصريه » ، وضربوا خيامهم في صحراء المشهد . ودخل « فندقدار الشام » المدينة يوم الجمعة الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٦٨٥ ، وجلس على العرش ، وجعل الخطبة والسكَّة باسمه .

ونظرًا لأنَّه كان قد تحرك بناء على العهد والاتفاق الذي كان قد أبرمه مع « پروانه » ثم رأى هاهنا خلافه ، كما أنَّ أحدًا من أمراء الروم لم يبادر بالانضمام إليه ، وأخذت دوابَّ جيشه تتساقط وتنفق لانعدام العلف ، فضلًا عن أنه كان يخشى هجوم الجيش المغلي الفاتح ؛ فقد نادى ببناء « العود أحمد » ثم ما لبث أن عاد أدراجه .

فلَمَّا بلغ دمشق بعث به بعض غلمانه مسمومًا إلى العالم الآخر .



(١) سورة يوسف : ٤١ .

ذكر سبب حركة ركاب المسيطر على العالم
سلطان وجه الأرض « الإيلخان الأعظم »
إلى حدود بلاد الروم^(١)

حين لحق السلطان « غياث الدين » والصاحب « فخر الدين » و« معين الدين پروانه » بتوقات ، أطلقوا على الفور « سيف الدين أربكي » إلى أعتاب [الإيلخان] للإخبار بالحال . فلما وصل إلى هناك وأقضى بما حدث ، تحرك الإيلخان بنفسه ، وانطلق جيش جرار قوامه أكثر من خمسين ألف فارس ، قد سلوا سيوفهم متجهين إلى بلاد الروم والشام ، [بينما اشتد لهيب الحمية والحماية الإيلخانية]^(٢) .

فلما بلغوا حدود « أرزنجان » اتجهوا صوب « آبلستان » عن طريق « دفركي » ، وبينما كان أهل « دفركي » جالسين التفتوا فجأة فإذا بفارس يركض هابطاً بمحاذاة القلعة ، تتبعه فرقة كبيرة من الجند . فتقدم نفر من الأعيان لإفساح الطريق للإيلخان ، فقوبل إفساحهم بالقبول ، وأسيغ عليهم من عطفه ، ثم أمر بجماعة الفضوليين الذين كانوا قد أقدموا على اغتيال [غلام]^(٣) أولاد « تاج الدين زيرك » فنقد فيهم حكم « الياسا » . وكان أحد المقيمين في « دفركي » قد نال من قبل ذلك جزاء سوء أذبه ، حيث أنه جاء لمشاهدة الإيلخان من شرفات القلعة وهو يحمل قوساً وسهاماً ، ثم صدر الأمر الناقذ بهدم

(١) قارن أ . ع . ٦٧٩ .

(٢) كذا في أ . ع . ٦٧٩ - ٦٨٠ وفي الأصل : « قوت الفتنة » ، ولا محل لها .

(٣) إضافة من أ . ع . ٦٨٠ .

٣١٩ ثم سيق ركاب من به يسكن العالم ويهدأ نحو آبلستان . / وهناك أدرك السلطان « غياث الدين » والصاحب « فخر الدين » و« معين الدين پروانه » السعادة والشرف بتسجيل الأرض . فلما لحقوا بأرض المعركة التي جرت مع الشاميين ، ورأوا من قتلى جند المغول تلالاً فوق تلال ، ماج بحر غضبه ثم أمر بتنفيذ حكم « الياسا » في كل المتخلفين . غير أن صاحب الديوان - رضي الله عنه - سكن هذا الغضب ، فأنقذ مائة إنسان وأربعة من شرك الموت . وصار القاضي « عز الدين الأرموي » و« فخر الدين كوچكي » و« نور الدين ولد قراجه » و« زين الدين حفيد هود » فداءً لبقية الخلق ونالوا درجة الشهادة .

ولما تعذر توغل المغل في ديار^(١) الشام تعذراً تاماً - لأن الشمس كانت قد تحولت إلى برج الأسد^(٢) ، أرسل [الإيلخان] رسلاً بأن « الفندقدار » يغير كل مرة على قوات الحراسة التابعة لنا على الغفلة ، ثم يفر إلى مخبئة . فإن كان يزمع الحرب ، ولا يريد أن يضع رأسه في دائرة طاعتنا فسوف يمزق إرباً ، وسوف يشهد بنفسه ما يجري عليه من أسباب الخذلان وشقاء الغريب .

ثم إن ابن الإيلخان حاكم العالم توجه إلى « قونية » لقمع « المقرامانيين » و« جمري » ، وكانوا قد جلسوا على العرش بها ، وصدر الأمر بأن يكون الصاحب ملازماً لركابه الملكي ، وأن يكون پروانه ملازماً للمحوكب الأعلى

(١) كذا في أ . ع ٦٨١ ، وفي الأصل : دريا ، بحر ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : باشد : تكون ، ولا شك أنها باسد : يعنى في الأسد ، قارن أ . ع

[للإيلخان نفسه] . بلغوا حدود « كوغونية » و« كماغ » فجاء الأمر « لبروانه » باستسلام قلعة [كوغونية]^(١) ، واستنزال محافظها ، وكانت ملكا له ، فلما ذهب إلى هناك ، واستدعى المحافظ ، أبدى مقاومة شرسة ، فرجع « بروانه » خائفاً خائياً لخدمة [الإيلخان] ، فتزايدت تلك المقاومة ما كان لديه من غيظ بسبب خذلان « تودون » و« توقو » .

٣٢٠ / واختار على « بروانه » موكلين بحيث لم يكن بوسعهم أن يتوقف في موضع أو يتخلف فيه دون مراقبتهم^(٢) . فلما وصلوا « أطلاغ » ، كان الرسل الذين أرسلوا إلى الشام قد عادوا من عند « الفندقداري » ، وأتوا معهم بالرسائل التي كان « بروانه » قد أرسلها إليه لإغرائه وإخراجه ، وبعثها على يد الرسل برأ وبحراً . فأبلغ هؤلاء الرسل رسائل بليغة مسمومة لاستئصال حياة « بروانه » . على أن نسوة « تودون » و« توقو » وأولادهما كانوا - قبل ذلك - يبالبغون كل يوم للتأليب على « بروانه » والتحرير على قتله . ورغم أن [الإيلخان] كان يتوقف في سؤاله عن قتل السلطان « ركن الدين » فإن هذا الأمر كان الركن الأعظم عنده ، وكان يسلك طريق « يمهل ولا يمهل » لمصلحة ما .

فلما وصلت الرسائل والكتب من جانب « الفندقدار » ، لم يبق بعد مجال للإهمال والإمهال . واعترف بذنبه ، فنفذ فيه حكم « الياسا » .



(١) زيادة من أ . ع ، ٦٨ .

(٢) قارن أ . ع ، ٦٨٣ .

ذکر محاسن أو صاف معین الدین پروانه

تغمّده الله برحمته

كان الأمير الشهير : معین الدین سلیمان بن علی الدیلمی ، طوداً أشماً وبحراً خضماً فی الرّزانة والدّرایة والكفایة . وكانت خلواته مملوءة دائماً بالعلماء والأتقیاء والزّهاد والعباد . وكانت روائب صلاته فی كل البلاد من كل فجّ علی كل یتیم وأرملة كالشمس المشرقة وكفیض البحار الّتی لا تحدّها حدود .

ومع أن حادّث السلطان ركن الدین ینسب إلیه إلا أن ربّ العالمم عالم بأن أمر ذلك الكید ومنشأ ذلك الشر لم یكن سوى الطیبة القبیحة والجبلّة الرذلة للزنیمین اللّثیمین ولدی الخطیر الزنجانی ، ولم یكن هناك من جان جاحد إلا هما . وشهد علی براءة ساحة « پروانه » من ذلك معشر الجنّ والأنس وفق قول الله تعالی : ﴿ وما كفر سلیمان ولكنّ الشیاطین كفروا ﴾ (١) .

أجل ، وحين بلغ خیر استشهاده سمع جمیع الأمم ، كان الحنین یتجاوز فی ماتمه الفلك الأعلى ، وأنشأ صاحب الذیوان الأعظم شمس الدین (٢) - رحمة الله علیها - هذین البیتین [بالعربیة] ، فقال :

لما رأیتُ خروجَ التّرك من سبأ مغافضاً ما لهم عقل ولا دین
أنشدُتُ مكثباً ما قیل فی قِدم مضى سلیمان وانحلّ الشیاطینُ

(١) سورة البقرة : ١٠٢ .

(٢) هو الوزير شمس الدین محمد الجونی ، تولى وزارة السلطان آباقا بن هولاکو فی سنة ٦٥٧ ، وظل مترعباً علی دست الوزارة الإبلخانية حتى قتل سنة ٦٨٣ ، وعرف بلقب صاحب الذیوان .

ذكر سيطرة القرامانيين وتسلط جمري

حين شرع « ابن الخطير » بالجهر بالعصيان ، وأخذ لفرط ما به من حماقة يصدّق خيالات جنونه ، واختار موكب السلطنة وأركان الدولة موافقته مضطربين ، فانصرفوا عن قيصرية إلى « نكيدة » ، وأخذ ينجذب إليه كل من كان في طينته وجيشه كفران التعمّة ومخالفة أسرة « قلع أرسلان » الحاكمة ، بمقتضى القول : « وشبه الشيء منجذب إليه » .

وبالنظر إلى أن « شرف » كان يستروح هواء الشام وكان له ولوع وشغف تامّ « بالفندقداري » ، فقد اجتمع له في « نكيدة » جمع حاشد من كل فئة وطائفة (١) .

أما أولاد « قرامان » فقد كان أبوهم في ابتداء حاله من فحامي التركمان بنواحي الأرمن ، وعُرف بفسر الدين ، وكان يأتي بالقحم من تلك الجبال - بصفة مستمرة - إلى « لارنده » ويكسب بذلك قوت عياله وأطفاله . وفي وقت الضعف والاضطراب الذي حدث ببلاد الروم عندما توغّل « بايجو » فيها سنة ٦٥٤ (٢) انتهز قرامان الفرصة وشرع - مع أبناء جنسه - في السرقة ٣٢٢ / وقطع الطرق ، وانتقل من مرتبة السّير على الأقدام إلى ركوب الخيل .

ثم إن السلطان « عز الدين » حين فارق البلاد ، ودخل شطرا المملكة في تصرف السلطان « ركن الدين » استدرج « قرامان » إلى فتح طاعته بعد أن أغراه بالآمال والوعود ، وأمره وأعطاه منصبا وإقطاعا كبيرا (٣) . فحصل له بذلك الكثير

(١) قارن أ . ع ، ٦٨٧ .

(٢) أيضا .

(٣) قارن أ . ع ، ٦٨٨ .

من المال والمتاع ، فلماً امتغنى تسَلَّلت التخالِيطُ الفاسدة إلى دماغه هو وأخيه «بونسوز» . وكانا في كل حين - رغم كونهما في قيد الطاعة - يقطعان الطريق بحكم المثل : « الحرفة لا تُنسى » . وكان السلطان « ركن الدين » يشتدُّ به الغضب لذلك ويزمعه على إنزال العقاب والزجر بهما ، لكنه لم يكن يفعل شيئاً إذ كانت لهما دار في ولاية الأرمن وكان يتوقى عصيانهما وتمردهما .

ولما توفي « قرامان » ، وحضر أخوه « بونسوز » - وكان أمير حرس السلطان « ركن الدين » بملازمة العبودية لأعتاب [الخان] ، حبسه السلطان ، وأرسل أولاد « قرامان » - وكانوا ما يزالون أطفالاً - إلى قلعة « كاوله » ، وبعد وفاة السلطان أخذوا ينقلونهم ويحولونهم من قلعة إلى أخرى في أنحاء البلاد . ثم أطلقهم « پروانه » بعد مدة من الحبس .

ولم تلبث تلك الثعابين الصغيرة أن أصبحت بمرور الأيام حيات هائلة ، فمارسوا بأيديهم تخريب البلاد وتعذيب العباد ، وكانوا يُظهرون حقدهم على السلطان « ركن الدين » بمخالفة ابنه . وحين سمعوا بميل « ولد الخطير » إلى الشاميين انضموا إليه ، فسلم ذلك الجاهل قيادة قوة « أرمينيا » إليهم بعد أن كان قد عهد بها إلى « بدر الدين إبراهيم ولد القاضي الختني » .

ولما تم القضاء على « شرف » بمنطقة « كدوك » ، وتناقصت الفتن وهذا ٣٢٣ التوتّر ، أرسل « پروانه » فرقة من العساكر « لأرمينيا » لتأديب أولاد قرامان ، / . فجزت تلك القوة عن قمعهم بسبب صعوبة الممرات ، بل وقع الكثيرون منهم أسرى مقبوضاً عليهم . فتزايدت شوكة أولئك الخوارج .

ولما اتفق في العام التالي « للفندقدار » أن تغلب على جيش التتار ، ووصلت

تلك الصيحة لسمع نائب السلطنة « أمين الدين ميكائيل » وأولاد الصاحب الذين كانوا قد ذهبوا إلى « لارنده » لدفع الخوارج ، وجاءوا إلى « قونية » للاحتياط للمعاصمة . ونظراً لأنَّ السلطان والصاحب كانا في العبودية ملازمين لموكب الإيلخان ، ولم تكن أحوالهما معلومة ، سار أولاد الصاحب من قونية إلى « قراحصار » وبقي الأمير النائب « وبهاء الدين » ملك الساحل - وكان من التابعين لقونية - بالمدينة .

فلما رأى أترك [قلعة]^(١) « أرمناك » وأولاد قرمان « قونية » خالية ، دعوا التركمان من الولاية إلى الغارة . وذات يوم أخذ « محمد بك » - وكان قائداً لهم وذا شأن بينهم في ثقافته وثباته - أخذ يقول لبعض جلسائه على سبيل التمني : أما والله لم يتمخض أمر عن « الفندقدار » فلو كان يقع بأيدينا سلطان سلجوقي ، فإن أحداً لن يطاولنا أبد الزمان . ولو أننا أرسلنا إلى ملك الروم رسولا ، وطلبنا أحد أولاد السلطان « عز الدين » الذين بقوا عنده رهائن معوزين فأجاب مطلبنا لكان من المتيقن أن يتجاوز شأننا في أوج العظمة ذروة الأفلاك .

وفي تلك الأيام كان هناك شخص « جمري »^(٢) سوقي الطريقة حروفشا ، كان يتقلد دائما بين قبائل الترك وينسب نفسه إلى السلطان عز الدين . فرآه في الطريق ذات يوم ذلك الشخص الذي كان قد سمع كلام « محمد بك » ، وكانت له سابق معرفة بالجمري ، فأخذه وذهب به إلى « محمد بك » قائلا : ها هو ذا ابن السلطان « عز الدين » ، ولقبه واسمه : غياث الدين سياوش ، وأنه

(١) إضافة من أ . ج . ٦٨٧ .

(٢) في الأصل : جمري : بلغة ما وراء النهر - يقال للسوقي قليل الأصل ، والجلف والمسؤل . وذو الحاجة .. الخ (برهان قاطع) .

تعلم الخطّ على يديّ في تلك الدّيار .

وحين سمعوا هذه الشهادة من نقيّ الشقيّ ، صدّقوها ، وبايعوا الجمريّ على السلطنة ، وأبدلوا بملابسه الصّوفية الخشنّة ملابس مخيطة بالذهب والنسيج ، وانطلقوا إلى « قونية » مع التّركمان من ذوي الأحذية المزوّدة بأربطة السّاق الطّول^(١) .

فلما وصلوا إلى صحراء « فليوباد » ، أرسلوا رسولا إلى النّائب قائلين : إن ولد السلطان « عز الدين » معنا ، وشهد على صحة نسبه نقاة ، فينبغي أن يتقدم النّائب بأسرع ما يمكن لتقبيل اليد ، وإن كان لديه أدنى شك فما عليه إلا أن يرسل بواحد من كبار رجال القصر القدماء لكي يتحقّق من أمر هذا الملك بصيرة نافية ، [فإن وجدته صادقا في انتسابه فلا مناص لنا ولكم من الانقياد له والامتثال لأمره]^(٢) ، وأما إن كان ما يقوله كذب فلن نتوقف قط في إنكاره [وإبطال زعمه]^(٣) .

وظلّ الرّسل يتقدّمون الواحد تلو الآخر لترديد هذا المعنى ، ولكن قلما التفت إليهم النّائب بل أمر بقتلهم وتكبيالهم . وحين رأى أولاد قرامان أن النّائب ثابت على الإنكار مصرّ عليه ، توجهوا إلى المدينة بجيش كبير . فذهب « أمين الدين » ومعه من كان بالمدينة من جنود لمقابلة « الجمري » « ومحمد بك » ، ولما لم يكن بوسعهم المقاومة ، فقد ارتدّوا إلى المدينة منهزمين ، ووصل التّركمان إلى حافة الخندق ، وأضرموا النّار في بوّابة « اسب بازار » و« جاشني كبير » .

(١) في الأصل : جارق بوش : وجارق : نوع من الأحذية الجلدية المزوّدة بأربطة طويلة تلفّ على ساق الرّجل « فرهنك جديد » .

(٢) زيادة من أ . ع ٦٩١ .

وتخالف معهم جماعة من السُّفلة و[الإخوان] (١) ، وأمدّوهم بعيدان الحطب (٢) والقشّ . فلما احترقت البوّابة اندفع التُّركمان إلى داخل المدينة ، ولما أبلغوا النَّائب بتلك الجرأة ، ركب لدفعهم حتى وصل إلى البوّابة ، وحين رآهم يحرقون اليباب وأن الأمر يتجاوز حدّ التدارك ، عدّ الفرار لازماً فتحكّك بشال العمامة (٣) وأخذ يركض هنا وهناك ، ويقول بصوت عالٍ لخدايع الأتراك : أين النَّائب ؟ وأخذ يكرّر ذلك .

حتى إذا وصل إلى باب قصره نزل ، ودخل من البوّابة متلصصاً واختفى بيت أحد أتباعه .

وانتشر التُّركمان المفسدون في المدينة كالجراد المنتشر ، فحطموا أبواب الأنزال (٤) - وكانت مخازن لتجار الدِّيار والأمصار - كما حطموا أبواب قصور الأمراء وبيوتهم بالعصى والبُلط ، وجمعوا الأمتعة ويطوها رُزماً وملاًوا الأكياس بالنقود ، وظهرت للعيان من جديد حكاية الغزّ واستيلائهم على نيسابور (٥) .

وفي اليوم التالي أتوا بالجمري ، فأدخلوه المدينة ، وأجلسوه في دار الحكم

(١) إضافة من أ. ع. ، ٦٩١ .

(٢) كذا في أ. ع. ، أيضاً : نى ، وفي الأصل : دونى ، وعاء كبير .

(٣) في الأصل : أدار شال العمامة على رأسه على شكل : تحت الحنك . وفي القاموس تحنك : أدار العمامة من تحت حنكه .

(٤) في الأصل : كاروانسراها : جمع نزل ، وهو ما يشبه الفندق في أيامنا هذه .

(٥) عبارة الأصل مضطربة للغاية ، راجع أ. ع. ، ٦٩٢ . وكان الأتراك الغزّ قد اجتاحوا خراسان في عهد السلطان سنجر السلجوقي سنة ٥٤٨ هـ ، وهزموا السلطان نفسه واعتقلوه ، وألحقوا الدمار الشديداً حينذاك بمدينة خراسان العامرة . انظر ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة : الكامل ١١ : ١٧٦ .

وكان النائب قد انتهز الفرصة ووثب خارج المدينة ، عازماً على التوجه إلى «توقات» - وكانت مجمع مواكب السلطنة وأمراء الدولة ، غير أنهم أمسكوا به في الطريق قرب «خان قيماز» ، وحجى به إلى «محمد بك» ، فعذبوه ، ووجدوا على رباط لزاره عقدة ، ففكوها ، فوجدوا بداخلها أقصوصة من ورق مختوم بالشمع ، تشتمل على بيان الكنوز ومواضع الخزائن ، فأوثقوا يديه في الحال ، ثم انطلقوا مسرعين إلى المدينة ، وأخذوا - مسترشدين بتلك الورقة - يحفرون المواضع ، ويحملون على الجمال والبغال أموالاً دون مكابدة أيّ عناء ، ثم إنهم أبلغوا النائب منزلة الشهادة مع «بهاء الدين» ملك السواحل .

فلما فرغوا من أمر النائب ، جعلوا أخلاط المدينة وأعيانها يقسمون على مبايعة «الجمري» بالسلطنة ، فخشي أهل المدينة على أرواحهم فبايعوا ، فلما تم ذلك طلبوا من مقبرة السلاطين المظلة والرأية الخاصة بالسلطان علاء الدين تبركاً . ولهذا السبب لم يعاملوا أهل القلعة معاملة أهل المدينة سواء بسواء ، [إذ قرنوا سؤال أهل القلعة بدفع الشر ورفع الأذى والضّرر بالإيجاب]^(١) ، فأنزلوا إليهم [المظلة والرأية]^(٢) من فوق السور .

٣٢٦ / وفي اليوم التالي^(٢) طاف «جمري» حول المدينة بكل زينة وأبهة ، وبعد نزوله أقاموا الديوان ، وكتبوا الأوامر إلى الأطراف ، وقرروا أنهم لا يتكلمون من الآن فصاعداً إلا باللغة التركية ، وإن هي إلا بضعة أيام حتى سارت الأمور وفق

(١) إضافة من أ . ع . ٦٩٦ .

(٢) كذا في أ . ع . أيضا ، وفي الأصل : ذات يوم .

مرادهم^(١) . وتم إسناد الوزارة « محمد بك » ، كما أسندوا مناصب الديوان لكلّ خمسين وضيع . وانتهى أمرهم إلى الصلح مع أهل القلعة على أربعين ألف درهم . وبعد أداء المال فتح باب القلعة يوم الخميس العاشر من ذي الحجة سنة ٦٧٦ ، ودخل « جمري » القلعة وجلس على عرش السلاجقة ، وحضر القضاة والأمراء والحفاظ ، وأقاموا محفلاً ، ثم ذهب « جمري » إلى المسجد الجامع حين حان وقت الصلاة ، فخطبوا خطبة باسمه ، وضربوا السكة بلقبه .

وطلب « محمد بك » يد بنت السلطان « ركن الدين » لجمري ، فرفضت أمها « غزلبا » بشرط إمهالها أربعة أشهر ، لترتيب عدّة الجهاز من حلّي وثياب بما يناسب بنات السلاطين^(٢) ، فأعطوها المهلة وفقاً للتمس الوالدة .

ثم إنهم توجهوا إلى « آقشهر » مشاة وركبانا ، وذهبوا محاربة أولاد الصاحب .



(١) غارن أ . ع ٦٩٦ .

(٢) غارن أ . ع ٦٩٧ .

ذكر محاربة جمري لأولاد الصاحب

ونكبتهم في تلك المعركة

حين سمع أولاد الصاحب بأن جمري فتح « تونية » ، وأنه قتل « أمين الدين » النائب « وبهاء الدين » ملك الساحل ، وأنهم شملوا المدينة بالغايرة العامة ، ولم يُبقوا على صغير أو كبير ، استعرضوا جنودهم ووزعوا خمسين ألف درهم^(١) على الأتراك والكرمانيين ، وجاءوا إلى مكان يقال له « چاي دكرمان » . فلما سمعوا أن « جمري » و « محمد بك » وصلا إلى « آقشهر » بجند كثيرين ، ارتحلوا عن « چاي دكرمان » بأقصى ما يمكن من سرعة حتى بلغوا « آقشهر » عند صلاة العشاء . وانطلقوا لمقابلة جمري في / « قرية قوز آغاج » ، وكان الخوارج قد نزلوا بقرية « ألتونتاش » ، فلبسوا لأمة الحرب في الحال ، ودفعوا بالمشاة أمامهم ، فلما أصبح النهر حائلاً بينهم أراد محمد بك أن يعبره لمحاربة ولد الصاحب ، فأخذ أحد الأتراك بعنان حصانه ، [ومنعه من العبور]^(٢) ، فاصطف محمد بك مع جنده صفوفاً على حافة النهر ، وليث ينتظر ما سوف يحدث .

فحمل الأمير تاج الدين الابن الأكبر للصاحب - لفرط ثقته بنفسه ولأنه لم يكن يُعير الأتراك اهتماماً - حمل على « محمد بك » ووصل إلى منتصف النهر ، فانطلق محمد بك هو الآخر بحصانه إلى النهر حاملاً معه رمحا ، وطالت

(١) وردت في الأصل هنا كلمة «ديكر» : أسرى . ولا محل لها ، راجع أ . ع

. ٦٩٨

(٢) زيادة من أ . ع ، ٦٩٨ .

المقاومة والمقارعة بينهما ، وفي نهاية الأمر سقط الأمير « تاج الدين » من فوق حصانه وسط الماء ، فأسرع التركمان إليه واحترّوا رأسه . ولم يخفّ لنجدته في تلك الساعة أحد من بين الجند الذين رعدوا بالعيش في ظلّ فضله ورأفته ، اللهم إلا أحد الخدم ، وانقلب الأتراك الكرملانية على أعقابهم - وهم على الدوام صورة بلا معنى - وتفرّق ما تبقى من الجند .

ووقعت للخوارج من تلك المعركة أموال جزيلة . وانتهى المطاف بالأمير « سعد الدين خواجه يونس » إلى « سفر يحصار » ، فأمسك به أهل المدينة ، وسلموه « لجمري » و« محمد بك » ، فظيّبا خاطره في أوّل الأمر ، وقرّوا أن يدفع دية قدرها مائة وأربعين ألف درهم ، فرضي بقرارهما ، وأطلق الرسل لطلب المال ، غير أن هذين الغدّارين عدلا عن اتفاقهما ، وقتلا « خواجه يونس » شهيدا .

ثم إنهم توجهوا لمحاصرة « قراحصار دوله » فلمّا عجزوا عن فتحها رجعوا إلى ٣٢٨ « قونية » / وأشاعوا في الناس أن « جمري » سيتوجه إلى « أرزن الروم » لمحاربة المغل . فنزلت العساكر بصحراء « فيليوادة » ، وكان « جمري » و« محمد بك » يدخلان المدينة كل صباح ، ويذهبان عند المساء إلى « فيليوادة » .

وفي تلك الأثناء وصل الخبر بأن السلطان « غياث الدين » والصاحب « فخر الدين » يتقدّمان في خدمة ابن الخان الأعظم بجيوش طبقت شهرتها الآفاق . فاضطرب التّرك اضطراب الزّئبق ، وأخفّوا الخبر ، وجمعوا كلّ ما كانوا قد حصلوا عليه من غاراتهم على قونية وأقشهر وغيرهما وحملوه على الجمال

والبنغال ، وأرسلوه إلى « فيلوباد »^(١) ، ثم خرجوا في إثره من المدينة . ولو كان سرأة قونية قد علموا بأن ولد الخان الأعظم في طريقه إلى الوصول ، لما أتيح لأي من الخوارج الخروج من المدينة .

فلما وثبوا خارج المدينة ، ظلّوا سائرين بخيولهم طوال الليل ، وما أصبح الصّباح حتى كانوا قد بلتوا « سرخوان » - والمسافة بينها وبين « قونية » بالنسبة للركاب مرحلتان كبيرتان .

ونزل الصّاحب في خدمة ولد الخان ، بينما انطلق الجيش في أعقابهم ، فعثر الجند على المدعو « جيلاق » - وكان قائداً لقوة « آقشهر » ، كما عثروا على أمير حرسهم - وكانوا قد قلّدوه قيادة قوة « أبكرم » ، فقتلوهما ، وأسروا النساء والأطفال . ثم إنهم انطلقوا بعد بضعة أيام [عائدين إلى « قونية » ، فلما تحقّق سكان « قونية » وأكابرها من ذلك خربوا عقود البوابات ، ثم خلعوا الأبواب من الدّاخل ونصبوا الجانيق ، وعمّروا الشرفات التي كان « بايجو نوين » قد خربها واستعدّوا للمحاصرة والدّفاع]^(٢) .

٣٢٩ فلما علم « جمري » و« محمد بك » / بمودة ابن الخان والجند ، قفلوا راجعين إلى « قونية » بحشد كبير ، وأرسلوا رسولا بأن يفتح باب المدينة ، لكي يدخل الجيش ويتسوّق . فهض « قاضي القضاة في العالم » : « سراج الملة والدين أبو البنا محمود الأرموي » - رضي الله عنه - لتحريض أهل المدينة على دفعهم ومقاومتهم ، وأصدر فتوى بهذا الشأن ، وصعد بنفسه على السور ، وأطلق

(١) قارن أ . ع ، ٦٩٩ .

(٢) نص عبارة أ . ع ، ٧٠٠ ، وعبارة الأصل مضطربة .

عليهم سهماً . فلما وصل هذا الخبر إلى خدمة [الإيلخان] أعرب عن رضاه
عن قاضي القضاة ومنحه مرسوماً وعملة .

ولما يئس الأتراك من أخذ المدينة عمدوا إلى المناطق الواقعة خارجها فأغاروا
عليها ، وأحرقوها ، وخرّبوها ، ثم انصرفوا سالكين الطريق إلى « أرمينيا » .



ذكر دخول صاحب الديوان^(١) بلاد الروم

وضبط أحوال المملكة

لَمَّا كَانَ اضْطِرَامُ جَمْرَاتِ الْفِتَنِ وَاضْطِرَابُ مَسَكِرَاتِ الْخَمَنِ يَتَزَايِدُ مَعَ تَوَاتُرِ الْأَيَّامِ^(٢) بِسَبَبِ هَجُومِ الْخُصُومِ ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْ اتِّخَاذِ التَّمَرُّدِ حِرْفَةً وَالْفُسَادِ فِكْرَةً يَشْنُ الْغَارَاتِ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَحْرَاشِ ، وَصَارَ هَذَا الْأَمْرُ مَعْلُومًا لَدَى الْحَضْرَةِ الْإِبِلْخَانِيَّةِ ، نَفَّذَ الْأَمْرَ الْأَعْلَى بِأَنْ يَتَوَجَّهَ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْمَمَالِكِ - أَعْلَى اللَّهِ دَرَجَتَهُ - إِلَى بِلَادِ الرُّومِ لِاسْتِمَالَةِ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةِ الْوَلَايَةِ وَضَبْطِ الْمَمَالِكِ وَتَنْقِيحِ حَسَابَاتِ أَبْوَابِ الْمَالِ وَالْأَمْوَالِ ، وَإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ ، وَإِرْغَامِ الْحَاسِدِ ، وَتَأْلِيفِ الشَّارِدِ وَدَفْعِ الْمَعَانِدِ . وَوَقَفًا لِلْحَكْمِ تَحْرَكَ الصَّاحِبُ حَتَّى بَلَغَ شَاطِئَ بَحْرِ الْمَغْرِبِ مِنْ نَاحِيَةِ « لَارَنْدِه » ، وَصَمَّمْ عَلَى دَفْعِ الْجَمْرِيِّ وَالْقِرَامَانِيِّينَ . فَلَمَّا لَحِقُوا بِتِلْكَ الْحُدُودِ أُسْرُوا حَشْدًا هَائِلًا مِنْ أَتْرَاكِ « الْأَرْمَنَاكِ » ، وَحَصَلَ الْجَيْشُ الْجَبْرَّارُ عَلَى مَوَاشِي كَثِيرَةٍ . وَلَمَّا كَانَ / الشِّتَاءُ قَدْ بَادَرَ بِالْهَجُومِ ، وَتَعَدَّرَ عِبُورَ الْمَمْرَاتِ بِسَبَبِ تَرَاقُمِ الثَّلُوجِ ، فَقَدَ أَتْرَاوُ الرَّجُوعِ ، وَعَزَمَ « كَهْمُوكَا » وَصَاحِبَ الدِيْوَانَ عَلَى اتِّخَاذِ مَعْسَكِ شَتْوِي .

٣٣٠

ثُمَّ تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ « غِيَاثُ الدِّينِ كِيخَسَرُو » وَالصَّاحِبُ نَحْوَ « قُونِيَّةِ » ، وَشُغِلُوا بِالْإِعْدَادِ لِلْعُودَةِ إِلَى مَقَارِعَةِ أَوْلَادِ قِرَامَانَ ، وَانْطَلَقُوا مَعَ كَثِيْبَةٍ مِنْ جَيْشِ الْمَنْعِلِ كَانَتْ مَعَهُمْ صُوبَ أَوْلَئِكَ الْخِثَاذِيلِ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى صَحْرَاءِ « مَوْتِ آوَا » تَقَدَّمَ خَمْسُونَ مِنَ الْمَنْعِلِ وَخَمْسُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَطَلِيْعَةٍ لَهُمْ .

(١) يريد به شمس الدين محمد الجويني الوزير ، انظر فيما سبق ، ص ٣٩١ هامش ٢ .

(٢) كذا في أ. ع. ، ٧٠١ ، وفي الأصل : المادة .

كان « الجمري » و« محمد بك » حين سمعا برجوع العساكر إلى المعسكر الشتوي وعودة السلطان والصاحب متوجهين إلى مناطق الاضطراب ، [قد خرجا من مكنهما الذي كانا يتواريان فيه]^(١) فبقي « محمد بك » مع أخويه وابن عمه وبضعة نفر من أقاربه - كان يثق في شجاعتهم - لتسقط الأخير ، وأرسل « بالجمري » إلى داخل الحصون ، وصعد هو مع تلك الجماعة فوق تل ، فرأى كتيبة من طليعة المغل . فهاجمهم بالرمح ، ولأن المكان كان وعراً ومراً ضيقاً صعباً^(٢) ، فقد نزل المغل ، وأمطروهم بالسهم . وفي تلك الأثناء أصاب « محمد بك » سهم في مقتل ، فانكفاً على وجهه ، فتقدم أخوه لكي يحمله ، فتلقى طعنة بدوره ، فانطلق أخوه الآخر وابن عمه مهاجمين ، فأصيبا أيضاً بالسهم ، وانكفأوا بأجمعهم على وجوههم ، ولاذ الباقون بالفرار .

ولم يكن لدى المغل والمسلمين علم بأمر القتل ، فأسرعوا إليهم لكي يأخذوا سلاحهم وسلبهم ، فلما أقاموا أحدهم وجدوه « محمد بك » ، ثم وجدوا أخويه وكان الرابع ابن عمه . فحزوا رؤوسهم في الحال وحملوها إلى خدمة السلطان والصاحب .

وحين علم الناس بذلك أبدى الجميع دهشتهم للسرعة والسهولة التي انطقت بها شعلة دولة « الجمري » بسبب مقتل محمد بك . وفي اليوم التالي غسلوا الرؤوس / ومشطوا اللحي ، ثم رفعوها وطاقفوا بها حول قلاع الأرمن - وكانت تلك القلاع قد أعلنت العصيان تأييداً لهم . وتوجه السلطان والصاحب

(١) إضافة من أ . ع ، ٧٠٤ .

(٢) قارن أ . ع ، ٧٠٤ .

إلى شاطئ البحر ، وجعلوا كل من وجوده علفاً للسيف دون إبطاء ، وقفلوا
راجعين بالأموال والغنائم .

وذهب عساكر المغل من طريق « نكيدة » إلى مشتى « قازآوا » ، وجاء
السلطان والصاحب إلى قونية « كمود الحلبي إلى العاطل »^(١) وظلّ الصاحب
طيلة الوقت الذي أقامه بمشنى « قازآوا » يرسل رسائل الاستمالة إلى أطراف البلاد
مثل « قسطنطينية » و« سيمره » ، و« سينوب » ونواحي « الأوج » مع الخلع
والأموال ، واستدرج سائر المتمردين إلى حلقة الطاعة ودائرة العبودية ، وألقى
الرسوم المحددة والقواعد المستهجنة ، وعين على كل شخص ضريبة بقدر إمكانه
ومكانته دون محاباة أو استثناء .

فلما انتظمت المهمات في بلاد الروم واستقرت أمورها وضبطت وجوه
أبواب المال ، وألقى الصاحب نظرة في دفاتر الحسابات الخاصة بالأموال المتبقية
التي كان الصاحب الطغرائي قد اقترضها ، والأموال المستحقة لهيئة الدولة من
رأس المال ، والربح الذي تم احتسابه على نواب ديوان السلطنة ، وجد أموالاً
متراكمة لا قبل لنواب السلطان بأدائها بأي من وجه من الوجوه^(٢) .

ورعاية لغبطة [الخزانة العاسرة وحفظاً]^(٣) لشرف السلطنة
[السلاجوقية]^(٣) ، عمد الصاحب إلى ضم وإضافة أرزنجان وتوابعها بالمبايعة
الشرعية ، وكذلك إضافة بعض متعلقات الخاصة الإبلخانية . وبذلك تم
التخفيف عن كاهل أحوال هذه الأسرة في حمل أثقال تلك القروض .

(١) كذا في الأصل بالعربية .

(٢) قارن أ . ع ، ٧٢٢ .

(٣) أ . ع ، أيضا .

ولما تيسر الفراغ من المهمات كلها ، أرسل السلطان «غيث الدين
كيخسرو» والصاحب «فخر الدين» لغاربة «الجمري» ، وتوجه بنفسه إلى
خدمة حضرة الإبلخان ، وترك ابنه «شرف الدين خواجه هارون» في البلاط
كوصيف له «كوهركا» ، فحرص على القيام بالمهام على النحو الواجب .



/ ذكر محاربة السلطان غياث الدين كيخسرو

ابن قلع أرسلان للجمري الحارجي

حين توجه صاحب الديوان إلى خدمة الإيلخان ، اصطحب معه المستوفي^(١) من أجل عرض أحوال [بلاد] الروم . بينما ذهب السلطان والصاحب [فخر الدولة والدين]^(٢) من نواحي « قاز آوا » إلى « أنكورية » ، وكتبوا الأوامر إلى كل ناحية لدعوة العساكر ،

كان أول من تقدم ملياً الدعوة « ولد عليشير كرمياني » وبضعة نفر من غلمان المرحوم « پروانه » - ممن كانوا قد نجوا من معركة « توقو » و« تودون » ونفروا . وما لبث أن تجتمع بعد بضعة أيام جند كثيرون ، وانجهوا إلى « ترخيلو » - وتقع حوالي « عمورية » ، وكان قد تيسر للخليفة « المعتصم » فتحها ، وهي التي أشد أبو تمام قصيدة « السيف أصدق أبناء من الكتب » في فتحها .

فلما اجتازوها وبلغوا « بيدي قابو » ، وقفوا على خبر مفاده أن « الجمري » قد نزل مع عساكره في « بيكار باشي » ، وأنه يهمل الاستقبال . فانطلق السلطان والصاحب - متوكئين على حول الله عز وجل - صوب « مليفدون » ، وعبرا جسر نهر « سقرية » . وألقت طليعة الجيش القبض على رجلين أو ثلاثة من طليعة « الجمري » ، وجيء بهم إلى « طرمطاي » - وكان أمير الأمراء^(٣) ،

(١) هو أبو المحامد محمود ابن أمير الحاج ، نائب السلطنة والحاكم ، وقاضي ديوان المملكة (أ . ع ، ٧٢٥) .

(٢) أ . ع ، أيضا .

(٣) في الأصل بكربك .

فبعثهم إلى دهليز السلطنة إلى أن أرسلوهم من هذا العالم إلى العدم تحت العلم .

وسرت شائعة في الجيش فجأة بين الصلّاتين يوم الخميس السابع من المحرم سنة ٦٧٦ بأن عساكر الخوارج قد برزت . فلبس الجند لأمة الحرب وانطلقوا ، فلما التحم الجيشان ، شن الخوارج في الصدمة الأولى هجوماً ضخماً . / وكان يخشي أن يقع محذور . فاتحدر بنته « عزيز الدين محمد بن سليمان الطغرثائي » و« بدر الدين إبراهيم ولد الخشتي » ، و« علم الدين قيصر » الخادم من فوق الجبال مهاجمين ، فسوّوا جموع الأتراك بالتراب .

وفي الحال انتزع « علم الدين قيصر » مظلة السلطان « علاء الدين » - التي كان « الجمري » قد أخذها من قونية ، وأتى بها إلى حضرة السلطان . وتم لهم بعد ذلك أسر « ساروغلا » - وكان قائداً ضخماً الجشة في جيش « الجمري » - وهو الذي قضى على أبناء الصّاحب - فأتوا به إلى السلطان والصّاحب في قلب الجيش ، فاحتزوا رأسه في الحال .

ووقع « الجمري » في تلك الليلة أسيراً بيد بعض الأتراك التابعين « لولد عليشير كرمياني » ، فألقوا بساطه على رأس ذلك الأسود الحظّ ، وأخفوه عن الرّفاق ، ثم أرسلوا رسولاً إلى السلطان والصّاحب لإنهاء الأمر . فأصدر السلطان أمراً « لجمال چوبان » بإحضاره ، فلما أتوا به أخذ يهذي بالفاظ بذيمة وهذبانات مشوشة . فحمله الجلادون إلى غرفة الإعدام ، وسلخوا جلده وهو حيّ ، ثم ملأوا الجلد بالقشّ ، وطاقوا به حول مدن البلاد .

وحين تسلّت السعادة البالغة إلى القلوب بسبب ذلك الفتح الجسيم ، وصل

« طايوغا » - وكان قد نصّب رئيساً^(١) على « سينوب » ، وأخبر بأن
 « الجانيشي » عزم على مهاجمة « سينوب » بالسفن الحربية ، وأن الأتراك البر
 « حتىه » قد تصدّوا له ، وأشعلوا في روحه النار وهو وسط الماء ، فعاد خائباً خاسراً
 . فمتح « طايوغا » ملكاً حسناً بسب هذه البشارة ، وقدم من هناك إلى صحراء
 « برغلو » .

٣٣٤

ولقد جأر أنصار الدّولة الذين كانوا بمنطقة « لاديق » و« خوناس » /
 بالشكوى من « علي بك » لأنه كان يلوي رأسه عن حلقة طاعة السلاجقة
 ويتولى جانب الأجانب . فألقوا القبض عليه ، وأرسلوه إلى « قراحصار دوله » ،
 فمات هناك من الخوف والرعب .

ثم إن السلطان أخذ يطوف بعد ذلك في « قراحصار » و« صندقلو »
 و« جهود » ، لكي يعمل على ضبط الولاية النائرة .

وفجأة رجع ملك الأمراء « جلال الدين المستوفي » من لدن الحضرة
 الإيلخانية ، ومعه أمر بإسناد نيابة الحضرة العليا للمصاحب [فخر الدّولة والدين]
 وإسناد نيابة السلطنة له شخصياً . وبعد فترة من الوقت توجه « عزيز الدين
 الطغراني » إلى البلاط الإيلخاني ، وأحضر أمراً بإسناد منصب أمير الأمراء إليه .



(١) في الأصل « متطارول سينوب » ، وواضح أن متطارول كلمة عربية الأصل ، من
 تطاول ، يعني ترفع (المعجم الوسيط) ، والمتطارول إذن ، هو من تم تنصيبه رئيساً .

ذكر عبور السلطان غياث الدين مسعود بن كيكائوس

من بحر الخزر إلى بلاد الروم في شهور

سنة تسع وسبعين وستمائة

حين شدَّ السلطان المغفور له « عزَّ الدين كيكائوس » - أنار الله برهانه -
رحاله من البلاد بسبب ما تطوي عليه دخائل الجاحدين من كيد وجبيلتهم من
خبث ، أقام زمناً في « استبول » ، ثم وقع من هناك بيد « القفجاق » . وأبدى -
طيلة ثمانية عشر عاماً - تجلداً واصطياراً لما لقيه من حوادث الزمان ، فلقد استولت
عليه في النهاية أمراض مهلكة مُردبة ، وأصبح ارتحالاً إلى دار القرار أمراً محققاً .

وحينذاك استدعى أولاده ، وأمر بأن يجتمع لديه كلَّ الخدم - الذين كانوا
أعوان الهجرة وأنصار الغربة - ثم التفت نحو ابنه الأكبر السلطان غياث الدين
مسعود - الذي هو الآن سلطان الروم - وقال : ولدي الحبيب ! اعلم أنه حين
سمع أبي « غياث الدين كيكائوس » نداء ملك الموت ، وأجاب داعي
« ارجعي » (١) ، « أجلسني أمراء الذؤلة على العرش ، فنشأت وترعرعت بحسن
تربيتهم ، وكان السُّلُك معبوراً والرعية مسرورة طالما استمعت إلى نصيحهم ،

فلما خطوت بعيداً بضع خطوات ، وفتحت ذراعي لهواي (٢) ، وأصبحت
خلع العذار (٣) بسبب ظهور [شعر] العذار (٤) ، وحطمت ما للأمرء القدماء

(١) إشارة إلى قول الله - تعالى - : « يا أيُّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية
مَرْضِيَةً .. » (الفجر : ٢٨) .

(٢) قَارَنُ أ . ع ٧٣٦ .

(٣) تعبير عربي ، وكذا في الأصل ، وهو خلع فلان عذاره : تنهك في الغي ولم يستح ،
وعذار الغلام جانب لحيته « المعجم الوسيط » .

(٤) في الأصل « عذار » ، وهو تصحيف بلائك .

من قدر ومكانة ، ورفعت من شأن الأراذل والأوغاد ، وأوصلت كلّ وضع من
باعة الفقاع واللاعيبين على الحبال والحدّادين إلى مرتبة الإمارة وقيادة الجند ،
وجلس على بؤابة الهزل ، صرت مستحقاً للذلة والعزلة ،

فالحذر الحذر ، وعليك بالانزجار من هذا القول ، وإن كانت تخامرك فكرة
المُلك ، فأبعد عن نفسك السّفلة الذين لم يروا على مائدة آبائهم رغبين من
الخبز ، ولا تختلط بجماعة اتّخذت من الهزل حرفة ، وانطلق من هذه الدّيار
بكل وسيلة ممكنة واعبر البحر متّجهاً إلى الممالك الموروثية ، وتوجّه لخدمة بلاط
ملجأ العالم ، واطلع على تلك الأعتاب كالصّباح عند الإشراق ، وقف هناك
كالشمع طوال الليل ، حتى إذا رأوا في طبعك آثار التجابة^(١) فربما جعلوا لك
نصيّاً من مُلك الأجداد .

ووصيتي الأخرى لك هي أنّ جسدي حين يخلو من الرّوح ، فأحملي رفاتي
إلى تلك الدّيار وادفني بحنب أبي وجدّي ، إن تيسر لك العبور إلى الملك الموروث .
والله الله ، لا تعرض عن هذه الوصايا ، ولا تسلك في المخالفة طريق العقوق ،
والله وليّ عليك ، وهو حسبي .

ثم إنه ودّع الحياة وأيام الرّغد ، وولّى وجهه صوب دار الخلد .

وحين فرغ ممالك دولته من العزاء والبكاء وواجبات التّحية ، أجلسوا^(٢)

السلطان غياث الدين مسعود ، على العرش مكان أبيه ، على ساحل

٣٣٦ سلخات ، وأقسموا على الولاء له ، وجدّدوا الأيمان / والعهد والقسم .

(١) كذا في أ . ع ٧٣٨ ، وفي الأصل : تجانب .

(٢) قارن ، أ . ع ، ٧٤٠ .

وفجأة اختفى من بين الجمع الملك « كيومرث » - الابن الأوسط للسلطان عز الدين - وعبر البحر ، فلما تفقدوه أشير لهم بوجوده حوالي « قسطنطينية » .
 ودفع نواب « قسطنطينية » بالفرسان إلى كل ناحية حتى عثروا عليه بالقرب من « أماسية » ، وكان قد سار متنكراً يريد بلوغ « الأوج » ، فردّوه ، ثم حملوه إلى « قسطنطينية » ، وأبقوا عليه في القلعة ، وكانوا يراعون معه شروط الخدمة اللائقة بأبناء الملوك (١) .

وبعد مدة من الزمن قال السلطان « غياث الدين » لأصحابه وأعوانه : لن نفلت لنا عقدة في هذه الديار ، ولقد جرى أسر أخي « كيومرث » هناك ، ويحتمل أن يعامل معاملة سيئة عكس ما تستوجه المروءة ، ولا يفيد الخجل بعد قوات المهجعة . والرأي أن نجتاز البحر بموجب وصية السلطان السابق ، ونحظى بشرف المشول في خدمة الإيلخان - الذي يسطر سلطانه على وجه الأرض - ونعدّ ملازمة العبودية له من الضرورات ، حتى نرى ما سوف تقتضيه عنايته بنا .
 فصوبوا جميعاً هذه الآراء ، وأعدّوا لرحلة البحر عنتها في الخفاء .

وفات يوم خرج راكباً - يرسم التنزه والتفرّج - إلى ساحل البحر حيث كانت إحدى السفن قد أعدت ، فقرأ بلا إيطاء قول الله - عز وجل - : «فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله » (٢) ، وسلم السفينة ليد القضاء والقدر ، فاستوت على ساحل «سينوب» . وعمت البهجة أهل تلك الناحية وبدا عليهم السرور بيمين قدومه ، وتسابقوا لتقبيل اليد الشريفة .

(١) قارن ، أ . ع ٧٤٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ٢٨ .

وبلغ الخبير الأمير «مظفر الدين يولق أرسلان بن البيورك» - وكان أباه
٣٣٧ وأجداده قد فتحوا تلك النواحي - كاهراً عن كاهر - وتملكوها - / فخف إلى
الخدمة ، وأدى شرائط الولاء ، ثم أرسل الملك «ركن الدين كيومرث» من القلعة
إلى خدمة السلطان .

فلما لحق به أخوه ، وقر سواد عينه بمختلف الأمم ، لم يعدم أن يجد من
بين الأخلاف العصاة والحمقى من يحرضه على عصيان الدولة القاهرة^(١) ، بيد
أن السلطان بكمال عقله لم يلتفت إلى ذلك أو يأبه به . وجعل الأمير مظفر
الدين^(٢) ملازماً له ، ثم اتجه إلى الأمير الأعظم ، والقائد العسكري المعظم
«سماغار بهادر» - وكان حاكم بلاد الروم وحافظ ثغورها .

فلما وصل إلى هناك ، شغف الجميع - مقلاً ومسلمين - بطلعته البهية ،
ونالت حركاته وسكناته إعجاب الكافة . وبادر كل من هم إلى خدمته بقدر مكنته
ومكانته .

وسير أمراء المغل الأمير «مظفر الدين» بصحبة موكبه العالي إلى البلاط
الإيلخاني الأعلى . ورغم أن جيوش الشتاء كانت قد هجمت ، وتجمد الماء
(١) قارن أ . ع ، ٧٤١ .

(٢) تنتهي إلى هنا النسخة الخطية التي اعتمد عليها الأستاذ «هونسم» في طبعته
للكتاب ، حيث سقطت عدة سطور من آخر تلك النسخة ، فلم يكتمل النص وبقي
ناقصاً ، وقد استكمل الدكتور «محمد جواد مشكور» ما نقص من سطور فثبتها في
طبعته التصويرية للكتاب معتمداً على الكتاب الأصلي نفسه ، وأعني به كتاب الأوامر
العلائية لابن البيبي ، الذي صدر مصوراً بطريقة «الفاكسميل» بأنقرة سنة ١٩٥٦م .
وقد ترجمنا هذه السطور الباقية إلى العربية عن طبعة الدكتور محمد جواد مشكور ،
طهران ١٣٥٠هـ . ش = ١٩٧١م .

الزلال من شدة الزمهرير حتى صار كيد البخيل ، فقد مضى في طريقه لا يلوي على شيء ، ونشرف بخدمه الجناب الأعظم - زبدت عظمته - في أقلّ مدّة ، وتجلّى في شأنه من التودّد والتلطّف ما زاد عن الحدّ المتوقّع المنتظر ؛ فقد منح إقليم «أمد» ، وملك «خرنبرت» ، و«ملطية» ، و«سيواس» ، بما في ذلك كله من قلاع وضياع ، وزوّد بالوعود الجميلة .



وفقا لحكم وزير وجه البسيطة ملك الوزراء علاء الدّنيا والدّين أبي المعالي عطا ملك بن محمد^(١) ، قد كتب هذا المملوك وابن المملوك ما كان قد حدث من التجارب وظهر من الأمور في بلاد الرّوم ، مما رأى وسمع ، ثم تقدّم لعرضه .

تمّ بحمد الله تعالى

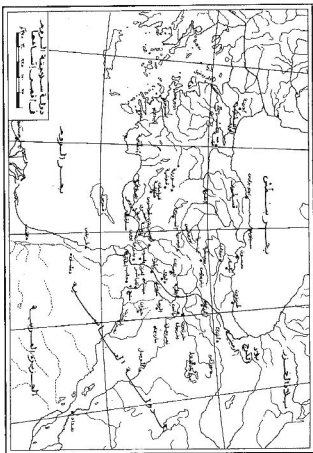
(١) يريد به علاء الدين عطا ملك الجويني (٦٢٣ - ٦٨١) ، الأديب والمؤرخ الفارسي المعروف ، صاحب كتاب «جهانگشاي» في تاريخ المغول والخوارزميين والإسماعيلية ، وهو الذي تولّى حكم العراق - من قبل الإيلخانيين - بعد انهيار الخلافة العباسية ببغداد منذ سنة ٦٥٨ إلى سنة ٦٨١ . انظر : محمد السعيد جمال الدين : علاء الدين عطا ملك الجويني ، حاكم العراق ، ص ٥ وما بعدها ، و «دولة الإسماعيلية في إيران» ، طبع مصر ١٩٧٥ م ، ص ١٢٨ وما بعدها .

سلاطين سلاجقة الروم

٤٧ - ٧.٧ هـ / ١.٧٧ - ١٢.٧ م^(١)

- ٤٧٠ - ١.٧٧ سليمان قتلمش
 ٤٧٩ - ١.٨٦
 ٤٨٥ - ١.٩٢ قلع ارسلان الاول
 ٥٠٠ - ١١.٧ ملك شاه
 ٥١٠ - ١١١٦ ركن الدين مسعود الاول
 ٥٥١ - ١١٥٦ عزالدين قلع ارسلان الثالث
 (٥٨٨ - ١١٩٢) و (٦٠١ - ١٢٠٤) غياث الدين كيخسرو الاول
 ٥٩٢ - ١١٩٦ ركن الدين سليمان الثاني
 ٦٠٠ - ١٢٠٤ عزالدين قلع ارسلان الثالث
 ٦٠٧ - ١٢١٠ عزالدين كيكاوس الاول
 ٦١٦ - ١٢١٩ علاء الدين كيقيباد الاول
 ٦٢٤ - ١٢٢٧ غياث الدين كيخسرو الثاني
 ٦٤٤ - ١٢٤٦ عزالدين كيكاوس الثاني
 ٦٤٦ - ١٢٤٨ كيكاوس الثاني - ركن الدين ارسلان الرابع
 ٦٤٧ - ١٢٤٩ كيكاوس الثاني قلع ارسلان
 ٦٥٥ - ١٢٥٧ قلع ارسلان الرابع
 ٦٦٢ - ١٢٦٥ غياث الدين كيخسرو الثالث
 ٦٨١ - ١٢٨٢ غياث الدين مسعود الثاني (فترة حكم اولى)
 ٦٨٢ - ١٢٨٤ علاء الدين كيقيباد الثالث (فترة حكم اولى)
 ٦٨٢ - ١٢٨٤ مسعود الثاني (فترة حكم ثانية)
 ٦٩٢ - ١٢٩٢ كيقيباد الثالث (فترة حكم ثانية)
 ٦٩٢ - ١٢٩٤ مسعود الثاني (فترة حكم ثالثة)
 ٧٠٠ - ١٣٠١ كيقيباد الثالث (فترة حكم ثالثة)
 ٧٠١ - ١٢٠٣ مسعود الثاني (فترة حكم رابعة)
 ٧٠٤ - ١٣٠٥ كيقيباد الثالث (فترة حكم رابعة)
 ٧٠٧ - ١٣٠٧ غياث الدين مسعود الثالث

1- C. E. BOSWORTH : The Islamic Dynasties - Edinburgh paperbacks



فهارس الكتاب

أسماء الأشخاص

أسماء الأماكن

أسماء الشعوب

فهرس الموضوعات

اسماء الاشخاص

- أرزن الرومي (مغيث الدين طغرلشاه) :
 ٢١٢ ، ٢١٥ - ٢١٧ .
- أرسلان دغمش (انظر فخر الدين)
 أرسلان شاه : ٥ ، ١٧ ، ٢٥ .
 أستكوس : ٢٨٠ - ٢٨١ .
 أسد الدين روزبه : ٣٠٣ - ٣٠٨ ، ٣٢٣ .
 أسد الدين شيركوه : ١٨٥ .
 أسد الدين كندصطيل : ٧٧ ، ١٤٣ ،
 ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٥١ ، ٢٠٢ ،
 ٣٤٨ .
 الإسكندر : ١٢٤ ، ١٨٦ ، ١٩٣ .
 الأشرف : (انظر الملك الأشرف موسى)
 أغرلو بهادر (الجامه دار) : ٣٥٢ ،
 ٣٦١ - ٣٦٢ .
 أغلبك : ١٠٥ .
 أفريدون : ٤٨ ، ١٣٧ ، ١٥٣ .
 آلب أرسلان : ١٧ ، ٢٥ .
 أكتونيه چاشني كجور : (انظر شمس الدين)
 ألباق : ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٤ .
 الإمام الشافعي : ١١٤ .
 أمير المجلس : (انظر : مبارز الدين
 بهرامشاه)
- ابن
 ابقا : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
 إبراهيم بن أدهم : ١١٧ .
 ابن الأثير : ٧١ ، ٨٨ ، ٢١٤ ، ٣٩٦ .
 ابن البيبي (يحيى بن محمد) : ١ ،
 ٥٤ ، ٧٢ ، ٤١٣ .
 ابن الخان الأعظم : ٤٠٠ ، ٤٠١ .
 ابن كثير : ١٨٧ .
 ابن واصل (جمال الدين محمد بن
 سالم) : ١٥٠ ، ٢٠٣ .
 أبو بكر بن سعد : ١٩٢ .
 أبو البتا محمود الأرموي (سراج الملة
 والدين) : ٤٠١ - ٤٠٢ .
 أبو تمام (الشاعر) : ٤٠٧ .
 أبو حامد الغزالي : ١١٥ ، ٢٣٤ .
 أبو القاسم الجنيد : ١١٦ .
 أبو الليث السمرقندي : ٣٧ .
 أبو يزيد البسطامي : ١١٦ .
 أمير الدين المتحجّم : ٣٣١ - ٣٣٢ .
 أرتق (الأمير) : ٢ .
 أرتقش (انظر : مبارز الدين)

٢٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ .
 البخاري (الإمام) : ٢١١ .
 بدر الدين إبراهيم ابن القاضي الختني :
 ٣٩٣ ، ٤٠٨ .
 بدر الدين ابن الحريري : ١٥١ .
 بدر الدين لولو (صاحب الموصل) :
 ١٣٣ ، ٢٤٠ .
 بدر الدين يوسف : ٢٨ .
 بدون : ٢٤٢ .
 براقوغا : ٣٧٤ .
 بركت : ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٦٥ .
 بركت خان (بركاي) : ٣٦١ .
 برواته : (انظر معين الدين سليمان)
 بلبان (خاص بلبان) : ١٤ .
 بلقيس : ٢٢٤ ، ٢٦٢ .
 بهادر أغلر : (انظر أغرلو)
 بهاء الدين سيمجوري : ٣١٤ .
 بهاء الدين شاهنشاه : ٣٦٠ .
 بهاء الدين قتلغجه : ١٣٠ ، ١٣٢ -
 ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .
 بهاء الدين ملك الساحل : ٣٩٣ .
 بهاء الدين يوسف بن نوح الأرزنجاني :
 ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ .
 بهرامشاه الجاندار : ٢٧٣ .

أمين الدين ميكائيل : ٣٧٨ ، ٣٩٤ ،
 ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ .
 أوشين (البارون) : ٧٨ .
 أولاد فردخلا : ١٤٤ .
 لياز : ٢٣ .
 لياز الشرايسالار : ٢٣٧ .
 إيبه : ٤٦ .

الإيلخان (الخان ، الخان الأعظم) : ٢٨٩ ،
 ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣١١ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢٩ ، ٣٣٥ - ٣٣٧ ، ٣٤٣ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٤ - ٣٦٠ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ،
 ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ -
 ٣٩٠ ، ٣٩٣ - ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ .

إيبه چاشني كبير : (انظر سيف الدين)
 أبوزمك الخارجي : ٣٢٨ .

ب

بابا إسحاق الخارجي : ٢٧١ - ٢٧٥ .
 بانو بن جوجي : ٢٩٩ .
 باقباشي : ٢٧٣ .
 بايان : ٣٥٣ .
 بايجو نون (قرنشي) : ٢٤٤ ، ٢٨٠ -
 ٢٨١ ، ٢٨٤ - ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،
 ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٤٣ - ٣٤٦ .

بهمن : ١٨٨ .

بيجار (انظر حسام الدين)

بيبي المنجمة : ٢٣٤ .

بوزن : ١٤٨ .

بيسوتاي بن بايجو : ٣٤٩ - ٣٥٠ .

ت

تاج الدين الأروغجاني (المعروف بالفقيه) :

٣٥١ .

تاج الدين پروانه : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،

٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ،

٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ - ٢٥٥ .

تاج الدين التبريزي : ٣١٨ .

تاج الدين حسين بن الصاحب فخر

الدين : ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

٣٩٩ .

تاج الدين زيرك : ٣٨٨ .

تاج الدين سيمجوري : ٣٢٠ .

تاج الدين كبير : ٣٧٨ - ٣٨٠ .

تاج الدين المعتز بن القاضي محي الدين

الخوارزمي : ٣٥٧ ، ٣٦٦ .

تامار (ملكة الكرج) : ٢٤ .

تركمان (الشحنة) : ٣٤٦ .

تركري (چاشني كبير) سيف الدين :

٢٨٩ ، ٣٢٣ - ٣٢٥ ، ٣٣٤ ،

٣٣٥ .

تركي أحمد : ٣١٨ .

الترمذي (القاضي) : ٣٨ .

نقي (الشقي) : ٣٩٥ .

نقي الدين الرسعي (الطبيب) : ١٥١ .

نودون بهادر : ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ،

٣٩٠ ، ٤٠٧ .

توكلك بخشي : ٣٦٠ .

ج

الجانيتي : ٤٠٩ .

جبريل (عليه السلام) : ١٥٩ ، ٢١٢ ،

جرماغون نوبن : ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٠ ،

٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

جلال الدين أبو الخاند محمود بن أمير

الحاج : ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ،

٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ .

جلال الدين حبيب سفر يحصاري

(القاضي) : ٣٤١ ، ٣٦٢ .

جلال الدين الحسن (انظر نومسلمان)

جلال الدين خوارزمشاه : ١٨٣ ،

١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ -

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ -

٢٠٨ ، ٢١١ - ٢١٤ ، ٢١٧ ،

٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،

٢٧٦ ، ٢٨٠ .

جلال الدين الرومي : ١٨٦ .

ج

- چاشني كبير : (انظر شمس الدين ، مبارز الدين)
 چنكيزخان : ۱۸۳ .
 چيلاق : ۴۰۱ .

ح

- حاتم الطائي : ۴۸ ، ۳۰۸ .
 حاجي أرمقان شاه : (انظر مبارز الدين)
 الحافظ أرسلان شاه ابن الملك العادل :
 ۱۱
 حسام الدين آقاش : ۳۴۸ .
 حسام الدين أمير أريف سوباشي : ۱۰۸ .
 حسام الدين بيجار : ۳۲۳ ، ۳۴۰ -
 ۳۴۱ .
 حسام الدين چويان الملطي : ۱۵۵ ،
 ۱۵۶ ، ۱۵۸ - ۱۶۲ ، ۱۶۵ -
 ۱۶۹ ، ۱۷۴ ، ۲۹۷ .
 حسام الدين سالار (ابته) : ۵۵ .
 حسام الدين قيمري : ۲۴۸ ، ۲۴۹ ،
 ۲۵۸ .
 حسام الدين يوسف : ۵۴ .
 حسام الدين يولق أرسلان : ۴۰ .
 حسن الياشا : ۱۰۰ .
 الحسين العلوي الطباطبائي : ۳۷۵ .

- جلال الدين قرطاي : ۱۱۳ ، ۱۱۸ ،
 ۱۵۲ ، ۱۹۲ ، ۱۹۵ ، ۲۴۵ ،
 ۲۴۶ ، ۲۶۱ ، ۳۰۳ ، ۳۱۲ ،
 ۳۱۷ ، ۳۱۹ ، ۳۲۴ ، ۳۲۵ ،
 ۳۲۷ ، ۳۳۶ ، ۳۳۷ ، ۳۴۳ ،
 ۳۴۴ .
 جلال الدين قيصر (هروانه) : ۵۱ -
 ۱۱۱ ، ۱۳۰ ، ۱۹۲ .
 جلال الدين كوزميدون : ۴۸ ، ۱۰۲ ،
 ۱۳۷ .
 جلال همائي : ۲۱۲ .
 جمال الدين أبو محمد إلياس (نظامي
 الكنجوي) : ۲۶ .
 جمال الدين : چويان (الراعي) : ۴۰۸ .
 جمال الدين حبش : ۲۶۵ .
 جمال الدين الخراساني : ۳۴۱ .
 جمال الدين الساجي : ۱۹۵ ، ۳۳۲ .
 جمال الدين فرخ لالا : ۱۹۵ ، ۲۴۸ .
 جمال الدين لولو : ۹۲ ، ۲۴۸ .
 جمال الدين الحنتي (القاضي) : ۳۲۳ -
 ۳۲۵ .
 جمري (غيث الدين سيوش ، الذهبي) :
 ۲۸۹ ، ۲۹۲ ، ۳۹۴ - ۴۰۶ .
 جمشيد : ۳۵ ، ۱۸۹ ، ۱۹۶ .
 الجنيد البغدادي : ۱۱۶ .

حسين محبوب المصري : ١٠٧ .

ح

خاص أخز : (انظر شمس الدين) خاص
طغرل : ٢٣٦ .

الخان : (انظر الإيخان) عطير الدين
زكريا السجاسي : ٣١٨ ، ٣٢٨ -
٣٤٠ .

ابن خلف التبريزي : ١٤ .

خواجه مصلح ٧٧ : ٣٣٦ ، ٣٥٤ .

خواجه نوين : ٣٤٦ ، ٣٥٠ .

دلرا : ١٢٤ .

دانشمند أحمد غازي (الأمير) : ٢ ،
٣٤ ، ٦٦ ، ٢٧٧ .

دقيانوس : ١٨٧ .

دمرناش (دمرداش) : ٢٧٧ - ٢٧٨ .

دهخدا : (انظر علي أكبر دهخدا) ابن
دينار (انظر فخر الدين الديناري) :

ذ

ذبيح الله صفا : ١٨٦ .

ذو القرنين : ١٨٩ .

ر

رسودان (الملكة) : ١٨٦ .

رشيد الدين الخوافي (أبو بكر) (الأمير) :
٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ .

رشيد الدين الوزير : ١١١ .

رضا قلي خان : ٣٧٠ .

رضوان (عليه السلام) : ٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٩٩ ، ١٨٠ .

ركن الدين بن علاء الدين كيقباد :
١٨٦ ، ٢٥٣ .

ركن الدين جهانشاه : ١٨٢ ، ١٨٦ ،
٢٠٢ ، ٢١٦ .

ركن الدين سليمان شاه : ٥ - ١٠ ، ٢٠ ،
٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٠٣ ، ٣٠٤ .

ركن الدين قلع أرسلان : ٣٣٤ ، ٣٣٦ ،
٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

٣٩٢ .

ركن الدين قلع أرسلان بن غياث الدين
كيخسرو : ٢٥٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ -

٣٢٦ ، ٣٣٧ - ٣٤٢ ، ٣٦٢ -

٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ .

٣٩٣ ، ٣٩٨ .

روزبه (انظر أسد الدين)

روم رامي بن تركزي : ٣٧٩ .

ز

زامباور (المستشرق) : ٥٢ .

٢٢١ ، ٢٩٤ .
 سلجوقى خاتون : ٨٤ .
 سلدوق (علي بن علي بن أبي القاسم) :
 ٢٦ .
 سليمان (عليه السلام) : ٢٦٢ .
 سليمان بن قلمش : ٢ ، ٢١٢ .
 سماغار بهادر : ٤١٣ .
 سنان الدين قيمار : ٢٢٤ - ٢٢٦ .
 سنان الدين ولد أرسلان دغمش : ٣٧٨ -
 ٣٨٠ .
 سنان الدين يعقوب : ٢٨٠ - ٢٨١ .
 سنجر (الجامه دار) : ٣٨٤ .
 سنجر السلجوقي : ٣٩٦ .
 السهروردي المقتول : ١١٦ ، ٢٥٨ .
 سيف الدين أبو بكر : (الجامه دار) :
 ٣٧٩ .
 سيف الدين أبو بكر (بن حقه باز) :
 ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٧ - ١٣٩ ،
 ١٤٢ ، ١٥٠ .
 سيف الدين أربكى : ٣٨٨ .
 سيف الدين أمير قزل : ٦٠ .
 سيف الدين ابنه چاشنى كبير : ٤٦ ،
 ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٩٤ ،
 ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ - ١٠٦ ،
 ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٣٦ - ١٤٠ .

الزركلي : ١٢ ، ١٥ ، ٢٥٨ .
 زكريا الحاجب : ٢٩ - ٣٢ .
 زكريا السجاسي : (انظر خطير الدين) :
 زين الدين أحمد الأرزنجاني : ٣٧٣ .
 زين الدين بشاره (أمير الأخور) : ٥١ ،
 ٥٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .
 زين الدين حفيد هود : ٣٨٩ .
 زين الدين ولد تاج الدين الوزير : ٣٣١ .

س

سابق أولاتجي : ٢٥٦ .
 ساروخان : ٢٢٥ .
 ساروغلا : ٤٠٨ .
 سائقسون قرجي : ٣٠٠ .
 سراج الدين ابن بيجه : ٣٢٣ - ٣٢٤ .
 سراج الدين أبو البنا محمود الأرموى :
 (انظر : أبو البنا)
 سعد الدين خواجه يونس : ٤٠٠ .
 سعد الدين كونك : ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،
 ٢٦١ .
 سعد الدين المستوفى الأردبيلي : ٢٢١ ،
 ٢٢٤ .
 سعد بن نمش : ٨٩ .
 سلجوق : ٢١ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٩٠ .

شرف الدين محمد پروانه : ١٠٢ ، ١٠٠ .

شمس الدين الإصفيهاني : (الصاحب) :

١٠١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ،

٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٢٩٩ - ٣٢٣ .

شمس الدين بابا الطغرائي (محمود) :

١٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ،

٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،

٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٣ - ٣٥٧ ،

٤٠٥ .

شمس الدين بيبرم : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

شمس الدين چاشنى گبير : (التونيه) :

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٩٩ - ٢٠٢ ،

٢٢٣ - ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،

٢٥٢ ، ٢٥٥ .

شمس الدين خاص أغز : ٨٩ ، ٣٠٣ -

٣٠٨ ، ٣٢٣ .

شمس الدين صواب : ٢٣٢ ، ٢٣٧ .

شمس الدين قاضي جق : ٤٣٩ .

شمس الدين عمر القزويني (سروران) :

٢٤١ - ٢٤٤ ، ٢٤٣ .

شمس الدين القزويني : ١٣٧ .

شمس الدين محمد الجويني (صاحب

الذبيوان) : ٣٩١ ، ٤٠٣ - ٤٠٦ ،

٤٠٧ .

شمس الدين ولد صدرو : ٣٧٢ .

سيف الدين بيبرم : ٢٥٠ .

سيف الدين جالش : ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

سيف الدين قراسقر : ٣٧٩ .

سيف الدين قبيبه : ٣٢٠ ، ٣٦٢ ،

٣٨٤ .

سيف الدين يوناث : ٣١٣ ، ٣١٥ ،

٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ،

٣٥٣ .

ش

الشافعي (الإمام) : ١١٤ ، ٢٣٤ .

شاهور : ١٨٨ .

شاه ملك : ٣٦٣ .

شيلاش : ٢٨٥ .

شجاع الدين عبد الرحمن بن القزويني :

(رئيس البحر ، الثالث) : ٣٢٣ ،

٣٢٨ - ٣٣٠ ، ٣٣٦ .

شكاد بن عاد : ١٥ .

شرف (ولد الخطير) : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،

٣٦٧ ، ٣٧٠ - ٣٧٢ ، ٣٧٨ -

٣٨٤ ، ٣٩١ - ٣٩٣ .

شرف الدين : ٢٨٠ - ٢٨١ .

شرف الدين الأرزجمني : ٢٣٩ ، ٣٠٩ ،

٣١٦ .

شرف الدين خواجه هارون : ٤٠٦ .

- الصدر صلاح الدين : ٣٧٦ .
 الصدر القاضي شرف الدين : ٨٢ ، ٨٣ ،
 ٨٧ ، ٨٥ .
 صفي الدولة التصرائفي : ١٥١ .
 صدر الدين لهاوري القاضي : ٨٤ .
 صدر الدين ابن إسحاق (الشيخ الكبير) :
 ٣٤٠ .
 صلاح الدين (القائد) : ١٩٤ ، ١٩٥ .
 صلاح الدين الأيوبي : ١١ ، ١٨٥ ،
 ١٩٤ ، ١٩٥ .
 مصمصم الدين قيمان : ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٨ - ٣٤٢ .

ض

- ضياء الدين ابن الخطير : ٣٦٧ ، ٣٧٨ ،
 ٣٨١ ، ٣٩١ -
 ضياء الدين قرا أرسلان (انظر صاحب)

ط

- طاييوغا : ٤٠٩ .
 طرايزوني : ٣٦٣ .
 طغان : ٢٦٠ .
 طغرل (السلطان) : ١٧ ، ٣٦٩ .
 طرمنطاي (طرمنطاي) : ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،
 ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٧١ ،
 ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٠٧ .

- شمس الدين ولد قمر خراسان : ١٤١ .
 شمس الدين يوتاش : ٣١٣ ، ٣١٥ ،
 ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ،
 ٣٥٣ ، ٣٨٤ .
 شمس طيبي : ٥٥ .
 شهاب الدين زندري (المنشي) : ٢٦٥ .
 شهاب الدين عمر بن محمد السهوردي :
 ١١٦ - ١١٩ ، ٢٥٩ .
 شهاب الدين غازي (انظر الملك الغازي) :
 شهاب الدين كوسوي : ١٨١ .
 شهاب الدين المستوفى المنشي الكرمانلي :
 ٢٦١ .

- ابن شلوه : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
 شهناز خاتون : ٢٥٥ .
 شيركوه : ١٨٥ .
 شيرين : ١٤٧ .

ص

- الصاحب ضياء الدين قرا أرسلان : ٨٠ ،
 ١٨٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
 الصاحب شمس الدين (انظر شمس
 الدين الإصفهاني) : صارم الدين
 اليسارو : ٣١٩ ، ٣٢٨ .
 صابن خان : ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ،
 ٣٣٤ ، ٣٦١ .

عز الدين سيافوش ابن مظفر الدين محمد:

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٨٧ ،
٢٨٣ .

عز الدين قلع أرسلان بن ركن الدين
سليمان شاه : ٢٨ ، ٣١ - ٣٣ ،
٢٤٥ .

عز الدين قلع أرسلان بن كيقباد : ١٨٥ ،
٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

عز الدين قلع أرسلان بن مسعود : ٣ ، ٧ ،
٨١ ، ٢٤ .

عز الدين كيكاموس ابن غياث الدين
كيخسرو : ٢٥٣ ، ٣٠٣ ، ٣٢٤ -
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ،
٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤١٠ - ٤١١ ،
٤١٢ .

عز الدين كيكاموس بن كيكسرو : ٨ ،
٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ - ٥٥ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٨٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٨٣ .

عز الدين محمد الرازي (القاضي) :
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ - ٣٤٧ .

عز الدين محمد شاه : ٣١٣ .

عز الدين ابن هبل الموصلى : ١٥١ .

عزيز الدين محمد بن سليمان الطغراني :
٤٠٨ ، ٤١٩ .

علاء الدين داود شاه : ١٧٦ - ١٧٩ ،

ف

ظهير الدولة ابن الكرخي : ٢٤٨ ، ٢٧ ،
٢٨٥ ، ٢٨٦ .

ظهير الدين لياي يرواته : ٢٨ ، ٥٠ ،
٥٤ ، ٩١ .

ظهير الدين الفارابي : ٢٢ .

ظهير الدين ابن الكافي (الترجمان) :
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٩٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٧٧ .

ظهير الدين رسول : ٣٥١ .

ظهير الدين الفاريز : ٢٢ .

ظهير الدين متوح بن عبد الرحمن :
٣٧٣ .

ع

عاد : ١٥ .

العادل (انظر الملك العادل)

عباس اقبال : ٢٨٠ .

عبد الرحمن البرقوقي : ٤٤ .

عبد المؤمن بن علي بن مخلوف : ١٥ .

عز الدين بلهان : ١٤ .

عز الدين بن البدر : ١٤٣ - ١٤٥ ، ١٥٠ .

عز الدين الرازي (الإسبهازي الوزير) :
٣٢٤ .

٣٦٢ .

عماد الدين الختني : ٣٢٣ .

عيسى بن مريم (عليه السلام) : ١١٧ ،
٣٦١ .

غ

غريب وثاقيشي : ٢٨٥ .

غزاليا (زوجة السلطان ركن الدين) :
٣٩٨ .

غيث الدين كيخسرو بن علاء الدين
كيقباد : ٢٤٤ ، ٢٤٨ - ٣٠٢ ،
٣٠٥ .

غيث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان :
٤ ، ٢ - ٨ ، ١٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ،
٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٨٥ ،
١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ،
٣٠٥ ، ٣١٣ ، ٤١٠ .

غيث الدين سياوش : ٣٩٤ .

غيث الدين سياوش (انظر جمري)

غيث الدين مسعود بن كيكارس : ٤١٠ -
٤١٤ .

ف

فاسيل (البارون) : ٧٧ .

فاسيل (الجراح) : ١٥١ - ١٥٢ .

فاسليوس (لشكري) : ١٦ - ٢٠ ، ٣١ ،
٥٥ - ٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .

١٨٢ - ١٨٥ ، ١٨٧ .

علاء الدين سلتقي : ٢٦ .

علاء الدين عطا ملك الجويني : ٣٢٩ ،
٤١٤ .

علاء الدين علي بك : ٣٣٢ ، ٤٠٩ .

علاء الدين غازي (كازي) : ٣٥٧ .

علاء الدين كيقباد : ٢ ، ٨ ، ٩ ، ٢٠ ،
٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ،
٩٩ ، ١٠٢ - ٢٤٨ ، ٢٥٣ ،
٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٣ ،
٣١٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٩ ،
٣٩٧ ، ٤٠٨ .

علاء الدين كيقباد (الثاني) (ابن السلطان
غيث الدين كيخسرو) : ٢٥٣ ،
٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ -
٣٥٥ .

علاء الدين محمد : (انظر محمد
خوارزمشاه)

علم الدين قيصر : ٤٠٨ .

علي أكبر دهخدا : ١ ، ٦٩ .

علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين) :
١٢ ، ١٦٧ .

علي بك (انظر علاء الدين)

علي بهادر : ٣٤١ ، ٣٦٠ - ٣٦١ ،

- فخر الدين علي (المصاحب) : ٣٤٣ .
 . ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ .
 . ٣٦٨ ، ٣٦٩ - ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
 . ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ - ٤٠١ .
 . ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ - ٤٠٩ .
 فخر الدين كوچاكي : ٣٨٩ .
 فخر الدين ابن الديناري : ٢٦٦ -
 . ٢٦٨ .
 فخر الدين أبو بكر بروانه : ٣٠٣ ، ٣٠٥ ،
 . ٣٠٦ ، ٣٠٩ - ٣١٣ .
 فخر الدين أرسلان دلخمش : ٢٨٩ ،
 . ٣٢٤ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ .
 . ٣٤٨ ، ٣٧١ .
 فخر الدين اياز الأعرج : ٢٩١ ، ٢٩٢ .
 فخر الدين البخاري (القاضي) :
 . ٢٩٣ - ٢٩٥ .
 فخر الدين سيواستوس : ٣٧٩ .
 فخر الدين بهرامشاه بن دلود : ٢٥ ،
 . ٢٧ ، ٨١ - ٨٤ ، ١٥٠ ، ١٧٦ .
 فخر الدين اياز الشراييلار : ٢٤٥ .
 فخر الدين علي شرف الخوارزمي :
 . ٢٠٠ .
 فخر الدين بن الحمارة المصري : ٢٤٤ .
 فخر الدين سليمان ابن مظفر الدين
 محمد : ١٨٧ .
 فخر الملة (الدين ؟) ابن الملك العادل :
- (انظر الملك الكامل)
 فرداج : ٨٩٠ .
 فردخلا : ٢٧٤ .
 (الرائزي الطوسي (الشاعر) : ١٠١ .
 . ١٤٧ .
 فرعون : ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
 فرهاد : ١٤٧ .
 فريد الدين محمد الحاجرمي (الصدر) :
 . ١٥١ .
 فريدون : ١٥٣ .
 فلكت الدين خليل : ٣٤٠ - ٣٤٢ .
 الفندقدار (الظاهر بيبرس) : ٣٧١ ،
 . ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ .
 . ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤١ .
 فؤاد عبد المعطي الصبياد : ٣٧٣ .
 ابن القزويني كمال الدين عبد الرزاق
 البغدادي : ٣٢٩ .
- ق
- قايوس بن وشمكير : ١٢ ، ١١٤ .
 قارون : ١٥٢ ، ١٥٣ .
 قياد : ١٠٧ .
 قراجة : ٢٥٩ - ٢٦٠ .
 قراطاي : (انظر جلال الدين) قرمان
 (أولاد قرمان ، قمر الدين) : ٣٩٢ -

كمال الدين السمناني : ٢٣٤ .

كمال الدين قائد المهجمات (حوائج سالار) : ٣٢٧ - ٣٣٩ .

كمال الدين كاميار : ١٤٠ ، ١٤١ .

١٧٧ ، ١٩٦ ، ٢٠١ - ٢٠٣ .

٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ - ٢٢٤ .

٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٣٦ -

٢٣٩ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٨ -

٢٦١ .

كمنينوس (الأمير) : ١٣٧ ، ١٣٨ .

١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٠ .

١٧٣ .

كهورككا (كوهركا) : ٤٠٣ ، ٤٠٦ .

كند صغليل : (انظر أسد الدين) :

كوبك : (انظر سعد الدين)

كوبك : (انظر سعد الدين)

كوكجوزي (مظفر الدين) : ١٣٣ .

١٣٥ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ .

كيتوقا نونين : ٣٥٧ .

كيخسرو : ١٠٧ .

كيخسرو : (انظر غياث الدين)

كيغرهيدون : (انظر جلال الدين)

كيرالكس (تكور) : ٦٥ - ٧٠ .

كيرقارد : ١٢١ ، ١٢٣ - ١٢٦ .

كيسومرت (ابن السلطان عز الدين

كيكابوس) : ٤١٢ ، ٤١٣ .

٢٩٢ ، ٤٠٣ .

قطب الدين ملكشاه : ٥ ، ٢١ .

قلج أرسلان بن محمود : ٢ ، ٧ ، ١٣ .

١٧ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٣ .

٨١ ، ٨٤ ، ١١٢ ، ٢٤٥ .

القلقشندي : ١٣٧ ، ١٥٥ .

قمر الدين لالا : ١٧٣ .

قوام الدين (المشرف) : ٣٦٢ .

قيرخان : ٢٢٤ - ٢٢٩ ، ٢٤٠ .

٢٤٩ - ٢٥١ ، ٢٦٢ - ٢٦٣ .

قيصر : ١٢٤ .

قيمري (انظر حسام الدين)

ك

الكامل : (انظر الملك الكامل)

كرديد : ٣٦٠ .

كركين : ١٠٩ .

كريم الدين عليشير : ٢٧٣ - ٣٦٢ .

كسرى : ٤٨ .

كسلو سنكم : ٢٢٥ .

كمال (مشرف قباد آباد) : ٢٦٠ .

كمال الدين الختني (القاضي) : ٣١٣ .

كمال الدين ابن الراحة : ٣٧٨ .

، ١٤٥ - ١٤٣ ، ١٣٩ ، ١٣٦
، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٥٦
، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٢
، ٢٤٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٠
، ٢٨٨ ، ٢٧٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦
، ٢٩٧

مبارز الدين عيسى الجانداز : ٥٨ ،
، ٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٠٢ ، ١٣٨

لمنتهي : ٤٤ ،

مجد الدين إسحاق (قدوة الطوائف) : ٣٥ ،
، ٧١ ، ٣٨

مجد الدين بكر (المصاحب) : ١٠٠ ،
، ١٠٢

مجد الدين ابن الحريري : ١٥١ ،

مجد الدين طاهر بن عمر الخوارزمي :
، ١٩٤ ، ١٩١ ، ١٨٩

مجد الدين الطغراني الأمد آبادي : ١٩٢ ،

مجد الدين محمد الترجمان : ٢٣٤ ،
، ٢٩٩ ، ٢٦٣ ، ٢٣٥

مجد الدين محمد بن حسن الأرزنجاني :
، ٣٨٠ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٣

مجبر الدين القراحصاري (القاضي) :
، ١٩٥

محمد ، المصطفى ، النبي ، أبو القاسم
(عليه السلام) : ١٠ ، ٨٤ ، ١١٦ ، ١٤٨ ،
، ٢٩٦ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٦٨
، ٣٧٦

كبر : ١٠٩ ،

ل

لشكري : ٤٣ - ٤٦ ، ٥٥ ، ١٤٤ ،
، ٣٦٤ ، ٣٥٠

ليفون (تكور) : ١٠ ، ١٦ ، ٥٠ -
، ٨٠ - ٧٣ ، ٦٨ ، ٥٤ ، ٥٢

، ١٨٦ ، ١٧٣ - ١٧٠ ، ١٥٦
، ٣٠٢ ، ٢٨٣

م

مالك : ١٢٧ ،

المأمون (الخليفة) : ٨٤ ،

مبارز الدين أرتقش : ٤١ ، ٤٢ ، ٦٤ ،
، ١٨٥ ، ١٧٤ ، ١٥٧ ، ١٢٤

، ٢٥٠ ، ١٨٨ ، ١٨٧

مبارز الدين أرمغانشاه (حاجي) : ٢٥٣ ،
، ٢٧٤ - ٢٧٣ ، ٢٥٤

مبارز الدين بهرامشاه (أمير المجلس) :
، ٧٨ - ٧٦ ، ٦٤ ، ٥٩ ، ٥١

، ٩٦ - ٩٤ ، ٨٧ - ٨٥ ، ٨٣

، ١٠٧ ، ١٠٥ ، ١٠٢ ، ١٠٠

، ١٨٥ ، ١٧٢ ، ١٣٩ ، ١٣٦

مبارز الدين بريم : ٣٠٤ ،

مبارز الدين جاوولي چاشني گير : ٤٢ ،
، ١٠٠ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٥٤ ، ٥٠

، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٧ - ١٠٣

- الدين : (انظر نظام الدين سهراب) :
 مظفر الدين على شير : ٢٧٢ .
 مظفر الدين محمد : ١٨٧ ، ١٨٦ .
 مظفر الدين محمود : ٢٨ ، ١٣٣ .
 المعتصم (الخليفة) : ٤٠٧ .
- محيي الدين سليمان ابن مهذب الدين
 (هروانته) : ٥٤ ، ٢٣٠ ، ٣٣١ ،
 ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٦ - ٣٦٢ ، ٣٥٩ - ٣٩١ ،
 ٣٩٣ ، ٤٠٧ .
- مغيث الدين طغرلشاه بن قلع أرسلان :
 ١٠ ، ٥ ، ٢٥ - ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ،
 ٥٣ ، ١٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ -
 ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ .
- المقدم جعفر المنجقي : ٢٦٩ .
- الملك الأشرف موسى : ١١ ، ٧١ ، ٨٨ ،
 ٩٢ ، ٩٤ - ٩٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،
 ١٥٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ -
 ٢٠٧ ، ٢١٢ - ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٧٨ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٠٣ .
- ملكشاه (السلطان جلال الدين) : ١٧ .
- الملك الصالح (إسماعيل بن العادل) :
 ١٣ ، ٢٦٨ .
- الملك العادل (أبو بكر بن أيوب) : ١١ ،
 ١٥٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٢٩ .
- محمد بك (القراماني) : ٣٩٤ -
 ٤٠٧ .
- محمد جواد مشكور : ١ ، ٥ ، ٢٨ ،
 ٣٤ ، ٥٤ ، ٢٧٣ ، ٤١٣ .
- محمد خوارزمشاه (علاء الدين) :
 ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ،
 ٢٨٩ .
- محمد محيي الدين عبد الحميد : ٨٨ .
- محمد السعيد جمال الدين : ١٨٣ ،
 ٣٢٩ ، ٤١٤ .
- محمد بن يحيى النيسابوري : ٢٣٤ .
- محمود ألب : ٩٤ .
- محمود بن سبكتكين (يمين الدولة ،
 الغزنوي) : ١١٤ .
- محيي الدين ابن الجوزي : ١٣٠ -
 ١٣١ .
- محيي الدين القاضي : ٣٥٧ .
- محيي الدين مسعود شاه : ٥ .
- مراد الثاني (العثماني) : ٢٧٣ .
- المعتصم (الخليفة) : ٣٥٦ .
- المستنصر (الخليفة) : ٢٤٥ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٦ .
- مسعود بن ناصر الدين محمود : (انظر
 الملك مسعود)
- مصليح لالا (انظر خواجه) ابن مظفر

- الملك العزيز : ٨٨ ، ٩٢ ، ٢٠٣ .
- الملك شهاب الدين غازي : ١١ ، ١٥٠ ،
٢٤٠ ، ٢٧٦ - ٢٧٩ ، ٢٨٣ -
٢٨٤ .
- الملك الكامل : ١١ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ،
١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ .
- الملك مسعود (صاحب آمد) : ١٤٣ ،
١٤٩ ، ٢٩٧ .
- الملك المعظم (عيسى ابن العادل) : ١١ ،
١٥٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ .
- الملك المنصور (صاحب ماردين :
حمص) : ٢٤٠ ، ٢٦٤ .
- الملك الناصر (صاحب حلب) : ٢٦٥ .
- الملكة العادلية : ١٨٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ،
٢٥٥ .
- منكوجك غازي (الأمير الملك) : ٢ ،
٢٥ .
- منكوخان : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٣٥٤ -
٣٦٠ .
- منوتشهر (منوجهر) : ٤ .
- ناصر الدين بركيارقشاه : ٥٠ .
- ناصر الدين بهرامشاه ابن مظفر الدين
محمد : ١٨٧ .
- ناصر الدين علي چاشنى گير : ٢٤٦ .
- الناصر لدين الله (الخليفة العباسي ، أمير
المؤمنين) : ٥٥ ، ٧١ - ٧٢ ،
١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ .
- نجم الدين أبو بكر الجامي : ١٩٥ .
- نجم الدين بهرامشاه الجاندار : ٥٨ - ٥٩ ،
٢٣٢ .
- نجم الدين ابن جبير الجار : ٢٦٩ .
- نجم الدين فرخ : ٣٥٣ .
- نجم الدين قيرشهرى (القاضي) : ٢٨٩ -
٢٩٠ ، ٣١٥ .
- نجم الدين النخجواني : ٣٢٧ - ٣٢٨ .
- نجم الدين ولد الطوسي : ١١٥ ، ١١٩ ،
١٧٧ - ١٧٩ ، ١٨٨ .
- نجيب الدين دليخانى المستوفى : ٣٢٨ ،
٣٣١ ، ٣٦٢ .
- نصرت (أمير العدل) : ٣٠٤ - ٣٠٨ ،
٣٠٩ .
- نصرة الدين الحسن بن إبراهيم : ٤٨ ،
٨٩ - ٩١ ، ٩٧ .
- نصرة الدين ولد ستان قيماز : ٣٣٨ -
٣٤٢ .
- ناصر الدين أرسلان بن قيماز : ٢٦٦ -
٢٦٧ ، ٢٦٩ .

ن

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد
الوهاب : ٩٨ .

هـ

همام الدين الجاندار : ٢١٦

همام شادبهر : ٣٤٠ - ٣٤١

هوتسما : ٢٨ ، ٧٢ ، ٢١٧ ، ٢٥٣ ،
٤١٣

هوشنج : ١٢٤

هولاكو خان : ٣٧٣

و

ابن الوزير : (انظر نظام الدين أحمد)

ولدا الخطير : (ابنا الخطير) (انظر مشرف-
رضياء)

ولد بجه : (انظر سراج الدين)

ولد پرواته : ٣٧٩ - ٣٨٠

ولد حاجا (الجمال) : ٣٦٦

ولد الخطير شرف مسعود : (انظر شرف)

ولد سلجوقشاه : ٣٥٢

ولد الصاحب : (انظر تاج الدين بن
الصاحب فخر الدين)

ولد الطوسي : (انظر ابن الطوسي)

ولد عليشير كرمياني : ٤٠٧ ، ٤٠٨

ولد قرهش : ٣٤٢

نظام الدين أحمد (أمير العارض) : ١٠١ .

نظام الدين أحمد الأوزنجاني : ٥٥ ،
١٨٦

نظام الدين أرغون شاه : ٥ .

نظام الدين (جمال الدين) الحصري :
٢٥٨

نظام الدين خورشيد (برواته) : ٣٢٤ ،
٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ،
٣٥٠ ، ٣٤٩

نظام الدين سهراب بن مظفر الدين :
٢٨٤ - ٢٨٨

نظام الدين علي بن التمش (أستاذ النار) :
٣١٤ ، ٣٤٨

نظام الملك الطوسي : ١١٥ .

نظامي الكنجوي (انظر جمال الدين
يوسف بن إلياس)

نوح آلپ : ٢٨ .

نور الدين سلطانشاه : ٥ .

نور الدين ابن طلاقي الأخلامي : ١٤١ .

نور الدين عبد الله القابض : ٣٣٦ .

نور الدين كماخي : ٢٠٢ .

نور الدين ولد قراجه : ٣٨٩ .

نور الدين يعقوب : ٣٢٥ .

نوشين : ٧٧ .

نومسلمان (جلال الدين) : ١٨٣ ، ٢٣٥ .

ولد قلاويز (أمير الصيد) : ۳۸۴

ولي الدين پرواته : ۲۸۷

ولي الدين الخطاط التيريزي : ۳۱۸

ي

ياغي بسان نظام الدين بن كمشكين :

۲۸

يحيى بن محمد : (انظر ابن البيبي)

يوئار جاشني كور : ۲۶۶

يوئاش بكلكي : (انظر شمس الدين)

اسماء الأماكن

أفغانستان (البلتان) : ٥٠ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٣٤ ،
٥٢ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
٢٦٤ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٣٧٩ ،
٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

أحمد حصار : ٣٤١

أخلاق : ١١ ، ٧١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٧ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٨٣ ،
٣١٤ .

أراكلية : ٥٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

أربان : ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٣٣٢ .

أرسوى : ١٨٧

أربل : ١٣٥ ، ٢١٧

الأردن : ١١

أرز الروم (أرز روم) : ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ،
٥٣ ، ١٠٢ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،
٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٣٨٢ ، ٤٠٠ .

أرزجان : ٢٥ ، ٢٦ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ،
٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ .

٢

أبكرم : ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٠٦ ، ٤٠١

أب سيواس : ٣٥٥

أذربايجان : ٢٥٨ ، ٣٥٧

آسيا : ٢٩٩

آقچه : ٢٣٠

آفسرا : ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٥٤ ، ١٠١ ،
١٠٧ ، ١١٦ ، ٢١٦ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ،
٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ،
٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ .

آقشهر (آقشهر قونية، آقشهر أوزجان) : ٨ ،
١٢٥ ، ١٨٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٤ ،
٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٦٠ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ ، ٤٠١ .

أكجوك : ٣٣٤

آمد : ١٣ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ،
٢٧٩ ، ٢٩٧ ، ٣٧٢ ، ٤١٤ .

١

الأبخاز : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ١١٢ ، ١٩٧ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٣٧٢ .

أبروق : ٥٤ ، ١٠٨ ، ٢٩٧

أندوشنج : ١٧٤
 أنطاكية : ٢٣٢ ، ٢٥٣ ، ٢٣٧ ، ٢١٨ :
 . ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٤
 أنطالية : ٦٢ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ :
 ، ١٥٠ ، ١٣٧ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٠
 ، ١٨٨ ، ١٨١ ، ١٧٥ ، ١٥٦ ، ١٥٤
 . ٣٥٩ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٤ ، ٢١٨
 أنكورية (أنقرة) : ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٣ ، ٥٠ :
 ، ٤٠٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ١٠٢
 . ٤١٣
 الأوج : ٨٩ ، ٥١ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٩ :
 ، ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٢٠٥ ، ١٢١ ، ١١١
 . ٤١٢ ، ٤٠٥ ، ٣٢٨
 الأورال : ١١٢
 أولثي : ٢١٧
 لهران : ٣٧٣ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ، ١٢١ :
 . ٤١٤

أيوب حصار : ٣٥٥ ، ٢١٦ .

ب

باريمون : ٣٥٣
 باشقرد : ١١٢
 باغبيك : ٢٣١
 بحر المغرب : ٤٠٣ ، ٢٨
 بدخشان : ٤٤
 بناليس : ٢٢٣

. ٤٠٥ ، ٣٨٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٤٤

أرمكسو : ٨٦
 الأرمن (أرمستان، أرمينيا) : ٣٦ ، ١٠ :
 ، ٢١٧ ، ١٧٤ ، ١٧٠ ، ١٥٦ ، ٧٨
 ، ٣٨٢ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٤٤ ، ٢٢٣
 . ٤٠٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٢ ، ٣٩٣

أرمناك : ٣٩٤

أزنيق : ٣١

أسب بازار : ٣٩٥

الإسكندرية : ٣٩

أنشيلية : ١٥

إفريقية : ١٥

أكريناس : ١٨٠

أكسود (مفارة) : ٣٤٠

آلاره (قلعة) : ١٢٦ ، ٢٧١ - ١٧٣

ألاشهر : ٤٤

الأطاغ : ٣٩٠

ألبير : ١٢١

ألتون : ١٨٣

ألتون أوردو : ٢٩٩

ألتونناش : ٣٩٩

أماسية : ٢٧١ ، ٢٢٩ ، ٣٤ ، ٥٠ -

٤١٢ ، ٣٤٢ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٢٧٣

أنامور : ١٧٤

ترڪستان : ۷۳، ۱۱۲، ۲۴۱، ۲۲۲،
۳۳۷.

تطوان : ۲۲۴، ۲۲۵.

تفليس : ۲۴، ۱۹۷، ۲۲۳.

تلياشر (تل باشر) : ۵۴، ۹۰، ۹۱، ۹۷.

توقات : ۵، ۷، ۲۸، ۳۳، ۳۴، ۳۸.

۱۰۲، ۱۴۰، ۲۷۲، ۲۸۸، ۳۵۳.

۳۵۵، ۳۸۷، ۳۸۸، ۳۹۷.

توقات چاي : ۸۹.

ث

تھلان (جبل) : ۱۷، ۲۰۹، ۳۴۷.

ج

جانيت : ۱۵، ۶۵، ۶۹، ۷۰.

جرجان : ۱۲، ۱۱۴، ۲۳۵.

الجزائر : ۱۵.

الجزيرة : ۷۱، ۱۸۶، ۲۶۲، ۲۶۷.

جعبر (قلعة) : ۱۱.

جمشكراك : ۱۴۳، ۱۴۶، ۱۴۸.

جنجن (قلعة) : ۷۵، ۱۷۰.

جهود : ۴۰۹.

چ

چاشني كبير (بوابه) : ۳۹۵.

چاي دكرمان : ۳۹۹.

براكتار (قلعة) : ۳۰۲.

برزك : ۳۱۳.

برغلو : ۶، ۳۷، ۲۵۳، ۳۰۳، ۳۴۲.

۳۴۸، ۴۰۹.

بروكوب : ۳۳۹.

بغداد (انظر دار السلام).

بلاد الألمان : ۳۶.

بلاد البربر : ۳۶.

بلاد الجبل : ۱۲، ۱۱۴.

بلاد الروم (انظر الروم في فهرس الأرقام).

بنلو : ۷۳، ۷۴.

البيرة : ۲۳۳، ۲۶۴.

بيروت : ۴۴، ۷۱.

بيكارياشي : ۳۷۹، ۴۰۷.

پ

پارس (فارس) : ۲۱۷، ۸۴.

پروانه (رباط) : ۱۰۷.

پول أحمد (بوابه) : ۳۴۸.

ت

تاجيكستان : ۴۴.

تيريز : ۲۸۵، ۳۵۶.

ترخيلو : ۴۰۷.

خرتيرت (قلعة) : ١٣٣، ١٤١، ١٥٢،
٢٣٢ - ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٦٤،
٤١٤، ٣٤١

خروقي : ٣١٥

الخزور (بحر الخنزير) : ١٥٨، ١٥٥،
٤١٠، ٢٩٩، ١٦١

خوارزم : ١٨٩، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦،
٢٠٠، ٢١٥، ٢٤٠، ٢٦٢

الخورتق : ١٨٠

خوزستان : ٣٦

خوناس : ٣١، ٣٧٤، ٤٠٩

خيبر : ٦٢

د

دار الإسلام : ١٣٩

دار الخلافة : ٣٤٤

دار السلام : ٧١، ١٦٠، ١٣٢، ١٣٥،
٢٣٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٩، ٣٢٩

٤١٤

دارنده (قلعة، انظر أيضاً : لارنده) :
٣٣٦، ٣١٣

دفرکي : ٣٨٨

دمشق : ١١، ٩٦، ١٥٠، ٢٢٢، ٢٣٤،
دودان : ٤٢

دوزخ سره : ٢٣١

چينوق : ٣١٥

چيوق (چيق) : ١٠٧

ح

الحجاز : ١١٢

حراء : ٢٠٩، ٣٤٧

حسركان : ٢٠٢، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٥١،
٢٦٥، ٢٦٦

حرملو : ٣٢٩، ٣٣٠

حصن كيف : ٢٦٨

حصن منصور : ٢٣٢

حلب : ١٢، ٨٨-٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٦،
١٥٥، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٦

٢٨٨، ٢٩٦، ٣٢٨، ٣٥٦

حماة : ٣٣٢، ٣٣٧

حمص : ٢٣٢، ٢٥٨

الحيرة : ١٨٠

خ

خاخ (قلعة) : ٢٢٠

خان خواجه مسعود : ٣٣٩

خان السلطان قلع ارسلان : ٣٢٥

خان علائي : ٣٤٠، ٣٤٦، ٣٥٥

خان قيماز : ٣٩٧

خراسان : ١٩١، ١٩٤، ٢٢١، ٢٤٤،
٢٨٤، ٣٩٦

س

- سهرطه (أسيرطه) : ٢٨
 سيزه (بلاط) : ٢٤٣
 مستبول (مستبول) : ٨، ١٥، ١٦، ٣٦،
 ٣٦٠، ٣٦٢، ٤١٠
 السدير : ١٨٠
 سرغوان (انظر سوراخان أيضاً) : ٤٠١
 سروج : ٢٥١
 السفداق : ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٦١،
 ١٦٥، ١٦٨، ١٧٤
 سفريحصار : ٤٠٠
 سقرية (نهر) : ٤٠٧
 سلخات (مولخاد) : ٤١١
 سميماط (قلعة) : ٢٥٦-٢٥٨، ٢٧١
 سنجار : ٢٢٢، ٢٤٠
 السند (نهر) : ١٨٩
 سهرورد : ٢٥٨
 سوتاق : ٣٦١
 سوخته : ٩
 سوراخان : ١٠١
 سوراخان : ١٠١
 سولخاد (انظر أيضاً سلخات) : ٣٦١
 سسيس : ٥٤، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ١٢٠

الدولة البيزنطية : ٤٣ .

الدولة المملوكية : ١٥٥ .

دولو : ٥٣، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢،
 ٣٨٢، ٣٨٢ .

الدوناب : ٣٦١ .

ديار بكر : ١٤٧، ٢٦٢ .

ديار الجزيرة : ١١ .

ر

رأس العين : ٢٦٤، ٢٧٦

رباط ابن راحت : ٢١٩

الرباط العلاوي (انظر خان علاوي)

رباط قلع أرسلان (انظر خان قلع
 أرسلان)

رعبان : ٩٠، ٩٦، ٩٧ .

الرقة : ٢٣٧، ٢٥١ .

رمان : ١٨٧

روزبه (صحراء) : ٢٠، ١٠٨، ٣٥٩

الرما : ١١، ٢٣٧، ٢٥١ .

ز

زره : ١٤٢

زمندر : ١٤٠، ٢٥٠، ٢٦٢

زنجيزلو : ١١٦، ١١٩

زبله : ٣٥٣

ط

طاطوان (انظر تلوان)

طبرستان : ١٢ ، ١١٤ .

طبرية : ١١

طرابلس (الغرب) : ١٥

طرسوس : ٧٣ ، ٣٠١

طوز آغاج : ٣٤٠ .

طوغطاب : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

ع

عادلجواز : ٢٢٤

عشماجنوق : ٣٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ .

العسراق : ١٢ ، ١٨٠ ، ٢٨٤ ، ٣٧٣ ،

٤١٤ .

عرب كبير : ٢٥٠ .

عسكر (مدينة بخوزستان) : ٣٦ .

العلائية : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٨١ ،

١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ،

٢٤٣ .

عمان : ٨١ .

عمورية : ٤٠٧ .

غ

غرناطة : ١٥

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ،

٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٦ .

سيمرہ : ٤٠٥ .

سينوب : ٦٥ - ٦٧ ، ٦٩ - ٧٢ ،

١٦٤ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٣٦٥ ، ٤٠٥ ،

٤٠٩ ، ٤١٢ .

سيواس : ٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٥ ،

٧١ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ،

١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٨٤ ،

١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٤٥ ،

٢٥٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،

٣١٠ - ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،

٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٥٥ ، ٤١٢ .

ش

الشام : ١٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ،

٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٢٩٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٩ ،

٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ .

شروان : ٣٠٠

شماخي : ٣٠٠

شجراز : ١٩٢ .

قونية : ٧-٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣١-٣٤ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٧-٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ،
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧-
 ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٨٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٨-٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ،
 ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ،
 ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ،
 ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٥ .

قوبلو (انظر أيضا قيلو حصار) : ١٠٢

قيرشهر : ١٨٧ ، ٢٧٤ ، ٣٠٠ ، ٣٤٠ ،
 ٣٤١ ، ٣٥٥ .

قيصرية : ٦ ، ٤٨ ، ٥٠-٥٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ،
 ٨٠ ، ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ،
 ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨-٣٤٢ ، ٣٤٤ ،
 ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

قيلو حصار (انظر قوبلو) : ١٣٧ .

ف

فارس : (انظر پارس)

الفرات (نهر) : ٩٨ ، ١٧٦ ، ٢٣٢ .
 قابونباد (صحراء) : ٣٩٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .
 الفولجا (نهر) : ٢٩٩ .

ق

القاهرة : ٢٩ ، ٦٥ ، ٨٨ ، ٢٢٩-٢٣١
 قازآوا : ٣٥٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ .
 قاف (جبل) : ١٢٦ ، ٢٣٨ .

قباد آباد : ١٨ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

القدس : ١١

قراحصار دولة : ٣٧٤ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٩ .

قرايوك : ٣٠٠ ، ٣٦٠ .

قرطبة : ١٥

قرنين : ٣١٦ .

قسطمونية : ١٦٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ .
 قطر : ٣٧٣ .

القنجاك (القنجاك) : ١٥٥ ، ١٦٢ ،
 ١٦٥ ، ١٦٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٤١٠ .

قلمند : ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

قوزاغاج : ٣٩٩ .

ك

- كاب : ٣٥٥ ، ٣٥٣
 كاخ (قلعة) : ١٨٤
 كاخته : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٣١٦ ، ٣١٣
 كاروانسرائي التونيه : ٣٦٢
 كاروانسرائي سلطان : ٣٢٦ ، ٣٢٤
 كالي (نهر) : ١٨٧
 كالجين (قلعة) : ٧٥
 كاوله (قلعة) : ٣٣ ، ٣٥٨ ، ٢٩٣
 كداغره : ٣٦٣
 كدوك : ٤٨ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣٩٣
 كرافراك : ١٤٣
 الكرخ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩
 ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦١
 كرد كوه : ٢٤٤
 الكرك : ١١
 كذريبيرت : ١٠٢
 كرمان : ١١٢ ، ٢٨٤
 كفرسود : ٢٧١ ، ٢٧٢
 كلونوروس (قلعة) : ١٢٠ ، ١٢٦
 كساح (قلعة) : ١٨٢ - ١٨٤ ، ٣١٩ ، ٣٩٠
 كوناھية : ٢٧٣

كورسوخ : ٢٣٥

- كوسه طاغ (داغ) : ٢٤٤ ، ٢٨٣
 ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢
 كوشي (وادي) : ٧٤
 كوغونيه : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٣٩٠
 كوكري : ٧٤
 كوه بلدوز : ٣٥٣
 كيخسرويه : ٣٤٢
 كيقباديه : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ، ١٨٣
 ٢٤٦ - ٢٤٨
 كييف : ٢٩٩

ل

- لابدخانہ : ٨٩
 لاذيقي : ٨ ، ٩ ، ٣١ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
 ٣٧٤ ، ٤٠٩
 لارنقه : ٨ ، ٢٢٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٣
 لاشكرد : ١١٢
 لالا (انظر أيضاً لولوه) : ١٣٠
 لوزا : ١٠١
 لولوه : ٥٤ ، ٢٨٣ ، ٣٨٣

م

- ماردين : ١٣٣ ، ٢٧٦ ، ٣٤٤
 مافنا : ١٧٤

موت اوا : ٤٠٣	ماليه (صحراء) : ٢٧٤
الموصل : ٥٥ ، ١٣٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٤٤	مراغة : ١٨٩ ، ١٩١
ميآقارقين : ١١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩	مرزبان : ٩٠ ، ٩٦
ن	مرعش : ٤٨ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٣٤٤
النجف : ١٨٠	مصر : ١١ ، ١٣ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٢
نخبوران : ٢٣٦	١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٢
نكيدة : ٥ ، ٥٤ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨	٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ - ٢٣١ ، ٢٣٩
٣٦٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦	٣٢٩ ، ٣٥٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
نكيسار : ٥ ، ٣٤ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ، ٣٤٤	مغان : ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٣
٣٥٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨	٢٩٦ ، ٣٥١
نيسابور : ٢٣٤ ، ٣٩٦	المغرب : ١٥ ، ٣٦
النيل (نهر) : ٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٣٠	ملازكرد : ١٧
ه	ملطية (ملاطية) : ٥ ، ١١ ، ٣٤ ، ٣٨
هاويك (قلعة) : ٢٣١	٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٩٨ ، ١٠٢
هرت (جوسق) : ٢٢٢	١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٣
الهضبة الإيرانية : ١١٢	١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
همدان : ٢٩١	٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨
الهند : ١١٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٨	٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩
هورون (جبل) : ٣١٧	٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٤١٤
هوزي : ٩١	مليفدون : ٤٠٧
	ممر بونس : ٢١٩
	مناس (قلعة) : ٣٣٦
	منشار (قلعة) : ٦١
	المهدية : ١٥

9

ولاشکرد : (انظر : لاشکرد)

ورانشهر : ۹۸ .

ی

یاسی چمن : ۲۰۵، ۲۰۶

یدي قاپو : ۴۰۷

یلدوز (انظر کوه یلدوز)

الیمن : ۲۲۹

الیونان : ۱۲۰ .



أسماء الشعوب والقبائل والطوائف

، ٢٩٢ - ٢٨٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٠
 ، ٣١٤ ، ٣٠٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠١
 ، ٣٢٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣
 ، ٣٤٣ ، ٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٠
 ، ٣٦٧ ، ٣٥٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦
 ، ٣٨٧ ، ٣٨٢

الأمم : ٢٨٤ .

الإيلخانيون : ٣٧٣ ، ٤١٤ .

التركمان : ٢٧٣ ، ٢٩٦ ، ٣٩٢ ،
 ، ٣٩٥

البربر : ٣٦ .

تكافرة الدرغ : ٢٨ .

بنو سلدوق (سلفقي) : ٢٦ .

بنو منكوجك : ٢٥ .

ت

التشار : (انظر المغول) : الجنيدية :
 ، ١١٦

الجواسيس : ٣٨٣ .

الجنية (طائفة من الأتراك) : ٤٠٩ .

الحنفية : ٢٥٨ .

خوارج البايي : ٢٧٠ - ٢٧٥ .

الخوارزميون (الخوارزمية) : ٢٠٠ ،

، ٢٣٠ - ٢٢٤ ، ٢٠٩ ، ٢٠٢

، ١٦١ ، ١٥٩ : (الترك)
 ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٠٥ ، ١٨٨
 ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٢٩٧ ، ٢٧٧
 ، ٣٩٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩١ ، ٣٦٦
 ، ٤٠٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٠
 ، ٤٠٩

الأعيان : (الإخوان) : ١١٧ ، ٣١٢ ،
 ، ٣١٣ ،

الأرمن : ٢٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٩٨ ،
 ، ٢٩٦ ، ٣٠١

الأرمنك : ٤٠٣ .

الإسماعيلية : ١٨٣ ، ٤١٤ .

أصحاب الكهف : ١٨٧ .

الأطباء الحاذقون : ١٥١ - ١٥٢ .

الأعراب (العرب) : ٩٦ ، ١٤٣ ،
 ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ .

الأغاجريون : ٣٤٤ .

الأكراد : ١٤٣ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ .

الألمان : ٣٦ .

أمراء الروم : ٢٨ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٦٠ ،
 ، ٦٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٦ ،

، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٣٦ - ١٤٠ ،

، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ ،

، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٢٦ ، ٢٦٩ ،

الصوفية (الفقراء) : ١١٠ ، ١١٦ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٦١ .
 الطيفورية : ١١٦ .
 العباسيون (دار الخلافة ، الخلافة) :
 ٧١ - ٧٢ ، ١١٦ - ١١٩ ، ١٣٠ ،
 - ١٣٥ ، ٢٥٦ ، ٤١٤ .
 الغز : ٢١ ، ٣٩٦ .
 الغزنوية (الدولة) : ١١٤ .
 الفرس : ٣٥ ، ٤٨ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
 ١٢٤ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٨٨ ،
 ١٨٩ .
 الفرنج (الفرنجية) :
 ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ،
 ٦٢ ، ٦٤ ، ١٠٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٤٤ .
 الفقراء (انظر الصوفية) :
 القبارصة : ٢١٨ .
 القرمانيون : ٣٨٩ ، ٣٩٢ - ٤٠٤ .
 القزاونة : ١٠٩ .
 قياصرة الروم : ٨ ، ٢٠ ، ٢٨ .
 الكرج (الكرجيين ، انظر أيضا : الكرج
 بفهرس أسماء الأماكن) : ٢٠٥ ،
 ٢٥٦ .
 الكرمانية : ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
 ٣٩٩ - ٤٠٠ .

٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٤١٤ .
 الذبالة : ١٠٩ .
 الرُسامون الحاذقون : ١٢٩ .
 السُروس : ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ١٦٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٥ .
 الروم (الروميون ، لشكري) : ٤٣ ،
 ٦٢ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،
 ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ٢٠٥ ،
 ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ،
 ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٧٩ ،
 ٣٩٤ .
 السُفنديون : (انظر أيضا السُفنداق
 بفهرس أسماء الأماكن) : ١٦٥ ،
 ١٦٨ .
 السُقسقيون : ١٩٥ .
 السلاجقة (الدولة السلجوقية) : ٩ ،
 ١٧ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٨١ ، ٨٨ ،
 ٢٢١ ، ٣٩٨ ، ٤٠٥ .
 سلاجقة الروم (دولة ...) : ٣٨ ،
 ١٠٧ ، ١٥٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
 ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٩ .
 الشاميون : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٥٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ،
 ٣٩٣ .

- . المترجمون : ٢٣٥ .
- . المرتبة : ٢٨٤ ، ٣١٨ .
- . المصريون : ٣٥٧ - ٣٥٨ .
- . مطرعة الغزاة : ١٢٣ .
- . المعمارون : ١٢٩ .
- . المغول : المغل ، التتار ، الإيلجيون) :
 ، ١١ ، ١٨٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
 ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
 ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٢ ،
 ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ،
 ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ،
 ، ٣٢٦ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ،
 ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ،
 ، ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ،
 . ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ .
- . مفاردة الحلقة : ٢١٩ ، ٣١٨ .
- . المماليك (الدولة المملوكية) : ١٧٤ ،
 . ٣٨٠ .
- . المنشعرون : ٣٣٥ .

فهرس أبواب الكتاب

أ - ف	تقديم
٢	مقدمة
٥	ذكر اجتماع الإخوان بالملك ركن الدين
٧	ذكر سماع السلطان ركن الدين وفاة أبيه .. وانتزاع الملك من أخيه
٨	ذكر جلاء غياث الدين كيخسرو، والوقائع التي شاهدها في غربته
١٠	ذكر وصول السلطان غياث الدين إلى أرمينيا
١٢	ذكر التحاق السلطان بهملك الشام
١٦	ذكر وصول السلطان من المغرب إلى استانبول
٢١	ذكر أيام سلطنة ركن الدين سليمان شاه .. وجانب من مناقبه
٢٥	ذكر عزم السلطان ركن الدين سليمانشاه غزو الكرج
٢٨	ذكر أيام سلطنة عز الدين قلع أرسلان بن ركن الدين
٣٢	ذكر محاصرة غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان بقونية
٣٤	ذكر دخول السلطان غياث الدين كيخسرو .. قونية وجلوسه على العرش
٣٩	ذكر توجه السلطان غياث الدين كيخسرو لفتح أنطالية
٤٢	ذكر عزيمة السلطان لغزو بلا داروم، والترقي إلى درجة الشهادة
٤٨	ذكر سلطنة السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو، وفتوحه
٥٥	ذكر مكارم أخلاق السلطان عز الدين كيكاوس
٥٨	ذكر توجه السلطان إلى أنكوره ومحاصرة أخيه علاء الدين
٦٢	ذكر عصيان سكان أنطالية، وفتح ذلك الثغر

- ٦٥ ذكر تحريك السلطان نحو سينوب وفتحها
- ٧١ ذكر إرسال السلطان للشيخ مجد الدين إسحاق إلى دار السلام
- ٧٣ ذكر توجه السلطان نحو طرسوس
- ٧٥ ذكر محاصرة قلعة جنجن وفتحها
- ٧٩ ذكر وصول رسل «ليفون» ..
- ٨١ ذكر تزوج السلطان بابنة الملك فخر الدين بهرامشاه
- ٨٨ ذكر تحريك السلطان قاصداً الشام
- ٩٢ وقوف والده الملك العزيز على مقدم السلطان لتملك ديار الشام
- ١٠٠ ذكر مشاركة الأمراء في اختيار واحد من أبناء الملوك سلطاناً
- ١٠٧ ذكر توجه السلطان علاء الدين إلى قونية
- ١١٢ ذكر بعض السير الحسنة وما كان يتمتع به هذا السلطان من خلق
- ١١٦ ذكر وصول شيخ الشيوخ شهاب الدين السهرودي من جانب الخليفة
- ١٢٠ ذكر شروع السلطان علاء الدين كيقباد بالفتح ..
- ١٢٦ ذكر فتح قلعة آراه ..
- ١٢٨ ذكر عمارة سور قونية وسيواس
- ١٣٠ ذكر ورود محيي الدين بن الجوزي من حضرة الخلافة
- ١٣٦ ذكر أخذ السلطان الأمراء
- ١٤٣ ذكر فتح قلعة كاخته
- ١٤٦ ذكر فتح قلعة جمشكزك
- ١٤٩ ذكر تذلّل الملك مسعود
- ١٥٠ ذكر مصاهرة السلطان أولاد الملك العادل

- ١٥٥ ذكر السبب في قصد السلطان فتح صحراء القفجاق والسُنداق
- ١٥٨ ذكر عبور جيش السلطان بحر المخرد
- ١٦٢ ذكر نذل ملك الروس وطلبه الصلح
- ١٦٥ ذكر فتح السُنداق
- ١٧٠ ذكر توغل مبارز الدين جاوولي .. في ولاية الأرمن
- ١٧٤ ذكر فتح قلاع السواحل
- ١٧٦ ذكر وفود الملك علاء الدين داودشاه صاحب أرزنجان
- ١٨٠ ذكر قباد آباد وأمر السلطان بإعمارها
- ١٨٢ ذكر أسباب أطماع السلطان في انتزاع أرزنجان
- ١٨٧ ذكر فتح كورغونية
- ذكر وصول قاضي القضاة محيي الدين طاهر.. من قبل السلطان جلال الدين خوارزمشاه
- ١٨٩
- ١٩٥ ذكر وصول رسل السلطان جلال الدين للمرة الثانية
- ٢٠٣ ذكر استقبال السلطان للملك الأشرف
- ٢٠٥ ذكر توجه السلطان لمحاربة جلال الدين
- ٢٠٧ ذكر حركة الرايات المنصورة للسلطنة
- ٢٠٨ ذكر انكسار طليعة الخوارزمي كرة ثانية
- ٢١١ ذكر فرار طليعة خوارزمشاه للمرة الثالثة
- ٢١٥ ذكر تحرك وإيوات السلطان صوب أرزن الروم وضحها
- ٢١٨ ذكر جنائمه محافظ علائقيه وتأديبه
- ٢١٩ ذكر توغل فرقة حراسة مغولية حتى سيواس

- ٢٢٠ ذكر دخول عساكر السلطان ديار الكرج
- ٢٢١ ذكر نذلل رسودان ملكة الأبهجاز .. وطلبها المصاهرة
- ٢٢٢ ذكر توجه عساكر السلطان نحو الأرمن
- ٢٢٧ ذكر غارة المغول على الخوارزمية وتفرقهم
- ٢٢٩ ذكر الحشد الذي جمعه الملك الكامل لغزو بلاد الروم وانهزامه
- ٢٣٢ ذكر محاربة ملوك الشام لعساكر السلطان وانهزامهم
- ٢٣٤ ذكر والد ووالدة مؤلف أصل هذا المختصر
- ٢٣٧ ذكر فتح حران
- ٢٣٩ ذكر تصدي تاج الدين شهاصرة آمد
- ٢٤١ ذكر ورود رسل بلاط أوكتناي قآن إلى السلطان علاء الدين
- ٢٤٢ نص الأمر الملكي الذي جاء إلى السلطان علاء الدين
- ٢٤٥ ذكر وفاة السلطان علاء الدين
- ٢٤٨ ذكر تمكن السلطان غياث الدين كبخسرو على سرير السلطنة
- ٢٥٠ ذكر القبض على قيرخان وفرار الجيش الخوارزمي
- ٢٥٢ ذكر شروع كوكك في قتل أكابر بلاد الروم
- ٢٥٣ ذكر قتل الملكة العادلية وحبس ابنها
- ٢٥٤ ذكر قتل «كوكك» لتاج الدين برونه
- ٢٥٦ ذكر فتح قلعة «سميساطه» على يد كوكك
- ٢٥٨ ذكر أخذ كوكك لقيصري وكمال الدين كاميار
- ٢٥٩ ذكر قتل السلطان لكوكك
- ٢٦١ ذكر وصول هودج ملكة الكرج

- ٢٦٢ ذكر اعتناء السلطان بدعوة الخوارزمية للعودة
- ٢٦٤ ذكر استنجاد ملوك الشام بحضور السلطان
- ٢٦٦ ذكر فتح آمد على يد ممالك السلطنة
- ٢٧١ ذكر خروج خوارج الباهاي
- ٢٧٦ ذكر اهتمام السلطان بانتزاع ملك ميافارقين
- ٢٨٠ ذكر حدوث الفتن في بلاد الروم
- ٢٨٣ ذكر محاربة السلطان غياث الدين لجيش المغول
- ٢٩١ ذكر خراب قيصرية
- ٢٩٣ ذكر توجه صاحب مذهب الدين إلى بايجو
- ٢٩٦ ذكر عودة صاحب شمس الدين من الشام
- ٢٩٨ ذكر عودة صاحب مذهب الدين
- ٢٩٩ ذكر توجه صاحب الإصبهاني لخدمة صاين خان
- ٣٠١ ذكر توجه صاحب شمس الدين .. لغزو سيس
- ٣٠٣ ذكر جلوس السلطان عز الدين كيكابوس على سرير السلطنة
- ٣٠٦ ذكر احتيال پروانه
- ٣٠٩ ذكر استدعاء صاحب لشرف الدين محمود
- ٣١٤ ذكر التوتر الذي وقع بين صاحب الإصبهاني وشرف الدين
- ٣١٧ ذكر استقلال صاحب شمس الدين
- ٣٢٧ ذكر الأمير جلال الدين قراطاي ونفاذ حكمه
- ٣٣٣ ذكر وزارة القاضي عز الدين محمد الشهيد الرازي
- ٣٣٧ ذكر سب الخلاف بين السلطان عز الدين وركن الدين

- ٢٤٣ ذكر سبب توغل ياجو في بلاد الروم للمرة الثانية
- ٢٤٨ ذكر جلاء السلطان عز الدين للمرة الأولى
- ٢٥٢ ذكر عودة السلطان عز الدين من ملك لشكري
- ٢٥٤ ذكر وفاة السلطان علاء الدين كيقباد (الثاني)
- ٢٥٦ ذكر توجه السلطانين لخدمة البلاط المعظم
- ٢٥٩ ذكر فرار السلطان عز الدين منهزماً
- ٢٦٢ ذكر تولي السلطان ركن الدين قلع أرسلان الحكم وسيrote
- ٢٦٤ ذكر السبب في حادث هلاك السلطان ركن الدين
- ٢٦٨ ذكر سلطنة غياث الدين كيمخسرو بن قلع أرسلان
- ٢٦٩ ذكر اعتزال الصاحب فخر الدين
- ٢٧٣ ذكر تبديل المناصب في ديوان السلطنة
- ٢٧٥ ذكر بعض أوصاف الأتابك مجد الدين
- ذكر نشرف الملكة المعظمة سلجوقي خانون ابنة السلطان ركن الدين بتزوج
- ٢٧٨ ابن الخان وعصيان ولد الخطير
- ٢٨٢ ذكر وصول هودج الملكة.. وسكون فتنة أولاد الخطير
- ٢٨٦ ذكر خروج الفنندقدار من ناحية الشام
- ٢٨٨ ذكر سبب حركة الإيلخان الأعظم إلى حدود بلاد الروم
- ٢٩١ ذكر محاسن أوصاف معين الدين بروهانه
- ٢٩٢ ذكر سيطرة القرامانيين وتسلط جمري
- ٢٩٩ ذكر محاربة جمري لأولاد الصاحب
- ٤٠٣ ذكر دخول صاحب الديوان بلاد الروم

٤٠٧	ذكر محاربة السلطان غياث الدين كيخسرو لجمري الخارجي
	ذكر عبور السلطان غياث الدين مسعود بن كيكاوس من بحر الخرز إلى
٤١٠	بلاد الروم
٤١٩	فهارس الكتاب
٤٢١	أسماء الأشخاص
٤٢٩	أسماء الأماكن
٤٤٩	أسماء الشعوب والطوائف
٤٥٢	فهرس الموضوعات



المترجم في سطور :

الدكتور/ محمد السعيد جمال الدين

- أستاذ الآداب الفارسية في كلية الآداب - جامعة عين شمس.
- شارك في عشرات المؤتمرات والندوات العلمية الدولية، وألقى العديد من المحاضرات في مختلف أنحاء العالم، وعمل بالتدريس في عدد من الجامعات العربية.
- عضو بعدد من الجمعيات والهيئات العلمية والثقافية العربية والدولية.
- نال بعض الأوسمة من إيران وباكستان.
- صدر له ستة وعشرون كتاباً، بين تأليف وتحقيق وترجمة.